الجزء ٧ — المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تموز سنة ١٩٣٠ م — الموافق صفر سنة ١٣٤٩ هـ

المحاضرة الخامسة عشرة

نبوة المتنبي (١)

— ٧ —

مر بكم ان ابا الطيب لما ترعرع وشعر وبرع توفي ابوه ، فالحسين فارق الدنيا وابنه احمد في عنفوان صبوته ، فلنراقب اباالطيب في اول حركة من حركاته بعد ان تم له ماتم من طلب الادب واللغة في البادية والحضر ، فلنتقص اخبار ذلك الامر العظيم الذي ذهب بحقيقة اسمه وجعل له اسماً آخر خالداً على وجه الدهر وهو المتنبي ، لماذا لقبوه بالمتنبي هل تنبأ ابوالطيب وكم كان عمره في دعوى النبوة ، ما هي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة ، هل نسبوا اليه اموراً غيردعوى النبوة ، هل نسبوا اليه انهم بالخروج او انه ادعى انه علوي ، او انه ادعى غير ذلك ، ما هي معجزاته ، ما هو قرآنه ، ما هي اقواله في نبوته وقرآنه ، هل تهيأ له شيء من اسباب التأثير في عقول الاعراب ، هل صرح في شعره بدعواه ، هل وطن نفسه للموت وهو في السجن على نحو اكابر الرجال الذين لا يبالون بما يصيبهم في سبيل مذاهبهم ام اوهن رجليه ثقل الحديد ، فاستغاث واستصرخ .

لماذا لقبوه بالمتنبي ؟

حكى ابو الفتح عثمان بن جني وابن جني هذا صحب ابا الطيب دهراً طويلاً قال :

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

سمعت ابا الطيب يقول انما لقبت بالمتنبيء لقولي :

انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامي بارض نخلة الا كمقام المسيح بين اليهود

فتشبيهه بصالح و بالمسيح مدعاة الى تلقيبه بالمتنبيء .

هل تنبأ المتنبيء ، و كم كان عمره لما تنبأ ، وماهي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة .

قال ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي :

قدم ابو الطيب المتنبيء اللاذقية في سنة عشرين وثلاثمائة ، (كان عمره يومئذ سبع عشر . سنة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتي اذنيه ، فاكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من ادبه قلت له : والله انك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير فقال : و يحك اتدري ما تقول ؟ انا نبي مرسل ، فظننت انه يهزل ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له : ما تقول : فقال انا نبي مرسل ، فقلت له : مرسل الى من ، قال : الى هذه الامة الضالة قلت : تفعل ماذا ، قال : املاء الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، قلت : بماذا قال : بادرار الارزاق والثواب العاجل والآجل لمن اطاع واتى ، وضرب الاعناق لمن عصى وابى فقلت له : ان هذا امر عظيم اخاف منه عليك ان يظهر وعذلته على ذلك فقال بديهاً :

ابا عبد الاله معاذ اني خفي عنك في الهيجا مقامي

ذكرت جسيم ما طلبي وانا نخاطر فيه بالمهج الجسام

امثلي تأخذ النكبات منه و يجزع من ملاقاة الحمام

ولو برز الزمان الي شخصاً لخضب شعر مفرقه حسامي

وما بلغت مشيئتها الليالي ولا سارت وفي يدها زمامي

اذا امتلأت عيون الخيل مني فويل في التيقظ والمنام

هذا قول ابي عبد الله معاذ اللاذقي في نبوة المتنبيء فلنسمع قول كافور الاخشيدي

وانتم تعلمون ان ابا الطيب لما غضب على سيف الدولة قصد كافوراً فوعده كافور بولاية

بعض اعماله فلما رأى تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، اما يدعي المملكة مع كافور فحسبكم .

اما ابو العلاء المعري ، فقد ذكر عنه الاستاذ عباس محمود العقاد ، في مقال له في « البلاغ » عنوانه هل تنبأ المتنبي انه قد شك في دعوى النبوة وبنى مقاله على هذا الشك ، فهو يعتقد ان قصة النبوة رواها عن ابي الطيب جماعة من اهل عصره اكثرهم من خصومه وحساده او من ملفقي الأحاديث .

وقد رجعت الى كلام ابي العلاء فلم أجد فيه ما يدل على انه كان يشك في دعوى النبوة فهو قد صدّق الدعوى وروى احاديث حدثه بها الثقة عن معجزات المتنبي ، وهذا كلام المعري :

« وحدثت انه (اي المتنبي) كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة اي المرتفع من الارض وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وانما هي مقادير يديرها في العلو مدير ظفر بها من وفق ، ولا يراع بالمجتهد ان يخفق ، وقد دلت اشياء في ديوانه انه كان متألهاً ، ومثل غيره من الناس متدلهاً ، فمن ذلك قوله :

(ولا قابلاً الا لخالقه حكما)

وقوله :

ما أقدر الله ان يخزي بريته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

واذا رجع الى الحقائق فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الانسان ، لان العالم مجبول على الكذب والنفاق ويحتمل ان يظهر الرجل بالقول تديناً ، وانما يجعل ذلك تزيناً ، يريد ان يصل به الى ثناء او غرض من اغراض الخالبة ام الفناء ، ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متعبدون وفيما بطن ملحدون » .

فمن هذا يتبين لكم ان ابا العلاء لم يلحقه الشك في الدعوى التي ادعاها المتنبي حتى انه بيّن علة هذه الدعوى فأشار الى طمع ابي الطيب في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وستسمعون أحاديث معجزات ابي الطيب التي حدث بها ابو العلاء ، واذا شك المعري في شيء فانه قد شك في صدق النبوة لا في صدق دعوى هذه النبوة والفرق بين الشكين ظاهر .—

ومن الذين تكلموا على دعوى النبوة ابو منصور الثعالبي فقد قال :

و يحكى انه تنبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه :

ومنهم الانباري صاحب الطبقات فقد قال :

قال ابو علي بن حامد : سمعت خلقاً بحلب يحكون ان ابا الطيب المتنبيء تنبأ ببادية السماوة ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الإخشيدية فقاتله واسره ، وشرّد من كان اجتمع عليه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في امره فاستتابه ، وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه .

* * *

هذه أقوال من تكلموا على دعوى نبوة المتنبيء على ان بعضهم نسبوا الى المتنبيء اموراً غير ذلك مثل طمعه في الملك وادعاءه العلوية وغير ذلك مما لم يذكروه ، فالثعالبي قبل ان يتكلم على دعوى النبوة وقد سمعتم كلامه ، تكلم على طلب الملك فقال :

وبلغ من كبر نفسه ، وبُعد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من رائشي نبله على الحداثة من سنه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له امر دعوته ، تأدى خبره الى والي البلدة ورُفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده .

وابن خلكان روى دعوى نبوته فقال :

وانما قيل له المتنبيء لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه ثم قال بعد هذا :

وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، فما الذي قيل غير ذلك ؟ فلم يبينه ابن خلكان الى ان قال :

وقيل انه قال : انا اول من تنبأ بالشعر .—

وابن الانباري تكلم على دعوى النبوة ، وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف اليه مايلي :

وقال القاضي ابوالحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي ، وكان ابوالطيب لماخرج الى

كلب وأقام فيهم ، وادعى انه علوي ، ثم ادعى النبــوة ، ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه في الشام بالتوبة واطلق ٠

* * *

فالذي يستخلص من كل ما تقدمت الاشارة اليه ان الاقوال في أمر المتنبي متباينة فمنهم من قال انه ادعى النبوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك ٠

ولا بأس بان المح الى طائفة من معجزاته وقرآنه ما دام بعض رجال التاريخ قد تكلموا على نبوته ٠ —

أما المعجزات فقد ذكر منهــا ابو عبد الله معــاذ بن اسمعيل اللاذقي حبس المطر ، فمن شاء فليقرأ خبرها في الصبح المنبي ٠ وذكر ابو العلاء المعري غير حبس المطر فقال :

«وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : هاهنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها اقررنا انك مرسل ٠ وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وتنكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي المسمحة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليهــا فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم ٠

وحدثت ايضاً انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الاقلام فجرحته جرحاً مفرطاً وان ابا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته وقال للمجروح لا تحلها في يومك وعد له اياماً وليالي ٠ وان ذلك الكاتب قبل منه فبريء الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد و يقولون هو كمحيي الاموات ٠

وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ولقيهما كلب الح عليهما في النباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الفى الامر على ما ذكر ولا يمتنع ان يكون اعد له شيئاً من المطاعم مسموماً والقاه له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل ، والخربق مم الكلام ٠ »

واما القرآن فها انا اتلو عليكم منه ما دونه صاحب الطبقات نقلاً عن ابي علي بن حامد قال ابو علي :

« وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن أُنزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي اولها في حفظي وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار . امض على سننك . واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيل قال : وهي طويلة لم يبق في حفظي منها غير هذا . »

سمعنا هذا كله فلنسمع ما نقل لنا عن المتنبي في هذا القرآن وفي هذه النبوة فهل اثبت على نفسه قرآنه ونبوته .

قال ابو علي بن حامد : وكان المتنبي في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآنه هذا وامثاله مما كان يحكى عنه انكره وجحده ، وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبي لان معنى المتنبي كاذب ومن رضي ان يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغض مني ولست اقدر على المنع .

قال التنوخي : قال لي ابي : فاما انا فسألته بالاهواز عن معنى المتنبي لأني اردت ان أسمع منه هل تنبأ او لا فجاوبني بجواب مغالط وقال : ان هذا شيء كان في الحداثة فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت .

وقال له بعض الاكابر في مدينة السلام: خبرني من اثق به انك قلت انك نبي فقال: الذي قلته : انا احمد النبي .

هذه جملة ما يتعلق من الاخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهمه بالخروج وغير ذلك يحار الانسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه . وانا لنرى ابن جني وهو من اصحاب ابي الطيب يبين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبي . ونرى اباعبدالله معاذ ابن اسمعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعاءه النبوة . ونرى كافور الاخشيدي يصدق دعوى نبوة المتنبي . وهؤلاء كلهم من اهل عصر المتنبي . وانا انرى ابا العلاء

المعري يحدثنا عن ثقة باحاديث معجزات المتنبي وما بينه وبين ابي الطيب الا القليل من السنين . ونرى الانباري يتكلم في طبقاته على دعوى النبوة . وكذلك الثعالبي وكذلك ابن خلكان اذ نرى الثعالبي نفسه يتكلم على هم المتنبي بالخروج على السلطان . ونرى الانباري نفسه يتكلم على ادعاء المتنبي العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر غير النبوة ، وغير العلوية و يرجحه عليهما ولا يذكره . ونري المتنبي نفسه اذا ذكرت له النبوة والقرآن ينكرهما مرة و يغالط مرة اخرى ويقول : ان هذا شيء كان في الحداثة فالانسان كما قلت لك يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المتنبي لم يصرح في شعره بالسبب الذي من اجله حبس وانما طلب الى الوالي ان لا يقبل زور الكلام ، وان لا يسمع من الكاشحين وان يفرق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فمالك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبأن بمحك اليهود
و كن فارقاً بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد

فقد يجوز ان اباالطيب اراد امراً من الامور ولما هم بهذا الامر اخفق فما هو هذا الامر ، فالذي يقع في خلدي ان الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله اي قبل ان تشيع دعوى من الدعاوى المذكورة وقصيدته التي قالها في صباه والتي اولها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم

قد امتلأت من امانيه البعيدة في الملك .

أيملك الملك والاسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضم
من لو رآني ماء مات من ظماء ولو مثلت له في النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان اجابوا فما قصدي بها لهم وان تولوا فما ارضى لها بهم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا يبالي بالطرق التي من نحوها يأتيه هذا الملك سواء عليه أجاءه من طريق النبوة ، ام من طريق العلوية ام من طريق آخر ، فقد يجوز ان نفسه وسوست له ان يجعل النبوة سبيلاً الى الملك ، وعلى الخصوص بعد ان اجتمع له الشيء الكثير من اسباب التأثير في عقول الاعراب من جملتها خبرته بالارض وفصاحته

حتى حكوا عنه انه مما كان يخرق به على اهل البادية أنه كان مشاءً ، قوياً على السير يسير سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكان يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيغسل يديه ورجليه ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوهم ان الارض تطوى له ، افلا يجوز ان نفسه حدثته بطلب الملك بعد ان تهيأ له هذا كله وتهيأ له شيء اعظم من هذا وهو حسن البيان ، وقد شهدوا له بفصاحته وأشار اليها في شعره فقال :

وكلمة في طريق خفت اعربها فيهتدى لي فلم اقدر على اللحن

فالرجل مطبوع على الفصاحة والاعراب ، كل هذا من الامور التي توطئ له السبيل الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، ولكنه ينقصه قوة العقيدة فلم يؤثر عنه انه كان متيناً في عقيدته ، شديداً في دينه ، وقد اوضح عن ضعف العقيدة ، ورقة الدين في كثير من شعره منه قوله :

تتقاصر الافلاك عن ادراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا

وقوله : لو كان علمك بالاله مقسماً في الناس ما بعث الاله رسولاً

وقوله : او كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

وقوله : يا من نلوذ من الزمان بظله ابداً ونطرد باسمه ابليسا

الى كثير من اشباه هذه الابيات ، فلما هم بما اراد لم يتم له شيء من مراده ولعل الاعراب انفسهم الذين صحبهم في البادية هم الذين وشوا به .

ومدلسين بسبروت صحبتهم عارين من حلل كاسين من درن

خراب بادية غرثى بطونهم مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن

يستخبرون فلا اعطيهم خبري وما يطيش لهم سهم من الظنن

وكيف كان السبب الذي من اجله حبس فان المتنبي متن بعض المتانة في حبسه فقال :

كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف

لو كان سكناي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

ولكنه بعد ان قال هذين البيتين وهما هما في متانة الاخلاق والصبر على المكاره في سبيل مذهب من المذاهب او معتقد من المعتقدات خانه الصبر فضعف عزمه فقال للوالي :

اامالك رقي ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلاء واوهن رجلي ثقل الحديد

فاين نوطين النفس للموت من هذه الاستغاثة .

دمشق : في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٠



المحاضرة السادسة عشرة

حياة المتنبي

- ٨ -

أرى ان أفضي اليكم بعد ان تكلمت على وطن ابي الطيب وعلى نسبه وعلى تحصيله وعلى روايات نبوته ، بجملة اخباره وهو في ديار الشام وفي ظلال سيف الدولة وفي مصر وفي العراق وفي بلاد فارس ، على ان تكون اخباره هذه متسلسلة ليس فيها شيء من الاقتضاب ، وكنت أحب ان اختصر الكلام على هذه الاخبار حتى اصل الى الكلام على أخلاقه وروحه ولغته وشعره وبعض نظراته الفلسفية قبل انقضاء سنتنا . ولكنني لا اجد لي مندوحة عن ان أروي لكم المهم من هذه الاخبار مما له تأثير في شعره ، فستجدون في الآتي ان ابا الطيب قد شكا الحسد في كثير من قصائده ، وستجدون ان الاخبار التي سأرويها لكم لاتخلو من ارتباط بهذا الحسد الذي اكثر من الاشارة اليه في شعره . فالرجل كان محسوداً في جميع حالاته في فقره وفي غناه . —

* * *

فلننظر الى حالة ابي الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة ، فقد علمتم انه لما نسبوا اليه انه ادعى النبوة كان عمره سبع عشرة سنة . فكان في اول امره في خشونة من عيشه ورقة من حاله ، يعوزه كل شيء . يعوزه الناعم من الملابس . والكريم من المطايا . توفي ابوه فقيراً فضرب ابو الطيب في مناكب الشام التماساً للرزق . رجال في البوادي والحواضر ومدح رجالاً من منبج وطرابلس الشام وطرسوس وانطاكية . وطبريا ودمشق وبعلبك ومر بحمص وبعقاب لبنان . وبغير ذلك من بادية الشام وحضرها :

الفت ترحلي وجعلت ارضي   قتودي والغريري الجلالا
فما حاولت في ارض مقاماً   ولا ازمعت عن ارض زوالا
على قلق كأن الريح تحتي   أوجهها جنوباً او شمالا

جال ابو الطيب في هذه الآفاق كلها ، ومدح فيها من أمّل نداه وكرمه فقد كان

فقيراً شكا فقره وتنوعت شكاياته . فمرة كانت أعصابه تهيج في شكوى الفقر :

الى اي حين انت في زي محرم   وحتى متى في شقوة والى كم

ومرة كانت هذه الأعصاب تهدأ بعض الهدؤ :

لله حال أرجيها وتخلفني   واقتضي كونها دهري ويمطلني

لم يكن لابي الطيب في اول امره شيء من المطايا فلا مطية له الا النعل والخف ، ولا لباس له الا القطن الخشن :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا   بالسوط يوم الرهان اجهدها

شراكها كورها ومشفرها   زمامها والشسوع مقودها

وقد اكثر من التنغم بقلة المطايا :

وحبيت من خوص الركاب باسود   من دارش فغدوت امشي راكبا

حال متى علم ابن منصور بها   جاء الزمان الي منها تائبا

نعم كان ابو الطيب يشكو الفقر على انه لم يقصر في طلب الرزق :

ضاق صدري وطال في طلب   الرزق قيامي وقل عنه قعودي

ابداً أقطع البلاد ونجمي   في نحوس وهمتي في صعود

ولعلي مؤمل بعض ما ابلغ   باللطف من عزيز حميد

لسري لباسه خشن القطن   ومروي مرو لبس القرود

ولكن شعره كان يباع في سوق الكساد :

الى كم ذا التخلف والتواني   وكم هذا التمادي في التمادي

وشغل النفس عن طلب المعالي   ببيع الشعر في سوق الكساد

فيحكى ان علي بن منصور الحاجب الذي امله ورجاه لم يعطه على قصيدته التي فيه واولها :

(بابي الشموس الجانحات غواربا)

الا ديناراً واحداً فسميت الدينارية :

لم يقصر ابو الطيب في السعي ولكن آماله خابت عند من كان يمدحهم .

مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم   قصائداً من أناث الخيل والحصن

فكم سعى الى حاجة ولم ينل منها شيئاً :

فقل في حاجة لم اقض منها على شغفي بها شروى نقير

وكم طلب الرزق لجدته ففاته هذا الرزق :

طلبت لها حظاً ففاتت وفاتني وقد رضيت بي لورضيت بها قسما

فلا ذنب له في هذا كله ، وانما الذنب يرجع الى الذين يذكرون له الجود فلا يحصل من جودهم الا على الكلام .

أرى أناساً ومحصولي على غنم وذكر جود ومحصولي على الكلم

على انه اذاذم بعض ممدوحيه فقد حمد طائفة منهم لم يبخلوا عليه ، في جملتهم ابو العشائر . هذه حاله وهو في ديار الشام ، شكا فيها كل شيء ، شكا فقره واخفاقه في السعي ، وكساد شعره في أسواق بعض الممدوحين ، ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد وشماتة الشامتين وكيد الكائدين ، نعم لم يخل من حسد الحساد .

فلو اني حُسدت على نفيس لجدت به لذي الجد العثور

ولكني حسدت على حياتي وما خير الحياة بلا سرور

ولم يخل من شماتة الشامتين ، حتى في المواطن التي لا تكون فيها الشماتة الا الأم اللؤم ، فقد شمتوا بموت جدته :

لئن لذ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما

ولا خلا من كيد الكائدين :

ان الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي نقله

* * *

فلنبحث عن أخبار ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة ، فهل استمر ابو الطيب في شكوى الفقر ، هل استمر في شكوى الحسد .—

كان ابوالطيب قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ويصطاد مابين الكركي والعندليب ، هكذا قال فيه الثعالبي وقد تحقق عندنا ذلك وبقيت هذه حالته الى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهي السنة التي مدح فيها سيف الدولة وكان عمره حينئذ اربعاً وثلاثين سنة .—

كيف اتصل بسيف الدولة وكيف كانت منزلته عنده وكيف كان رأي بعض

الشعراء ورجال الادب فيه وكم مكث في افياء سيف الدولة وما هي الاسباب التي من أجلها فارق ابو الطيب سيف الدولة .

قال ابو عبد الله ياقوت الرومي :

ولم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بابي العشائر ومدحه بعدة قصائد ، فأكرمه ابو العشائر وعرف منزلته وكان ابو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة ولما قدم سيف الدولة انطاكية قدم المتنبي عليه ، واثنى عنده عليه وعرّفه منزلته من الشعر والادب . واشترط ابو الطيب على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا انشده مديحه فيه لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه ، فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع الى مايرده منه وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وحسن موقعه عنده فقربه واجازه الجوائز السنيه ومالت نفسه اليه وأحبه فسلمه الى الرواض ، فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة . وحكي انه صحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم ، منها غزوة الشتاء التي لم ينج منها الا سيف الدولة بنفسه وستة أنفار احدهم المتنبي ، واخذت الطرق عليهم الروم فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على المعسكر وفرق الصفوف وبدد الالوف .

هذا هو اول اتصاله بسيف الدولة ، فبعد ان كان يشكو شقوته وقلة مطاياه واخفاقه في السعي وكساد شعره ، انقلبت حاله فخار في كثرة خيله وخوله .

بالشرق والغرب أقوام نحبهم فطالعاهم وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم باني في مكارمه اقلب الطرف بين الخيل والخول

لقد غرق ابو الطيب في مكارم سيف الدولة الباهرات حتى ترك السرى لمن لا مال له وانعل خيله ذهبا .

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وانعلت أفراسي بنعماك عسجدا

فكان سيف الدولة يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ماعدا الخيل والجواري والخلع والجوائز والاقطاعات .

اسير الى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه

من هذه الاقطاعات سبعين وهي قرية بباب حلب ، وصف وهي قرية بالمعرة وكان

ومن الذين تكلموا على دعوى النبوة ابو منصور الثعالبي فقد قال :
و يحكى انه تنبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه :

ومنهم الانباري صاحب الطبقات فقد قال :

قال ابو علي بن حامد : سمعت خلقاً بحلب يحكون ان ابا الطيب المتنبي تنبأ ببادية السماوة ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الإخشيدية فقاتله واسره ، وشرّد من كان اجتمع عليه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في امره فاستتابه ، وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه .

* * *

هذه أقوال من تكلموا على دعوى نبوة المتنبي على ان بعضهم نسبوا الى المتنبي اموراً غير ذلك مثل طمعه في الملك وادعاءه العلوية وغير ذلك مما لم يذكروه ، فالثعالبي قبل ان يتكلم على دعوى النبوة وقد سمعتم كلامه ، تكلم على طلب الملك فقال :

وبلغ من كبر نفسه ، وبُعد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من راشي نبله على الحداثة من سنه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له امر دعوته ، تأدى خبره الى والي البلدة ورُفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده .

وابن خلكان روى دعوى نبوته فقال :

وانما قيل له المتنبي لانه ادعي النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه ثم قال بعد هذا :

وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، فما الذي قيل غير ذلك ؟ فلم يبينه ابن خلكان الى ان قال :

وقيل انه قال : انا اول من تنبأ بالشعر .—

وابن الانباري تكلم على دعوى النبوة ، وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف اليه ما يلي :
وقال القاضي ابوالحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي ، وكان ابوالطيب لما خرج الى

كلب وأقام فيهم ، وادعى انه علوي ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه في الشام بالتوبة واطلق .

* * *

فالذي يستخلص من كل ما تقدمت الاشارة اليه ان الاقوال في أمر المتنبي متباينة فمنهم من قال انه ادعى النبوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك .

ولا بأس بان المح الى طائفة من معجزاته وقرآنه ما دام بعض رجال التاريخ قد تكلموا على نبوته . —

أما المعجزات فقد ذكر منها ابو عبد الله معاذ بن اسمعيل اللاذقي حبس المطر ، فمن شاء فليقرأ خبرها في الصبح المنبي . وذكر ابو العلاء المعري غير حبس المطر فقال : «وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ها هنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها اقررنا انك مرسل . وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وتنكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي المسمحة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدث ايضاً انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الاقلام فجرحته جرحاً مفرطاً وان ابا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته وقال للمجروح لا تحلها في يومك وعد له اياماً وليالي . وان ذلك الكاتب قبل منه فبرئ الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد و يقولون هو كمحيي الاموات .

وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ولقيهما كلب الح عليهما في النباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الفى الامر على ما ذكر ولا يمتنع ان يكون اعد له شيئاً من المطاعم مسموماً والقاه له وهو يخفي عن صاحبه مافعل ، والخربق سم الكلاب . »

واما القرآن فها انا اتلو عليكم منه ما دونه صاحب الطبقات نقلاً عن ابي علي بن حامد قال ابو علي :

« وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن أُنزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي اولها في حفظي وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار · امض على سننك · واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيل قال : وهي طويلة لم يبق في حفظي منها غير هذا · »

سمعنا هذا كله فلنسمع ما نقل لنا عن المتنبيء في هذا القرآن وفي هذه النبوة فهل اثبت على نفسه قرآنه ونبوته ·

قال ابو علي بن حامد : وكان المتنبيء في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآنه هذا وامثاله مما كان يحكى عنه انكره وجحده ، وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبيء لان معنى المتنبيء كاذب ومن رضي ان يدعى بالكذب فهو جاهل · فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغض مني ولست اقدر على المنع ·

قال التنوخي : قال لي ابي : فاما انا فسألته بالاهواز عن معنى المتنبيء لأني اردت ان أسمع منه هل تنبأ او لا فجاوبني بجواب مغالط وقال : ان هذا شيء كان في الحداثة فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت ·

وقال له بعض الاكابر في مدينة السلام: خبرني من اثق به انك قلت انك نبي فقال: الذي قلته : انا احمد النبي ·

هذه جملة ما يتعلق من الاخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهمه بالخروج وغير ذلك يحار الانسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه · وانا لنرى ابن جني وهو من اصحاب ابي الطيب يبين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبي · ونرى ابا عبد الله معاذ ابن اسمعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعاء النبوة · ونرى كافور الاخشيدي يصدق دعوى نبوة المتنبي · وهؤلاء كلهم من اهل عصر المتنبي · وانا لنرى ابا العلاء

المعري يحدثنا عن ثقة باحاديث معجزات المتنبي وما بينه وبين ابي الطيب الا القليل من السنين . ونرى الانباري يتكلم في طبقاته على دعوى النبوة . وكذلك الثعالبي وكذلك ابن خلكان اذ نرى الثعالبي نفسه يتكلم على هم المتنبي بالخروج على السلطان . ونرى الانباري نفسه يتكلم على ادعاء المتنبي العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر غير النبوة ، وغير العلوية و يرجحه عليهما ولا يذكره . ونري المتنبي نفسه اذا ذكرت له النبوة والقرآن ينكرهما مرة و يغالط مرة اخرى ويقول : ان هذا شيء كان في الحداثة فالانسان كما قلت لكم يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المتنبي لم يصرح في شعره بالسبب الذي من اجله حبس وانما طلب الى الوالي ان لا يقبل زور الكلام ، وان لا يسمع من الكاشحين وان يفرق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فمالك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبأن بمحك اليهود
وكن فارقاً بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد

فقد يجوز ان اباالطيب اراد امراً من الامور ولما هم بهذا الامر اخفق فما هو هذا الامر ، فالذي يقع في خلدي ان الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله اي قبل ان تشيع دعوى من الدعاوى المذكورة وقصيدته التي قالها في صباه والتي اولها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم

قد امتلأت من امانيه البعيدة في الملك .

أيملك الملك والاسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضم
من لو رآني ماء مات من ظماء ولو مثلت له في النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان اجابوا فما قصدي بها لهم وان تولوا فما ارضى لها بهم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا يبالي بالطرق التي من نحوها يأتيه هذا الملك سواء عليه أجاءه من طريق النبوة ، ام من طريق العلوية ام من طريق آخر ، فقد يجوز ان نفسه وسوست له ان يجعل النبوة سبيلاً الى الملك ، وعلى الخصوص بعد ان اجتمع له الشيء الكثير من اسباب التأثير في عقول الاعراب من جملتها خبرته بالارض وفصاحته

حتى حكوا عنه انه مما كان يخرق به على اهل البادية أنه كان مشاءً ، قوياً على السير يسير سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكان يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيغسل يديه ورجليه ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوهم ان الارض تطوى له ، افلا يجوز ان نفسه حدثته بطلب الملك بعد ان تهيأ له هذا كله وتهيأ له شيء اعظم من هذا وهو حسن البيان ، وقد شهدوا له بفصاحته وأشار اليها في شعره فقال :

وكلمة في طريق خفت اعربها فيهتدي لي فلم اقدر على اللحن

فالرجل مطبوع على الفصاحة والاعراب ، كل هذا من الامور التي توطيء له السبيل الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، ولكنه ينقصه قوة العقيدة فلم يؤثر عنه انه كان متيناً في عقيدته ، شديداً في دينه ، وقد اوضح عن ضعف العقيدة ، ورقة الدين في كثير من شعره منه قوله :

تتقاصر الافلاك عن ادراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا

وقوله : لو كان علمك بالاله مقسماً في الناس ما بعث الاله رسولاً

وقوله : او كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

وقوله : يا من نلوذ من الزمان بظله ابداً ونطرد باسمه ابليسا

الى كثير من اشباه هذه الابيات ، فلما هم بما اراد لم يتم له شيء من مراده ولعل الاعراب انفسهم الذين صحبهم في البادية هم الذين وشوا به .

ومدقعين بسبروت صحبتهم عارين من حلل كاسين من درن

خراب بادية غرثى بطونهم مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن

يستخبرون فلا اعطيهم خبري وما يطيش لهم سهم من الظنن

وكيف كان السبب الذي من اجله حبس فان المتنبيء متن بعض المتانة في حبسه فقال :

كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف

لو كان سكناي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

ولكنه بعد ان قال هذين البيتين وهما هما في متانة الاخلاق والصبر على المكاره في سبيل مذهب من المذاهب او معتقد من المعتقدات خانه الصبر فضعف عزمه فقال للوالي :

اماالك رقي ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عندانقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلاء واوهن رجلي ثقل الحديد

فاين توطين النفس للموت من هذه الاستغاثة ·

دمشق : في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٠



المحاضرة السادسة عشرة

حياة المتنبي
- ٨ -

أري ان أفضي اليكم بعد ان تكلمت على وطن ابي الطيب وعلى نسبه وعلى تحصيله وعلى روايات نبوته ، بجملة اخباره وهو في ديار الشام وفي ظلال سيف الدولة وفي مصر وفي العراق وفي بلاد فارس ، على ان تكون اخباره هذه متسلسلة ليس فيها شيءٌ من الاقتضاب ، وكنت أحب ان اختصر الكلام على هذه الاخبار حتى اصل الى الكلام على أخلاقه وروحه ولغته وشعره وبعض نظراته الفلسفية قبل انقضاء سنتنا . ولكني لا اجد لي مندوحة عن ان أروي لكم المهم من هذه الاخبار مما له تأثير في شعره ، فستجدون في الآتي ان ابا الطيب قد شكا الحسد في كثير من قصائده ، وستجدون ان الاخبار التي سأرويها لكم لاتخلو من ارتباط بهذا الحسد الذي اكثر من الاشارة اليه في شعره . فالرجل كان محسوداً في جميع حالاته في فقره وفي غناه . —

* * *

فلننظر الى حالة ابي الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة ، فقد علمتم انه لما نسبوا اليه انه ادعى النبوة كان عمره سبع عشرة سنة . فكان في اول امره في خشونة من عيشه ورقة من حاله ، يعوزه كل شيءٌ . يعوزه الناعم من الملابس . والكريم من المطايا . توفي ابوه فقيراً فضرب ابوالطيب في مناكب الشام التماساً للرزق . وجال في البوادي والحواضر ومدح رجالاً من منبج وطرابلس الشام وطرسوس وانطاكية . وطبريا ودمشق وبعلبك وحمص وبعقاب لبنان . وبغير ذلك من بادية الشام وحضرها :

الفت ترحلي وجعلت ارضي فتودي والغريري الجلالا
فما حاولت في ارض مقاماً ولا ازمعت عن ارض زوالا
على قلق كأن الريح تحتي أوجهها جنوباً او شمالا

جال ابو الطيب في هذه الآفاق كلها ، ومدح فيها من أمّل نداه وكرمه فقد كان

فقيراً شكا فقره وتنوعت شكاياته . فمرة كانت أعصابه تهيج في شكوى الفقر :

الى اي حين انت في زي محرم   وحتى متى في شقوة والى كم

ومرة كانت هذه الأعصاب تهدأ بعض الهدوء :

لله حال أرجيها وتخلفني   واقتضي كونها دهري ويمطلني

لم يكن لابي الطيب في اول امره شيء من المطايا فلا مطية له الا النعل والخف ، ولا لباس له الا القطن الخشن :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا   بالسوط يوم الرهان اجهدها

شراكها كورها ومشفرها   زمامها والشسوع مقودها

وقد اكثر من التنغم بقلة المطايا :

وحييت من خوص الركاب باسود   من دارش فغدوت امشي راكبا

حال متى علم ابن منصور بها   جاء الزمان الي منها تائبا

نعم كان ابو الطيب يشكو الفقر على انه لم يقصر في طلب الرزق :

ضاق صدري وطال في طلب   الرزق قيامي وقل عنه قعودي

ابداً أقطع البلاد ونجمي   في نحوس وهمتي في صعود

ولعلي مؤمل بعض ما ابلغ   باللطف من عزيز حميد

لسري لباسه خشن القطن   ومري مرو لبس القرود

ولكن شعره كان يباع في سوق الكساد :

الى كم ذا التخلف والتواني   وكم هذا التمادي في التمادي

وشغل النفس عن طلب المعالي   ببيع الشعر في سوق الكساد

فيحكى ان علي بن منصور الحاجب الذي امله ورجاه لم يعطه على قصيدته التي فيه واولها :

(بابي الشموس الجانحات غواربا)

الا ديناراً واحداً فسميت الدينارية :

لم يقصر ابو الطيب في السعي ولكن آماله خابت عند من كان يمدحهم .

مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم   قصائداً من أناث الخيل والحصن

فكم سعى الى حاجة ولم ينل منها شيئاً :

فقل في حاجة لم اقض منها على شغفي بها شروى نقير

وكم طلب الرزق لجدته ففاته هذا الرزق :

طلبت لها حظاً ففاتت وفاتني وقد رضيت بي لو رضيت بها قسما

فلا ذنب له في هذا كله ، وانما الذنب يرجع الى الذين يذكرون له الجود فلا يحصل من جودهم الا على الكلام .

أرى أناساً ومحصولي على غنم وذكر جود ومحصولي على الكلم

على انه اذا ذم بعض ممدوحيه فقد حمد طائفة منهم لم يبخلوا عليه ، في جملتهم ابو العشائر .
هذه حاله وهو في ديار الشام ، شكا فيها كل شيء ، شكا فقره واخفاقه في السعي ، وكساد شعره في أسواق بعض الممدوحين ، ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد وشماتة الشامتين وكيد الكائدين ، نعم لم يخل من حسد الحساد .

فلو اني حُسدت على نفيس لجدت به لذي الجد العثور

ولكني حسدت على حياتي وما خير الحياة بلا سرور

ولم يخل من شماتة الشامتين ، حتى في المواطن التي لا تكون فيها الشماتة الا الأم اللؤم ، فقد شمتوا بموت جدته :

لئن لذ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما

ولا خلا من كيد الكائدين :

انَّ الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذى نقله

* * *

فلنبحث عن أخبار ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة ، فهل استمر ابو الطيب في شكوى الفقر ، هل استمر في شكوى الحسد .—

كان ابوالطيب قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ويصطاد مابين الكركي والعندليب ، هكذا قال فيه الثعالبي وقد تحقق عندنا ذلك وبقيت هذه حالته الى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهي السنة التي مدح فيها سيف الدولة وكان عمره حينئذ اربعاً وثلاثين سنة .—

كيف اتصل بسيف الدولة وكيف كانت منزلته عنده وكيف كانت رأي بعض

الشعراء ورجال الادب فيه وكم مكث في افياء سيف الدولة وما هي الاسباب التي من أجلها فارق ابو الطيب سيف الدولة .

قال ابو عبد الله ياقوت الرومي :

ولم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بابي العشائر ومدحه بعدة قصائد ، فأكرمه ابوالعشائر وعرف منزلته وكان ابو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة ولما قدم سيف الدولة انطاكية قدم المتنبي عليه ، واثنى عنده عليه وعرّفه منزلته من الشعر والادب . واشترط ابوالطيب على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا انشده مديحه فيه لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه ، فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع الى مايرده منه وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وحسن موقعه عنده فقربه واجازه الجوائز السنيه ومالت نفسه اليه وأحبه فسلمه الى الرواض ، فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة . وحكي انه صحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم ، منهما غزوة المثاء التي لم ينج منها الا سيف الدولة بنفسه وستة أنفار احدهم المتنبي ، واخذت الطرق عليهم الروم فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على المعسكر وفرق الصفوف وبدد الالوف .

هذا هو اول اتصاله بسيف الدولة ، فبعد ان كان يشكو شقوته وقلة مطاياه واخفاقه في السعي وكساد شعره ، انقلبت حاله فخار في كثرة خيله وخوله .

بالشرق والغرب أقوام نحبهم   فطالعاهم وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم باني في مكارمه   اقلب الطرف بين الخيل والخول

لقد غرق ابو الطيب في مكارم سيف الدولة الباهرات حتى ترك السرى لمن لا مال له وانعل خيله ذهبا .

تركت السرى خلفي لمن قل ماله   وانعلت أفراسي بنعماك عسجدا

فكان سيف الدولة يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ماعدا الخيل والجواري والخلع والجوائز والإقطاعات .

اسير الى إقطاعه في ثيابه   على طرفه من داره بحسامه

من هذه الاقطاعات سبعين وهي قرية بباب حلب ، وصف وهي قرية بالمعرة وكان

له وكيل يتوكل له في داره يحاب اسمه ابو سعيد ، فأين حاله من هذه من شؤونه التي كان فيها ولا مطية له الا قدماه ، ولا لباس له الا القطن الخشن ، ولئن تكلم ابوالطيب وهو عند سيف الدولة بلسان المياسير الاغنياء ، فستجدون انه سيتكلم بعد تركه سيف الدولة بلسان الملوك اصحاب العبيد . —

* * *

ولكن نعمة مثل هذه النعمة لا تنجي صاحبها من حسد الحساد وكيد الكائدين وعلى الخصوص اذا كان صاحب هذه النعمة قد زاحم غيره من الشعراء عليها ، وما أكثر الشعراء الواقفين بباب سيف الدولة ، وما أعظم الفرق بين منزلتهم ومنزلة ابي الطيب ، فكان من المنتظر ان يكثر حساد ابي الطيب . وان يموت بعضهم حسداً ، وما خلا عصر من العصور من حسد الحساد وكيد الكائدين .

فلنتقصَّ انباء الذين آلمهم ان يكون ابو الطيب في ظلال سيف الدولة .

منهم السري الرفاء فقد ذكروا انه لما سمع بيت المتنبي :

وخصر تثبت الابصار فيه ... كأن عليه من حدق نطاقا

قال : هذا والله معنى ماقدر عليه المتقدمون ، ثم انه حم في الحال حسداً وتحامل الى منزله ومات بعد ثلاثة ايام .

ومنهم ابو العباس النامي ، فقد ذكروا ان سيف الدولة كان يميل اليه ميلاً شديداً الى ان جاءه ابو الطيب فمال عنه اليه فغاظ ذلك ابا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا بسيف الدولة وعاتبه وقال : الامير لمَ يفضل عليَّ ابن عيدان السقاء ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فلج وألح عليه وطالبه بالجواب ، فقال : لانك لا تحسن ان تقول كقوله :

يعود من كل فتح غير مفتخر ... وقد اغذ اليه غير محتفل

فنهض من بين يديه مغضباً واعتقد ان لا يمدحه ابداً ، وابو العباس هذا هو القائل كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها ابو الطيب .

ومنهم ابوفراس الحمداني فقد ذكروا انه قال لسيف الدولة : ان هذا المتشدق يعني المتنبيَ كثير الادلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره .

فأثر هذا الكلام في سيف الدولة وعمل فيه وكان ابو الطيب غائباً فبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وانشده هذه الابيات :

الا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا فداه الورى امضى السيوف مضاربا
ومالي اذا ما اشتقت ابصرت دونه تنائف لا اشتاقها وسباسبا
وقد كان يدني مجلسي من سمائه احادث فيها بدرها والكواكبا
حنانيك مسؤولا ولبيك داعياً وحسبي موهوباً وحسبك واهبا
اهذا جزاء الصدق ان كنت صادقاً اهذا جزاء الكذب ان كنت كاذبا
وان كان ذنبي كل ذنب فانه محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

فاطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته فخرج المتنبي متغيراً وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقيعة في حق المتنبي وانقطع ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي اولها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم

ثم جاء وانشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مالي اكتم حباً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كان يجمعنا حب لغرته فليت انا بقدر الحب نقتسم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه فلما وصل في انشاده الى قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال ابو فراس قد مسخت قول دعبل :

ولست ارجو انتصافاً منك ماذرفت عيني دموعاً وانت الخصم والحكم

قال ابو الطيب :

اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم ابو فراس انه يعنيه فقال : ومن انت يادعي كندة حتى تأخذ اعراض الامير فاستمر في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بانني خير من تسعى به قدم
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك ابا فراس غيظاً وقال : قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد حيث يقول :

اوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهراً واظهرت اعراباً وابداعا
حتى فتحت باعجاز خصصت به للعمي والصم ابصاراً واسماعا

ولما انتهى ابو الطيب الى قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابو فراس : وماذا ابقيت للامير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير اما سرقت هذا من الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثماني .

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى وجرد المذاكي والقنا والقواضب

فقال ابو الطيب :

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال ابو فراس :

وهذا سرقته من قول معقل العجلي .

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فالعينان زور و باطل

ومنه قول محمد بن احمد بن ابي مرة المكي :

اذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء

حتى غضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في قصيدته هذه ودعاو به فيها فضربه بالدواة التي بين يديه فقال ابو الطيب :

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكم ألم

فقال ابو فراس : هذا أخذته من قول بشار .

اذا رضيتم بان نجفى وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجرا

ومثله قول ابن الرومي :

اذا ما الفجائع اكسبنني رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس واعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في الحال وادناه وقبّل رأسه واجازه بالف دينار ثم اردفها بالف اخرى ..

لم يقتصر ايلام ابي الطيب على الشعراء انفسهم وانما تعدى الشعراء الى بعض رجال اللغة ممن كان يضعّف اقوالهم في حضرة سيف الدولة .

من هؤلاء اللغويين ابو عبد الله بن خالويه النحوي فقد حكوا انه جرت مسألة في اللغة في حضرة سيف الدولة تكلم فيها ابن خالويه النحوي مع ابي الطيب اللغوي وكان المتنبي حاضراً فضعّف المتنبي قول ابن خالويه فاخرج ابن خالوية من كمه مفتاحاً حديداً ليلكم به المتنبي ، فقال له المتنبي اسكت ويحك فانك اعجمي واصلك خوزي فمالك وللعربية فضرب المتنبي بذلك المفتاح وأسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي من ذلك اذ لم ينتصر له سيف الدولة لاقولاً ولا فعلاً .

فتصوروا مقدار ايلام المتنبي لهؤلاء الرجال حتى ان احدهم لم يستطع ان يملك نفسه ، ويضبط حركته في ساعة الغضب فيعمد الى اللكم والضرب وهذا منتهى الغيظ .

وقد كان لهذه الامور كلها اثر في شعر ابي الطيب ولئن شكا الحسد وهو في خشونة من العيش ، فاخلق به ان يضجر من حسد الحساد وهو ينقلب في ظلال النعيم فما غفل الحساد عن المتنبي وهو في حضرة سيف الدولة ، ولا غفل المتنبي عن شكوى الحسد فمن قوله لسيف الدولة :

ازل حسد الحساد عني بكبتهم فانت الذي صيرتهم لي حسداً

ومن قوله له :

فابلغ حاسدي عليك اني كبا برق يحاول بي لحاقا

ومن قوله :

أعادى على ما يوجب الحب للفتى وأهدأ والافكار فيَّ تجول
سوى وجع الحساد داوِ فانه اذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد في مودة وان كنت تبديها له وتنيل

من هذا كله يتبين لكم ان ابا الطيب قد استمر في شكوى الحسد ، ولقد اشتد حسد

م : ٢

الناس اياه وهو في ظلال سيف الدولة واشتدت الوقيعة فيه واخذ سيف الدولة يعبث به بعد ذلك الاكرام ، من ذلك ما حكاه ابو الفرج الببغا قال :

اذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشقها بسكين الدواة ، فمد ابو عبد الله ابن خالويه طيلسانه فحثى فيه سيف الدولة صالحاً ومددت ذيل دراعتي فحثى لي جانباً والمتنبي حاضر وسيف الدولة ينتظر منه ان يفعل مثل فعلنا فما فعل ، فغاظه ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المتنبي انه قد فاتته زاحم الغلمان يلتقط معهم فغمزهم عليه سيف الدولة فداسوه وركبوه وصارت عمامته في رقبته فاستحى ومضت به ليلة عظيمة تخاطب ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك فقال : يتعاظم تلك العظمة و ينزل تلك المنزلة لولا حماقته .

فصعب على ابي الطيب بعد هذه الامور كلها ان يستقر في حاشية سيف الدولة ، الشعراء يحسدونه و يوقعون فيه ، و يضربونه ، وسيف الدولة يهزأ به و يعبث ، وكان المتنبي يشكو من سيف الدولة ، وكان سيف الدولة يغتاظ من تعاظم المتنبي و يجفو عليه اذا كلمه والمتنبي يجيبه في اكثر الاوقات و يتغاضى في بعضها .

نعم كان يصعب على ابي الطيب ان يواظب على مجلس سيف الدولة بعد ان وقع بينه وبين الشعراء ما وقع فما وسع ابا الطيب الا مفارقة سيف الدولة وذلك في سنة ست واربعين وثلثمائة فتكون مدة ملازمته له تسع سنين .

ولما عوتب المتنبي في ترك سيف الدولة ومدح كافور قال :

حذّرناه وانذرناه فما نفع فيه الحذر ، ألست القائل فيه :

ابا الجود اعط الناس ما انت مالك ولا تعطين الناس ما انا قائل

فهو الذي اعطاني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه .

دمشق : في ٢٩ آذار سنة ٩٣٠

نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »

— للدكتور محمد شرف —

لفت نظر رئيسنا الجليل محمد بك كردعلي وزير المعارف كما لفت نظري ما قرأناه في الصحف المصرية من جمل الاعجاب بمعجم الدكتور محمد شرف وما لقيه المؤلف من ضروب الحفاوة والتكريم لدى جمهور الأطباء في مصر فصحت عزيمة الرئيس حفظه الله على ابتياع ثلاث نسخ منه لخزانة المجمع العلمي وفرعيها ودفع الي نسخة منها لألقي عليها نظرة من الوجهة الزراعية . ولما كانت اوقات الفراغ أقصر لديّ من ليالي الصيف جلست للمعجم جلستين أفتش فيهما عما ذكره المؤلف في ترجمة الفاظ كانت ترد الى خاطري عرضاً فوجدت ان أنبهه الى الأوهام والنواقص الآتية لعله يتلافاها في طبعة تالية .

(١) ترجم لفظة (Layering) بما يلي : « تولد النبات بطبقات (غرس العُقَل) شتل » والصحيح في علم الزراعة العَكْس والتَرْقيد . والعكيس هو (Layer) ولم يذكره بهذا المعنى . اما الغرس بالقضبان والفَسْل فهو ما يسميه المصريون (الغرس بالعُقل) وهو بالفرنسية (Bouturage) و بالانكليزية (Cuttings) .

(٢) عرّف شجر التنوب (Abies) بانه (نوع من الصنوبر) وفي هذه الجملة غلطتان لان (Abies) هو جنس لا نوع ولان هذا الجنس ليس من الصنوبر بل من الفصيلة الصنوبرية . ولو قال (جنس من الفصيلة الصنوبرية) لما أخطأ . ولم يذكر (Abies cilicica) وهو الشوح الذي يكثر في حراج شمالي الشام .

(٣) قال ان نبات (Gundelia tournefortii) هو في الشام (العَقّوب) كذا بالقاف مع ان الشاميين يسمونه العكوب بالكاف .

(٤) ذكر ان (Eryngium) هو القرصعنة (قرص عني) وكان يجب ان يذكر اسم النوع فالقرصعنة المعروفة هي (E. creticum) .

(٥) ترجم لفظة (Panicle) بطلعة وسنبلة الخ . قلت أرجح لفظة لما هي العثكول اما السنبلة فترجمة (Speke) .

(٦) عرّف حرف (Hippology) بقوله (علم أمراض الخيل — مبحث الخيل) قلت الجملة الاولى خطأ والثانية ناقصة لان هذا العلم (تحليــة الخيل) يشتمل على مباحث كثيرة ومتنوعة وسماه اجدادنا (الزرطقــة) وهي لفظــة معربة تصلح ايضــاً مقابل (Hippotechnie) بالفرنسية اي تربية الخيل .

(٧) عرّب (Achene , Achenium) بلفظ اخينيوم وأخين . قلت هــذا النوع من الثمر الجاف أطلق عليه لفظ (الثمرة الفقيرة) في كل كتب النبات والزراعة قديمًا وحديثًا (بوست ، الاتراك ، كتب الزراعة والنبات المصرية . الخ) .

(٨) وضع مقابل حرف (Acclimatation) ما يلي : « تأقلم (كذا) النبــات او الحيوان في بلد غريب ، تبلد ، تعود على الاقليم ، تعوّد الهواء » . قلت لوقال (ايلاف الإقليم) لكفى .

(٩) وجدت مقابل لفظة (Plumule) « ريشة الجنين ، اصل الساق » . قلت أصلح لفظة لما هي السَّبَد .

(١٠) خطر ببالي اناري الألفاظ العربية التي وضعها صاحب المعجم مقابل الحروف الأعجمية الدالة على ألوان الخيل والدواجن السائرة وشياتها ففتشت عن لفظة (Gris) بالفرنسية و (Gray) بالانكليزية فرأيت مقابلها (أرمد - أشيب — أشمط — أشهب) ولم أجد غير ذلك . قلت الـ (Gris) هو الأشهب وهو الفرس تكون شعراته على لونين ابيض واسود على ان لتفرق فلا تجمع واحداً من اللونين شعرات تخلص بلون واحد كقدر النكتة فما فوقها . وفي الشهب ألوان مثل الآتية .

أشهب الى بياض	Gris clair
« الى سواد	« foncé
« حديدي	« de fer
أبرش	« sale

أرمد Gris cendré

أغبر « rouanné

والمعجم خالٍ من كل هذه الاسماء وأظن انه خالٍ من عشرات الألوان التي تشتق من الشقرة والدهمة والبياض والكمتة والحوة والصفرة والبلقة دع أضراب الشيات « انظر م ٥ من مجلة المجمع » ولم يتسع الوقت للبحث عنها كلها في المعجم .

(١١) سمي الفصيلة السنفية (قرنية ، قطانية) باسم الفصيلة البقولية . والألفاظ الاولى أرجح لاسباب يطول شرحها .

(١٢) لم يذكر التطعيم وأنواعه (Grafting , Greffage) وهو نقص مهم في معجم علمي .

(١٣) ذكر ان الفطر الطفيلي (Oidium tuckeri) (والارجح Erisyphe tuckeri) هو الذي يولد مرض الـ (Mildew) اي مرض العفونة (الندوة الزراعية) وقد أخطأ بذلك لان الفطر المذكور يولد في الكروم مرض (المن) و يداوى برش مسحوق الكبريت على أوراقها وعساليجها ولا يجهله احد من اصحاب الكروم ولاسيما في الغوطة .

اما مرض العفونة (Mildevv) فانه يحصل في الكروم من نبات فطر طفيلي آخر ذكره وهو (Peronospora viticola) ويسمى ايضاً (Plasmapara viticola) وهو يداوى بمحلول الكلس وكبريتات النحاس في الماء .

وما دام صاحب المعجم العلمي قد جعل في معجمه مكاناً لهذين المرضين اللذين يعتريان الكروم فلماذا لم يوجد فيه متسعاً لبعض الامراض المهمة التي تعتري تلك الجنبة مثل :

مرض العفونة السوداء Guignardia bidvvelii

مرض (سويد) الكروم Manginia ampelina

مرض تعفن الجذور Agaricus melleus, Dematophora necatrix

دع عشرات غيرها مما يعتري النباتات الزراعية السائرة وقد فتشت عن بعضها في المعجم فلم أجد لها ذكراً .

(١٤) سمي النبات (Panicum miliaceum) بالقُشَيب والدُّعاع . قال وهي

بقلة تسطح على الارض . قلت ان ما نعلمه ويعلمه ارباب الزراعة هو ان النبات المذكور يسمى الدخن . وقد ذكره احمد ندا في كتابه الزراعي فكيف سها المؤلف عن مراجعته مع انه وضع احمد ندا بين علماء الحيوان والنبات الذين أستشهد باقوالهم .

(١٥) سمى الذرة البيضاء اي الذرة البلدية (Sorghum halepense). وهذا النوع هو حشيش الفرس اما الذرة المذكورة فهي النوع المسمى (S. Annuum) (عن بوست) ومن الغريب انه نقل اسم الذرة البيضاء عن احمد ندا باللفظ الذي يلفظها به العوام فقال ذرة بلدي وذرة مصري (كذا) .

(١٦) ذكر ١٤ نوعاً من جنس (Artemisia) منها ما لا شأن له ولم يذكر (Artemisia dracunculus) وهو بقل الطرخون المعروف .

(١٧) لم يذكر جنس (Cerasus) وهو الجنس الذي فيه أنواع « الكرز والوشنة والحلب والجانرك » بل اكتفى بذكر نوعي الكرز والحلب في جنس (Prunus) مع ان معظم علماء النبات والزراعة في ايامنا هذه يجعلون لأنواع الكرز جنساً تنفرد به .

(١٨) ذكر (Salicornia fructicosa) ولم يذكر (S. herbacea) وهو أشهر من الأول (نبات الأشنان الذي يستخرج منه القلي) .

(١٩) قال ان الحمص (Cicer arietinum) هو جنس من النباتات البقولية . والصواب نوع من الفصيلة السنفية (القطانية ، القرنية) .

(٢٠) ترجم نوع القمح المسمى (Triticum durum) بما يلي : « قمح أصفر — قمح صلب الحب يزرع في جنوب اوربا — قمح فينو — قمح نبوي الخ » قلت لو اقتصر على ترجمته بالقمح الصلب لكفى . ويمكنه بعد ذلك ان يعرفه بانه كثير الانتشار في مصر والشام وسواحل بحر الروم .

وترجم (T. sativum) بالبر والحنطة ، والقمح . وهذا لا يكفي بل كان يجب ان يسميه القمح اللين (خلافاً للنوع الاول) وان يعرفه بانه نوع تنسب اليه معظم ضروب القمح التي يزرعها الاوربيون خاصة . ولم يذكر النوعين المعروفين في عالم الزراعة وهما : T. polonicum
T. turgidum

وسها عن تعريف (T. spelta) و (T. monococcum) بانها من الحنطة المكنسية اي ان العصافة تظل لاصقة بالبرة كما في حبة الشعير ٠

(٢١) لم يذكر الترجمة العلمية لأنواع الشعير ٠ بل أورد مقابل الاسم اللاتيني لكل نوع اسماء بعض أصنافه (أضرابه) فبدلاً من تسمية (Hordeum distichum) بلفظ الشعير ذي الحرفين ، أطلق عليه الأسماء الآتية : « شعير انكليزي ٠ شعير حذوري ٠ شعير حب‌حوري » ٠ ولايخفى انالأصناف كثيرة العدد فيمكن ذكر بعضها على سبيل المثال ولكنه لا يقتصر عليها او على قسم منها في تعريف النوع ٠ ولذلك يجب على المؤلف ان يسمي (H. hexastichum) بالشعير ذي الحروف الستة و(H.tetrastichum) بالشعير ذي الحروف الاربعة ٠ وبعد ان يورد هذه الاسماء العلمية لأنواع الشعير المذكورة يكون بامكانه ان يقول ان الضرب الفلاني هو من النوع الاول او الثاني او الثالث[1] ٠ « للبحث تلو » مصطفى الشهابي

(١) يظهر ان صاحب المعجم نقل اسماء النباتات نقلاً عن شوينفورث وغيره دون ان يكون علياً بعدد كبير من هذه النباتات و بالأصناف الزراعية منها فلفظ « شعير حذوري ، شعير حب حوري » نقلها بالحرف عنالصفحة ١٦٦ من كتابالنبات تأليف شو ينفورث وهما من أصناف (ضروب) شعير اليمن كما نقل أصناف الشعير الواردة في الصفحة ٢٥ من ذلك الكتاب دون ان يزيد عليها شيئاً ٠ ولو كانت المعاجم التي هي مثل معجمه تتسع لذكر الاصناف للزم ان يذكر مثلاً الشعير الهراوي والمريوطي مناصناف مصر والعربي والرومي مناصناف الشام الخ ، وللزم انيملأ عدةصفحات فيتعداد اصناف النباتات الزراعية السائرة وهي تعد بالمئات والمعجم خلو منها ٠

ونقل لفظي « البرسيم الحجازي والقضب » عن الصفحة ٣٠ من كتاب شوينفورث ولم يذكر ان النبات المبحوث عنه هو الفصفصة والرطبة لان الحرفين الاخيرين لم يردا في الكتاب المذكور ٠ وهكذا تراه يثبت عدداً عظيماً منالالفاظ العامية للنباتاتالتيوردت في هذا الكتاب وفي غيره من كتب الاعاجم دون ان يحقق عن الالفاظ الصحيحة التي تقابلها ٠ ومن المعروف ان الأجانب الذين ألفوا في النبات كثيراًما كانوا يكتفون بذكر الالفاظ العربية المتداولة على الألسن سواء أكانت صحيحة ام عامية ٠

التدوين في الاسلام

من ادق المسائل معرفة أوائل الاشياء والمحدثات من الامور ، فقد رأينا الغربيين في عهدنا اختلفوا في اول من اخترع الكهرباء ووضع الخطوط الحديدية وعمد الى الطيران. وهذه من الاعمال الحديثة العهد فما بالك بامور اتت عليها قرون كمسألة التدوين في الاسلام . كان اول تدوين كتب القرآن في المصاحف في عهد الخليفة الاول وكلما كان يكثر عدد من يكتبون من المسلمين في الاقطار كان عدد من يدونون يزيد كثيراً وقد تبين مؤخراً ان ما نقلته في مجلة المقتطف (المجلد الثامن والعشرون سنة ١٩٠٣ — ١٣٢١ ص ٦٦٠) من ان اول من صنف عبد الملك بن جريج البصري المتوفى سنة ١٥٥ او ابو النصر سعيد بن ابي عروبة (١٥٦) او ربيع بن صبيح (١٦٠) او غيرهم من اهل القرن الثاني كان يراد به من افردوا المسائل بالتأليف والا فان التدوين وقيد الفوائد الادبية والدينية كان مما حدث في القرن الاول . ولو لم يكن هناك كتب مدونة ما كان خالد بن يزيد الاموي حكيم الامويين يحرص على نقل بعض العلوم من السريانية واليونانية الى العربية على ما اثبت ذلك الثقات المحققون .

ولقد ثبت على ما روى صاحب الفهرست ان عبيد بن شرية الجرهمي وفد على معاوية ابن ابي سفيان في الشام فسأله عن اخبار الاقدمين وملوك العرب والعجم فاجابه الى ما امر فامر معاوية ان يدون و ينسب الى عبيد ، ولعبيد عدة كتب ذكرت في الفهرست . وبقي عبيد حياً الى ايام عبد الملك بن مروان فثبت بذلك ان التدوين حدث في اوائل القرن الاول اي في عصر الصحابة الكرام على ما في (توجيه النظر) للعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، فقد ذكر بعض الحفاظ ان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث . وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . وقد ذكر المؤرخون انه وجد في خزانة الانبار عدة كتب بخطوط بعض الصحابة والتابعين بل وجد كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم من اهل مكة كتب قبل الاسلام .

اذا عرفت هذا فقد زال الشك الذي تطرق الى بعض ما دون من اخبار الجاهلية وشعرهم لانا رأينا القوم قد عنوا بالتدوين لاول القيام بالدعوة الاسلامية بقدر ماساعدهم عدد الكاتبين . وباثبات هذه القضية ، على ما تجلت لنا بآخرة ، يزول العجب الذي كان ادرك مثل الاستاذ منشيء المقتطف رحمه الله (م ٢٨ — ص ٦٦٣) من توقف العرب عن تدوين اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة قال مع ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم ، قال واعجب منه ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعه اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبراً سمعناه في العام الماضي او نصف حادثة شاهدناها منذ عامين اه .

كان هذا الرأي غالباً على بعض الباحثين ، ولكن الايام اثبتت نقيضه بما وقع لعبيد ابن شرية الجرهمي مع معاوية بن ابي سفيان . ومن غرائب الحوادث ان ما رواه الراوون عن هذا الراوية قد ظفر الباحثون بنصه مدوناً ، وقد نشره السيد كرينكو من علماء المشرقيات في انكلترا باسم اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها وطبعه في حيدر آباد الدكن في الهند ومما جاء فيه وهو ما يؤيد رواية ابن النديم في الفهرست ان معاوية امر (ص ٣١٤) كتّابه ان يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس سمر فيه مع معاوية . وقد ذكر عبيد في حضرة الخليفة اخبار عاد وثمود وجرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم وغير ذلك وكلها مشفوعة باشعارهم ، وكان معاوية يطلب الى راويته المرة بعد المرة ان يسمعه ما قيل في كل حادثة من الاشعار ومما قاله له (ص ٣٥٢) : «وقد علمت ان الشعر ديوان العرب والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (ان من الشعر لحكماً) . » وقد كان معاوية معجباً جداً بما سمع من عبيد بن شرية ، وقال له مرة « خليق ياعبيد ان يكون هكذا فزادك الله علماً وفهماً وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فانا لا نحصي اياديك فزادك الله فضلاً الى فضل وهدى الى هدى ... »

ويقال في الجملة ان كتاب اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن وهو من

اوائل ما دوّن في الاسلام كان منه حل الاشكال الذي استعصى على كثير من الباحثين وبه ثبت ان المسلمين دونوا في زمن اسبق بكثير مما دون المصنفون ولذلك حفظت السنة واخبار الجاهلية واشعارها فقد ذكر الجلال السيوطي في « تدريب الراوي » في فصل يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لاملاء الحديث فانه اعلى مراتب الرواية — رواية ابن عدي والبيهقي في المدخل من طريقه انبأنا عبد الصمد بن عبد الله ومحمد بن بشر الدمشقيان قالا حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابو الخطاب معروف الخياط قال رأيت واثلة ابن الاسقع رضي الله تعالى عنه يملي على الناس الاحاديث وهم يكتبونها بين يديه (ويتخذ مستملياً محصلاً متيقظاً يبلغ عنه إ كثر الجمع على عادة الحفاظ) في ذلك كما روي عن مالك وشعبة ووكيع وخلائق وقد روى ابو داود والنسائي من حديث رافع بن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعليّ يعبر عنه ، وفي الصحيح عن ابن حمزة قال : كنت اترجم بين ابن عباس وبين الناس فان كثر الجمع بحيث لا يكفي مستمل اتخذ مستملين فا كثر الى آخر ما قال .

وواثلة بن الاسقع بن عبد العزّى من اهل الصفّة وسمع على ما في طبقات ابن سعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله خرج الى الشام ومات سنة ثلاث (وقيل خمس) وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وقيل مئة وخمس سنين وكان ينزل بيت المقدس ومات بها ويشهد المغازي فيمر بدمشق وحمص .

والمعروف ان الرسول عليه السلام نهى ان يكتب عنه اولاً غير القرآن ونهى عن كتابة الحديث لئلا يختلط بالقرآن . وفي مفتاح السنة للاستاذ الخولي وهذا لا ينافي جواز كتابته اذا أمن اللبس وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه (ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) وقوله عام الفتح: (اكتبوا لابي شاه) واذنه لعبد الله بن عمر بتقييد العلم . وابو شاه كان من الصحابة قال: اكتبوا لي فقال النبي اكتبوا لابي شاه يريد خطبته ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث . وصح عن عبد الله بن عمر انه كان يكتب حديثه وكان ما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن ابيه عنه وهي من

اصح الاحاديث ، وكتب رسول الله كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو ابن حزم وغيره ، وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول : «لو ان عندي كتبي باهلي ومالي» .

وبعد ان اوردنا هذه الروايات التي لاسبيل الى تزييفها لورودها من طريق مأمونة مضمونة وساعدنا على تأييدها طبع كتاب اخبار اليمن لعبيد بن شرية ثبت كل الثبوت ان المسلمين باكروا التدوين اكثر مما ظن الظانون وان دعوى كون اشعار الجاهلية مصنوعة قد ردت بشهادات لا يسع الماحكين الا اعتقاد صحتها والله اعلم .

محمد كرد علي



تقسيم نوب الماء

ووضع اسماء عربية لساعاتها

جاءني كتاب من السيد زكي بقلة احد كبار المزارعين في (كفرسوسا) قال فيه : ارجو التفضل ببيان اسماء الاربع والعشرين ساعة الزمانية اليومية لقضية تتعلق بتقسيم نوب الماء الخ :

هذا ما سألنيه السيد المذكور . ولا يخفى ان دمشق من اكثر بلاد الله قنوات فقد احصى ابن عساكر في تاريخه الكبير قنواتها فبلغت ١٣٠ في داخلها و٢٠ في ظاهرها وبلغت حماماتها ٥٧ حماماً سوى حمامات القرى . والبلاد التي تسقى أراضيها بمياه السيح يقع بين اربابها نزاع وخصام بشأن سقي اراضيهم ولاسيما ايام (التحاريق)[1] وكثيراً ماادى النزاع حول سكور الماء . الى سفك الدماء . ومما له علاقة بذلك ان شاعراً جاهلياً بخس حقه في مائه فجعل يبكي فقالوا له مالك ؟ أجننت ؟ فأنشد .

(وقالوا قد جننت فقلت كلاّ   وربي ما جننت ولا انتشيت)
(ولكني ظلمت فكدت أبكي   من الظلم المبين أو بكيت)
(فإن الماء ماء أبي وجدي   وبئري ذو حفرت وذو طويت)

بل ان النزاع على الماء بلغ أمره الى أبعد من هذا : كما قص الوحي الآلهي علينا ذلك في القرآن في خبر ناقة صالح مذ قال تعالى (هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) فمنعوها حقها في شربها وعقروها فاهلكهم الله تعالى .

والنصيب المعين من الماء يقال له في اللغة (شرب وسقي وقلد) بكسر أولها ويقال له في اصطلاح المزارعين (نوبة) و (عدّان) . وقد اصطلحوا في دمشق على تقسيم ساعات اليوم الى قسمين يسمونها مصراعين (مصراع نهاري) وهو ١٢ ساعة (ومصراع ليلي) وهو ١٢ أيضاً . ولهذه الساعات عندهم اسماء بعضها عربي فصيح وبعضها مولد: فمن الفصيح كلمات (غداة) (ظهر) (عصر) (استواء) (طلوع) (غياب) (سحر) فيقول المزارع

(١) اي قلة المياه وهي من مصطلحات المزارعين المصريين .

الكفرسوسي مثلاً (حق فلان من الشرب من أذان السحر الى الاستواء) اي الى وقت الزوال . و يقول المزي (حقه من الغد الى العصر) والديراني (من الطلوع الى الغياب).
ولهم تعابير اصطلاحية تختلف باختلاف المناطق الزراعية من ذلك قول المزارع الشاغوري مثلاً (حق فلان من المادنة لى الظهرية) أو (من المراسلة الى الظهرية) و يعنون بالمادنة تأذين المؤذنين سحراً في المآذن كما يعنون بالمراسلة تلك التهاليل والتسابيح التي ينشدونها بتطريب من على المآذن في الثلث الاخير من الليل . و يقول الشاغوري ايضاً (حق فلان من المادنة الى ثمانية اقدام صباحاً) أو (من الظهرية الى ثمانية اقدام مساء) أي الى أن يصير ظل الشخص ثمان اقدام صباحاً وهذا وقت الضحوة او ثمانية اقدام مساء وهذا وقت العصر .

هذا نموذج من التعابير الاصطلاحية وهي كما يرى القارئ عتيقة بالية مختلفة باختلاف المناطق الزراعية ولم تعد صالحة لهذا الزمن الذي اخذت فيه لغتنا العربية تنتعش من كبوتها كما اخذت حكومتنا تعنى بالصحيح من الاساليب العربية تودعها قيودها وسجلاتها واوراق معاملاتها . وهذا ما حمل السيد زكي بقلة على استفتائنا في وضع كلمات فصيحة لساعات المصراعين الليلي والنهاري .

واصطلاح تقسيم ساعات اليوم يختلف باختلاف الامم منذ القدم حتى قالوا : إن الاصل في تقسيم النهار والليل الى أجزاء متساوية امر مجهول . وغاية ما علم من ذلك أن بعض القدماء قسم اليوم الى (٦٠)ساعة اي حصة من الزمان كالهنود و بعضهم الى (١٢) ساعة كالمصريين والصينيين فساعتهم ساعتان من ساعات زماننا . وبعضهم جعل الليل ١٢ ساعة والنهار ١٢ ساعة وهو اصطلاحنا اليوم .

وكما اختلف القدماء في تقسيم الساعات اختلفوا في ساعة الابتداء : فبعضهم جعلها الغروب وبعضهم الشروق . قالوا : ولا يخلو هذا التقسيم من خلل لاختلاف أوقات الشروق والغروب باختلاف الفصول حتى قام (أبَرخوس) الفلكي اليوناني سنة (١٥٠ ق م) فضبط ساعات الليل والنهار وقسمها الى قسمين : أولها يبتدئ في منتصف الليل ، والآخر في منتصف النهار وهو الزوال . وقد جرى الاوربيون على ذلك ثم احدثوا أخيراً بدعة جديدة لفقوا فيها بين اصطلاح (أبرخوس) في جعل ساعة الابتداء نصف

الليل وبين اصطلاح آخر للقدماء وهو اعتبار مجموع ساعات الليل والنهار (٢٤) ساعة قسمة واحدة لا قسمتين ليلية ونهارية . فالساعة الاولى تبتدئ في منتصف الليل حتى اذا تمت الساعات الاثنتا عشرة في منتصف النهار لم يبتدأ منه بساعة مستأنفة بل بساعة متممة رقمها ١٣ ثم ١٤ الى ٢٤ وقد أخذ هذا الاصطلاح في الشيوع بيننا اليوم ولم يألفه الناس بعد . ومن لطيف مايروى ان النهار في اصطلاح العرب الأقدمين يبتدئ ايضاً من نصف الليل و ينتهي في نصف النهار ثم يبتدئ الليل من نصف النهار و يدخل وقت المساء حتى ينتهي في نصف الليل .

وقد ذكر البغدادي في رسالته التي جعلها ذيلاً لفصيح ثعلب ذلك فقال : « الصباح عند العرب منذ نصف الليل الاخير الى الزوال ثم المساء الى آخر نصف الليل الأول » فالعرب في هذا (التقسيم) و (الابتداء) كأنهم تواردوا مع (أبرخوس) اليوناني على هذا الاصطلاح .

اما النهار الشرعي الذي يتعلق به الصوم والصلاة فأوله عند اهل السنة الصبح الصادق الى غروب الشمس . والليل الشرعي من غروبها الى انبلاج الصبح الصادق .

وقريب من النهار والليل الشرعيين النهار والليل في اصطلاح المزارعين اليوم . فان النهار عندهم من الشروق الى الغروب ثم الليل من الغروب الى الشروق وساعاتهما ٢٤ ساعة . وهذا (التقسيم) و (الابتداء) هما اللذان نعتمد عليهما في وضع ألفاظ عربية لساعات نوب الماء . والا فان تخطي هذا الاصطلاح المألوف الى اصطلاح آخر ربما شوّش على المزارعين أمرهم وحال بينهم وبين الانتفاع بالأوضاع الجديدة التي نريد ان نعرضها عليهم .

والألفاظ التي يطلقها العرب على ساعات الليل والنهار كثيرة جداً وقد تتبعتها في كتاب (المخصص) فبلغت زهاء ١٧٠ اسماً نصفها لليل ونصفها للنهار ومعظمها من قبيل المترادف كالعتمة والعتمة . والصبح والفجر . والهاجرة والظهيرة . والشروق والذرور . والغروب والغياب . واذا كان هناك فرق بين كل كلمتين فهو اعتباري له علاقته بالاشتقاق اللغوي غالباً ...

وعلى هذا يمكننا إرجاع هذه الكلمات الكثيرة الى اربع وعشرين كلمة فقط نكتفي بها في تسمية ساعات الليل والنهار وتمييز احداها عن الاخرى .

وكلمة (ساعة) في اللغة العربية لا يراد بها ساعتنا الزمانية المركبة من ستين دقيقة . والدقيقة من ستين ثانية . والثانية هي اللحظة من الزمان تسع قولك (واحد) — كلا لا يعرف العرب هذا الاصطلاح الفلكي الطارئ . وانما يريدون بالساعة الحصة من الزمن قلّت اوكثرت . قال في (المصباح) « الساعة الوقت من ليل او نهار والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وان قلّ . وعليه قوله تعالى : لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » اهـ .

واذا سمعت بعض ارباب المعاجم المتأخرين يقولون إن الساعة جزء من أجزاء الليل والنهار وهي اربع وعشرون ساعة فاعلم ان مرادهم الإشارة الى الاصطلاح الفلكي الخالف لا اللغوي السالف .

وتسمية ساعات الليل والنهار عند العرب مبنية على الكيفية لا الكمية اي على أحوال الشروق والغروب والحر والبرد والظلام والنور وأحياناً التوسط كالبهرة مثلاً فانها اسم للساعة الوسطى من الليل . وما كان العرب يبنون تسميتهم على الكمية فيحددوا الساعة بستين دقيقة والدقيقة بستين ثانية ، بل كانوا اذا احتاجوا الى التحديد استعاروا كلمة (الفواق) مثلاً وهو مقدار ما بين الحلبتين من الزمن فيقولون (عيادة المريض قدر فواق ناقة) . وفي الاسلام كانوا يقولون (أقام عندنا مقدار صلاة ركعتين مثلاً) اذ أن تحديد الزمان يعتمد على قواعد علم الفلك وآلاته . ولم يكن العرب القدماء يمارسون هذا الفن ولا يستعملون بنكاماته[1] . والساعات المائية والرملية انما استعملت في حضارة الاسلام . ومنها الساعة المائية التي أهداها هرون الرشيد الى شارلمان فرنسا . وكان مثلها في جامع بني أمية في دمشق وقد وصفها ابن جبير في رحلته .

هذا هو الشأن في أجزاء الزمان ومفهوم ساعاته عند العرب . ثم جاء القرن الرابع للهجرة : وهو الزمن الذي كان فيه للعرب القدح المعلى في الطب والهندسة والفلك فاصطنعوا الأزياج ورسموا الأفلاك وشيدوا المراصد — في ذلك العهد كان يعيش عالمان نبيلان وهما حمزة بن حسن الاصفهاني في فارس وابو جعفر النحاس المصري

(١) جمع بنكام وهي كما في شفاء الغليل الساعة النجومية من الرمل وقد حرّفته العامة قديماً فقالوا منكاب . واصل اللفظ يوناني .

(المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) في مصر فتواردا خاطراهما على اصطلاح جديد في تقسيم الليل والنهار الى أجزاء أو ساعات متساوية وهي (٢٤) ساعة : لليل ١٢ وللنهار ١٢ . ثم خصّا كل ساعة منها باسم عربي من الأسماء او الأوصاف الكثيرة التي سردها صاحب (المخصص) . وربما كانا في هذا الوضع متأثرين باصطلاح الفلكيين القدماء ولا سيما (ابرخوس) اليوناني كما مر .

وقد رتّب كل من (حمزة الاصفهاني) و (النحاس المصري) قائمة بأسماء الساعات كما بدا له نذكرهما فيما يلي :

« قائمة حمزة الاصفهاني »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشروق	الساعة الاولى	الشَّفَق
« الثانية	البُكور	« الثانية	الغَسَق
« الثالثة	الغدوة	« الثالثة	العَتَمة
« الرابعة	الضحى	« الرابعة	السُّدْفة
« الخامسة	الهاجرة	« الخامسة	الفَحْمة
« السادسة	الظهيرة	« السادسة	الزُّلّة
« السابعة	الرواح	« السابعة	الزُّلْفة
« الثامنة	العصر	« الثامنة	البُهرة
« التاسعة	القَصْر	« التاسعة	السَّحَر
« العاشرة	الأصيل	« العاشرة	الفجر
« الحادية عشرة	العشيّ	« الحادية عشرة	الصبح
« الثانية عشرة	الغروب	« الثانية عشرة	الصباح

ورأيُ الاصفهاني في هذا الوضع محض اصطلاحٍ له والا فأيُّ فرق بين الصبح والصباح وهما واحد عند اهل اللسان . ومما يدل على كونه اصطلاحاً ايضاً ان الثعالبي بعد ان سرد قائمة حمزة هذه في كتابه (فقه اللغة) تبرأ من تبعتها قائلاً (إن عليه اي على الاصفهاني عهدتها) . ودليل آخر ايضاً وهو ان الهمذاني صاحب كتاب الألفاظ

الكتابة عقد فصلاً لساعات الليل والنهار فجعل ساعات النهار ست عشرة ساعة وساعات الليل سبعاً .

ودليل رابع ايضاً : ذلك ان علماء اللغة اذا ذكروا أسماء ساعات الليل والنهار في معاجمهم كالقصر مثلاً فلا يقولون هي الساعة التاسعة من ساعات النهار وانما يكتفون بقولهم (زرت فلاناً قصراً) اي عشياً ، واذا قالوا (البُهرة) لم يقولوا هي الساعة الثامنة من ساعات الليل وانما يقولون ان البُهرة وسط الليل كما ان بُهرة الحلقة وسطها و بهرة الوادي وسطه .

بقيت كلمة (الزُأَة) من اسماء ساعات الاصفهاني فاني لم أجد لها في كتب اللغة معنىً زمانياً كأخواتها وأرجح ان يكون صوابها (الزَّأَة) بفتح الزاي لا ضمها ومعناها العُرس والعُرس إهداء العروس الى زوجها وهذا يكون في الليل بل في وسطه عادة . ومنه التعريس وهو نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة ، والاصفهاني جعل الزأة اسماً للساعة السادسة من ساعات الليل .

اما قائمة ابي جعفر النحاس المصري فقد اثبتها في كتابه (وصف صناعة الكتّاب) وهي هذه :

« قائمة النحاس المصري »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الذرور (أو) البكور	الساعة الاولى	الشاهد
« الثانية	البزوغ (أو) الشروق	« الثانية	الغسق
« الثالثة	الضحى (او) الاشراق	« الثالثة	العتمة
« الرابعة	الغزالة (او) الرأد	« الربعة	الفحمة
« الخامسة	الهاجرة (أو) الضحى	« الخامسة	الموهن
« السادسة	الزوال (او) المُتوع	« السادسة	القطع
« السابعة	الدلوك (او) الهاجرة	« السابعة	الجوشن
« الثامنة	العصر (او) الاصيل	« الثامنة	العنكة
« التاسعة	الاصيل (او) العصر	« التاسعة	التباشير

م : ٣

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة العاشرة	الصبوب (او) الطفل	الساعة العاشرة	الفجر الاول
« الحادية عشرة	الحدور (او) العشي	« الحادية عشرة	الفجر الثاني
« الثانية عشرة	الغروب	« الثانية عشرة	المعترض

وفي هذه القائمة كلمات تحتاج الى تحليل وتفسير كالمتوع والصَّبوب والشاهد والجوشن والعتكة والمعترض واذا فسرناها خرجنا عن الصدد. وقد زادنا النحاس حيرة مذ خيرنا في ساعات النهار بين ان نقول كذا أوكذا وهذا دليل خامس على ان وضع هذه الاسماء إزاء الساعات اصطلاح محض لا يعرفه العرب على هذا الترتيب والتخصيص .

وقد اعتمدنا في نقل هاتين القائمتين على كتابي (نهاية الارب) للنويري و (فقه اللغة) للثعالبي ثم ذكرها كل من العاملي في كتابه (الكشكول) والسيوطي في كتابه (الكنز المدفون) .

ومرت مئات من السنين ولم يكن لهاتين القائمتين فائدة عملية حتى اخذ المزارعون في دمشق اليوم يفكرون في تنظيم (عدادين) الماء وضبط ساعاتها والتساؤل عما اذا كان من الممكن وضع اسماء لها واذ ذاك احتجنا الى الاستفادة من قائمتي الاصفهاني والنحاس جزاهما الله عنا خيراً .

غير ان في القائمتين ألفاظاً غريبة غير مأنوسة ولا مألوفة للزارعين وهذا ما يحملنا على وضع قائمة ثالثة مستخرجة من القائمتين المذكورتين ننتقي منهما أسهل الكلمات واقربها تناولاً من أفهام القرويين وهم الذين عليهم جل الاعتماد في استعمال الكلمات وإذاعتها وهذه هي قائمتنا :

❋ القائمة التي ينبغي التعويل عليها اليوم ❋
« في تسمية ساعات الليل والنهار »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشروق	الساعة الاولى	الشَّفَق
« الثانية	البكور	« الثانية	الغَسَق
« الثالثة	الغدوة	« الثالثة	العَتَمة

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الرابعة	الضحى	الساعة الرابعة	الفحمة
〃 الخامسة	الهاجرة	〃 الخامسة	المَوْهِن
〃 السادسة	الزوال	〃 السادسة	القِطع
〃 السابعة	الرواح	〃 السابعة	الزُلفة
〃 الثامنة	العصر	〃 الثامنة	البُهرة
〃 التاسعة	الأصيل	〃 التاسعة	السَحَر
〃 العاشرة	الطَفَل	〃 العاشرة	الفجر الاول
〃 الحادية عشرة	العشيّ	〃 الحادية عشرة	الفجر الثاني
〃 الثانية عشرة	الغروب	〃 الثانية عشرة	الصباح

ولم نجد بداً من اختيار القِطع للساعة السادسة الليلية هروباً من كلمة (الزلفة) التي اختارها الاصفهاني لانها مشكوك فيها كما أشرنا · على ان كلمة (القِطع) قرآنية قال تعالى (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ونقل المفسّر الطبري عن ابن عباس انه فسّر (القطع) بجوف الليل ·

هذا ما رأيناه في وضع أسماء الساعات للمصراعين الليلي والنهاري نعرضه على اخواننا أعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ولاسيما المزارعين منهم ·

واذا حازت هذه القائمة القبول لديهم وارتضوها لعروبة الفاظها ولما فيها من توحيد اصطلاحات المناطق الزراعية كان عليهم امر نشرها وتعميمها وذلك يكون باستعمالها وتعويد ألسنتهم إياها قولاً وكتابةً فلا تمضي سنة او سنتان حتى تشيع وتؤلف وتصبح مفهومة من دون تفكير : فاذا قالوا مثلاً (حق فلان في الشرب من الطَفَل الى القِطع) او (من الأصيل الى الموهن) فهموها كما يفهمون اليوم قولهم (من المادنة الى الظهر) او (من المراسلة الى ثمانية أقدام صباحاً) وتوطين النفس على الشيء كفيل بتسهيل عقباته · وتذليل صعوباته إن شاء الله ·

«المغربي»

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

٦

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن احمد بن محمد الكاتب المعروف بابن ابي عمر كاتب المحسن بن الفرات وكان ممن تقلد بعد آل الفرات عدة اعمال كبيرة جليلة ودواوين عظيمة حتى تقلد الازمة صارفاً للخصيبي في ايام ابن رائق وقتل بديار مضر قتله عمار القرمطي . وقد كان ابو الحسن متقلداً لديار مضر من قبل ابن رائق فاغار عليها عمار ليتملكها عاصياً فطالبه بالمال لاصحابه فقال ما معي شيء ولو قتلتني وصلبتني . فقال علي أن أفعل بك ذلك فقتله وصلبه في يوم عيد الفطر من سنة ٢٩ فلم يزل ابن رائق يحتال على عمار حتى حضر مجلسه وتركه اياماً مع جيشه ثم قبض عليه وبحضرته وجوه الاتراك المستأمنة الى ابن رائق بالشام من اصحاب بجكم فامرهم بدقه بالاعمدة فلما كاد ان يموت قال اذيقوه حد السيف فاخذ رأسه وصلبه في المكان الذي صلب فيه عامله ابن ابي الحسين (١) قال ابو الحسين فحدثني ابو الحسن ابن ابي عمر هذا قال حدثنا ابو عبد الله حمد بن محمد القنائي ابن اخت الحسن بن مخلد . قال حدثنا ابو محمد خالي . قال سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن العباس الصولي يقول حدثت عن المأمون عن الرشيد انه سمع المهدي يقول بعد زوال امر ابي عبيد الله عن الوزارة واقتصاره على

(١) يريد ابن ابي عمر .

ديوان الرسائل وعلى الجلوس في منزله وتفويض الامر الى يعقوب بن داود ما رأيت احزم ولا افهم ولا اكف ولا اعف من ابي عبيد الله ولقد كنت احبه من (١) اجرائي اياه مجرى الوالد منذ خدمني اجتهد به ان يدعوني الى داره فيمتنع ويزعم انه لا تتسع همته ولا نعمته لذلك الى ان اعتل علة عظيمة فتمادت الايام به ولم اعده الى ان كتب اليّ باستقلاله (٢) وانه قد عمل على الركوب اليّ بعد يوم او يومين فسابقته وركبت اليه في جف (٣) من غلماني وخاصتي فلما دخلت اليه قلت له قد كنت اجتهد بك ان تدعوني فتأبى والآن قد جئتك جامعاً للعيادة والتهنئة بالعافية والدعوة . فقال والله يا امير المؤمنين ما لي طعام ولا غلمان ولا زي يصلح لدعوتك . فقلت قد فرغت الك من ذلك وتقدمت الى غلماني بحمل الآلات والطعام والاشربة وجميع ما يحتاج اليه وانما اردت تشريفك والانس بك . قال وجاء الغلمان بالآت وفرش لي وجلست وهو معي فاكلنا وجعل يتحفني من منزله بالفاخر من الفرش والآنية والآلات هدية لي كما يفعل الناس فاخذت كلما يحمله من احسن شيء واجمله وارشقه فازداد ابتهاجاً به . ثم دعوت بالشراب فلما شربت ثلاثة فقط عملت على الانصراف . فلما احس بذلك قال لي اريد ان ابكي وانا اتطير ان ابكي بعد انصراف امير المومنين وانا استأذنه في البكاء بحضرته قال وتحدرت دموعه عقيب (٤) الكلام فبكى بكاء شديداً فقلت

«١» لعله مع . «٢» م : ع اي شفائه لعله من القلة اي النهضة من العلة ويحتمل ان يكون محرفاً عن استبلاله . «٣» م : ع . الجف . والجفة ويضمان الجماعة او العدد الكثير . «٤» م : ع تقدم الكلام عليها .

له يا هذا انا اعلم ان فيك شحاً تسميه حسن التدبير وما يحسن منك فان كان ندماً على ما اهديته فهو مردود بلا شك قال فحلف بايمان عظيمة وانزعج (١) ازعاجاً شديداً انه مابكي لذلك وقال كيف ابكي على ماسبيلي اسر به حيث جعلتني اهلا لقبوله قال فقلت فلم تبكي ؟ قال لم تبق مرتبة تنال الا وقد نلتها و بلغتها بفضل امير الموءمنين وتطوله حتى انتهت بي الحال الى ان وصلت من مال امير الموءمنين بامره وعن امره في ليلة واحدة وهي ليلة ورد الخبر بوفاة امير الموءمنين المنصور صلوات الله عليه وأخذت بيعة ثانية لأمير الموءمنين على الناس — بعشرة آلاف الف درهم وفي هذه العلة تصدقت بجميع ما في خزانتي من المال وكان اربعة آلاف الف بعد ان استأذنت امير الموءمنين فاذن لي ولم يكن بقي الا ان يعودني امير الموءمنين من علة او يهنئني بحال متجددة او يصير الى دعوتي . فلما كان اليوم جمع امير الموءمنين لي ذلك فعلمت اني قد بلغت النهاية وانه ليس بعدها الا الانحطاط فبكيت لذلك . قال فرققت له وعلمت فضله وقلت له اما في ايامي فانت آمن من ذلك وان اصابك شيء بعدي فالحياة على كل حال خير من الموت ولك فيّ اسوة واعتقدت ان لا انكبه فلما رأى الربيع عظم منزلته حسده فجد في السعاية اليّ به والفساد بيننا والحيلة عليه عندي الى ان جرى في امر ابيه واقراره بالزندقة ما لم يسع معه ان لا يقتل فقتلته وخفت ان يكون قد استوحش لذلك فلم آمنه على نفسي فاحتجت الى صرفه فصرفته

«١» م : ع كذا في الاصل ولعله وانزعج انزعاجاً .

وحرست نفسه و بقيت ذمته واستحال الامر عما عقدته له وكان الامر على ما ظنه من النقصان بعد التناهي .

حدثني (١) (ابو الحسين) قال سمعت علي بن عيسى يحدث دفعات عن ابيه انه سمع اباه يحدث عن جده عن مشايخ اهل العلم باخبار الفرس وايامهم قالوا معنى قولهم النهروان بالفارسية ثواب العمل قالوا وانما سمي نهر النهروان بذلك لان بعض ملوك الاكاسرة كان قد غلب عليه بعض حاشيته حتى دبر اكثر امره وترقت منزلته عنده وكان قبل ذلك من قبل صاحب المائدة مرسوماً باصلاح الالبان والكواميخ (٢) ثم علت حاله فكان صاحب المائدة يتحسر كيف علت حال هذا وقد كان تابعاً له وغلب على الملك وكان مع ذلك الرجل يهودي ساحر محذق (٣) فقال له مالي اراك مهموماً فحدثني بامرك لعل فرجك على يدي . قال فحدثته فقال له اليهودي ان رددتك الى منزلتك مالي عندك قال اشاطرك حالي ونعمتي وجميع مالي فتعاهدا على ذلك فقال اظهر وحشة تجري بيننا وانك قد صرفتني ظاهراً ففعل ذلك به فصار الى الرجل الغالب على الملك فحدثه وتقرب اليه بما جرى عليه من الرجل الاول ولم يزل يحدثه مدة طويلة حتى انس

«١» معجم البلدان لياقوت ٤ : ٨٤٧ . «٢» م : ع الكامخ بفتح الميم اشهر من كسرها ما يؤتدم به ومنهم من خصه بالخللات المستعملة لتشهي الطعام جمعه كوامخ بغير ياء كما في المغرب والمصباح وقد ذكرت كذلك كما في مادة سكرج في اللسان والنهاية والتاج . «٣» م : ع كذا في الاصل والظاهر انه مخرق اي مموه مشعوذ وفي ياقوت حاذق .

به ذلك الرجل فلقيه في بعض الايام ومع غلامه غضارة (١) ذهب فيها شيراز في نهاية الطيبة يريد ان يقدمه الى الملك فقال ارني هذا الشيراز فقال الرجل لغلامه اره اياه فاراه فخاتل الرجل والغلام واخذ باعيانهما (٢) بسحره وطرح في الشيراز قرطاساً كان معه فيه سم ساعة وغطا (٣) الغلام الغضارة الكبيرة ومضى ليقدمها اذا قدمت المائدة فبادر اليهودي الى صاحب المائدة الاول وقال له قد فرغت من القصة وعرفه ما عمله ووصف له الغضارة وقال له امض الساعة الى الملك فقل هذا اراد ان يسمك في هذه الغضارة فلا تأكلها وجربها فانه سيجربها على كلب او غيره فيموت في الحال فتقتل عدوك ويشكر لك فيردك الى مرتبتك . قال فبادر الرجل فوجد المائدة تريد ان تقدم الى الملك فحين قدمت تقدم اليه وقال ايها الملك ان هذا يريد ان يسمك في هذه الغضارة وهي مسمومة بسم ساعة فلا تأكلها فراع الملك وامر بتجريب الشيراز على حيوان . فقال الرجل قد كذب هذا وليس يحتاج الى حيوان انا آكل من هذه الغضارة ليعلم الملك كذبه قال والرجل لا يعلم ما في الغضارة . فبادر فاكل منها لقمة فتلف في الحال . فقال صاحب المائدة الاول انما اكل ايها الملك من ذلك ليتلف لما علم انك تجرب ذلك فتجده قاتلا فخاف ان تعذبه فاستروح الى هذا فلم يشك

«١» م : ع الغضارة القصعة الكبيرة كما في المغرب والشيراز اللبن الرائب اذا استخرج ماؤه

«٢» م : ع كذا هنا وفي ياقوت باعينهما .

«٣» م : ع غطا الشيء يغطوه كغطاه يغطيه .

الملك في صحة الامر ورد الى صاحب المائدة الاول ما كان اليه واكرمه وعظمه ومضت السنون على ذلك . قال وعرض للملك علة كان يسهر من اجلها في اكثر الليالي فكان يخرج وحاشيته غافلون فيطوف في صحون داره وحجرها و بساتينها ويقف على ابواب حجر نسائه وغلمانه فيتسمع عليهم ويعلم ما يتحدثون به فانتهى في ليلة في طوفه (١) لاجل السهر الى حجرة فيها ذلك اليهودي وقد خلطه صاحب المطبخ بنفسه وغلمانه وهو جالس يحدث بعض اصحاب المطبخ ويتشكا (٢) اليه و يقول انه يقصر في حقي ويعدد تقصيره في حقه. ثم قال انا اصل نعمته وما هو فيه . فقال له الذي كان يحدثه وكيف صرت اصل نعمته قال وتكتم ذلك ؟ قال نعم فحدثه بحديث الشيراز والسم فلما سمع الملك ذلك قامت قيامته واحضر الموبذ من غد وحدثه بالحديث وشاوره فيما يعمله مما يزيل عنه إثم ذلك الفعل في معاده فامر بقتل اليهودي (٣) والاحسان الى عقب (٤) ان كان للذي قتل نفسه وقال ولا يزيل عنك اثم هذا الا ان تطوف (٥) عملك حتى تنتهي الى بقعة خراب فتستحدث لها عمارة ونهراً وشرباً فيعيش الناس بذلك في باقي الدهر بدلا من موت ذلك الرجل فتمحص عنك الاثم ففعل الملك ذلك وطاف اعماله حتى بلغ موضع النهروان وهي خراب فاجمع رأيه على حفر النهر

«١» م : ع • اي طوافه • «٢» م : ع • كذا في الاصل والصواب يتشكى وهي كذلك في ياقوت • «٣» زاد ياقوت: وصاحب المائدة • «٤» م : ع • في ياقوت الى عقب الذي كان قتل نفسه • «٥» م : ع • في ياقوت تطوف في عملك •

فيه فحفر وسماه ثواب العمل لاجل هذه القصة .

حدثني (١) ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن الايادي الكاتب صديق الكرخيني (٢) قال دفع الي ابو احمد عبد الوهاب بن الحسن بن عبيد الله ابن سليمان رقعة ابي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب الى جده عبيد الله وقال لي كان الى ابي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل وديوان المعاون في جملة الدواوين التي كانت اليه في ايام ابيه فامر الوزير عبيد الله ابي ان يستخلف ابا الحسين بن ثوابة على ديوان الرسائل والمعاون وصار كالمتقلد له من قبل الوزير لكثرة استخدامه له فيه وكانت هذه الرقعة سبب ذلك ثم مات ابي فاقره جدي على الديوان رياسة وبقي عليهم يتوارثونه مرة رياسة ومرة خلافة فما سمع برقعة اولى (٣) منها وهي في غاية الحسن ونسختها قد فتحت للمظلوم بابك ورفعت عنه حجابك فانا احاكم الايام الى عدلك واشكو صرفها الى عطفك واستجير من لوم غلبتها بكرم قدرتك فانها توخرني اذا قدمت وتحرمني اذا قسمت فان اعطت اعطت يسيراً وان ارتجعت ارتجعت كثيراً ولم اشكها لى احد قبلك ولا اعددت للانصاف منها الا افضالك (٤) ودفع زمام المسألة وحق الظلامة حق التأمل وقدم صدق الموالاة والمحبة والذي يملأ يدي من

«١» معجم الادباء لياقوت ٢ : ٤١٧ «٢» م : ع ، كرخيني قلمة على تل بين دقوق واربل . ذكر في التاج انها بالف مقصورة وفي نسخة بالف ممدودة وفي معجم البلدان بياء ممالة . «٣» لعله سقط . بان تحفظ . «٤» لعله فضلك»

النصفة ويسبغ العدل علي حتى تكون محسناً اليّ وا كون بك للانام (١) معديا ان تخلطني بخواص خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ الى الشغل ومن الخمول الى النباهة والذكر فان رأيت ان تعديني فقد استمديت وتجيرني فقد عذت بك وتوسع عليّ كنفك فقد اويت اليه وتشملني (٢) باحسانك فقد عولت عليه وتستعمل يدي ولساني فيما يصلح ان لخدمتك فيه فقد درست كتب اسلافك وهم الائمة في البيان واستضأت بآرائهم واقتفيت آثارهم اقتفاء حصلني بين وحشي الكلام فانيسه (٣) ووقفني منه على جادة متوسطة يرجع اليها الغالي ويسمو نحوها المقصر فعلت ان شاء الله .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الحسن علي بن احمد بن يحي بن ابي البغل وهو اذ ذاك عدل في جوارنا ببغداد ويعاشرني قال حدثني ابو قوصرة المستخرج قال ابو الحسين وقد رأيت انا ابا قوصرة وانا حدث وهو شيخ مسن من بقية القواد المتقدمين وقد لزم منزله وكان الرسم قدماً ان يقلد بعض القواد الذين يفهمون المناظرة الاستخراج قال ابن ابي البغل قال لي ابو قوصرة تقدم اليّ سليمان بن وهب في وزارته للمعتمد لما قبض على الحسن بن مخلد ان ادخل اليه الى الحبس فاطالبه بما صودر عليه فكنت اخشن عليه ظاهراً والين له باطناً واتخبر (٤) له على سليمان واشير

«١» م : ع . في معجم الادباء للايام . «٢» بالاصل وتسمني والصواب عند ياقوت .
«٣» م : ع . في معجم الادباء وانيسه ، ولعله وانسيه . «٤» م : ع . قال في اللسان يقال تخبر الخبر واستخبر اذا سأل عن الاخبار ليعرفها وفي حديث الحديبية انه بعث عيناً من خزاعة يتخبر له خبر قريش .

ومن الذين تكلموا على دعوى النبوة ابو منصور الثعالبي فقد قال :
ويحكى انه تنبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه :

ومنهم الانباري صاحب الطبقات فقد قال :
قال ابو علي بن حامد : سمعت خلقاً بحلب يحكون ان ابا الطيب المتنبيء تنبأ ببادية السماوة ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الإخشيدية فقاتله واسره ، وشرّد من كان اجتمع عليه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في امره فاستتابه ، وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه .

* * *

هذه أقوال من تكلموا على دعوى نبوة المتنبيء على ان بعضهم نسبوا الى المتنبيء اموراً غير ذلك مثل طمعه في الملك وادعاءه العلوية وغير ذلك مما لم يذكروه ، فالثعالبي قبل ان يتكلم على دعوى النبوة وقد سمعتم كلامه ، تكلم على طلب الملك فقال :
وبلغ من كبر نفسه ، وبُعد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من راشي نبله على الحداثة من سنه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له امر دعوته ، تأدى خبره الى والي البلدة ورُفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده .

وابن خلكان روى دعوى نبوته فقال :
وانما قيل له المتنبيء لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه ثم قال بعد هذا :
وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، فما الذي قيل غير ذلك ؟ فلم يبينه ابن خلكان الى ان قال :
وقيل انه قال : انا اول من تنبأ بالشعر .—
وابن الانباري تكلم على دعوى النبوة ، وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف اليه مايلي :
وقال القاضي ابوالحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي ، وكان ابوالطيب لما خرج الى

كلب وأقام فيهم ، وادعى انه علوي ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه في الشام بالتوبة واطلق .

* * *

فالذي يستخلص من كل ما تقدمت الاشارة اليه ان الاقوال في أمر المتنبي متباينة فمنهم من قال انه ادعى النبوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك .

ولا بأس بأن نلمح الى طائفة من معجزاته وقرآنه ما دام بعض رجال التاريخ قد تكلموا على نبوته . —

أما المعجزات فقد ذكر منها ابو عبد الله معاذ بن اسمعيل اللاذقي حبس المطر ، فمن شاء فليقرأ خبرها في الصبح المنبي . وذكر ابو العلاء المعري غير حبس المطر فقال :

«وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ها هنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها اقررنا انك مرسل . وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وتنكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي المسمحة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدث ايضاً انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الاقلام فجرحته جرحاً مفرطاً وان ابا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته وقال للمجروح لا تحلها في يومك وعد له اياماً وليالي . وان ذلك الكاتب قبل منه فبرئ الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد و يقولون هو كمحيي الاموات .

وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ولقيهما كلب الح عليهما في النباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الفى الامر على ما ذكر ولا يمتنع ان يكون اعد له شيئاً من المطاعم مسموماً والقاه له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل ، والخربق سم الكلام . »

واما القرآن فها انا اتلو عليكم منه ما دونه صاحب الطبقات نقلاً عن ابي علي بن حامد قال ابو علي :

« وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن أُنزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي اولها في حفظي وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار · امض على سنتك · واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيل قال : وهي طويلة لم يبق في حفظي منها غير هذا · »

سمعنا هذا كله فلنسمع ما نقل لنا عن المتنبي في هذا القرآن وفي هذه النبوة فهل اثبت على نفسه قرآنه ونبوته ·

قال ابو علي بن حامد : وكان المتنبي في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآنه هذا وامثاله مما كان يحكى عنه انكره وجحده ، وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبي لان معنى المتنبي كاذب ومن رضي ان يدعى بالكذب فهو جاهل · فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغض مني ولست اقدر على المنع ·

قال التنوخي : قال لي ابي : فاما انا فسألته بالاهواز عن معنى المتنبي لأني اردت ان أسمع منه هل تنبأ او لا فجاوبني بجواب مغالط وقال : ان هذا شيء كان في الحداثة فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت ·

وقال له بعض الاكابر في مدينة السلام : خبرني من اثق به انك قلت انك نبي فقال : الذي قلته : انا احمد النبي ·

هذه جملة ما يتعلق من الاخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهمه بالخروج وغير ذلك يحار الانسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه · وانا لنرى ابن جني وهو من اصحاب ابي الطيب يبين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبي · ونرى اباعبدالله معاذ ابن اسمعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعاءه النبوة · ونرى كافور الاخشيدي يصدق دعوى نبوة المتنبي · وهؤلاء كلهم من اهل عصر المتنبي · وانا لنري ابا العلاء

المعري يحدثنا عن ثقة باحاديث معجزات المتنبي وما بينه وبين ابي الطيب الا القليل من السنين . ونرى الانباري يتكلم في طبقاته على دعوى النبوة . وكذلك الثعالبي وكذلك ابن خلكان اذ نرى الثعالبي نفسه يتكلم على هم المتنبي بالخروج على السلطان . ونرى الانباري نفسه يتكلم على ادعاء المتنبي العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر غير النبوة ، وغير العلوية و يرجحه عليها ولا يذكره . ونري المتنبي نفسه اذا ذكرت له النبوة والقرآن ينكرهما مرة و يغالط مرة اخرى ويقول : ان هذا شيءٌ كان في الحداثة فالانسان كما قلت لكم يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المتنبي لم يصرح في شعره بالسبب الذي من اجله حبس وانما طلب الى الوالي ان لا يقبل زور الكلام ، وان لا يسمع من الكاشحين وان يفرق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فمالك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبأن بعجل اليهود
وكن فارقاً بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد

فقد يجوز ان اباالطيب اراد امراً من الامور ولما همَّ بهذا الامر اخفق فما هو هذا الامر ، فالذي يقع في خلدي ان الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله اي قبل ان تشيع دعوى من الدعاوى المذكورة وقصيدته التي قالها في صباه والتي اولها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم

قد امتلأت من امانيه البعيدة في الملك .

أيملك الملك والاسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضم
من لو رآني ماء مات من ظماء ولو مثلت له في النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان اجابوا فما قصدي بها لهم وان تولوا فما ارضى لها بهم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا يبالي بالطرق التي من نحوها يأتيه هذا الملك سواء عليه أجاءه من طريق النبوة ، ام من طريق العلوية ام من طريق آخر ، فقد يجوز ان نفسه وسوست له ان يجعل النبوة سبيلاً الى الملك ، وعلى الخصوص بعد ان اجتمع له الشيء الكثير من اسباب التأثير في عقول الاعراب من جملتها خبرته بالارض وفصاحته

حتى حكوا عنه انه مما كان يخرق به على اهل البادية أنه كان مشاءً ، قوياً على السير يسير سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكان يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيغسل يديه ورجليه ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوهم ان الارض تطوى له ، افلا يجوز ان نفسه حدثته بطلب الملك بعد ان تهيأ له هذا كله وتهيأ له شيء اعظم من هذا وهو حسن البيان ، وقد شهدوا له بفصاحته وأشار اليها في شعره فقال :

وكلمة في طريق خفت اعربها فيهتدي لي فلم اقدر على اللحن

فالرجل مطبوع على الفصاحة والاعراب ، كل هذا من الامور التي توطئ له السبيل الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، ولكنه ينقصه قوة العقيدة فلم يؤثر عنه انه كان متيناً في عقيدته ، شديداً في دينه ، وقد اوضح عن ضعف العقيدة ، ورقة الدين في كثير من شعره منه قوله :

تتقاصر الافلاك عن ادراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا

وقوله : لو كان علمك بالاله مقسماً في الناس ما بعث الاله رسولاً

وقوله : او كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

وقوله : يا من نلوذ من الزمان بظله ابداً ونطرد باسمه ابليسا

الى كثير من اشباه هذه الابيات ، فلما هم بما اراد لم يتم له شيء من مراده ولعل الاعراب انفسهم الذين صحبهم في البادية هم الذين وشوا به .

ومدقعين بسبروت صحبتهم عارين من حلل كاسين من درن
خراب بادية غرثى بطونهم مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا اعطيهم خبري وما يطيش لهم سهم من الظنن

وكيف كان السبب الذي من اجله حبس فان المتنبئ متن بعض المتانة في حبسه فقال :

كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف
لو كان سكناي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

ولكنه بعد ان قال هذين البيتين وهما هما في متانة الاخلاق والصبر على المكاره في سبيل مذهب من المذاهب او معتقد من المعتقدات خانه الصبر فضعف عزمه فقال للوالي :

اامالك رقي ومن شأنه ... هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء ... والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلاء ... واوهن رجلي ثقل الحديد

فاين توطين النفس للموت من هذه الاستغاثة .

دمشق : في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٠



المحاضرة السادسة عشرة

حياة المتنبي

- ٨ -

أرى ان أفضي اليكم بعد ان تكلمت على وطن ابي الطيب وعلى نسبه وعلى تحصيله وعلى روايات نبوته ، بجملة اخباره وهو في ديار الشام وفي ظلال سيف الدولة وفي مصر وفي العراق وفي بلاد فارس ، على ان تكون اخباره هذه متسلسلة ليس فيها شيء من الاقتضاب ، وكنت أحب ان اختصر الكلام على هذه الاخبار حتى اصل الى الكلام على أخلاقه وروحه ولغته وشعره وبعض نظراته الفلسفية قبل انقضاء سنتنا . ولكني لا اجد لي مندوحة عن ان أروي لكم المهم من هذه الاخبار مما له تأثير في شعره ، فستجدون في الآتي ان ابا الطيب قد شكا الحسد في كثير من قصائده ، وستجدون ان الاخبار التي سأرو بها لكم لاتخلو من ارتباط بهذا الحسد الذي اكثر من الاشارة اليه في شعره . فالرجل كان محسوداً في جميع حالاته في فقره وفي غناه .—

* * *

فلننظر الى حالة ابي الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة ، فقد علمتم انه لما نسبوا اليه انه ادعى النبوة كان عمره سبع عشرة سنة . فكان في اول امره في خشونة من عيشه ورقة من حاله ، يعوزه كل شيء . يعوزه الناعم من الملابس . والكريم من المطايا . توفي ابوه فقيراً فضرب ابوالطيب في مناكب الشام التماساً للرزق . وجال في البوادي والحواضر ومدح رجالاً من منبج وطرابلس الشام وطرسوس وانطاكية . وطبريا ودمشق وبعلبك ومر بحمص وبعقاب لبنان . وبغير ذلك من بادية الشام وحضرها :

الفت ترحلي وجعلت ارضي قتودي والغريري الجلالا
فما حاولت في ارض مقاماً ولا ازمعت عن ارض زوالا
على قلق كأن الريح تحتي أوجهها جنوباً او شمالا

جال ابو الطيب في هذه الآفاق كلها ، ومدح فيها من أمّل نداه وكرمه لقد كان

فقيراً شكا فقره وتنوعت شكاياته . فمرة كانت أعصابه تهيج في شكوى الفقر :

الى اي حين انت في زي محرم وحتى متى في شقوة والى كم

ومرة كانت هذه الأعصاب تهدأ بعض الهدؤ :

لله حال أرجيها وتخلفني واقتضي كونها دهري ويمطلني

لم يكن لابي الطيب في اول امره شيء من المطايا فلا مطية له الا النعل والخف ، ولا لباس له الا القطن الخشن :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان اجهدها
شراكها كورها ومشفرها زمامها والشسوع مقودها

وقد اكثر من التنغم بقلة المطايا :

وحبيت من خوص الركاب باسود من دارش فغدوت امشي راكبا
حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الي منها تائبا

نعم كان ابو الطيب يشكو الفقر على انه لم يقصر في طلب الرزق :

ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيامي وقل عنه قعودي
ابداً أقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في صعود
ولعلي مؤمل بعض ما ابلغ باللطف من عزيز حميد
لسري لباسه خشن القطن ومروي مرو لبس القرود

ولكن شعره كان يباع في سوق الكساد :

الى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد

فيحكى ان علي بن منصور الحاجب الذي امله ورجاه لم يعطه على قصيدته التي فيه واولها :

(بابي الشموس الجانحات غواربا)

الا ديناراً واحداً فسميت الدينارية :

لم يقصر ابو الطيب في السعي ولكن آماله خابت عند من كان يمدحهم .

مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم قصائداً من أناث الخيل والحصن

فكم سعى الى حاجة ولم ينل منها شيئاً :

فقل في حاجة لم اقض منها على شغفي بهـا شروى نقير

وكم طلب الرزق لجدته ففاته هذا الرزق :

طلبت لها حظاً ففـاتت وفاتني وقد رضيت بي لو رضيت بها قسما

فلا ذنب له في هذا كله ، وانما الذنب يرجع الى الذين يذكرون له الجود فلا يحصل من جودهم الا على الكلام .

أرى أناساً ومحصولي على غنم وذكر جود ومحصولي على الكلم

على انه اذا ذم بعض ممدوحيه فقد حمد طائفة منهم لم يبخلوا عليه ، في جملتهم ابو العشائر .

هذه حاله وهو في ديار الشام ، شكا فيها كل شيء ، شكا فقره واخفاقه في السعي ، وكساد شعره في أسواق بعض الممدوحين ، ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد وشماتة الشامتين وكيد الكائدين ، نعم لم يخل من حسد الحساد .

فلو اني حُسدت على نفيس لجدت به لذي الجد العثور

ولكني حسدت على حياتي وما خير الحيـاة بلا سرور

ولم يخل من شماتة الشامتين ، حتى في المواطن التي لا تكون فيهـا الشماتة الا الأم اللؤم ، فقد شمتوا بموت جدته :

لئن لذ يوم الشـامتين بيومها لقـد ولدت مني لأنفهم رغما

ولا خلا من كيد الكائدين :

ان الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي نقله

* * *

فلنبحث عن أخبار ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة ، فهل استمر ابو الطيب في شكوى الفقر ، هل استمر في شكوى الحسد .—

كان ابو الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ويصطاد ما بين الكركي والعندليب ، هكذا قال فيه الثعالبي وقد تحقق عندنا ذلك وبقيت هذه حالته الى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهي السنة التي مدح فيهـا سيف الدولة وكان عمره حينئذ اربعاً وثلاثين سنة .—

كيف اتصل بسيف الدولة وكيف كانت منزلته عنده وكيف كان رأي بعض

الشعراء ورجال الادب فيه وكم مكث في افياء سيف الدولة وما هي الاسباب التي من أجلها فارق ابو الطيب سيف الدولة ٠

قال ابو عبد الله ياقوت الرومي :

ولم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بابي العشائر ومدحه بعدة قصائد ، فأكرمه ابوالعشائر وعرف منزلته وكان ابو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة ولما قدم سيف الدولة انطاكية قدم المتنبي عليه ، واثنى عنده عليه وعرّفه منزلته من الشعر والادب ٠ واشترط ابوالطيب على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا انشده مديحه فيه لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه ، فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع الى مايرده منه وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وحسن موقعه عنده فقربه واجازه الجوائز السنيه ومالت نفسه اليه وأحبه فسلمه الى الرواض ، فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة ٠ وحكي انه صحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم ، منها غزوة المثاء التي لم ينج منها الا سيف الدولة بنفسه وستة أنفار احدهم المتنبيء ، واخذت الطرق عليهم الروم فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على المعسكر وفرق الصفوف وبدد الالوف ٠

هذا هو اول اتصاله بسيف الدولة ، فبعد ان كان يشكو شقوته وقلة مطاياه واخفاقه في السعي وكساد شعره ، انقلبت حاله فحار في كثرة خيله وخوله :

بالشرق والغرب أقوام نحبهم   فطالعاهم وكونا أبلغ الرسل

وعرفاهم باني في مكارمه   اقلب الطرف بين الخيل والخول

لقد غرق ابو الطيب في مكارم سيف الدولة الباهرات حتى ترك السرى لمن لا مال له وانعل خيله ذهبا ٠

تركت السرى خلفي لمن قل ماله   وانعلت أفراسي بنعماك عسجدا

فكان سيف الدولة يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ماعدا الخيل والجواري والخلع والجوائز والإقطاعات ٠

اسير الى إقطاعه في ثيابه   على طرفه من داره بحسامه

من هذه الاقطاعات سبعين وهي قرية بباب حلب ، وصف وهي قرية بالمعرة وكان

له وكيل يتوكل له في داره بحلب اسمه ابو سعيد ، فأين حاله من هذه من شقوته التي كان فيها ولا مطية له الا قدماه ، ولا لباس له الا القطن الخشن ، ولئن تكلم ابو الطيب وهو عند سيف الدولة بلسان المياسير الاغنياء ، فستجدون انه سيتكلم بعد تركه سيف الدولة بلسان الملوك اصحاب العبيد .—

* * *

ولكن نعمة مثل هذه النعمة لا تنجي صاحبها من حسد الحساد وكيد الكائدين وعلى الخصوص اذا كان صاحب هذه النعمة قد زاحم غيره من الشعراء عليها ، وما اكثر الشعراء الواقفين بباب سيف الدولة ، وما أعظم الفرق بين منزلتهم ومنزلة ابي الطيب ، فكان من المنتظر ان يكثر حساد ابي الطيب . وان يموت بعضهم حسداً ، وما خلا عصر من العصور من حسد الحساد وكيد الكائدين .

فلنتقصَّ انباء الذين آلمهم ان يكون ابو الطيب في ظلال سيف الدولة .

منهم السري الرفاء فقد ذكروا انه لما سمع بيت المتنبيء .

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

قال : هذا والله معنى ماقدر عليه المتقدمون ، ثم انه حم في الحال حسداً وتحامل الى منزله ومات بعد ثلاثة ايام .

ومنهم ابو العباس النامي ، فقد ذكروا ان سيف الدولة كان يميل اليه ميلاً شديداً الى ان جاءه ابو الطيب فمال عنه اليه فغاظ ذلك ابا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا بسيف الدولة وعاتبه وقال : الامير لمَ يفضل عليَّ ابن عيدان السقاء ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فلج وألح عليه وطالبه بالجواب ، فقال : لانك لا تحسن ان تقول كقوله :

يعود من كل فتح غير مفتخر وقد اغذ اليه غير محتفل

فنهض من بين يديه مغضباً واعتقد ان لا يمدحه ابداً ، وابو العباس هذا هو القائل كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها ابو الطيب .

ومنهم ابوفراس الحمداني فقد ذكروا انه قال لسيف الدولة : ان هذا المتشدق يعني المتنبيء كثير الادلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره .

فأثر هذا الكلام في سيف الدولة وعمل فيه وكان ابو الطيب غائباً فبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وانشده هذه الابيات :

الا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا   فداه الورى امضى السيوف مضاربا
ومالي اذا ما اشتقت ابصرت دونه   تنائف لا اشتاقها وسباسبا
وقد كان يدني مجلسي من سمائه   احادث فيها بدرها والكواكبا
حنانيك مسؤولا ولبيك داعيا   وحسبي موهوبا وحسبك واهبا
اهذا جزاء الصدق ان كنت صادقا   اهذا جزاء الكذب ان كنت كاذبا
وان كان ذنبي كل ذنب فانه   محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

فاطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته فخرج المتنبي متغيراً وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقيعة في حق المتنبي وانقطع ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي اولها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم

ثم جاء وانشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مالي اكتم حباً قد برى جسدي   وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كان يجمعنا حب لغرته   فليت انا بقدر الحب نقتسم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة   وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه فلما وصل في انشاده الى قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي   فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال ابو فراس قد مسخت قول دعبل :

ولست ارجو انتصافاً منك ماذرفت   عيني دموعاً وانت الخصم والحكم

قال ابو الطيب :

اعيذها نظرات منك صادقة   ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم ابو فراس انه يعنيه فقال: ومن انت يا دعي كندة حتى تأخذ اعراض الامير فاستمر في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بانني خير من تسعى به قدم
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك ابا فراس غيظاً وقال : قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد حيث يقول :

اوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهراً واظهرت اعراباً وابداعا
حتى فتحت باعجاز خصصت به للعمي والصم ابصاراً واسماعا

ولما انتهى ابو الطيب الى قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابو فراس : وماذا ابقيت للامير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير اما سرقت هذا من الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثماني ٠

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى وجرد المذاكي والقنا والقواضب

فقال ابو الطيب :

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال ابو فراس :

وهذا سرقته من قول معقل العجلي ٠

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فالعينان زور وباطل

ومنه قول محمد بن احمد بن ابي مرة المكي :

اذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء

حتى غضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في قصيدته هذه ودعاوبه فيها فضربه بالدواة التي بين يديه فقال ابو الطيب :

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكم ألم

فقال ابو فراس : هذا أخذته من قول بشار ٠

اذا رضيتم بان نجفى وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجرا

ومثله قول ابن الرومي :

اذا ما الفجائع اكسبنني رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس واعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في الحال وادناه وقبّل رأسه واجازه بالف دينار ثم اردفها بالف اخرى ..

لم يقتصر ايلام ابي الطيب على الشعراء انفسهم وانما تعدى الشعراء الى بعض رجال اللغة ممن كان يضعّف اقوالهم في حضرة سيف الدولة .

من هؤلاء اللغويين ابو عبد الله بن خالويه النحوي فقد حكوا انه جرت مسألة في اللغة في حضرة سيف الدولة تكلم فيها ابن خالويه النحوي مع ابي الطيب اللغوي وكان المتنبي حاضراً فضعّف المتنبي قول ابن خالويه فاخرج ابن خالوية من كمه مفتاحاً حديداً ليلكم به المتنبي ، فقال له المتنبي اسكت ويحك فانك اعجمي واصلك خوزي فمالك وللعربية فضرب المتنبي بذلك المفتاح وأسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي من ذلك اذ لم ينتصر له سيف الدولة لاقولاً ولا فعلاً .

فتصوروا مقدار ايلام المتنبي لهؤلاء الرجال حتى ان احدهم لم يستطع ان يملك نفسه ، ويضبط حركته في ساعة الغضب فيعمد الى اللكم والضرب وهذا منتهى الغيظ .

وقد كان لهذه الامور كلها اثر في شعر ابي الطيب ولئن شكا الحسد وهو في خشونة من العيش ، فاخلق به ان يضجر من حسد الحساد وهو ينقلب في ظلال النعيم فما غفل الحساد عن المتنبي وهو في حضرة سيف الدولة ، ولا غفل المتنبي عن شكوى الحسد فمن قوله لسيف الدولة :

ازل حسد الحساد عني بكبتهم فانت الذي صيرتهم لي حسداً

ومن قوله له :

فابلغ حاسدي عليك اني كبا برق يحاول بي لحاقا

ومن قوله :

أعادى على ما يوجب الحب للفتى وأهدأ والافكار فيّ تجول

سوى وجع الحساد داو فانه اذا حل في قلب فليس يحول

ولا تطمعن من حاسد في مودة وان كنت تبديها له وتنيل

من هذا كله يتبين لكم ان ابا الطيب قد استمر في شكوى الحسد ، ولقد اشتد حسد

م : ٢

الناس اياه وهو في ظلال سيف الدولة واشتدت الوقيعة فيه واخذ سيف الدولة يعبث به بعد ذاك الاكرام ، من ذلك ما حكاه ابو الفرج الببغا قال :

اذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشقها بسكين الدواة ، فمد ابو عبد الله ابن خالويه طيلسانه فحثى فيه سيف الدولة صالحاً ومددت ذيل دراعتي فحثى لي جانباً والمتنبيء حاضر وسيف الدولة ينتظر منه ان يفعل مثل فعلنا فما فعل ، فغاظه ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المتنبيء انه قد فاتته زاحم الغلمان يلتقط معهم فغمزهم عليه سيف الدولة فداسوه وركبوه وصارت عمامته في رقبته فاستحى ومضت به ليلة عظيمة نخاطب ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك فقال : يتعاظم تلك العظمة و ينزل تلك المنزلة لولا حماقته .

فصعب على ابي الطيب بعد هذه الامور كلها ان يستمر في حاشية سيف الدولة ، الشعراء يحسدونه و يوقعون فيه ، و يضربونه ، وسيف الدولة يهزأ به و يعبث ، وكان المتنبيء يشكو من سيف الدولة ، وكان سيف الدولة يغتاظ من تعاظم المتنبيء و يجفو عليه اذا كلمه والمتنبيء يجيبه في اكثر الاوقات و يتغاضى في بعضها .

نعم كان يصعب على ابي الطيب ان يواظب على مجلس سيف الدولة بعد ان وقع بينه وبين الشعراء ما وقع فما وسع ابا الطيب الا مفارقة سيف الدولة وذلك في سنة ست واربعين وثلثمائة فتكون مدة ملازمته له تسع سنين .

ولما عوتب المتنبيء في ترك سيف الدولة ومدح كافور قال :

حذرناه وانذرناه فما نفع فيه الحذر ، الست القائل فيه :

ابا الجود اعط الناس ما انت مالك ولا تعطين الناس ما انا قائل

فهو الذي اعطاني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه .

دمشق : في ٢٩ آذار سنة ٩٣٠

نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »

— للدكتور محمد شرف —

لفت نظر رئيسنا الجليل محمد بك كردعلي وزير المعارف كما لفت نظري ما قرأناه في الصحف المصرية من جمل الاعجاب بمعجم الدكتور محمد شرف وما لقيه المؤلف من ضروب الحفاوة والتكريم لدى جمهور الأطباء في مصر فصحت عزيمة الرئيس حفظه الله على ابتياع ثلاث نسخ منه لخزانة المجمع العلمي وفرعيها ودفع الي نسخة منها لألقي عليها نظرة من الوجهة الزراعية . ولما كانت اوقات الفراغ أقصر لديّ من ليالي الصيف جلست للمعجم جلستين أفتش فيهما عما ذكره المؤلف في ترجمة الفاظ كانت ترد الى خاطري عرضاً فوجدت ان أنبهه الى الأوهام والنواقص الآتية لعله يتلافاها في طبعة تالية .

(١) ترجم لفظة (Layering) بما يلي : « تولد النبات بطبقات (غرس العُقَل) شتل » والصحيح في علم الزراعة العَكْس والتَرْفيد . والعكيس هو (Layer) ولم يذكره بهذا المعنى . اما الغرس بالقضبان والفَسْل فهو مايسميه المصريون (الغرس بالعُقل) وهو بالفرنسية (Bouturage) و بالانكليزية (Cuttings) .

(٢) عرّف شجر التنوب (Abies) بانه (نوع من الصنوبر) وفي هذه الجملة غلطتان لان (Abies) هو جنس لا نوع ولان هذا الجنس ليس من الصنوبر بل من الفصيلة الصنوبرية . ولو قال (جنس من الفصيلة الصنوبرية) لما أخطأ . ولم يذكر (Abies cilicica) وهو الشوح الذي يكثر في حراج شمالي الشام .

(٣) قال ان نبات (Gundelia tournefortii) هو في الشام (العَقّوب) كذا بالقاف مع ان الشاميين يسمونه العكوب بالكاف .

(٤) ذكر ان (Eryngium) هو القرصعنة (قرص عني) وكان يجب ان يذكر اسم النوع فالقرصعنة المعروفة هي (E. creticum) .

(٥) ترجم لفظة (Panicle) بطلمة وسنبلة الخ . قلت أرجح لفظة لما هي المشكول اما السنبلة فترجمة (Speke) .

(٦) عرّف حرف (Hippology) بقوله (علم أمراض الخيل — مبحث الخيل) قلت الجملة الاولى خطأ والثانية ناقصة لان هذا العلم (تحليـة الخيل) يشتمل على مباحث كثيرة ومتنوعة وسماه اجدادنا (الزرطقـة) وهي لفظـة معربة تصلح ايضـاً مقابل (Hippotechnie) بالفرنسية اي تربية الخيل .

(٧) عرّب (Achene , Achenium) بلفظ اخينيوم وأخين . قلت هـذا النوع من الثمر الجاف أطلق عليه لفظ (الثمرة الفقيرة) في كل كتب النبات والزراعة قديمًا وحديثًا (بوست ، الاتراك ، كتب الزراعة والنبات المصرية . الخ) .

(٨) وضع مقابل حرف (Acclimatation) ما يلي : « تأقلم (كذا) النبـات او الحيوان في بلد غريب ، تبلد ، تعود على الاقليم ، تعوّد الهواء » . قلت لوقال (ايلاف الاقليم) لكفى .

(٩) وجدت مقابل لفظة (Plumule) « ريشة الجنين ، اصل الساق » . قلت أصلح لفظة لما هي السَّبَد .

(١٠) خطر ببالي ان ارى الألفاظ العربية التي وضعها صاحب المعجم مقابل الحروف الأعجمية الدالة على ألوان الخيل والدواجن السائرة وشياتها ففتشت عن لفظة (Gris) بالفرنسية و (Gray) بالانكليزية فرأيت مقابلها (أرمد - أشيب — أشمط — أشهب) ولم أجد غير ذلك . قلت الـ (Gris) هو الأشهب وهو الفرس تكون شعراته على لونين ابيض واسود على ان تتفرق فلا تجمع واحداً من اللونين شعرات تخلص بلون واحد كقدر النكتة فما فوقها . وفي الشهب ألوان مثل الآتية .

أشهب الى بياض	Gris clair
〃 الى سواد	〃 foncé
〃 حديدي	〃 de fer
أبرش	〃 sale

أرمد Gris cendré

أغبر rouanné

والمعجم خالٍ من كل هذه الاسماء وأظن انه خالٍ من عشرات الألوان التي تشتق من الشقرة والدهمة والبياض والكمتة والحوة والصفرة والبلقة دع أضراب الشيات « انظر م ٥ من مجلة المجمع » ولم يتسع الوقت للبحث عنها كلها في المعجم ·

(١١) سمى الفصيلة السنفية (فرنية ، قطانية) باسم الفصيلة البقولية · والألفاظ الاولى أرجح لاسباب يطول شرحها ·

(١٢) لم يذكر التطعيم وأنواعه (Grafting , Greffage) وهو نقص مهم في معجم علمي ·

(١٣) ذكر ان الفطر الطفيلي (Oidium tuckeri) (والارجح Erisyphe tuckeri) هو الذي يولد مرض الـ (Mildew) اي مرض العفونة (الندوة الزراعية) وقد أخطأ بذلك لان الفطر المذكور يولد في الكروم مرض (المن) و يداوى برش مسحوق الكبريت على أوراقها وعساليجها ولا يجهله احد من اصحاب الكروم ولاسيما في الغوطة ·

اما مرض العفونة (Mildevv) فانه يحصل في الكروم من نبات فطر طفيلي آخر ذكره وهو (Peronospora viticola) ويسمى ايضاً (Plasmapara viticola) وهو يداوى بمحلول الكلس و كبريتات النحاس في الماء ·

وما دام صاحب المعجم العلمي قد جعل في معجمه مكاناً لهذين المرضين اللذين يعتريان الكروم فلماذا لم يوجد فيه متسعاً لبعض الامراض المهمة التي تعتري تلك الجنبة مثل :

مرض العفونة السوداء	Guignardia bidvvelii
مرض (سويد) الكروم	Manginia ampelina
مرض تعفن الجذور	Agaricus melleus Dematophora necatrix

دع عشرات غيرها مما يعتري النباتات الزراعية السائرة وقد فتشت عن بعضها في المعجم فلم أجد لها ذكراً ·

(١٤) سمي النبات (Panicum miliaceum) بالقُشَيب والدُّعاع · قال وهي

بقلة تسطح على الارض . قلت ان ما نعلمه ويعلمه ارباب الزراعة هو ان النبات المذكور يسمى الدخن . وقد ذكره احمد ندا في كتابه الزراعي فكيف سها المؤلف عن مراجعته مع انه وضع احمد ندا بين علماء الحيوان والنبات الذين أُستشهد باقوالهم .

(١٥) سمى الذرة البيضاء اي الذرة البلدية (Sorghum halepense) . وهذا النوع هو حشيش الفرس اما الذرة المذكورة فهي النوع المسمى (S. Annuum) (عن بوست) ومن الغريب انه نقل اسم الذرة البيضاء عن احمد ندا باللفظ الذي يلفظها به العوام فقال ذرة بلدي وذرة مصري (كذا) .

(١٦) ذكر ١٤ نوعاً من جنس (Artemisia) منها ما لا شأن له ولم يذكر (Artemisia dracunculus) وهو بقل الطرخون المعروف .

(١٧) لم يذكر جنس (Cerasus) وهو الجنس الذي فيه أنواع « الكرز والوشنة والمحلب والجانرك » بل اكتفى بذكر نوعي الكرز والمحلب في جنس (Prunus) مع ان معظم علماء النبات والزراعة في ايامنا هذه يجعلون لأنواع الكرز جنساً تنفرد به .

(١٨) ذكر (Salicornia fructicosa) ولم يذكر (S. herbacea) وهو أشهر من الأول (نبات الأشنان الذي يستخرج منه القلي) .

(١٩) قال ان الحمص (Cicer arietinum) هو جنس من النباتات البقولية . والصواب نوع من الفصيلة السنفية (القطانية ، القرنية) .

(٢٠) ترجم نوع القمح المسمى (Triticum durum) بما يلي : « قمح أصفر — قمح صلب الحب يزرع في جنوب اوربا — قمح فينو — قمح نبوي الخ » قلت لو اقتصر على ترجمته بالقمح الصلب لكفى . ويمكنه بعد ذلك ان يعرفه بانه كثير الانتشار في مصر والشام وسواحل بحر الروم .

وترجم (T. sativum) بالبر والحنطة ، والقمح . وهذا لا يكفي بل كان يجب ان يسميه القمح اللين (خلافاً للنوع الاول) وان يعرفه بانه نوع تنسب اليه معظم ضروب القمح التي يزرعها الاوربيون خاصة . ولم يذكر النوعين المعروفين في عالم الزراعة وهما : T. polonicum
T. turgidum

وسما عن تعريف (T. spelta) و (T. monococcum) بانها من الحنطة المكتسية اي ان العصافة تظل لاصقة بالبرة كما في حبة الشعير ·

(٢١) لم يذكر الترجمة العلمية لأنواع الشعير · بل أورد مقابل الاسم اللاتيني لكل نوع اسماء بعض أصنافه (أضرابه) فبدلاً من تسمية (Hordeum distichum) بلفظ الشعير ذي الحرفين ، أطلق عليه الأسماء الآتية : « شعير انكليزي · شعير حذوري · شعير حب حوري » · ولا يخفى ان الأصناف كثيرة العدد فيمكن ذكر بعضها على سبيل المثال ولكنه لا يقتصر عليها او على قسم منها في تعريف النوع · ولذلك يجب على المؤلف ان يسمي (H. hexastichum) بالشعير ذي الحروف الستة و(H.tetrastichum) بالشعير ذي الحروف الاربعة · وبعد ان يورد هذه الاسماء العلمية لأنواع الشعير المذكورة يكون بامكانه ان يقول ان الضرب الفلاني هو من النوع الاول او الثاني او الثالث[1] · « للبحث تلو » مصطفى الشهابي

(١) يظهر ان صاحب المعجم نقل اسماء النباتات نقلاً عن شو ينفورث وغيره دون ان يكون علماً بعدد كبير من هذه النباتات و بالأصناف الزراعية منها فلفظ « شعير حذوري ، شعير حب حوري » نقلها بالحرف عن الصفحة ١٦٦ من كتاب النبات تأليف شو ينفورث وهما من أصناف (ضروب) شعير اليمن كما نقل أصناف الشعير الواردة في الصفحة ٢٥ من ذلك الكتاب دون ان يزيد عليها شيئاً · ولو كانت المعاجم التي هي مثل معجمه تتسع لذكر الاصناف للزم ان يذكر مثلاً الشعير الهراوي والمر بوطي من اصناف مصر والعربي والرومي من اصناف الشام الخ ، وللزم ان يملأ عدة صفحات في تعداد اصناف النباتات الزراعية السائرة وهي تعد بالمئات والمعجم خلو منها ·

ونقل لفظي « البرسيم الحجازي والقضب » عن الصفحة ٣٠ من كتاب شوينفورث ولم يذكر ان النبات المبحوث عنه هو الفصفصة والرطبة لان الحرفين الاخيرين لم يردا في الكتاب المذكور · وهكذا تراه يثبت عدداً عظيماً من الالفاظ العامية للنباتات التي وردت في هذا الكتاب وفي غيره من كتب الاعاجم دون ان يحقق عن الالفاظ الصحيحة التي تقابلها · ومن المعروف ان الأجانب الذين ألفوا في النبات كثيراً ما كانوا يكتفون بذكر الالفاظ العربية المتداولة على الألسن سواء أكانت صحيحة ام عامية · ...

التدوين في الاسلام

من ادق المسائل معرفة أوائل الاشياء والمحدثات من الامور ، فقد رأينا الغربيين في عهدنا اختلفوا في اول من اخترع الكهرباء ووضع الخطوط الحديدية وعمد الى الطيران . وهذه من الاعمال الحديثة العهد فما بالك بامور اتت عليها قرون كمسألة التدوين في الاسلام . كان اول تدوين كتب القرآن في المصاحف في عهد الخليفة الاول وكلما كان يكثر عدد من يكتبون من المسلمين في الاقطار كان عدد من يدونون يزيد كثيراً وقد تبين مؤخراً ان ما نقلته في مجلة المقتطف (المجلد الثامن والعشرون سنة ١٩٠٣ — ١٣٢١ ص ٦٦٠) من ان اول من صنف عبد الملك بن جريج البصري المتوفى سنة ١٥٥ او ابو النصر سعيد بن ابي عروبة (١٥٦) او ربيع بن صبيح (١٦٠) او غيرهم من اهل القرن الثاني كان يراد به من افردوا المسائل بالتأليف والا فان التدوين وقيد الفوائد الادبية والدينية كان مما حدث في القرن الاول . ولو لم يكن هناك كتب مدونة .ا كان خالد بن يزيد الاموي حكيم الامويين يحرص على نقل بعض العلوم من السريانية واليونانية الى العربية على ما اثبت ذلك الثقات المحققون .

ولقد ثبت على ماروى صاحب الفهرست ان عبيد بن شرية الجرهمي وفد على معاوية ابن ابي سفيان في الشام فسأله عن اخبار الاقدمين وملوك العرب والعجم فاجابه الى ماامر فامر معاوية ان يدون و ينسب الى عبيد ، ولعبيد عدة كتب ذكرت في الفهرست . وبقي عبيد حياً الى ايام عبد الملك بن مروان فثبت بذلك ان التدوين حدث في اوائل القرن الاول اي في عصر الصحابة الكرام على ما في (توجيه النظر) للعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، فقد ذكر بعض الحفاظ ان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث . وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . وقد ذكر المؤرخون انه وجد في خزانة الانبار عدة كتب بخطوط بعض الصحابة والتابعين بل وجد كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم من اهل مكة كتب قبل الاسلام .

اذا عرفت هذا فقد زال الشك الذي تطرق الى بعض ما دون من اخبار الجاهلية وشعرهم لانا رأينا القوم قد عنوا بالتدوين لاول القيام بالدعوة الاسلامية بقدر ماساعدهم عدد الكاتبين . وباثبات هذه القضية ، على ما تجلت لنا بأخرة ، يزول العجب الذي كان ادرك مثل الاستاذ منشئ المقتطف رحمه الله (م ٢٨ — ص ٦٦٣) من توقف العرب عن تدوين اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة قال مع ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم ، قال واعجب منه ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعه اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبراً سمعناه في العام الماضي او نصف حادثة شاهدناها منذ عامين اه .

كان هذا الرأي غالباً على بعض الباحثين ، ولكن الايام اثبتت نقيضه بما وقع لعبيد ابن شرية الجرهمي مع معاوية بن ابي سفيان . ومن غرائب الحوادث ان ما رواه الراوون عن هذا الراوية قد ظفر الباحثون بنصه مدوناً ، وقد نشره السيد كرينكو من علماء المشرقيات في انكلترا باسم اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها وطبعه في حيدر آباد الدكن في الهند ومما جاء فيه وهو ما يؤيد رواية ابن النديم في الفهرست ان معاوية امر (ص ٣١٤) كتّابه ان يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس سمر فيه مع معاوية . وقد ذكر عبيد في حضرة الخليفة اخبار عاد وثمود وجرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم وغير ذلك وكلها مشفوعة باشعارهم ، وكان معاوية يطلب الى راويته المرة بعد المرة ان يسمعه ما قيل في كل حادثة من الاشعار ومما قاله له (ص ٣٥٢) : «وقد علمت ان الشعر ديوان العرب والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (ان من الشعر لحكماً) .» وقد كان معاوية معجباً جداً بما سمع من عبيد بن شرية ، وقال له مرة « خليق ياعبيد ان يكون هكذا فزادك الله علماً وفهماً وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فانا لا نحصي اياديك فزادك الله فضلاً الى فضل وهدى الى هدى ... »

ويقال في الجملة ان كتاب اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن وهو من

اوائل ما دوّن في الاسلام كان منه حل الاشكال الذي استعصى على كثير من الباحثين وبه ثبت ان المسلمين دونوا في زمن اسبق بكثير مما دون المصنفون ولذلك حفظت السنة واخبار الجاهلية واشعارها فقد ذكر الجلال السيوطي في « تدريب الراوي » في فصل يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لاملاء الحديث فانه اعلى مراتب الرواية — رواية ابن عدي والبيهقي في المدخل من طريقه انبأنا عبد الصمد بن عبد الله ومحمد بن بشر الدمشقيان قالا حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابو الخطاب معروف الخياط قال رأيت واثلة ابن الاسقع رضي الله تعالى عنه يملي على الناس الاحاديث وهم يكتبونها بين يديه (ويتخذ مستمليًا محصلاً متيقظاً يبلغ عنه إ كثر الجمع على عادة الحفاظ) في ذلك كما روي عن مالك وشعبة ووكيع وخلائق وقد روى ابو داود والنسائي من حديث رافع بن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعليٌّ يعبر عنه ، وفي الصحيح عن ابن حمزة قال : كنت اترجم بين ابن عباس وبين الناس فان كثر الجمع بحيث لا يكفي مستمل اتخذ مستملين فا كثر الى آخر ما قال .

وواثلة بن الاسقع بن عبد العزّى من اهل الصفّة وسمع على ما في طبقات ابن سعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله خرج الى الشام ومات سنة ثلاث (وقيل خمس) وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وقيل مئة وخمس سنين وكان ينزل بيت المقدس ومات بها ويشهد المغازي فيم بدمشق وحمص .

والمعروف ان الرسول عليه السلام نهى ان يكتب عنه اولاً غير القرآن ونهى عن كتابة الحديث لئلا يختلط بالقرآن . وفي مفتاح السنة للاستاذ الخولي وهذا لا ينافي جواز كتابته اذا أُمن اللبس وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه (ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) وقوله عام الفتح: (اكتبوا لابي شاه) واذنه لعبد الله بن عمر بتقييد العلم . وابو شاه كان من الصحابة قال: اكتبوا لي فقال النبي اكتبوا لابي شاه يريد خطبته ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث . وصح عن عبد الله بن عمر انه كان يكتب حديثه وكان ما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن ابيه عنه وهي من

اصح الاحاديث ، وكتب رسول الله كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو ابن حزم وغيره ،وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول : « لو ان عندي كتبي باهلي ومالي » .

وبعد ان اوردنا هذه الروايات التي لاسبيل الى تزييفها لورودها من طريق مأمونة مضمونة وساعدنا على تأييدها طبع كتاب اخبار اليمن لعبيد بن شرية ثبت كل الثبوت ان المسلمين باكروا التدوين اكثر مما ظن الظانون وان دعوى كون اشعار الجاهلية مصنوعة قد ردت بشهادات لا يسع المماحكين الا اعتقاد صحتها والله اعلم .

محمد كرد علي



تقسيم نوب الماء

ووضع اسماء عربية لساعاتها

جاءني كتاب من السيد زكي بقلة احد كبار المزارعين في (كفرسوسا) قال فيه : ارجو التفضل ببيان اسماء الاربع والعشرين ساعة الزمانية اليومية القضية تتعلق بتقسيم نوُب الماء الخ :

هذا ما سألنيه السيد المذكور . ولا يخفى ان دمشق من اكثر بلاد الله قنوات فقد احصى ابن عساكر في تاريخه الكبير قنواتها فبلغت ١٣٠ في داخلها و ٢٠ في ظاهرها و بلغت حماماتها ٥٧ حماماً سوى حمامات القرى . والبلاد التي تسقى أراضيها بمياه السيح يقع بين اربابها نزاع وخصام بشأن سقي اراضيهم ولا سيما ايام (التحاريق)[1] وكثيراً ما ادى النزاع حول سكور الماء . الى سفك الدماء . ومما له علاقة بذلك ان شاعراً جاهلياً بخس حقه في مائه فجعل يبكي فقالوا له مالك ؟ أجننت ؟ فأنشد .

(وقالوا قد جننت فقلت كلاّ   وربي ما جننت ولا انتشيت)
(ولكني ظلمت فكدت أبكي   من الظلم المبين أو بكيت)
(فإن الماء ماء أبي وجدي   وبئري ذو حفرت وذو طويت)

بل ان النزاع على الماء بلغ أمره الى أبعد من هذا : كما قص الوحي الالهي علينا ذلك في القرآن في خبر ناقة صالح مذ قال تعالى (هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) فمنعوها حقها في شربها وعقروها فاهلكهم الله تعالى .

والنصيب المعين من الماء يقال له في اللغة (شرب وسقي وقلد) بكسر أولها و يقال له في اصطلاح المزارعين (نوبة) و (عدّان) . وقد اصطلحوا في دمشق على تقسيم ساعات اليوم الى قسمين يسمونها مصراعين (مصراع نهاري) وهو ١٢ ساعة (ومصراع ليلي) وهو ١٢ أيضاً . ولهذه الساعات عندهم اسماء بعضها عربي فصيح وبعضها مولد: فمن الفصيح كلمات (غداة) (ظهر) (عصر) (استواء) (طلوع) (غياب) (سحر) فيقول المزارع

(١) اي قلة المياه وهي من مصطلحات المزارعين المصريين .

الكفرسومي مثلاً (حق فلان من الشرب من أذان السحر الى الاستواء) اي الى وقت الزوال . و يقول المزي (حقه من الغد الى العصر) والديراني (من الطلوع الى الغياب). ولهم تعابير اصطلاحية تختلف باختلاف المناطق الزراعية من ذلك قول المزارع الشاغوري مثلاً (حق فلان من المادنة الى الظهرية) أو (من المراسلة الى الظهرية) و يعنون بالمادنة تأذين المؤذنين سحراً في المآذن كما يعنون بالمراسلة تلك التهاليل والتسابيح التي ينشدونها بتطريب من على المآذن في الثلث الاخير من الليل . و يقول الشاغوري ايضاً (حق فلان من المادنة الى ثمانية اقدام صباحاً) أو (من الظهرية الى ثمانية اقدام مساء) أي الى أن يصير ظل الشخص ثمان اقدام صباحاً وهذا وقت الضحوة او ثمانية اقدام مساء وهذا وقت العصر .

هذا نموذج من التعابير الاصطلاحية وهي كما يرى القارئ عتيقة بالية مختلفة باختلاف المناطق الزراعية ولم تعد صالحة لهذا الزمن الذي اخذت فيه لغتنا العربية تنتعش من كبوتها كما اخذت حكومتنا تعني بالصحيح من الاساليب العربية تودعها قيودها وسجلاتها واوراق معاملاتها . وهذا ما حمل السيد زكي بقلة على استفتائنا في وضع كلمات فصيحة لساعات المصراعين الليلي والنهاري .

واصطلاح تقسيم ساعات اليوم يختلف باختلاف الامم منذ القدم حتى قالوا : إن الاصل في تقسيم النهار والليل الى أجزاء متساوية امر مجهول . وغاية ما علم من ذلك أن بعض القدماء قسم اليوم الى (٦٠) ساعة اي حصة من الزمان كالهنود و بعضهم الى (١٢) ساعة كالمصريين والصينيين فساعتهم ساعتان من ساعات زماننا . وبعضهم جعل الليل ١٢ ساعة والنهار ١٢ ساعة وهو اصطلاحنا اليوم .

وكما اختلف القدماء في تقسيم الساعات اختلفوا في ساعة الابتداء : فبعضهم جعلها الغروب وبعضهم الشروق . قالوا : ولا يخلو هذا التقسيم من خلل لاختلاف أوقات الشروق والغروب باختلاف الفصول حتى قام (أبرخوس) الفلكي اليوناني سنة (١٥٠ ق م) فضبط ساعات الليل والنهار وقسمها الى قسمين : أولها يبتدئ في منتصف الليل ، والآخر في منتصف النهار وهو الزوال . وقد جرى الاوربيون على ذلك ثم احدثوا أخيراً بدعة جديدة لفقوا فيها بين اصطلاح (أبرخوس) في جعل ساعة الابتداء نصف

الليل وبين اصطلاح آخر للقدماء وهو اعتبار مجموع ساعات الليل والنهار (٢٤) ساعة قسمةً واحدةً لا قسمتين ليلية ونهارية . فالساعة الاولى تبتدئ في منتصف الليل حتى اذا تمت الساعات الاثنتا عشرة في منتصف النهار لم يبتدأ منه بساعة مستأنفة بل بساعة متممة رقمها ١٣ ثم ١٤ الى ٢٤ وقد أخذ هذا الاصطلاح في الشيوع بيننا اليوم ولم يألفه الناس بعدُ . ومن لطيف ما يروى ان النهار في اصطلاح العرب الأقدمين يبتدئ ايضاً من نصف الليل و ينتهي في نصف النهار ثم يبتدئ الليل من نصف النهار و يدخل وقت المساء حتى ينتهي في نصف الليل .

وقد ذكر البغدادي في رسالته التي جعلها ذيلاً لفصيح ثعلب ذلك فقال : « الصباح عند العرب منذ نصف الليل الاخير الى الزوال ثم المساء الى آخر نصف الليل الأول » فالعرب في هذا (التقسيم) و (الابتداء) كأنهم تواردوا مع (أبرخوس) اليوناني على هذا الاصطلاح .

اما النهار الشرعي الذي يتعلق به الصوم والصلاة فأوله عند اهل السنة الصبح الصادق الى غروب الشمس . والليل الشرعي من غروبها الى انبلاج الصبح الصادق .

وقريب من النهار والليل الشرعيين النهار والليل في اصطلاح المزارعين اليوم . فان النهار عندهم من الشروق الى الغروب ثم الليل من الغروب الى الشروق وساعاتهما ٢٤ ساعة . وهذا (التقسيم) و (الابتداء) هما اللذان نعتمد عليهما في وضع ألفاظ عربية لساعات نوب الماء . والا فان تخطي هذا الاصطلاح المألوف الى اصطلاح آخر ربما شوّش على المزارعين أمرهم وحال بينهم وبين الانتفاع بالأوضاع الجديدة التي نريد ان نعرضها عليهم .

والألفاظ التي يطلقها العرب على ساعات الليل والنهار كثيرة جداً وقد تتبعتها في كتاب (المخصص) فبلغت زهاء ١٧٠ اسماً نصفها لليل ونصفها للنهار ومعظمها من قبيل المترادف كالعتمة والفحمة . والصبح والفجر . والهاجرة والظهيرة . والشروق والذرور . والغروب والغياب . واذا كان هناك فرق بين كل كلمتين فهو اعتباري له علاقته بالاشتقاق اللغوي غالباً . .

وعلى هذا يمكننا إرجاع هذه الكلمات الكثيرة الى اربع وعشرين كلمة فقط نكتفي بها في تسمية ساعات الليل والنهار وتمييز احداها عن الاخرى .

وكلمة (ساعة) في اللغة العربية لا يراد بها ساعتنا الزمانية المركبة من ستين دقيقة · والدقيقة من ستين ثانية · والثانية هي اللحظة من الزمان تسع قولك (واحد) — كلا لا يعرف العرب هذا الاصطلاح الفلكي الطارئ · وانما يريدون بالساعة الحصة من الزمن قلّت او كثرت · قال في (المصباح) « الساعة الوقت من ليل او نهار والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وان قلّ · وعليه قوله تعالى : لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » اه ·

واذا سمعت بعض ارباب المعاجم المتأخرين يقولون إن الساعة جزء من أجزاء الليل والنهار وهي اربع وعشرون ساعة فاعلم ان مرادهم الإشارة الى الاصطلاح الفلكي الخالف لا اللغوي السالف ·

وتسمية ساعات الليل والنهار عند العرب مبنية على الكيفية لا الكمية اي على أحوال الشروق والغروب والحر والبرد والظلام والنور وأحياناً التوسط كالبهرة مثلاً فانها اسم للساعة الوسطى من الليل · وما كان العرب يبنون تسميتهم على الكمية فيحددوا الساعة بستين دقيقة والدقيقة بستين ثانية، بل كانوا اذا احتاجوا الى التحديد استعاروا كلمة (الفواق) مثلاً وهو مقدار مابين الحلبتين من الزمن فيقولون (عيادة المريض قدر فواق ناقة) · وفي الاسلام كانوا يقولون (أقام عندنا مقدار صلاة ركعتين مثلاً) اذ أن تحديد الزمان يعتمد على قواعد علم الفلك وآلاته · ولم يكن العرب القدماء يمارسون هذا الفن ولا يستعملون بنكاماته[1] · والساعات المائية والرملية انما استعملت في حضارة الاسلام · ومنها الساعة المائية التي أهداها هرون الرشيد الى شارلمان فرنسا · وكان مثلها في جامع بني أمية في دمشق وقد وصفها ابن جبير في رحلته ·

هذا هو الشأن في أجزاء الزمان ومفهوم ساعاته عند العرب · ثم جاء القرن الرابع للهجرة : وهو الزمن الذي كان فيه للعرب القدح المعلى في الطب والهندسة والفلك فاصطنعوا الأزياج ورسموا الأفلاك وشيدوا المراصد — في ذلك العهد كان يعيش عالمان نبيلان وهما حمزة بن حسن الاصفهاني في فارس وابو جعفر النحاس المصري

(١) جمع بنكام وهي كما في شفاء الغليل الساعة النجومية من الرمل وقد حرفته العامة قديماً فقالوا منكاب · واصل اللفظ يوناني ·

(المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) في مصر فتواردت خاطراهما على اصطلاح جديد في تقسيم الليل والنهار الى أجزاء أو ساعات متساوية وهي (٢٤) ساعة : لليل ١٢ وللنهار ١٢ . ثم خصّا كل ساعة منها باسم عربي من الأسماء او الأوصاف الكثيرة التي سردها صاحب (المخصص) . وربما كانا في هذا الوضع متأثرين باصطلاح الفلكيين القدماء ولا سيما (ابرخوس) اليوناني كما مر .

وقد رتّب كل من (حمزة الاصفهاني) و (النحاس المصري) قائمة بأسماء الساعات كما بدا له نذكرهما فيما يلي :

« قائمة حمزة الاصفهاني »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشروق	الساعة الاولى	الشَّفَق
〃 الثانية	البكور	〃 الثانية	الغَسَق
〃 الثالثة	الغدوة	〃 الثالثة	العَتَمة
〃 الرابعة	الضحى	〃 الرابعة	السُّدْفة
〃 الخامسة	الهاجرة	〃 الخامسة	الفَحْمة
〃 السادسة	الظهيرة	〃 السادسة	الزُّلَّة
〃 السابعة	الرواح	〃 السابعة	الزُّلْفَة
〃 الثامنة	العصر	〃 الثامنة	البُهرة
〃 التاسعة	القَصْر	〃 التاسعة	السَّحَر
〃 العاشرة	الأصيل	〃 العاشرة	الفجر
〃 الحادية عشرة	العشيّ	〃 الحادية عشرة	الصبح
〃 الثانية عشرة	الغروب	〃 الثانية عشرة	الصباح

ورأيُ الاصفهاني في هذا الوضع محض اصطلاح له والا فأيُّ فرق بين الصبح والصباح وهما واحد عند اهل اللسان . ومما يدل على كونه اصطلاحاً ايضاً ان الثعالبي بعد ان سرد قائمة حمزة هذه في كتابه (فقه اللغة) تبرأ من تبعتها قائلاً (إن عليه اي على الاصفهاني عهدتها) . ودليل آخر ايضاً وهو ان الهمذاني صاحب كتاب الألفاظ

الكتابية عقد فصلاً لساعات الليل والنهار فجعل ساعات النهار ست عشرة ساعة وساعات الليل سبعاً ·

ودليل رابع ايضاً : ذلك ان علماء اللغة اذا ذكروا أسماء ساعات الليل والنهار في معاجمهم كالقصر مثلاً فلا يقولون هي الساعة التاسعة من ساعات النهار وانما يكتفون بقولهم (زرت فلاناً قصراً) اي عشياً ، واذا قالوا (البُهرة) لم يقولوا هي الساعة الثامنة من ساعات الليل وانما يقولون ان البُهرة وسط الليل كما ان بُهرة الحلقة وسطها و بهرة الوادي وسطه ·

بقيت كلمة (الزُآة) من اسماء ساعات الاصفهاني فاني لم أجد لها في كتب اللغة معنىً زمانياً كأخواتها وأرجح ان يكون صوابها (الزَّآة) بفتح الزاي لا ضمها ومعناها العُرس والعُرس إهداء العروس الى زوجها وهذا يكون في الليل بل في وسطه عادة · ومنه التعريس وهو نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة ، والاصفهاني جعل الزآة اسماً للساعة السادسة من ساعات الليل ·

اما قائمة ابي جعفر النحاس المصري فقد اثبتها في كتابه (وصف صناعة الكتّاب) وهي هذه :

« قائمة النحاس المصري »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الذرور (أو) البكور	الساعة الاولى	الشاهد
« الثانية	البزوغ (أو) الشروق	« الثانية	الغسق
« الثالثة	الضحى (او) الاشراق	« الثالثة	العتمة
« الرابعة	الغزالة (او) الرأد	« الربعة	الفحمة
« الخامسة	الهاجرة (أو) الضحى	« الخامسة	الموهن
« السادسة	الزوال (او) المُتوع	« السادسة	القطع
« السابعة	الدلوك (او) الهاجرة	« السابعة	الجوشن
« الثامنة	العصر (او) الاصيل	« الثامنة	العنكة
« التاسعة	الاصيل (او) العصر	« التاسعة	التباشير

م : ٣

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة العاشرة	الصبوب (او) الطفل	الساعة العاشرة	الفجر الاول
« الحاديةعشرة	الحدور (او) العشيّ	« الحادية عشرة	الفجر الثاني
« الثانية عشرة	الغروب	« الثانية عشرة	المعترض

وفي هذه القائمة كلمات تحتاج الى تحليل وتفسير كالمتوع والصّبوب والشاهد والجوشن والعنكة والمعترض واذا فسرناها خرجنا عن الصدد . وقد زادنا النحاس حيرة مذ خيرنا في ساعات النهار بين ان نقول كذا أوكذا وهذا دليل خامس على ان وضع هذه الاسماء إزاء الساعات اصطلاح محض لا يعرفه العرب على هذا الترتيب والتخصيص .

وقد اعتمدنا في نقل هاتين القائمتين على كتابي (نهاية الارب) للنويري و (فقه اللغة) للثعالبي ثم ذكرها كل من العاملي في كتابه (الكشكول) والسيوطي في كتابه (الكنز المدفون) .

ومرت مئات من السنين ولم يكن لهاتين القائمتين فائدة عملية حتى اخذ المزارعون في دمشق اليوم يفكرون في تنظيم (عدادين) الماء وضبط ساعاتها والتساؤل عما اذا كان من الممكن وضع اسماء لها واذ ذاك احتجنا الى الاستفادة من قائمتي الاصفهاني والنحاس جزاهما الله عنا خيراً .

غير ان في القائمتين ألفاظاً غريبة غير مأنوسة ولا مألوفة للزارعين وهذا ما يحملنا على وضع قائمة ثالثة مستخرجة من القائمتين المذكورتين ننتقي منهما أسهل الكلمات واقربها تناولاً من أفهام القرويين وهم الذين عليهم جل الاعتماد في استعمال الكلمات وإذاعتها وهذه هي قائمتنا :

❋ القائمة التي ينبغي التعويل عليها اليوم ❋

« في تسمية ساعات الليل والنهار »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشروق	الساعة الاولى	الشَفَق
« الثانية	البكور	« الثانية	الغَسَق
« الثالثة	الغدوة	« الثالثة	العَتَمة

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الرابعة	الضحى	الساعة الرابعة	الفحمة
« الخامسة	الهاجرة	« الخامسة	المَوْهِن
« السادسة	الزوال	« السادسة	القِطع
« السابعة	الرواح	« السابعة	الزُلفة
« الثامنة	العصر	« الثامنة	البُهرة
« التاسعة	الأصيل	« التاسعة	السَحَر
« العاشرة	الطَفَل	« العاشرة	الفجر الاول
« الحادية عشرة	العشيّ	« الحادية عشرة	الفجر الثاني
« الثانية عشرة	الغروب	« الثانية عشرة	الصباح

ولم نجد بدّاً من اختيار القِطع للساعة السادسة الليلية هروباً من كلمة (الزلّة) التي اختارها الاصفهاني لانها مشكوك فيها كما أشرنا . على ان كلمة (القِطع) قرآنية قال تعالى (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ونقل المفسّر الطبري عن ابن عباس انه فسّر (القطع) بجوف الليل .

هذا مارأيناه في وضع أسماء الساعات للمصراعين الليلي والنهاري نعرضه على اخواننا أعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ولاسيما المزارعين منهم .

واذا حازت هذه القائمة القبول لديهم وارتضوها لعروبة الفاظها ولما فيها من توحيد اصطلاحات المناطق الزراعية كان عليهم امر نشرها وتعميمها وذلك يكون باستعمالها وتعويد ألسنتهم إياها قولاً وكتابةً فلا تمضي سنة او سنتان حتى تشيع وتؤلف وتصبح مفهومة من دون تفكير : فاذا قالوا مثلاً (حق فلان في الشرب من الطَفَل الى القِطع) او (من الأصيل الى الموهن) فهموها كما يفهمون اليوم قولهم (من المادنة الى الظهر) او (من المراسلة الى ثمانية أقدام صباحاً) وتوطين النفس على الشيء كفيل بتسهيل عقباته . وتذليل صعوباته إن شاء الله .

«المغربي»

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

٦

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن احمد بن محمد الكاتب المعروف بابن ابي عمر كاتب المحسن بن الفرات وكان ممن تقلد بعد آل الفرات عدة اعمال كبيرة جليلة ودواوين عظيمة حتى تقلد الأزمة صارفاً للخصيبي في ايام ابن رائق وقتل بديار مضر قتله عمار القرمطي . وقد كان ابو الحسن متقلداً لديار مضر من قبل ابن رائق فاغار عليها عمار ليتملكها عاصياً فطالبه بالمال لاصحابه فقال ما معي شيء ولو قتلتني وصلبتني . فقال علي أن أفعل بك ذلك فقتله وصلبه في يوم عيد الفطر من سنة ٢٩ فلم يزل ابن رائق يحتال على عمار حتى حضر مجلسه وتركه اياماً مع جيشه ثم قبض عليه وبحضرته وجوه الاتراك المستأمنة الى ابن رائق بالشام من اصحاب بجكم فامرهم بدقه بالاعمدة فلما كاد ان يموت قال اذيقوه حد السيف فاخذ رأسه وصلبه في المكان الذي صلب فيه عامله ابن ابي الحسين (١) قال ابو الحسين فحدثني ابو الحسن ابن ابي عمر هذا قال حدثنا ابو عبد الله حمد بن محمد القنائي ابن اخت الحسن بن مخلد . قال حدثنا ابو محمد خالي . قال سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن العباس الصولي يقول حدثت عن المأمون عن الرشيد انه سمع المهدي يقول بعد زوال امر ابي عبيد الله عن الوزارة واقتصاره على

«١» يريد ابن ابي عمر .

ديوان الرسائل وعلى الجلوس في منزله وتفويض الامر الى يعقوب بن داود ما رأيت احزم ولا افهم ولا اكف ولا اعف من ابي عبيد الله ولقد كنت احبه من (١) اجرائي اياه مجرى الوالد منذ خدمني اجتهد به ان يدعوني الى داره فيمتنع ويزعم انه لا تتسع همته ولا نعمته لذلك الى ان اعتل علة عظيمة فتمادت الايام به ولم اعده الى ان كتب الي باستقلاله (٢) وانه قد عمل على الركوب الي بعد يوم او يومين فسابقته وركبت اليه في جف (٣) من غلماني وخاصتي فلما دخلت اليه قلت له قد كنت اجتهد بك ان تدعوني فتأبى والآن قد جئتك جامعاً للعيادة والتهنئة بالعافية والدعوة . فقال والله يا امير المؤمنين مالي طعام ولا غلمان ولا زي يصلح لدعوتك . فقلت قد فرغت لك من ذلك وتقدمت الى غلماني بحمل الآلات والطعام والاشربة وجميع ما يحتاج اليه وانما اردت تشريفك والانس بك. قال وجاء الغلمان بالآلات وفرش لي وجلست وهو معي فاكلنا وحمل يتحفني من منزله بالفاخر من الفرش والآنية والآلات هدية لي كما يفعل الناس فاخذت كلما يحمله من احسن شيء واجمله وارشقه فازداد ابتهاجاً به . ثم دعوت بالشراب فلما شربت ثلاثة فقط عملت على الانصراف . فلما احس بذلك قال لي اريد ان ابكي وانا اتطير ان ابكي بعد انصراف امير المؤمنين وانا استأذنه في البكاء بحضرته قال وتحدرت دموعه عقيب (٤) الكلام فبكى بكاء شديداً فقلت

(١) لعله مع . (٢) م : ع اي شفائه لعله من القلة اي النهضة من العلة ويحتمل ان يكون محرفاً عن استبلاله . (٣) م : ع . الجف . والجفة ويضمان الجماعة او العدد الكثير . (٤) م : ع تقدم الكلام عليها .

له يا هذا انا اعلم ان فيك شحاً تسميه حسن التدبير وما يحسن منك فان كان ندماً على ما اهديته فهو مردود بلا شك قال فحلف بايمان عظيمة وزعج (١) ازعاجاً شديداً انه مابكي لذلك وقال كيف ابكي على ما سبيلي اسر به حيث جعلتني اهلا لقبوله قال فقلت فلم تبكي ؟ قال لم تبق مرتبة تنال الا وقدنلتها وبلغتها بفضل امير المومنين وتطوله حتى انتهت بي الحال الى ان وصلت من مال امير المومنين بامره وعن امره في ليلة واحدة وهي ليلة ورد الخبر بوفاة امير المومنين المنصور صلوات الله عليه وأخذت بيعة ثانية لأمير المومنين على الناس — بعشرة آلاف الف درهم وفي هذه العلة تصدقت بجميع ما في خزانتي من المال وكان اربعة آلاف الف بعد ان استأذنت امير المومنين فاذن لي ولم يكن بقي الا ان يعودني امير المومنين من علة او يهنئني بحال متجددة او يصير الى دعوتي . فلما كان اليوم جمع امير المؤمنين لي ذلك فعلمت اني قد بلغت النهاية وانه ليس بعدها الا الانحطاط فبكيت لذلك . قال فرققت له وعلمت فضله وقلت له اما في ايامي فانت آمن من ذلك وان اصابك شيء بعدي فالحياة على كل حال خير من الموت ولك فيّ اسوة واعتقدت ان لا انكبه فلما رأى الربيع عظم منزلته حسده فجد في السعاية اليّ به والفساد بيننا والحيلة عليه عندي الى ان جرى في امر ابيه واقراره بالزندقة ما لم يسع معه ان لا يقتل فقتلته وخفت ان يكون قد استوحش لذلك فلم آمنه على نفسي فاحتجت الى صرفه فصرفته

(١) م : ع كذا في الاصل ولعله وانزعج انزعاجاً .

وحرست نفسه و بقيت نعمته واستحال الامر عما عقدته له وكان الامر على ما ظنه من النقصان بعد التناهي .

حدثني (١) (ابو الحسين) قال سمعت علي بن عيسى يحدث دفعات عن ابيه انه سمع اباه يحدث عن جده عن مشايخ اهل العلم باخبار الفرس وايامهم قالوا معنى قولهم النهروان بالفارسية ثواب العمل قالوا وانما سمي نهر النهروان بذلك لان بعض ملوك الاكاسرة كان قد غلب عليه بعض حاشيته حتى دبر اكثر امره وترقت منزلته عنده وكان قبل ذلك من قبل صاحب المائدة مرسوماً باصلاح الالبان والكواميخ (٢) ثم علت حاله فكان صاحب المائدة يتحسر كيف علت حال هذا وقد كان تابعاً له وغلب على الملك وكان مع ذلك الرجل يهودي ساحر محذق (٣) فقال له مالي اراك مهموماً فحدثني بامرك لعل فرجك على يدي . قال فحدثه فقال له اليهودي ان رددتك الى منزلتك مالي عندك قال اشاطرك حالي ونعمتي وجميع مالي فتعاهدا على ذلك فقال اظهر وحشة تجري بيننا وانك قد صرفتني ظاهراً ففعل ذلك به فصار الى الرجل الغالب على الملك فحدثه وتقرب اليه بما جرى عليه من الرجل الاول ولم يزل يحدثه مدة طويلة حتى انس

«١» معجم البلدان لياقوت ٤ : ٨٤٧ . «٢» م : ع الكامخ بفتح الميم اشهر من كسرها ما يوءتدم به ومنهم من خصه بالمخللات المستعملة لتشهي الطعام جمعه كوامخ بغير ياء كما في المغرب والمصباح وقد ذكرت كذلك كما في مادة سكرج في اللسان والنهاية والتاج . «٣» م ؛ ع كذا في الاصل والظاهر انه ممخرق اي مموه مشعوذ وفي ياقوت حاذق .

به ذلك الرجل فلقيه في بعض الايام ومع غلامه غضارة (١) ذهب فيها شيراز في نهاية الطيبة يريد ان يقدمه الى الملك فقال ارني هذا الشيراز فقال الرجل لغلامه اره اياه فاراه فخاتل الرجل والغلام واخذ باعيانهما (٢) بسحره وطرح في الشيراز قرطاساً كان معه فيه سم ساعة وغطا (٣) الغلام الغضارة الكبيرة ومضى ليقدمها اذا قدمت المائدة فبادر اليهودي الى صاحب المائدة الاول وقال له قد فرغت من القصة وعرفه ما عمله ووصف له الغضارة وقال له امض الساعة الى الملك فقل هذا اراد ان يسمك في هذه الغضارة فلا تأكلها وجربها فانه سيجربها على كلب او غيره فيموت في الحال فتقتل عدوك ويشكر لك فيردك الى مرتبتك . قال فبادر الرجل فوجد المائدة تريد ان تقدم الى الملك فحين قدمت تقدم اليه وقال ايها الملك ان هذا يريد ان يسمك في هذه الغضارة وهي مسمومة بسم ساعة فلا تأكلها فراع الملك وامر بتجريب الشيراز على حيوان . فقال الرجل قد كذب هذا وليس يحتاج الى حيوان انا آكل من هذه الغضارة ليعلم الملك كذبه قال والرجل لا يعلم ما في الغضارة . فبادر فاكل منها لقمة فتلف في الحال . فقال صاحب المائدة الاول انما اكل ايها الملك من ذلك ليتلف لما علم انك تجرب ذلك فتجده قاتلا فخاف ان تعذبه فاستروح الى هذا فلم يشك

«١» م : ع الغضارة القصعة الكبيرة كما في المغرب والشيراز اللبن الرائب اذا استخرج ماؤه

«٢» م : ع كذا هنا وفي ياقوت باعينهما .

«٣» م : ع غطا الشيء يغطوه كغطاه يغطيه .

الملك في صحة الامر ورد الى صاحب المائدة الاول ما كان اليه واكرمه وعظمه ومضت السنون على ذلك . قال وعرض للملك علة كان يسهر من اجلها في اكثر الليالي فكان يخرج وحاشيته غافلون فيطوف في صحون داره وحجرها وبساتينها ويقف على ابواب حجر نسائه وغلمانه فيتسمع عليهم ويعلم ما يتحدثون به فانتهى في ليلة في طوفه (١) لاجل السهر الى حجرة فيها ذلك اليهودي وقد خلطه صاحب المطبخ بنفسه وغلمانه وهو جالس يحدث بعض اصحاب المطبخ ويتشكا (٢) اليه ويقول انه يقصر في حقي ويعدد تقصيره في حقه . ثم قال انا اصل نعمته وما هو فيه . فقال له الذي كان يحدثه وكيف صرت اصل نعمته قال وتكتم ذلك ؟ قال نعم فحدثه بحديث الشيراز والسم فلما سمع الملك ذلك قامت قيامته واحضر الموبذ من غد وحدثه بالحديث وشاوره فيما يعمله مما يزيل عنه إثم ذلك الفعل في معاده فامر بقتل اليهودي (٣) والاحسان الى عقب (٤) ان كان للذي قتل نفسه وقال ولا يزيل عنك اثم هذا الا ان تطوف (٥) عملك حتى تنتهي الى بقعة خراب فتستحدث لها عمارة ونهراً وشرباً فيعيش الناس بذلك في باقي الدهر بدلا من موت ذلك الرجل فتمحص عنك الاثم ففعل الملك ذلك وطاف اعماله حتى بلغ موضع النهروان وهي خراب فاجمع رأيه على حفر النهر

«١» م : ع . اي طوافه . «٢» م : ع . كذا في الاصل والصواب يتشكى وهي كذلك في ياقوت . «٣» زاد ياقوت: وصاحب المائدة «٤» م : ع . في ياقوت الى عقب الذي كان قتل نفسه . «٥» م : ع . في ياقوت تطوف في عملك .

فيه فحفر وسماه ثواب العمل لاجل هذه القصة .

حدثني (١) ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن الايادي الكاتب صديق الكرخيني (٢) قال دفع الي ابو احمد عبد الوهاب بن الحسن بن عبيد الله ابن سليمان رقعة ابي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب الى جده عبيد الله وقال لي كان الى ابي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل وديوان المعاون في جملة الدواوين التي كانت اليه في ايام ابيه فامر الوزير عبيد الله ابي ان يستخلف ابا الحسين بن ثوابة على ديوان الرسائل والمعاون وصار كالمتقلد له من قبل الوزير لكثرة استخدامه له فيه وكانت هذه الرقعة سبب ذلك ثم مات ابي فاقره جدي على الديوان رياسة وبقي عليهم يتوارثونه مرة رياسة ومرة خلافة فما سمع برقعة اولى (٣) منها وهي في غاية الحسن ونسختها قد فتحت للمظلوم بابك ورفعت عنه حجابك فانا احاكم الايام الى عدلك واشكو صرفها الى عطفك واستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك فانها تؤخرني اذا قدمت وتحرمني اذا قسمت فان اعطت اعطت يسيراً وان ارتجعت ارتجعت كثيراً ولم اشكها الى احد قبلك ولا اعددت للانصاف منها الا فضلك (٤) ودفع زمام المسألة وحق الظلامة حق التأمل وقدم صدق الموالاة والمحبة والذي يملأ يدي من

«١» معجم الادباء لياقوت ٢ : ٤١٧ «٢» م : ع ، كرخيني قلمة على تل بين دقوق واربل . ذكر في التاج انها بالف مقصورة . وفي نسخة بالف ممدودة وفي معجم البلدان بياء ممالة . «٣» لعله سقط . بان تحفظ . «٤» لعله فضلك .

النصفة ويسبغ العدل علي حتى تكون محسناً الي وا كون بك للانام (١) معديا ان تخلطني بخواص خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ الى الشغل ومن الخمول الى النباهة والذكر فان رأيت ان تعديني فقد استعديت وتجيرني فقد عذت بك وتوسع علي كنفك فقد اويت اليه وتشماني (٢) باحسانك فقد عولت عليه وتستعمل يدي ولساني فيما يصلح ان لخدمتك فيه فقد درست كتب اسلافك وهم الائمة في البيان واستضأت بآرائهم واقتفيت آثارهم اقتفاءً حصاني بين وحشي الكلام فانيسه (٣) ووقفني منه على جادة متوسطة يرجع اليها الغالي ويسمو نحوها المقصر فعلت ان شاء الله .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الحسن علي بن احمد بن يحيي بن ابي البغل وهو اذ ذاك عدل في جوارنا ببغداد ويعاشرني قال حدثني ابو قوصرة المستخرج قال ابو الحسين وقد رأيت انا ابا قوصرة وانا حدث وهو شيخ مسن من بقية القواد المتقدمين وقد لزم منزله وكان الرسم قديماً ان يقلد بعض القواد الذين يفهمون المناظرة الاستخراج قال ابن ابي البغل قال لي ابو قوصرة تقدم الي سليمان بن وهب في وزارته للمعتمد لما قبض على الحسن بن مخلد ان ادخل اليه الى الحبس فاطالبه بما صودر عليه فكنت اخشن عليه ظاهراً والين له باطناً واتخبر (٤) له على سليمان واشير

«١» م : ع . في معجم الادباء للايام . «٢» بالاصل وتسمني والصواب عند ياقوت . «٣» م : ع . في معجم الادباء وانيسه ، ولعله وانسيه . «٤» م : ع . قال في اللسان يقال تخبر الخبر واستخبر اذا سأل عن الاخبار ليعرفها وفي حديث الحديبية انه بعث عيناً من خزاعة يتخبر له خبر قريش .

عليه فوقفت على ان عبيد الله بن سليمان قد عمل على ان يجمع هو وابوه وصاعد بن مخلد وابو صالح بن المدبر وجماعة من الكتاب في مجلس ويخرجوا الحسن فيباهتوه (١) بكل محال لا اصل له ويكابروه على المحالات حتى يضطرونه (٢) بذلك الى الاداء ويرهبوه باخذ خطه بزيادة على ما عليه لانه كان قد بلح وقال لي لم يبق لي ما اؤديه قال فجئته الى الحبس فحدثته بانهم في غد سيخرجونه لذلك قال ففكر ساعة فظننته يفكر فيما يدبر به امره ثم انشدني لنفسه :

من صادر الناس صادروه وكابر الناس كابروه
وباهتوه الحقوق بهتاً وبالاباطيل ناظروه
بمثل ما راح من قبيح او حسن منه باكروه

حدثني ابو الحسين قال كان ابو الفضل عبيد الله بن عبد الله بن الحارث الكاتب من وجوه العمال ثم خلف ابا القاسم سليمان بن الحسن في وزارته الاولى على كبره (على) كثير من امر الوزارة فتكبر على الناس ولم يوفهم الحق فبحثوا عن معايبه واطلقوا الالسن بمثالبه وكان قد اشتهر ان امه تزوجت ازواجاً بعد ابيه وقبله وقيل ان عدد تم بضعة عشر رجلا ومنهم رجل يعرف بسوشيخ يبيع الارز باللبن فقال فيه العصفري الشاعر يهجوه وانشدنيها لنفسه :

«١» م : ع . يقال باهته اذا استقبله بامر يقذفه به وهو منه بريء لا يعلمه فيبهت منه . «٢» م : ع كذا في الاصل والاظهر يضطروه .

قالوا ابو الفضل شمخ ... وازداد كبراً وبدخ(١)
فقلت مه قولوا له ... ياهرل(٢) سوشيخ الوسخ
ما كنت لا كنت بذي ... سوشيخ يقرط لأمخ

وانما اراد ان يطيب (٣) بذاء الشعر مع ذكر امه لان اصله كان من قرية من اعمال واسط بالاسافل يقال لها قلمايا وقد كان ابو الحسين بن عياش القاضي انشدني هذه الابيات قديماً او حكى مثل هذه القصة فأنشد الابيات حتى اذكرنيها ابو الحسين ابن هشام وفي رواية ابن عياش :

ويلك ما كنت بذي

قال ومعنى يقرط لأمخ ينيل أمك .

حدثني ابو الحسين بن هشام قال حدثني ابو الحسن زكريا بن يحي بن محمد بن ساذان الجوهري قال حدثنا ابو العباس المبرد قال حدثت عن الخليل بن احمد اجتزت في بعض اسفاري وانا متوجه براهب في صومعة فدققت عليه والمساء قد ازف جداً وقد خفت من الصحراء وسألته ان يدخلني قال فقال من انت فقلت انا الخليل بن احمد فقال انت الذي يزعم الناس انك وجهاً (٤) واحداً في العلم بامر العرب فقلت كذا يقولون ولست كذلك قال ان اجبتني عن ثلاث مسائل جوابا مقنعاً فتحت لك واحسنت ضيافتك

«١» م : ع ، بدخ كبذخ تكبر وتعظم ، «٢» قال في محيط المحيط الهرل ولد المرأة من زوجها الاول وهو قاروط له عند العامة . «٣» بالاصل سطب «٤» م : ع كذا في الاصل والصواب وجه واحد ووجه القوم سيدهم ووجيههم .

والا لم افتح لك فقلت وما هي قال السنا نستدل على الغائب بالشاهد قلت بلى قال فانت تقول ان الله تعالى ليس بجسم وعرض ولم تر له مثلا فباي شيء اثبته وانت تزعم ان الناس في الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون وانت لم تر آكلا شارباً الا متغوطاً وانت تقول ان نعيم اهل الجنة لا ينقضي وانت لم تر شيئاً الا منقضياً. قال فقلت له بالشاهد الحاضر: استدللت على ذلك كله اما الله تعالى فانما استدللت عليه بافعاله الدالة عليه لا مثل له وفي الشاهد مثل ذلك. الروح التي فيك وفي كل حيوان نعلم انها يحس بها تحت كل شعرة منا ونحن لا ندري اين هي ولا كيف هي ولا ما صفتها ولا جوهرها ثم نرى الانسان من الناس يموت اذا خرجت ولا يحس بشيء وانما استدللت عليها بافعالها وبحركاتها وتصرفنا بكونها فينا. واما قولك ان اهل الجنة لا يتغوطون مع الاكل فالشاهد (١) لا يمنع ذلك الا تعلم ان الجنين يغتذي (٢) في بطن امه ولا يتغوط. واما قولك ان نعيم اهل الجنة لا ينقضي مع ان اوله موجود فانا نجد انفسنا نبتدي الحساب بالواحد ثم لو اردنا ان لا ينقضي الى مالا نهاية له لم نكرره واعداده وتضعيفه الى انقضاء ما. قال ففتح لي الباب واحسن ضيافتي.

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله احمد بن سعد مولى بني هاشم وكان يكتب ليوسف القاضي قديماً قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق

«١» بالاصل بالشاهد. «٢» م: ع كذا في الاصل والعبارة محرفة. والمعنى ظاهر من سياق الكلام.

القاضي عن اشياخه قال كان عافية القاضي يتقلد للمهدي القضاء باحد جانبي مدينة السلام مكان ابن علاثة وكان عافية عالماً زاهداً فصار الى المهدي في وقت الظهر في يوم من الايام وهو خال فاستأذن عليه فادخله واذا معه قمطرة فاستعفاه من القضاء واستأذنه في تسليم القمطر الى من يأمره بذلك فظن ان بعض الاولياء قد غض منه او اضعف يده في الحكم فقال له في ذلك فقال ما جرى من (١) هذا شيء فقال ما سبب استعفائك فقال كان تقدم الي خصمان من شيراز واصبهان في قصة معضلة مشكلة وكل يدعي بينة وشهوداً ويدلي بحجج تحتاج الى تأمل وتثبت فرددت الخصوم رجاء ان يصطلحا او يعين لي وجه فصل ما بينهما قال فوقف احدهما من خبري على اني احب الرطب السكر (٢) فعمد في وقتنا جمع (٣) وهو اول اوقات الرطب، الى ان جمع رطباً سكراً لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله الا لامير المؤمنين وما رأيت احسن منه ورشا (٤) بوابي جملة دراهم على ان يدخل الطبق الي ولا يبالي ان يرد - فلما ادخل الي انكرت ذلك وطردت بوابي وامرت برد الطبق فرد فلما كان اليوم تقدم الي مع خصمه فما تساويا في قلبي ولا في عيني وهذا يا امير المومنين ولم اقبل فكيف ولو قبلت ذلك ولا آمن ان يقع علي حيلة (٥) في ديني فاهلك وقد فسد الناس فاقلني اقالك الله واعفني. فاعفاه .

«١» بالاصل في . «٢» م: ع السكر رطب طيب شديد الحلاوة . «٣» م : ع كذا في الاصل والظاهر حذف كلة جمع . «٤» م: ع كذا في الاصل ورشا لا تتعدى الى مفعولين بنفسها وكأنه ضمنها معنى اعطى . «٥» لعله خلل .

حدثني ابو الحسين قال سمعت حامد بن العباس في وزارته يتحدث قال كان صاعد بن مخلد وصفني للناصر لدين الله وعظم عنده من امري حتى اختصصت بخدمته فاستدعاني يوماً على خلوة وقال قد علمت ما لحقنا من هذا العدو يعني صاحب الزنج حتى عدنا الى هاهنا وكان ذلك بعد انهزامه من بين يدي صاحب الزنج وعوده من مقامه بواسط ليستريح ويتأهب للرجوع ويستمد لقتاله وقال لي الناصر وامري كما ترى مختل وجميع ما في خزانتي ثلاثون الف دينار عيناً وهذا لا يقع مني (١) واريد ان تصرف همتك الى ما يتم (٢) معه ويضعف قدره قال فقلت له هاهنا وجه فيه مرفق عظيم فقال ما هو فقلت هذه اسناية الخيزران ومنها يشرب المبارك باسره وبعض الصلح وكان اقطاعاً لام الرشيد الخيزران فحفرت لها هذه الاسناية (٣) وكانت تغلها غلة عظيمة وقد تعطلت الآن وخرب الصلح والمبارك كله فان صرفت هذه الثلاثين الالف الدينار في حفر الاسناية واطلاق البذر والبقر لاهل هاتين الناحيتين توليت لك تفرقة ذلك ومشاهدة الحفر بنفسي حتى لا يضيع منه دانق واحد ولا يرتفق احد بحبة منه وتغل في سنة ضعف هذا واكثر قال قد فعلت قال فانفقت على حفر الاسناية عشرين الف دينار باتم احتياط واطلقت العشرة الآلاف الدينار الباقية للضعفاء من الاكرة والتناء والمزارعين في اثمان بقر وبذور واحتطت

«١» يريد لا اعتد به. «٢» م: ع كذا في الاصل ولعله ينمو. «٣» لم اجد هذه الكلمة فيما عندي من القواميس ويظهر انها مشتقة من السنو اي السقي.

في جميع ذلك وطالبت الاقوياء بالزراعة من اموالهم وحرصوا هم ايضاً الحرص كله لما رأوا الماء وان الضياع معطلة منذ سنين كثيرة . وطمعوا في كثرة الريع ووفور الاسعار في النواحي فزرع الناس بالرغبة والرهبة حتى استنفدوا جهدهم فلما ادركت حصلت في بيدر واحد من بيادر الصلح وقد كان ارتفع اصل الكيل منه ثلاثة آلاف كر وستمائة كر حنطة بالنصف . فحصلت منه الثلث والعشر على المقاسمة مع الاجور وفضل الكيل الف كر وستمائة كر للسلطان . وبعتها حساب الكر بنيف وعشرين ديناراً فحصل الثمن ستة وثلاثون(١) الف دينار عيناً من بيدر واحد وبقي البلد كله باسره ربحاً فحصل له في اول سنة اضعاف ما انفق مضاعفاً فتقوى بذلك على الرجوع الى الحائن وكان ذلك من اكبر اسباب تقدمي عنده ورفعتي قال وكان حامد (٢) يحدث بهذا عقيب شيء جرى قال حامد معه لا تصلح الدنيا الا بالعمارة والعدل وقمع العمال عن السرقات ثم تحدث بهذا الحديث .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول كان ابو الحسن محمد بن فراس الكاتب سبب الوصلة بين القاسم بن عبيد الله والعباس بن الحسن حتى استكتبه له فلما علت حال عباس حسده ابن فراس وعاد يسعى عليه (٣) ويثلبه عند القاسم الى ان اعتل القاسم علة موته فقال

«١» م ، ع كذا في الاصل . «٢» م ، ع ، كذا في الاصل ولعل اصله وكان حامد اذا اراد ان يحدث بهذا عقب شيء جرى قال . معه . لا تصلح الخ .

«٣» م : ع المعروف سعي به وربما ضمنه معنى نم او نحوها .

ابن فراس ان عباس بن الحسن يسعى في طلب الوزارة مع الداية وصافي الحرمي وانه قد قطع السواد فلم يتقبل ذلك القاسم وكتب الرقعة المشهورة الى المكتفي قال فدخلنا في الليلة التي ولي فيها الوزارة وهو موت القاسم(١) ولم يكن خلع عليه ودخل ابن فراس مهنئاً له فجلس في اخريات الناس وتشاغل العباس بتقليب ثياب السواد وقد جاؤه بها ليختار منها ما يقطع له فيلبسه من غد في دخوله الى الخليفة قبل الخلع حتى يبركه(٢) هناك ويلبس الخلع فوقه وكان الرسم اذ ذلك ان لا يصل احد الى الخليفة في يوم موكب الا بسواد . قال فلما اختار العباس ما يريده من الثياب اقبل علينا وقال معرّضاً بابن فراس لعن الله اهل الحسد والشر سعى قوم علي دمي عند ولي الدولة وقالوا له اني قد سعيت في الوزارة واني قد قطعت السواد منذ ايام كثيرة وهذا بحضرتكم على غير تواطيء هو ذا اقلب ثياباً ليقطع منها سواد لي فقام ابن فراس قائماً وقال قد حضرني اطال الله بقاء الوزير بيتان في هذا المعنى فان أذن الوزير ايده الله انشدتهما فاستحيا العباس وقال بحياتي اجلس وانشد فجلس وقال :

تنح عن القبيح ولا ترده ومن اوليته حسناً فزده
ستكفى من عدوك كل كيد اذا كاد العدو ولم تكده

حدثنا(٣) ابو الحسن محمد بن محمد بن عثمان الاهوازي الكاتب

«١» م ، ع : الظاهر بعد موت القاسم . «٢» بالاصل غير معجم يقال برك اذا ثنى ثوبا . م ، ع : لم نجد برك بهذا المنى ولعل اصله يركب اي في الموكب . «٣» الفرج بعد الشدة ١ : ٥٥

المعروف بابن المهندس. قال حدثني ابن مروان الجامدي قال لما ظلم الناس بواسط ابو عبدالله احمد بن علي بن سعيد الكوفي وهو اذذاك يتقلدها للناصر الدولة وقد تقلد(١) امرة الوزراء والامراء ببغداد كنت احد من ظلم (٢) فظلمني واخذ من ضيعتي بالجامدة (٣) نيفاً واربعين كراً ارزاً بالنصف (٤) من حق رقبتي (٥) سوى ما اخذه من حق بيت المال بغير تأويل ولا شبهة فتظلمت اليه وكلمته فلم ينصفني وكان الكر الارز بالنصف اذ ذاك بثلاثين ديناراً فقلت له قد اخذ سيدنا مني ما اخذ ووالله ما اهتدي انا وعيالي الى شيء سواه ومالي ما اقوتهم به باقي سنتي ولا ما أعمر به ضيعتي وقد طابت نفسي ان تطلق لي من جملته عشرة اكرار وأجعل الباقي له حلالاً فقال هذا ما لا سبيل اليه فقلت فخمسة اكرار فقال لا أفعل قال فبكيت وقبلت يده ورققته وقلت فهب لي منه وتصدق عليّ ثلاثة اكرار وانت من الجميع في حل وبيمه يطيب (٦) (من) قلبي فقال لا والله ولا أرزة واحدة قال فتحيرت وقلت له فاني أتظلم الى الله عز وجل منك فقال لي كن على الظلامة يكررها دفعات ويكسر الميم بلغة الكوفيين. قال فانصرفت محترق القلب فجمعت عيالي وما زلت أدعو الله عليه ليالي كثيرة فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من اخذه الارز وجئت الى البيدر فأخذت أرزي وحملته

«١» يعني ناصر الدولة. «٢» بالاصل تظلم. م ع: وتظلم صحيح ايضاً ومعناه شكى الظلم. «٣» م ، ع : الجامدة قرية كبيرة بين واسط والبصرة من اعمال واسط.
«٤» م ، ع : لعله بالنصيف وهو مكيال اي ذلك الكر مكيل بالنصيف.
«٥» في الفرج الدهقنة. «٦» م ، ع : كذا في الاصل ولعله. وتبيعه بطيب الخ.

الى منزلي وما عاد الكوفي بعدها الى واسط ولا أفلح .

حدثني ابو الحسن محمد بن محمد الاهوازي ابن عثمان المعروف بابن المهندس قال كنت أتقلد الضريبة وغيرها من أعمال واسط في هذا الوقت للكوفي فقدم ملاح يقال له ابن شبيب من بغداد في زورق عظيم وكان فيه حديد وخواب فطالبته على ضريبتهما بثمانية الف (١) درهم وكسر فالتجأ الى يمك فكتب رقعة وهو غلام سيف الدولة لابن سيف الدولة وكان مقيما بواسط حينئذ اميراً عظيما فكتب الى يمك رقعة يلزمني تخفيف الضريبة عن الملاح ومقاربته وأنفذ غلاماً من غلمانه فوضعت في نفسي المقاربة لاجله فقلت للملاح عليك ثمانية آلاف درهم وكذا وكذا فبكم تحب ان أسامحك لاجل كلام فلان أيده الله قال وكان مجلساً حافلا باهل الاسواق والتجار والمعاملين في الضريبة قال فقال لي الملاح مستفهماً كم علي ؟ فقلت ثمانية آلاف درهم وكسر قال فضرط من فه لي وقال تأخذ مني بميزان قرع وصنج بعر قال فورد علي امر عظيم من استخفافه بي في مجلس العمل وكرهت ان اوقع به ويشرق (٢) الحال بيني وبين يمك مع تمكنه من سيف الدولة وتصير منابذة بيني وبين صاحبي ولا أدري كيف يكون حالي في ذلك . فقلت له اما أنت فأقل أن تجاب عن هذا الكلام ولكن سأريك امرك كونوا معه . قال فوكلت به جماعة من الرجالة وعبرت في زبزبي (٣) الى الكوفي

«١» م ، ع كذا في الاصل والصواب آلاف . «٢» م ، ع : في الاساس شرق ما بينهم بشر اذا وقع الشر بينهم . «٣» م ، ع : الزبزب نوع من السفن .

فحدثته بالقصة فحين استتم حديثي قال وأي شيء عملت بالملاح ؟ فقلت لم أقدم ان أعمل به شيئاً لاجل علمك وخشيت ان تنكر انت ذلك فقال نفاطين (١) نفاطين وصاح وتغيظ فاحضروا وقال ثلاثين راجلا الساعة فأحضروا فقال اعبروا الى الزورق فاحرقوه بجميع ما فيه من الامتعة الساعة . قال فورد عليّ امر عظيم وندمت على الشكاية فقلت يكفي من هذا أطال الله بقاء سيدنا ضرب الملاح بالمقارع في السوق وان تضعف عليه الضريبة وتستخرجها منه فقال لا والله الا الاحراق قال فاجتهدت به فلم يكن في يدي منه شيء وتوجه النفاطون والرجالة الى الزورق فضربوه بالنار وأقبل الملاح يلطم ويصيح ويقول يا قوم فيه أموال الناس قد افتقروا (٢) وافتقرت ويستغيث بالمسلمين ولا يقدم احد على اعانته وأحرقت قلوس (٣) الزورق التي كانت تربطه وتمسكه وخرج منه الملاحون وطرحوا أنفسهم الى الماء فانحدر مع الماء لنفسه والنار تشتعل فيه فوقع على الجسر فقطعه وانحدر حتى انتهى الى موضع معسكر سيف الدولة (٤) وكان نازلا في الماصر (٥) بواسط والملاح في بكائه (٦) ورآه لا يجسر ان يطفي النار ولا يقدر على (ذلك (٧)) اكثر من

«١» م . ع : النفاطون الرماة بالنفاطة وهي اداة من نحاس يرمى فيهما بالنفط والنار . «٢» بالاصل افتقر . «٣» م . ع : القلس حبل السفينة جمعه قلوس .

«٤» لعله ابن . «٥» م . ع : قال في التاج واللسان المأصر حبل يلقى في الماء لمنع السفن عن السير حتى يؤدي ما عليها من حق السلطان في دجلة والفرات . وفي اللسان والمأصر يمد على طريق اونهر تؤصر به السفن والسابلة اي تحبس لتؤخذ منهم العشور .

«٦» بالاصل ركايه . م . ع : كذا في الاصل ولعل الصواب في براكية وراء والبراكية ضرب من السفن . «٧» م . ع : لا حاجة الى لفظ ذلك .

ان يلطم ويصيح فلما رأى سيف الدولة الصورة استهولها مع صياح الملاح وقوله فيه أموال فاستدعاه وقال ايش فيه فقال فيـه مال صاحب البريديين اصدره اليهم صاحبهم من بغداد سرّاً وجعله تحت الحديد قال فأمر سيف الدولة بالزورق فقدم الى الشط وأطفئت النار وقد احترق جوانب الزورق وظلاله (١) واكثر آلته الا الامتعة التي في أسفله فانها كالسالمة فرقي بها الى الشط فأخرج المال فاذا هو ثمانية آلاف دينار عيناً ونيف وستون سيفاً ومنطقة من فضة وبعضها من ذهب فأخذ ذلك وسلم الزورق الى الملاح وشد على يده وعصمه من الكوفي حتى نقض الملاح الزورق وانتفع ببقيـة خشبه وحديده ووصل التجار الى ما سلم من المتاع . « للحديث صلة »



«١» لعله اطلاله بالطاء المهملة جمع طلل وهو جل السفينة اي شراعها وجمعه جلول واجلال .

آراء وافكار

كتاب الاكليل للهمداني

ليس فيمن كتبوا عن جزيرة العرب وخططها وجغرافيتها وممالكها ومسالكها من يفضل ابا محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني (بالدال المهملة نسبة الى همدان) فهو صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » الطائر الصيت المنقطع النظير في بابه وصاحب كتاب « الاكليل » المشهور ايضاً والذي تحسر الناس عليه ولا تظفر به .

وقد كنت في القسطنطينية منذ خمس سنوات تجمعني الأقدار بحضرة الصديق الشريف علي بن عمر بن هزاع من ابناء عم الملك حسين بن علي وهو أقرب أبناء أعمامه اليه من أشراف مكة . ولما كان الشريف علي بن عمر من الضاربين بسهم في الأدب والمولعين بالاطلاع تذاكرت واياه امر الكتب العربية في الاستانة فقال لي انه اطلع في خزانة جامع بايزيد على كتاب الاكليل للهمداني .

ولما كان هذا السفر نادر الوجود عزمت ان اذهب مرة مع حضرة الشريف الى خزانة كتب بايزيد حتى نطلع على الاكليل ثم جدت امور عدتنا عن هذا الامر . وبرحتُ الاستانة على ظن اني راجع اليها فلم يقدر لي الرجوع اليها وفاتني النظر الى كتاب الاكليل .

ثم قرأت في كلام لسعادة الاخ العلامة شيخ العروبة وفيلسوف الآثار والصحف المكتوبة احمد زكي باشا أمتع الله بطول حياته ان كتاب الاكليل مفقود وانهم بحثوا عنه كثيراً فلم يجدوه حتى هذه الساعة .

فكتبت الى احمد زكي باشا أذكر له ما رواه لي الشريف علي بن عمر . فجاوبني بانه لا يظن ذلك او قد يكون وقع سوء فهم في المسألة .

والاستاذ احمد زكي باشا يعرف خزائن الاستانة وقد كان طوّف فيها ونقّب وانسخ واستنسخ وصوّر بالفوتوغرافيا وقيّد واودع ما اودع في كتاباته .

فكتبت في العام الماضي الى الاخ الاجل الافضل خالد بك القرقني من عيون أعيان طرابلس الغرب اذ كان في الاستانة واخبرته بالقصة ورجوته ان يقتص لي أثر

هذا الكتاب في خزائن الاستانة مبتدئاً ببايزيد حيث كان الشريف علي بن عمر بن هزاع قال لي انه عثر على الاكليل . فجاءني من خالد بك الجواب الآتي أنقله بالحرف :

« ا.س (٢٥ مارت سنة ١٩٢٩) مضيت الى مكتبة بايزيد وكان مديرها وجهينة أخبارها غائباً فانتظرته مدة ثلاث ساعات تصفحت خلالها كل الفهرست العائد للكتب العربية ولم أعثر على الاكليل فعند مجيء المدير راجعته فأفادني بما يأتي :

« مسألەده بالان يوق باكلش واردر » نعم ان حضرة الشريف علي بن عمر اطلع على جزء واحد من هذا الكتاب (وهو الجزء السابع اوالثامن) عند المرحوم شيخ الاسلام حسني افندي قبل خمسة عشر عاماً تقريباً وبعد وفاته اشتراه خالص بك وبعد وفاة هذا الاخير اشترت كتبه مكتبة بايزيد ومن ضمنها هذا الكتاب . وكان بها الى مدة قريبة اذ أمرت حكومة انقرة بنقل هذه الكتب الى مكتبة دار الفنون فهو الآن هناك . وقد توجد النسخة عينها بمكتبة علي اميري افندي والمحتمل ان تكون الأجزاء الاخرى من الاكليل بايطالية من جملة الكتب التي جلبها (غريفيني) من اليمن » .

« وسأوافيك بذيل الخبر بعد اطلاعي على الجزءين ان شاء الله » .

ثم جاءني من الاخ المشاراليه كتاب تال بتاريخ اليوم التالي اي ٢٦ مارت من تلك السنة يقول فيه :

« وُفقت للاطلاع على كتاب الاكليل لابي محمد الحسن بن يعقوب الهمداني بمكتبة دار الفنون تحت نمرة ٦٢٤٢ من كتب خالص افندي في قسم التاريخ منها وذلك بعد فحص طويل ومراجعة مكتبة بايزيد مرةً أخرى .

تصفحت اكثره فوجدته عائداً لأحوال اليمن والتعريف ببلدانها الخاربة وبيان ما وجدوا في مقابرها المنسية من اللؤلؤ والحجارة الكريمة وغيرها من الذخائر . وليس به تاريخ البتة ولا اسم ناسخه ولا فيه مقدمة . بل يستمر في عبارته كما سترى . وهذا يدل على كونه تابعاً لما قبله . يبتدئ بعد البسملة (ليس الا) هكذا :

وعن الشرقي عن محمد بن خالد بن عبد الله القسري قال كنت مع مروان بن محمد فهدم ناحية من تدمر فاذا اساس الحائط رخام طويل فاجتمع قوم فقلبوا الطبق وظن مروان أن فيه كنزاً الخ » ويداوم على هذا النمط في حكاياته عن المدن الغامرة وماتقلته

الرواة عن المقابر القديمة التي تشبه قبور الفراعنة . وقد يذكر عدة بلدان وقصور كانت مشيدة عامرة وبعدها خربت مثل «ناعط» و «غمدان» و «قصر الذيل» و «قصر محرار» و «بينون» و «ظفار» الخ و يصف كلاًّ منها و يستشهد بابيات قيلت في حقها مثل :

وقد كان في بينون عزٌّ وسؤدد وسيف ناعطٍ ملكٌ قديمٌ ومفخرُ

ومثل :

وأسأل بينون وحيطانها قد نطقت بالدر والجوهر

(ارى الشطر الاول هكذا غير مستقيم الوزن ولعل هذا من النساخ)

ومثل :

أبعد غمدان لا عينٌ ولا أثرٌ أبعد بينون يبني الناس بنيانا

ونجد المؤلف بعد نقله لبعض الاخبار المبالغ فيها ينتقد ذلك الكلام و يرجع لتحليل الاشياء وتحكيم العقل والذوق السليم فيها على طريقة ابن خلدون المعلومة . وفي الكتاب عدة قصائد مطولة واشعار بعضها متينة الاسلوب والبناء و يوجد كثير من روايات واشعار وقصائد رجل يقال له علقمة بن ذي الأحدب الاصغر ونسبه هكذا : (من ولد علقمة ذي الاحدب الاكبر بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن شرحبيل بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الحميري) .

واهم هذه القصائد مرثية يقال انها احدى المراثي السبع . منها :

لكل حبيب ما انحنى مضطجع والموت لا ينفع فيـه الجزع

والنفس لا يحزنك انلافهـا ليس لها من يومها مرتجع

والموت ليس له دافـعٌ اذا حميم عن حميم دفع

(اوزان مختلفة) وقد تكلم الهمداني عن كتابات موجودة بالخط الحميري وذكر حروف المسند ورسم أشكالها . و بحثه مفيد جداً . ونسخ صورة كتـابة وجدت بجامع صنعا بهذا الخط .

والكتاب يتم وفي آخره قصيدة طويلة جداً للقاضي العـالم علي بن احمد العومجي الحيـاري . وهي تسمى بذات الاصول جواباً للامير عز الدين محمد بن امير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان رحمه الله تعالى . أولها :

نفى طيبَ النوم الامى المتأوّبُ ووجدٌ مقيمٌ في الحشى ليس يذهبُ
عشية ودّعت الاحبة للنوى وبانوا وحبّات القلوب تأوّبُ

وآخرها :

حميتُ به أحساب قومي ولم ازل أدافع عن اعراضهم وأذبّب
اذا امتهنت اعراض قوم اذلة فاني عليهم مشفقٌ متحدّبُ
ومازال من قومي عروشٌ مصونةٌ وبكرٌ تبذّ القائلين وثيّبُ
اذا رويت كادت من الغيظ انفسٌ تغص وكاد الحلم عنهن يعزب

وقد تجد التنقيط ناقصاً في اكثر الكتاب . وتجد غلطات من الناسخ .

وبعد هذه القصيدة يتم الكتاب بجملة « تم هذا الكتاب » وليس هناك تاريخ ولا شيء آخر كما ذكرت لك آنفاً .

ثم اني مشيت الى مكتبة المرحوم علي أميري افندي لأطلع على النسخة التي هناك من الاكليل وأعرف هل هي عين هذه ام لا فقال لي خازنها انه يعلم وجود كتاب الاكليل بها ولكن فهرست الكتب العربية ارسلت الى المجلد ولا تعود الا بعد اسبوع والخازن لا يمكنه ان يهتدي الى الكتاب الا بعد الاطلاع على النمرة . وأفادني ايضاً انه سمع من المرحوم علي اميري افندي ان لهذا الكتاب أجزاء أخرى في اليمن وقد اجتهد في اقتنائها فلم يوفق .

سأرجع بعد اسبوع للاطلاع عليه ان شاء الله وافيدك » . انتهى كلام السيد خالد القرقني .

قلت فأما كتاب « صفة جزيرة العرب » للمؤلف المذكور فلم نطلع منه الا على الجزء الثاني مطبوعاً في مدينة «ليدن» بمطبع بريل سنة ١٨٨٤ وليست لهذا الجزء مقدمة بل اوله هكذا : بعد البسملة : « معرفة أفضل البلاد المعمورة . افضل البلاد المعمورة من شق الارض الشمالي الى الجزيرة الكبرى وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس ما رُوي تقطع على اربعة أقاليم من عمران الشمال الى الخامس فجنوبيها اليمن وشماليها الشام وغربيها شرم أيلة وما طردته من السواحل الى القلزم وفسطاط مصر وشرقيها عمان الى البحرين وكاظمة والبصرة وموسطها الحجاز وارض نجد والعروض وتسمى جزيرة العرب لان

اللسان العربي في كلها شائع وان تفاضل الخ » . وفي آخر الجزء المذكور أرجوزة عن طريق الحج من اليمن الى مكة يسردها وبتمامها يتم الكتاب ويقول : كملت الارجوزة وكمل بكمالها كتاب جزيرة العرب والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الطاهرين وسلام » ولا تاريخ ولا شيء يشبهه . ثم يذكر المعلم داود هنريك موللير أستاذ الالسن الشرقية في دار الفنون في مدينة وينا انه طبع هذا الكتاب وتم طبعه في سلخ شهر أيار سنة ١٨٨٤ .

وسننقل من « صفة جزيرة العرب » للهمداني بعض شواهد الى رحلتنا الحجازية المسماة « بالارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف » ولكننا نجد معلوماتنا عن الهمداني هذا وكتبه قاصرة . فهل يفيدنا الاخ الاستاذ احمد زكي باشا في هذا الموضوع ما نشفي به الغليل ؟ فان تفضل بشيء فهي عادته .

لوزان : شكيب ارسلان

عضو المجمع العلمي العربي

(المجمع) بعد ورود الرسالة المنشورة اعلاه جاء من صاحبها الامير الكتاب الآتي نصه :

ايضاً كتاب الاكليل

سهوت في رسالتي الماضية الى هذه المجلة عن ان انشر ما كتبه اليّ حضرة الشريف علي بن عمر من استانبول جواباً على سؤالي اياه بشأن كتاب الاكليل للهمداني فها انا ذا الآن فاعل ان شاء الله .

قال بعد الترجمة :

. . . .

. . . .

. . . . فاما استفساركم عن كتاب الاكليل للهمداني فالذي كنت رأيته واخبرتكم به هو المجلد الثامن من الاكليل للهمداني وهذا الكتاب الآن نقلوه من مكتبة بايزيد العمومية الى مكتبة دار الفنون ونسخة أخرى من المجلد بعينه موجودة في مكتبة المرحوم علي اميري افندي في الاستانة

ونسخة أخرى في مكتبة برلين عندكم ونسخة في ايتاليا بين كتب غريفيني ولعل التي هناك نسخة تامة جامعة لسائر الاجزاء لولوع الطاليان بكتب اليمن كما يسمع .

هذا ما عندنا من العلم بهذا الشأن فالسلام في البدء والختام انتهى .

وفي اول مرة اذهب فيها الى برلين سأفحص عن الكتاب في خزانة كتبها كما اني في اول مرة اذهب فيها الى رومة سأسأل عن كتب غريفيني هذا لعل اليد تظفر بكتاب الاكليل كاملاً . وقد كتبت الى العلامة الشريف عبد الرحمن بن زيدان نقيب العلوية والعائلة السلطانية بمكناس أسأله هل يعلمون شيئاً عن هذا الكتاب في المغرب لان الشريف المشار اليه من العلماء المحققين وعنده خزانة كتب نادرة المثال وسنرى ما يكون من جوابه .

لوزان : شكيب أرسلان



مطبوعات حديثة

كتاب التيجان

« في ملوك حمير عن وهب بن منبه »

الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة في الهند بمملكة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٧ هجرية ص ٣١٠

و يليه

اخبار عَبيد بن شَرْيَة الجرهمي

« في اخبار اليمن واشعارها وانسابها »

وهو في ١٨٢ ص طبعت في حيدر آباد الدكن ايضاً

نشر هذين الكتابين كأنهما كتاب واحد لتناسبهما في الموضوع — صديقنا العلامة السيد كرينكو من كبار علماء المشرقيات المستعربين عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني كتبت بخط علي بن سعيد بن محمد بن هاجر القملاني سنة ١٠٣١ هـ وقال كاتب الاصل ان الفراغ كان من نسخها سنة ١٠٣٤ بخط مطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الامام شرف الدين في الدار الحمراء بصنعاء اليمن وهذه النسخة منقولة من نسخة محفوظة في المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن وعورضت بنسخة اقدم منها محفوظة في المكتبة العمومية في برلين . والكتابان في اخبار اليمن قبل الاسلام وبعده بقليل . وفيهما من اخبار ذاك القطر منه ما نقل في كتب أخرى ومنه مالم يعثر عليه الى اليوم . ووهب بن منبه كانت له معرفة باخبار الاوائل وقيام الدول توفي في صنعاء اليمن في سنة عشر وقيل اربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة . وكتاب التيجان رآه ابن خلكان في عصره قال « ورأيت له (لوهب بن منبه) تصنيفاً ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم في مجلد واحد وهو من الكتب المفيدة » وكتاب التيجان هذا نفس كتاب الملوك المتوجة من حمير . ووهب بن منبه كثيراً ما كان يعزو العلماء بعض الشك في مرويّاته لإكثاره . فما نقله له صاحب الطبقات الكبير قوله : لقد قرأت اثنين وتسعين

كتاباً كلها أُنزلت من السماء اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي ايدي الناس وعشرون لا يعلمها الا قليل وجدتُ في كلها انه من أضاف الى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . »
وفي مقدمة كتاب التيجان قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مما أُنزل الله على الانبياء فوجدت فيها ان الكتب التي أنزلها الله على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتاباً أُنزل صحيفتين على آدم بكتابين صحيفة في الجنة وصحيفة على جبل لبنان وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وعلى نوح صحيفتين وعلى ابراهيم عشر بن صحيفة وعلى موسى خمسين صحيفة وهي الالواح . قال الله : (ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد الفرقان . . »
وقال في مكان آخر (ص ٢٠) وقد ذكر الله صحف شيث وغيرهما من الصحف فقال : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة .) وقال : (اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) . ووهب من علماء التابعين وهو من الابناء ابناء فارس المبعوثين مع سيف بن ذي يزن لقتال الحبشة في اليمن فهو فارسي الاصل واسع الخيال . ومن الفرس من وضعوا الاخبار في الاسلام عمداً او اتوا ذلك عن نية حسنة اعتقدوها .

وكتاب التيجان هو رواية ابي محمد عبد الملك بن هشام عن اسد بن موسى عن ابي ادريس بن سنان عن جده لامه وهب بن منبه بدأه باحوال خلق العالم ونسب ولد سام وحام ويافث وملك حمير ووائل والسكسك ويعفر وعامر ذي رياس والمعافر بن شداد وشداد بن عاد ولقمان بن عاد والهمال بن عاد والحارث بن الهمال والصعب ذي القرنين وابرهة والعبد بن ابرهة وعمرو بن ابرهة وشرحبيل والد وهب وملك بلقيس وملك رحبعم ابن سليمان ومالك بن عمرو بن يعفر وعمرو بن الحارث بن مصاص وشمر يرعش بن ناشر النعم وتبع صيفي وعمرو بن عامر من بقيا ملك متوج تبع وعمرو بن جفنة اول من تتوج من ملوك غسان بالشام وربيعة بن نصر بن مالك متوج باليمن بين اضعاف التبابعة وقصة النار التي كانت تعبدها حمير الى آخر من ذكر من الملوك المتوجين فوافق اسم الكتاب مسماه . وكتاب الملوك المتوجة او التيجان من صحف الادب القديم بما ذكر فيه من الشعراء والاخبار .

اما كتاب اخبار عبيد بن شرية الجرهمي فهو من أقدم الكتب في الاسلام وبطبعه حلت اشكالات كثيرة في إصل التدوين في الامة . وكان عبيد بن شرية من المعمّرين

من اهل اليمن وفد على معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه في الشام وهو آية باهرة في معرفة تاريخ اليمن وملوك العرب والعجم يرويها مشفوعة بالقصائد الرنانة « وامر معاوية كتّابه ان يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس سمر فيه مع معاوية » (ص ٢١٤) فعبيد بن شرية راوية و المدوّنون كتّاب معاوية . وقد كان هذا يعجب مما يلقيه عليه عبيد في كل مجلس و يستزيده من ايراد الشعر لان الشعر كما قال معاوية (ص ٣٥٢) ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها والحاكم بينهم في الجاهلية . وذكر عبيد اونقل عنه حديث هلاك عاد وثمود وجرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم وناشر النعم بن عمرو بن يعفر بن عمرو ، وشمر يرعش بن افريقيس بن ابرهة بن الرائش وتبع الاقرن وهو ذو القرنين وملكي كرب بن اسعد بن تبع الاكبر واسعد ابو كرب الاوسط . وكل ذلك بلغة سلسة وشعر رائق خال من تكلف المحدثين فهو شعر الفطرة الاولى بل هو نموذج صالح من شعر الجاهلية نُقل في الصدور قبل البعث الى السطور أوائل المئة الاولى للاسلام .

وعلى الجملة فان هذين الكتابين التيجان لوهب بن منبه واخبار اليمن لعبيد بن شرية من أهم الاسفار المفيدة التي نشرت بالطبع في العهد الاخير فجلت شبهات في موضوعات كثيرة وأبرزت لنا صورة كانت متوارية وراء حجاب من أخبار الجاهلية .

لا جرم ان الباحثين يسقطون في هذين السفرين على مسائل كثيرة يستنتجون و يستقرؤون فيستفيدون و يفيدون . م . ك

دانتي اليجييرى

« للسيد طه فوزي طبع بمطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٨ — ١٩٣٠ ص ١٥٠ »

صاحب هذا الكتاب ممن يحسنون اللغة الايطالية وقد درس في هذه الرسالة حياة دانتي شاعر الطليان وواضع اصول لغتهم ثم لخص قصصه ولا سيما قصة المهزلة المقدسة التي قسمها الى ثلاثة أقسام « الجحيم » و « الاعراف اوالمطهر » و « الجنــة » باسلوب يحبب تلاوتها الى القلوب وتدل على تشبعه بروح موضوعه وروح اللغتين اللتين ينقل من الاولى الى الاخرى . م . ك

اصلاح الوعظ الديني

« تأليف الاستاذ محمد عبد العزيز الخولي طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي »
« واولاده بمصر سنة ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م ص ٢٥٤ »

ليس المؤلف بالمجهول شأنه بين المشتغلين بعلوم الشريعة الغراء فهو من نوابغ أساتذتها في مصر وممن عانوا تلقينها والتأليف فيها . وهذا الكتاب ثمرة من ثمرات الاستاذ المؤلف أخرج به خطب المنابر والمواعظ الدينية من طور الجمود الى دور الارتقاء المحمود وأعاض الوعاظ والخطباء خطباً بليغة منبرية وغيرها بدلاً من الخطب التي أكل الدهر عليها وشرب ، وبطلت تأثيراتها بما ظهر في الناس من البدع والمقالات وفساد الاخلاق ، وقد عالج المؤلف هذه الموضوعات الجديدة بعبارة سلسة و بايجاز لا يخل بالمعاني الجليلة التي يقصد اليها ، ملقناً في كل خطبة بل وفي كل صفحة شيئاً من روح الشرع والسنة النبوية فجاء كتابه دليلاً ناطقاً على دخول الدروس الدينية في مصر في عصر تجدد اتى على القديم البالي ، و ياليت سائر الاقطار الاسلامية تنسج على هذا المنوال البديع وتخرج من طور التلفيق والترقيع . م . ك

خطرات نفس

« للدكتور منصور فهمي طبع في مطبعة المعارف بمصر »
« سنة ١٩٣٠ ص ٢٢٢ »

هي مقالات موجزة يحمل في مطاويها أفكاراً اجتماعية صحيحة يُراد بها تلقين مدنية وغرس فضائل والوصول بالمجتمع الى مواطن التفكير والتقدير . وقد أحسن الاستاذ منصور فهمي وهو من أساتذة الجامعة المصرية بوضعها هذا الوضع اللطيف الذي يقربها من القلوب و يجعل لها القبول فيها . وحبذا لو زاد المؤلف من عدد ما ينشر من فقراته وضم كل سنة شواردها في صحيفة كصحيفة خطراته . م . ك

الجزء ٨ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آب سنة ١٩٣٠ م الموافق ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ

المحاضرة السابعة عشرة

حياة المتنبي [1]

— ٩ —

لو سألنا ابا الطيب عن الاسباب التي من اجلها ترك سيف الدولة وقصد كافوراً لبيّنها لنا دون شيء من جمجمة الكلام ، فانه لما أقام بمصر بعد الرحيل من حلب وستعلمون كيف كان ذلك ، اتصل به ان قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة وبهذا تستدلون على انه لم ينج من حسد الحساد في قربه منهم وفي بعده عنهم حتى كانوا يتمنون موته فقال قصيدته التي اولها :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وفي هذه القصيدة عرّض بسيف الدولة فقال :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدرّ على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم حتى يعاقبه التنغيص والمنن

هذا ما حمله على الانزعاج عن سيف الدولة وفي هذا الشعر من القوارص ما فيه فلم

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة ·

يصون سيف الدولة عرض المتنبي ولم آسلم نعمته عليه من المنة والاذى وهو يعلم في باطنه ان سيف الدولة احق الناس به :

وللّه سيري ما أقل تئية عشية شرقي الحوالي وغرب
عشية احفى الناس بي من جفوته واهدى الطريقين التي أتجنب

ومع هذا جفاه ، فارقه لما شكا من امره ما شكاه :

الى اين صار المتنبي بعد ان ترك سيف الدولة وكيف اتصل بكافور ، وفي اي شيءٍ كان يطمع وهو في مصر ، وهل خشي كافور جانبه فأضمر له الشر ، هل سلم المتنبيُّ من عداوة بعض الناس في مصر ، هل استمر في شكوى الحسد ، كيف هرب ابو الطيب من مصر ، هل استماله سيف الدولة اليه بعد رجوعه الى الكوفة ، ما ذا لقي المتنبيُّ في بغداد من عداوة الادباء والوزراء ، كيف هرب من بغداد ، اين قصد بعد تركه دار السلام ، هل استطاب المتنبيُّ إقامته بظل عضد الدولة في بلاد العجم ، كيف قتل ابو الطيب ، كيف همدت هذه الروح المضطربة التي ماذاقت لذة الهدوء في يوم من الايام ، ولا عرفت نعمة السكون في ساعة من الساعات .

الى اين صار المتنبيُّ بعد مفارقته سيف الدولة وكيف وصل الى كافور ، جاء في الصبح المنبيُّ ما يلي :

ولما عزم ابو الطيب على الرحيل من حلب وذلك في سنة ست واربعين وثلاثمائة لم يجد بلداً أقرب اليه من دمشق لان حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، فسار الى دمشق ، والقى بها عصا التسيار وكان بدمشق يهودي يعرف بابن ملك ، من قبل كافور ملك مصر فالتمس من المتنبيُّ ان يمدحه فثقل عليه ، فغضب ابن ملك وجعل كافور الاخشيدي يكتب في طلب المتنبيُّ من ابن ملك فكتب اليه ابن ملك ان ابا الطيب قال : لا أقصد العبد ، وان دخلت مصر فما قصدي الا ابن سيده ثم نبت دمشق بابي الطيب ، فسار الى الرملة فحمل اليه أميرها الحسن بن طغج هدايا نفيسة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب ثقيل وقلده سيفاً محلى . وكان كافور الإخشيدي يقول لاصحابه أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا وأخبر المتنبيُّ انه واجد عليه ، ثم كتب كافور في طلبه من امير الرملة فسار اليه »

فقبل ان يتصل المتنبي بكافور اتصل بامير الرملة الحسن بن طغج فمدحه ، وفي هذه القصيدة يقول :

وفارقت شرالارض اهلاً وتربة بها علوي جده غيرها ثم

فمن هو هذا العلوي الذي غضب عليه المتنبي والظاهر ان جماعة هددوه ، وهم علويون فأشار اليهم في قصيدة ثانية يقولها في ابي القاسم طاهر العلوي :

أتاني وعيد الادعياء وانهم اعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم فهل في وحدي قولهم غير كاذب
الي لعمري قصد كل عجيبة كأني عجيب في عيون العجائب

فما كاد يسلم المتنبي من حاشية سيف الدولة ، حتى أتاه وعيد آخر ، فكأن بينه وبين المصائب صلة رحم ، فلننظر اليه وهو في حضرة كافور فهل نجا من هذه المصائب .

لما قدم ابو الطيب على كافور الإخشيدي امر له بمنزل ، ووكل به جماعة ، واظهر التهمة له وطالبه بمدحه فلم يمدحه فخلع عليه فقال يمدحه بقصيدته التي اولها :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن أمانيا

وأنشده اياها في جمادي الآخرة سنة ست واربعين وثلاثمائة ولئن كان المتنبي لا ينشد مديحه في سيف الدولة الا وهو قاعد ، فانه كان يقف بين يدي كافور وفي رجله خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق وكان لا يجلس في مجلس كافور .

هكذا اتصل المتنبي بكافور الإخشيدي ، ولكنه في هذه المرة سمت به نفسه الى أفق أبعد من أفق المال ، فلم يقتصر على الرغبة في عسجد يستفيده وانما امتدت هذه الرغبة الى المفاخر .

وما رغبتي في عسجد أستفيده ولكنها في مفخر أستجده

وأعرب عن طمعه هذا في اول قصيدة قالها في كافور :-

وغيرُ كثيرٍ ان يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين واليا

نعم لم يكن لقلبه في هذه المرة مدى ينتهي به في مراد من المرادات .

ومن في الناس يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلباً بين جنبي ما له مدى ينتهي بي في مراد احده

ولقد اكثر من المصارحة بما في نفسه :

فان نلت ما أملت منك فربما شربت بماء يعجز الطير ورده

ووعدك فعل قبل وعد لانه نظير فعال الصادق القول وعده

وألح على كافور في قضاء هذه الحاجة التي شغلت باله :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

واستنجزه وعده :

ارى لي بقربي منك عيناً قريرة وان كان قرباً بالبعاد يشاب

وهل نافعي ان ترفع الحجب بيننا ودون الذي املت منك حجاب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

طمع المتنبيء في الولاية فسأل كافوراً ان يوليه صيداء من بلاد الشام او غيرها من بلاد الصعيد وكان كافور قدوعده بان يبلغه جميع ما في نفسه ولكنه خاف جانبه وتهيب امره فقال له : انت في حالة الفقر وسوء الحال ، وعدم المعين سمت بك نفسك الى النبوة فان اصبت الولاية وصار لك اتباع فمن يطيقك ؟ ثم وقعت الوحشة بينهما ووضع عليه العيون والأرصاد خوفاً من ان يهرب وأحس المتنبيء بالشر .

ولم يخل ابو الطيب وهو في ظلال كافور من جماعة كانوا يبغضونه ويوغرون صدر كافور ، وفي جملتهم ابن حرابة وزير كافور والمقرب منه ، وقد كان المتنبيء مدحه ، فكان ابن حرابة يشيع استهزاء المتنبيء بكافور في مدائحه ، والحقيقة ان ابا الطيب قد سخر من كافور في كثير من باطن مدحه وظاهره . فمن قوله :

وما طربي لما رأيتك بدعة لقد كنت ارجو ان أراك فأطرب

فجعل كافوراً بدعة من البدع حتى قال ابن جني : لما قرأت على ابي الطيب هذا البيت قلت له ما زدت على ان جعلت الرجل ابازنة وهي كنية القرد فضحك . ومن قوله :

ويغنيك عما ينسب الناس انه اليك تناهى المكرمات وتنسب

وهذا البيت ظاهره أبلغ المديح ولكن باطنه لا يخلو من غمزة الهجة .

وقد أشار المتنبيُّ الى سواد كافور في كثير من شعره وهو يعلم ان ذكر لون السواد على مسامع كافور أمرّ من الموت . فمن قوله :

ان في ثوبك الذي المجد فيه لضياء يزري بكل ضياء
انما الجلد ملبس وابيضاض النفس خير من ابيضاض القباء

وهذان البيتان فيهما تعريض بسواد كافور وأصرح منهما :

من لبيض الملوك ان تبدل اللون بلون الاستاذ والسحناء

فلا يبعد ان ابن حرابة كان يذيع مهزأة المتنبيُّ بكافور حتى يكيد له ، فما أشبه ما كان يقع لابي الطيب وهو عند كافور بما كان يقع له وهو عند سيف الدولة من ابتغاء الغوائل به وكان ابوالطيب وهو في مجالس كافور يتعرض للادباء والشعراء فيجلب عداوتهم لنفسه . في جملة هؤلاء الشعراء ابوالقاسم بن ابي العفير الانصاري فقد عارضه المتنبيُّ بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي اولها :

(نظر المحب الى الحبيب غرام)

فقال له : العرب لاتقول : اليه غرام وانما تقول : له ، فقال له الانصاري العرب تقول اليه ولديه وله وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض ، والوزير ابوبكر بن صالح الروزباذي حاضر والوزير ابوالفضل جعفر بن الفرات حاضر فقال الانصاري قصيدة منها هذان البيتان يعرض فيهما بالمتنبيُّ :

لما تعرض لي بمقت حاسد ابدى الملام وكيف يرضى الحاسد
ما زال ينشد قائماً حتى اذا انشدت عارضني لاني قاعد

* * *

لم يستطع المتنبيُّ بعد هذا كله ان يطيل الاقامة بمصر ، ولعل مدحه لابي شجاع فاتك المعروف بالمجنون قد زاد في حنق كافور وان كان كافور قد أذن له في مدحه ، فان في القصيدة التي مدحه بها بيتاً يحمل كافوراً على الشك في امر المتنبي :

وان تكن محكمات الشكل تمنعني ظهور جري فلي فيهن تصهال

وقد قال الواحدي في تفسير هذا البيت : ان لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور فاني أمدحك الى أوان ذلك كما ان الجواد اذا شكل عن الحركة صهل شوقاً اليها .

من اجل هذا كله فكر المتنبيُّ في الخروج من مصر وقد حثه احد معارفه على الهرب فآخر قصيدة قالها في كافور :

متى كن لي ان البياض خضاب فيخفي بتبييض القرون شباب

وانقطع ابو الطيب بعد انشاده هذه القصيدة لايلقى الاسود الا ان يركب فيسير معه في الطريق ثم عجل الرحيل وقد أعد كل مايحتاج اليه على مر الايام بلطف ورفق ولا يعلم به احد من غلمانه وهو يظهر الرغبة في المقام وطال عليه التحفظ فخرج ودفن الرماح في الرمال وحمل الماء على الابل لعشر ليال وتزود لعشرين فكان خروجه من مصر سنة خمسين وثلاثمائة فأقام بمصر اربع سنين بوجه التقريب ، وفي يوم عرفة اي قبل مسيره بيوم واحد قال قصيدته :

عيد باية حال عدت يا عيد بما مضى ام لامر فيك تجديد

وفي هذه القصيدة بيت يدل على استمرار الناس في حسده ، وعلى ايلام هذا الحسد اياه :

ما ذا لقيت من الدنيا واعجبه اني بما انا شاك منه محسود

هرب ابوالطيب من مصر في يوم العيد من سنة خمسين وثلاثمائة ، وأخفى طريقه فلم يظهر له اثر وبذل كافور في طلبه ذخائر الرغائب وكتب الى عماله وسائر اعماله فأخفق .

ضرب المتنبيُّ في البوادي في طريقه الى الكوفة ومر باماكن ومياه كثيرة ذكرها في قصيدته التي اولها :

الا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيذبى

ولكن عبيده تنكروا له في الطريق وفسدت نياتهم واخذوا يسرقون له الشيء بعد الشيء من رحله وذلك ان ابا الطيب لما نزل في طريقه الى الكوفة في حسمى برجل يقال له وردان الطائي استغوى وردان عبيد ابي الطيب فلما شعر المتنبيُّ بذلك ضرب احد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وامر الغلمان فأجهزوا عليه ، والى ذلك أشار في هجاء وردان :

اشذ بعرسه عني عبيدي فأتلفهم ومالي أتلفوه
فان شقيت بايديهم جيادي لقد شقيت بمنصلي الوجوه

تنكر عبيده له وربما أضمروا تسليمه فتركهم في ذات ليلة نياماً وشد على الجمال وسار والقوم لايعلمون برحيله حتى توسط بسيطة وهي ارض تقرب من الكوفة فرأى بعض عبيده نوراً يلوح فقال : هذه منارة · ونظر آخر الى نعامة فقال : هذه نخلة فضحك ابو الطيب وقال :

بسيطة مهلاً سقيت القطارا تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعام عليك النخيل وظنوا الصوار عليك المنارا

ومن هذا يتبين لك ما كنت قلته من ان اباالطيب اخذ يتكلم بكلام الملوك ، فقد صار له عبيد وغرق في المكارم ·

وما زال يضرب في البوادي حتى وصل الى الكوفة فأناخ وركز رماحه بين المكارم والعلى :

وبتنا نقبل أسيافنا ونمسحها من دماء العدى

وكان دخوله الكوفة في جمادى الآخرة من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ·

هل طمع سيف الدولة في عودة المتنبيء اليه بعد رجوعه الى الكوفة ؟

لما عاد ابوالطيب الى الكوفة وأقام فيها تحركت نفس سيف الدولة فشاقتها قلائد المتنبيء فأنفذ سيف الدولة ابنه من حلب الى الكوفة ومعه هدية الى المتنبيء وهذا ما يدلنا على تعلق سيف الدولة بابي الطيب فكأن امير حلب ندم على مافات فأحب ان يصلح ما أفسده ، فمدحه ابو الطيب وكتب بقصيدته التي اولها :

ما لنا كلنا جو يا رسول انا أهوى وقلبك المتبول

اليه من الكوفة سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة اي بعد ان انقطعت مدائحه فيه مدة ست سنين ، وفي هذه القصيدة مايدل على ان في قلب ابي الطيب بقية محبة لسيف الدولة وان وقع بينهما ما وقع :

من عبيدي ان عشت لي الف كافور ولي من نداك ريف ونيل

ولما توفيت اخت سيف الدولة بميافارقين وورد خبرها الى الكوفة عزاه بها المتنبي وكتب بقصيدته اليه سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وفي هذه القصيدة أحب المتنبيء ان ينفي عن نفسه الظن بفتور محبته لسيف الدولة فقال :

يظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب

والقصيدة فياضة بشعور ابي الطيب .

ولكن سيف الدولة لم تكفه مدائح المتنبي عن بعد فانه طمع في رجوعه الى ظلاله فأنفذ اليه كتاباً بخطه الى الكوفة يسأله المسير اليه فأجابه بقصيدة ارسلها اليه في ميافارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واعتذر المتنبي عن الالتحاق بسيف الدولة وقال :

وما عاقني غير خوف الوشاة وان الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم وتقريبهم بيننا والخبب
وقد كان ينصرهم سمعه وينصرني قلبه والحسب

وعاتب سيف الدولة على شدة محبته اياه وعلى قلة حظه منه في هذه المحبة والابيات كلها تعريض بالماضي :

وليت شكاتك في جسمه وليتك تجزي ببغض وحب
فلو كنت تجزي به نلت منك اضعف حظ باقوى سبب

اقام المتنبي بالكوفة بعد رجوعه من مصر مدة سنتين بوجه التقريب اي من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة الى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ثم توجه نحو بغداد فوقع بينه وبين ابي علي الحاتمي ما وقع فالظاهر ان اباالطيب لما قدم دارالسلام عظم احتقاره لغيره من الناس فثقلت وطأته على اهل الادب وكان ابو علي الحاتمي قد قصده في مجلسه فلم يبال به المتنبي وأعرض عنه استصغاراً لشأنه فكاد ابو علي يتميز غيظاً ، حتى انبرى له وبالغ في تعنيفه فاعتذر المتنبي عن ذنبه وأقبل كل منهما على صاحبه ثم اخذ ابو علي ينقد بعض شعر المتنبي واشتد جدالهما ثم تصافيا في آخر المجلس وتأكدت بينهما الصحبة ، وصار ابو علي يتردد الى ابي الطيب أحياناً .

ولما نجا المتنبي من شر ابي علي وقع في شر الوزير المهلبي في بغداد وفي شر معزالدولة نفسه لان معز الدولة ساءه ان يرد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه ولان الوزير المهلبي ساءه ترفع ابوالطيب عن مدحه ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك فشق ذلك

على المهلبي فأغرى به شعراء بغداد على ما قال الثعالبي حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه واسمعوه مايكره وتماجنوا به وتنادروا عليه فلم يجبهم ولم يفكر فيهم وقيل له في ذلك فقال اني فرغت من اجابتهم بقولي لن هم ارفع طبقة منهم في الشعر :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وقولي :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تجيبه واغيظ من عاداك من لا تشاكل

وقولي :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

هكذا كانت معاملة الشعراء لابي الطيب في بغداد على ما وصفها الثعالبي فلم يسع المتنبي الا الهرب من بغداد .

فاتخذ الليل جملاً وفارق دار السلام متوجهاً الى حضرة ابي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة وقد كان ابن العميد راسله من ارجان فسار اليها مراغماً للمهلبي الوزير فورد ارجان واحمد مورده وذلك في صفر سنة اربع وخمسين وثلاثمائة .

وقد كان ابوالطيب في مدحه لابن العميد يتهيبه لمنزلة ابن العميد في الادب فمن قوله فيه :

ما كفاني تقصير ما قلت فيه عن علاه حتى ثناه انتقاده
انني أصيد البزاة ولكن اجل النجوم لا اصطاده
رب ما لا يعبر اللفظ عنه والذي يضمر الفؤاد اعتقاده
ماتعودت ان أرى كأبي الفضل وهذا الذي اتاه اعتياده

وحكي ان ابا الطيب دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سيوفاً فنهض ابن العميد من مجلسه وأجلسه في دسته ثم قال له اختر سيفاً من هذه السيوف فاختار منها واحداً ثقيل الحلي ، واختار ابن العميد غيره ، فقال كل واحد منهما سيفي الذي اخترته

أجود ثم اصطلحا على تجربتهما فقال ابن العميد : فبماذا تجربها ؟ فقال ابو الطيب في الدنانير يؤتى بها فينضد بعضها على بعض ثم تضرب به فان قدها فهو قاطع فطلب ابن العميد عشرين ديناراً فنضدت ثم ضربها ابو الطيب فقدها وتفرقت في المجلس فقام من مجلسه المفخم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسه فان احد الخدم يلتقطها و يأتي بها اليك فقال ابو الطيب : بل صاحب الحاجة اولى ·

ثم ورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره فودع ابو الطيب ابن العميد سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وقصد ابا شجاع عضد الدولة وقد كان الصاحب طمع في زيارة المتنبي اياه باصبهان على ما ذكره الثعالبي واجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان وهو اذ ذاك شاب وحاله حويلة ولم يكن استوزر بعد ، وكتب اليه يلاطفه في استدعائه وضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبي وزناً ولم يجبه عن كتابه ولا الى مراده فاتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته وينعى عليه سيئاته وهو اعرف الناس بحسناته وأحفظهم لها واكثرهم استعمالاً لها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته ·

لم يعرج ابو الطيب على حضرة الصاحب وانما قصد عضد الدولة بشيراز وكان ابو علي الفارسي اذذاك بشيراز وكان ممر المتنبي الى دار عضد الدولة على دار ابي علي الفارسي فكان اذا مر به ابو الطيب يستثقله على قبح زيه وما يأخذ به نفسه من الكبرياء ، وكان لابن جني هوى في ابي الطيب فهو كثير الاعجاب بشعره لا يبالي باحد يذمه او يحط منه ، وكان يسوءه اطناب ابي علي في ذمه حتى ذكر ابن جني ابياتاً من شعر ابي الطيب فاستحسنها ابو علي واستعادها وكثر اعجابه بها واستغرابه لمعناها ولما علم ابو علي الفارسي ان المتنبي هو قائل هذه الابيات نهض ودخل على عضد الدولة فأثنى على ابي الطيب ولما جاز به استنزله واستنشده وكتب عنه أبياتاً ·

وكأن ابا الطيب قد استطاب الاقامة بظل عضد الدولة فقد انجحت سفرته على ماذكره الثعالبي وربحت تجارته بحضرته ووصل اليه في صلاته اكثر من مائتي الف درهم ثم استأذنه في المسير عنه ليقضي حوائج نفسه ثم يعود :

لعل الله يجعله رحيلاً يعين على الاقامة في ذراكا

فأذن له وامر بان تخلع عليه الخلع الخاصة و يقاد اليه الحملان الخاص وتعاد صلته بالمال الكثير فامتثل ذلك وانشده ابوالطيب في اول شعبان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة الكافية التي هي آخر شعره وفي اضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعى فيه نفسه منه قوله :

وانى شئت يا طرقي فكوني أذاة او نجاة او هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك وذلك انه سار من واسط يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ومعه ابنه محسد وغلامه ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات لانه كان اذا سافر لم يخلف في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه فتعرض له فاتك خال ضبة الذي هجاه المتنبي بقصيدته المشهورة :

(ما انصف القوم ضبة)

وقد كان داخلته الحمية لما سمع ذكر اخته بالقبح في شعره ، واتصل به انصراف المتنبي من بلاد فارس وتوجهه الى بلاد العراق وعلم ان اجتيازه بجبل ديرالعاقول فجمع عشرين رجلاً من بني عمه فقتله بضيعة تقرب من دير العاقول في يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان وقتل ابنه محسد وغلامه فوجه احد معارف المتنبي واسمه ابوالنصر من دفنه ودفن ابنه وغلامه وذهبت دماؤهم هدراً .

وقد كان ابوالنصر هذا نصح للمتنبي ان يكون معه في الطريق جماعة يمشون بين يديه الى بغداد وذكر ما عزم عليه فاتك من التعرض له والعزم على قتله ، ووافق غلام المتنبي على رأي ابي النصر ، فقطب ابو الطيب وجهه واغتاظ من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً ، فقال له ابو النصر : انا اوجه من قبلي قوماً في حاجة يسيرون بسيرك وهم في خفارتك فابى ابو الطيب فكان من امره ما كان .

وقيل سبب قتله انه لما ورد على عضد الدولة ومدحه ووصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة دس عليه عضد الدولة من يسأله : اين هذا من عطاء سيف الدولة فقال : ان سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعطاء عضدالدولة تطبعاً فغضب

عضد الدولة فلما انصرف جهز اليه قوماً من بني ضبة فقتلوه بعد ن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم فقال له غلامه : اين قولك :

الخيل والليل والبيداء تعرفني　　والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال : قتلني قتلك الله ثم قاتل حتى قتل .

وقيل ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه فمنعه الشح فتقدموه ووقع به ما وقع .

ولما قتل رثاه ابو القاسم مظفر بن المظفر بن الطبسي ، ورثاه ثابت بن هارون الرقي النصراني ، ورثاه ابو الفتح عثمان بن جني .

هكذا كانت خاتمة احدى وخمسين سنة انقضت في قلق واضطراب ، هكذا كانت خاتمة قلب ما له مدى ينتهي بصاحبه في مراد من المرادات لقد همدت هذه الروح التي جالت فيها أفكار الناس مدة الف سنة ونيف .

دمشق : في ١٢ نيسان سنة ١٩٣٠



نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »
« للدكتور محمد شرف »

— ٢ —

(٢٢) كثيراً مايبقل المؤلف الحروف التي تدل على الأنواع النباتيـة كما وردت في اللاتينية فيسمي مثلاً النبات (Sabbatia angularis) شبطية انجنولاريس على انه كان يجب ان يسميه الشبطية الكثيرة الزوايا وقد عثرت على عدد كبير من مثل ذلك ٠

واذا ترجم الحروف المذكورة غلط في ترجمتها احياناً ، مثاله (Sabbatia campestris) فقد ترجمها بلفظ شبطية الآجام والصواب الشبطية السهليـة ٠ واذا أعيته ترجمة هذه الحروف صرف النظر عن ذلك مثاله انه أطلق اسم الخبازى والخبيز على كل من الانواع النباتية الآتية وهي :

Malva parviflora
〃 sylvestris
〃 verticillata

وكان يجب ان يسمي الاولى الخبازة الصغيرة الزهر والثانية الخبازة الأجمية والثالثة الخبازة الدولابية او الكوكبية او الدواربة وهكذا ٠

(٢٣) لم يذكر الاسماء اللاتينية لحشرات الآتية وهي :

الجراد الراحل	Acridium peregrinum
الجراد المراكشي	Stauronotus marocanus
دودة لوز القطن	Earias insulana
سوس العدس	Bruchus lentis
منّ الفول	Aphis fabœ

الى عشرات غيرها من الحشرات المهمة التي تضر بالنباتات الزراعية والتي لا يجوز ان يخلو منها معجم علمي :

(٢٤) سمى النبات (Medicago sativa) البرسيم الحجازي والقضب ونسي اصح اسم له وهو الفصفصة والرطبة ·

(٢٥) ذكر النبات (Andropogon alepii) فسماه (ذرة شامي) ولم أدر من اين اتى بذلك فالذرة الشامية هي (Zea mays) ثم ان حرف الذرة مؤنث فلما ذا يجعله مذكراً ·

(٢٦) عرف النبات (Nicotiana rustica) بانه (الدخان البلدي) قلت هذا التعريف لا معنى له وقد ذكر بوست ان هذا النوع هو نوع التنباك ·

(٢٧) عرف الثمرة المسماة (Capsule) بما يلي (ثمرة جافة منفتحة مكونة من مدقة مركبة) وقد سميتها الجروج جمع جراء يقال جراء الخشخاش (انظر ج ٤ م ١٠ من هذه المجلة) ·

(٢٨) ذكر أنواعاً من البلوط لا وجود لها في مصر والشام وبلاد العرب السائرة وسها عن ذكر الانواع الآتية وهي أهم اشجار حراج الشام :

السنديان	Quercus coccifera
الملول	〃 lusitanica
البلوط الاخضر « البهش »	〃 ilex
البلوط المسمى عفصاً	〃 œgilops

(٢٩) لم يذكر الماش (وهو حب مشهور في الشام) بين انواع الجنس المسمى (Vigna) ·

(٣٠) ترجم (Petal) بلفظ (بتلة ، ورقة تويجية) واصلح لفظة لها هي القمالة ·

(٣١) لم يذكر الدفراز (Juniperus drupacea) وهو من الاشجار المشهورة في بعض حراج الشام ·

(٣٢) ترجم (Anther) بلفظة انثيرومتك ووعاء الطلع الخ · قلت ان أصلح الألفاظ على ما أرى هما مئبر ومئبار وقد ذكرهما العالم المحقق الطبيب ابن المعلوف (انظر ج ٨ م ٨ من هذه المجلة) ·

(٣٣) قال عندما ذكر (Tilletia) انه جنس من الفطر الأستيلاجي ولم يزد على ذلك · قلت كان يجب ان يذكر على الاقل النوع المسمى (Tilletia caries)

وهو الذي يوجد مرض نخر الحبوب اي حفرها وتسوسها ويسمى بالفرنسية (Carie) وهو غير مرض (السويد) الذي يحصل من أنواع الجنس المسمى (Ustilago) . وقال في ذكر الجنس الاخير ان (Tilletia fœtens) هو صدأ القمح على حين ان مرض الصدأ في الحبوب يحصل من طفيليات أخرى تنسب الى جنس (Puccinia) مثل (P. triticina) و (P. graminis) و (P. glumarum) ولم يورد صاحب المعجم منها شيئاً في معجمه .

(٣٤) ذكر خمسة أنواع من جنس (Polygonum) وترك اهم انواع هذا الجنس اي :

P. fagopirum

" tartaricum

" emarginatum

وهي أنواع الحنطة السوداء (Sarrasin) التي تكثر زراعتها في اوربة وبلاد الصقالبة خاصة .

(٣٥) الكتاب كثير الأغلاط العربية والمطبعية . فقد فتحت الصفحة ١٦١ عرضاً فوجدت فيها ما يلي :

« نفقـأ ، بُرْعَمَ ، ضفدعة زيتوني سمراء ، مايل للبياض أفريقيا أسمندة »
والصواب « نفقُو ، بَرْعَمَ ، ضفدعة زيتونية سمراء ، ضارب الى بياض إفريقية ، أسمندة » .

(٣٦) وجاء في الصفحة نفسها ان نبات (Menyanthes trifoliata) هو البرسيم والأطريفل . فهذان الحرفان لا يطلقان على النبات المذكور بل على أنواع النباتات التي هي من جنس Trifolium) ولئن سمى الاوربيون النبات الاول « طريفيل الماء » فلأن اوراقه تشبه اوراق الطرفيل لا لأنه برسيم او اطريفل .

(٣٧) ترجم جنس (Trifolium) بلفظ (تراي فوليوم و برسيم) ولم يقل انه جنس النفل[1] والطرفيل والاطريفل والطريفلن (ابن البيطار) وهو اشهر من أن يعرّف .

(١) يطلق الشاميون هذه اللفظة على أنواع الطريفلن والفصفصة والحندقوق وغيرها

وعندما ذكر نبات (Trifolium pratense) غلط غلطتين الاولى ترجمته بالبرسيم الاحمر والصواب برسيم المروج (او البرسيم العادي كما تسميه معظم الامم الاوربية) والثانية رسمه الحرف الذي يدل على النوع هكذا (Partense) .

(٣٨) ترجم لفظة (Spore) بما يلي : « بزرة النباتات خفية التزوج او عديمة الأزهار » قلت اني استعملت لها لفظة غبير والواحدة غبيرة . ووجدتها اخيراً في احد كتب الدكتور بوست . وهي على كل حال أرجح من ذلك التعريف الطويل العريض وان كانت من الغبار .

(٣٩) سمى الجنس (Viscum) شجرة الدبق والدابوق . قلت الأرجح شجرة الدبالة (انظر ج ٤ و٦ م ١٠ من هذه المجلة) وكان يجب ان يذكر النوع (Viscum album) على الأقل .

(٤٠) لم يذكر جنس (Diospyros) وانواعه العديدة ومنها بلح طرابزون (مشمش اليابان ، كاكي ، بلاكمينيا) وهي شجرة مثمرة مشهورة .

(٤١) لم يذكر مرض الجماع (الحلاق ، البجل) في الخيل المسمى (Durine) وهو مهم .

(٤٢) لم أجد ذكراً للكرسنة (Vicia ervilia) وهي من القطاني الدائمة .

(٤٣) لم يذكر لجنس (Styrax) وجنس (Cercis) انواعاً . وكان من المفيد ذكر النوعين الآتيين :

اللبنى «الأبهر»	Styrax officinalis
الزمزريق	Cercis siliquastrum

وهما مبذولان في لبنان خاصة .

(٤٤) قال ان الحشرة المسماة (Sitotroga cerealella) هي دودة الشعير .

من نباتات الفصيلة السنفية « قطانية ، قرنية » التي تنبتها الطبيعة في المروج مع أنواع من الفصيلة النجيلية فتسمن عليها الخيل والماشية . وقد خصت لفظة النفل اليوم بنباتات الطر بفان ولا يحول ما كتب عنها في المعاجم اللغوية دون ذلك .

قلت هذه الحشرة تسطو على حبوب الحنطة والشعير والذرة والشوفان وغيرها واسمها يدل على ذلك . فيجب إذن تسميتها بما يلي « نوع من سوس الحبوب » لانها ليست خاصة بالشعير . ولايخفى ان أهم حشرات السوس التي تسطو على الحبوب في الانابير ثلاث وهي اولاً هذه التي نتكلم عنهـا ، ثانياً (Calandra granària) وهذا النوع لم يذكره المؤلف بل اكتفى باسم الجنس وقال « جنس من خنافس الحبوب » . والأرجح «جنس من سوس الحبوب » . ثالثاً (Tinea granella) وهذا النوع ايضاً لم يذكره صاحب المعجم بل اكتفى بذكر الجنس فقال « تينيـا — نوع من العث او السوس » والصواب « جنس فيه أنواع من العث وسوس الحبوب » .

(٤٥) ذكر في مقدمة المعجم في جملة المؤنثات السماعية الألفاظ الآتية وهي : « الصدر والضحي والرحم والجراد والمسك والسبيل » قلت لقد وَهِمَ المؤلف فان هـذه الحروف تذكر وتؤنث . وكان يجب ان يشير الى ذلك .

وذكر في جملتها ايضاً «الظهر» وهو مذكر لا غير .

هذه هي الاغلاط والنواقص التي عثرت عليهـا في جلستين وانا لا أدعي العصمة فيما كتبت كما انني لا أنكر ان صاحب المعجم ذو فضل كبير وان معجمه هو الاول في بابه لكنه يستحيل على فرد من الافراد اياً كان ان يؤلف وحده معجماً علمياً خالياً من الاغلاط والنواقص ولذلك كان يجب على الدكتور محمد شرف بك المحترم ان يشرك بعمله الجليل ذوي الاختصاص بعلوم الزراعة والنبات والحيوان وغيرها فيكون معجمه خالياً من الشوائب وصالحاً لغير الاطباء ممن يراجعون المعجم لتحري الألفاظ المستعملة في تلك العلوم .

واذا سُئلتُ هل معجم الدكتور شرف ثقة في المصطلحات الطبية فانني غير صالح للاجابة عن ذلك . اما من حيث المصطلحات الزراعية فأرى ان المعجم (طبعته الثانيـة سنة ١٩٢٨) كثير النواقص لايفي باغراض تلامذة المدارس الزراعية وخريجيها فلعل المؤلف يتلافى هذه النواقص في الطبعة الثالثة .

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي

م : ٦

رسالة الكرم

« موضع الكرم »

الفِرْدَوْس بالكسر الموضع تكون فيه الكروم مذكر وقد يؤنث . قال في اللسان والعرب تسمي الموضع الذي فيه كرم فردوساً . واهل الشام يقولون للكروم والبساتين الفراديس . ويقال كرم مفردس اي معرش .

الجَنَّة — الحديقة ذات الشجر والنخل والجمع جِنان . وقال ابو علي في التذكرة لا تكون الجنة في كلام العرب الا وفيها نخل وعنب فان لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فحديقة وليست بجنة كذا في لسان العرب ونحوه في التاج وفي المخصص فان كانت اشجاراً لا نخل فيها ولا أعناب فهي الحدائق وسائر النبات الرياض وفي القرآن الكريم . (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) .

الحديقة كل ارض ذات شجر مثمر ونخل . وقيل الحديقة البستان والحائط وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب قال :

صُوريَّة أولعتْ باشتهارها ناصلة الحِقْوَين من ازارها
يطرق كلب الحي من حذارها أعْطَيَتْ فيها طائعاً أو كارها
حديقة غلباء [1] في جدارها وفرساً أنثى وعبداً فارها

أراد انه أعطاها نخلاً وكرماً محدقاً عليها [2] وذلك أفخم للنخل والكرم لانه لا يحدق عليه الا وهو مضنون به مُنْفِس وانما أراد انه غالى بمهرها على ما هي به من الاشتهار وخلائق الاشرار . وفي اللسان . وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة وما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة .

والبستان بالضم الحديقة او الحديقة من النخل قيل انه عربي وقيل معرب بوستان اي آخذ الرائحة [3] سقطت الواو عند الاستعمال ثم توسع فيه حتى أطلقوه على الأشجار

---

(١) عظيمة متكاثفة . (٢) كذا في اللسان والتاج واصله من قولهم أحدق به اذا استدار وأحاط به . (٣) او مجمع الرائحة .

وفي التاج البستنبان هو حافظ البستان · وفيه ايضاً الناحي خادم البستان وفي التكملة هو البستانبان وفي اللسان الجَوَّار الذي يعمل لك في كرم او بستان أكّاراً · وقدم اعرابي من نجد بعض القرى فقال :

سقى نجداً وساكنه هزيم حثيث الودق منسكب يماني
بلاد لا يحس البق فيها ولا يُدرى بها ماالبَسْتقاني
ولم يستب ساكنها عشاء بكشخان ولا بالقرطبان

قيل البَسْتقاني صاحب البستان وقيل الناطور ·

الحائط الجدار والبستان من النخل اذا كان عليه حائط اي جدار جمعه حوائط · وجاء في الحديث (على اهل الحوائط حفظها بالنهار) يعني البساتين وهو عام فيها · وجاء في كتاب النخل والكرم المنسوب للأصمعي والمخصص لابن سيده وغيرهما اطلاق الحائط على الكرم وسيأتي ذلك · ويقال حوَّط كرمه تحويطاً بنى حوله حائطاً فهو محوَّط وفي اللسان · ويقال للارض المحاط عليها حائط وحديقة فاذا لم يحيط[1] عليها فهي ضاحية وفي التاج ·-

الحاجر كرم مثناث[2] وهو مطمئن له حروف مشرفة تحبس عليه الماء وبذلك سمي حاجراً والجمع حُجْران · والحاجر الارض المرتفعة ووسطها منخفض كالمَحْجِر ·

والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به كالحاجور ·

جدر العنب حائطه جمعه جُدُور · والجَدْر والجِدار الحائط وجدرُه يجدره جدراً حوطه وجدَّره شيده واجتدره بناه والجدْر اصل الجدار والجَدير المكان يبنى حوله جدار و يقال للحظيرة من صخر جديرة ·

« الوشيعة والحظيرة »

الوَشيع حظيرة الشجر حول الكرم والبستان والجمع الوشائع · و يقال وشعوا على كرومهم توشيعاً · حظروا عليها بالشجر · ووشع كرمه جعل له وشيعاً وهو ان يبني جداره بقصب او سعف يشبك الجدار به وهو التوشيع ·

ويقال للوشيع السياج قال في اللسان السياج الحظيرة من الشجر تجعل حول الكرم

---

(١) كذا في اللسان · (٢) يقال ارض مثناث وانيثة اي سهلة منبات ليست بغليظة ·

والبستان وقد سيّج على الكرم · ويقال حظر كرمه بالسياج وهو ان يسيج حائطه بالشوك لئلا يتسوّر ·

والحظيرة ماأحاط بالشيء وهي تكون من قصب وخشب · وكل ماحال بينك وبين شيء فهو حِظار وحَظار وحِجار والمحتظر الذي يعمل الحظيرة واحتظر القوم وحظروا اتخذوا حظيرة ·

والحَظِر الشيء المحتظر به وقيل الشجر المحتظر به وقيل الشوك الرطب و منه قولهم وقع في الحَظِر الرطب · اذا وقع فيما لا طاقة له به ·

« الحفر والركايا »

الشَرَبة بالتحريك كالحويض يحفر حول الشجرة ويملأ ماء فيكون ريها فتتروى منه والجمع شَرَب وشَرَبات وشرّب الارض والنخل جعل لها شربات ·

الجِباب الركايا تحفر و ينصب فيها العنب اي يغرس فيها كما يحفر للفسيلة من النخل الواحد جُبّ · والركايا جمع ركيـة وهي البئر تحفر من ركا الارض ركواً اذا حفرها حفراً مستطيلاً · وفي اللسان ركا ركواً حفر حوضاً مستطيلاً ·

الحَبايا الركايا التي تحفر وتنصب فيها قضبان الكرم ·

الفُقُر ركايا محفورة بعضهـا الى جنب بعض و ينفذ بعضها الى بعض واحدها فَقير وفي اللسان الفقير البئر التي تغرس فيها الفسيلة ثم يكبس حولها بترنوق المسيل وهو الطين و بالدمن وهو البعر · وقيل الفقير حفير يحفر حول الفسيلة اذا غرست · وفقروا الفُقُر بعضها الى بعض اي أفضوا ·

الجُفْرة الحفرة الواسعة المستديرة · وحفرة كل شيء وسطـه ومعظمه · والجُفَر خروق الدعائم التي تحفر لها تحت الارض ·

« طرق الماء »

الكِظامة · القناة تكون في حوائط الأعناب والكرم · وقيل هي ركايا الكـرم وقد أفضى بعضها الى بعض وتناسقت كأنها نهر · وكظموا الكظامة · جدروها بجَدَرين والجدر طين حافتها ·

القُتْرة الخرق الذي يدخل منه الماء الحائط (والقترة صنبور القناة) ·

السَرَب خشبة جوفاء تجعل في القترة فيدخل منها الماء حتى لا يأكل الحائط وفي

التاج السرب القناة الجوفاء يدخل منها الماء الحائط ٠

الركيب مابين النهرين من الكرم او مابين الحائطين من النخل والكرم وفي المخصص كل نهر من أنهار الكرم فهو ركيب والجمع رُكُب ٠ وفي اللسان الركيب المشارة وقيل الجدول بين الدبرتين وقيل هي مابين الحائطين من الكرم والنخل وقيل هي مابين النهرين من الكرم وهو الظهر الذي بين النهرين وقيل هي المزرعة ٠ وقال في : عرق : والركيب النهر الذي يدخل منه الماء الحائط ٠ والجَدْر والظهر مابين الركيبين من التراب المرتفع ويقال لكل شطر من الركيبين سريّة والجمع السرايا وعراق الركيب حاشيته من ادناه الى منتهاه والجمع أعْرِقة ٠

في الرسالة المنسوبة للاصمعي ولا بد للحائط اذا لم تكن له كظامة (قناة) من ان يكون فيه الأُفُج والخُلُج والفُلُج والثعالب في أواسط الحائط وأعلاه اه ٠

واللفج مجرى السيل ٠ والخلج جمع خليج وهو في الاصل : شعبة تنشعب من الوادي تعبّر بعض ماءه الى مكان آخر ٠ وما انقطع من معظم الماء لانه يجبذ منه وقد اختلج ٠ ونهر في شق من النهر الاعظم وجناحا النهر خليجاه ٠ والفلج الساقية التي تجري الى جميع الحائط ٠ والفلجان سواقي الزرع ٠ والنبائث اعضاد الفلجان واحدتها نبيثة ٠ والثعالب جمع ثعلب وهو مخرج الماء من جرين التمر ٠ والجُحر الذي يسيل منه ماء المطر ٠ ومخرج الماء من الدبار او الحوض ٠

والسَّرِيّ النهر الصغير كالجدول يجري الى النخل والجمع أسْرِية ومُسْريان ٠

ولا بد من القصاب والقصاب ان تقطع فيه الثمائل وتبنى بناء عراق الحائط بناءً مخلخلاً لايخلب بالطين فاذا أراد ان يخرج الماء منه فلا تهدم الثمائل ٠ وعراق الحائط أسفله يخرج منه الماء الذي يدخل الحائط ٠

والثمائل الضفائر التي تبنى بالحجارة لتمسك الماء على الحرث واحدتها ثميلة ٠ وقيل الثميلة الجَدْر نفسه ٠ وقيل الثمائل البناء الذي فيه الغراس والخَفْض والوقائذ (الخفض حجر يبنى به والوقائذ جمع وقيذة وهي الحجارة المفروشة) ٠

وفي اللسان القرابة مسناة تبنى في الأمْج كراهية ان يستجمع السيل فيوبل الحائط اي يذهب به الوبل وينهدم عراقه ٠ و ٠

وفي التاج القصاب ككتاب وفي نسخة ككتابة مسناة تبنى في اللحف بالكسر هكذا في النسخ وفي بعض الامهات في اللهج اهـ. واللحف اصل الجبل . وليس للهج في عبارة اللسان معنى . ولا للحف في عبارة التاج مناسبة ولذلك قال بعضهم الصواب في الجف بالجيم محركاً وهو محبس السيل . وحفر في جانب البئر . ولا يبعد ان يكون اللهج محرفاً اللفج وقد تقدم انه مجرى السيل .

« العزق »

والحائط يعزق في كل سنة بالمعزقة والمعزقة لها شعبتان يجمعها رأس واحد فيعتزقونه حتى يذهب شجره و يكرب الحبل وانما يعزق في زمن الحطاب . وفي اللسان عزق الارض يعزقها شقها و كربها ولا يقال ذلك في غير الارض والمعزقة والمعزق (كمكنسة ومنبر) الة من حديد ونحوه مما يحفر به الارض وجمعه المعازق . وقال ابن بري : المعزقة ماتعزق به الارض فأساً كانت او مسحاة او شكة وهي البيلة[1] المعقفة . وأعزق الرجل عمل بالمعزقة وهي المر الذي يكون مع الحفارين . وارض معزوقة اذا شقت بفأس اوغيره .

« شجر الكرم »

الكرم كفلس العنب واحدته كرمة . وقال الاصمعي يقال لشجر العنب الكرم والحبل قال الشاعر :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها

وقيل الكرمة الطاقة[2] الواحدة من الكرم جمعه كروم . والكرّام كشداد حافظ الكرم ويقال له اللامص كما سيأتي . و يقال هذه البلدة انما هي كرمة ونخلة يعني بذلك الكثرة .

و يقال للكرمة جفنة والجمع جفن بفتح فسكون فيهما . وقيل الجفن اسم مفرد وهو اصل الكرم يقال جفن وتجفّن الكرم صار له اصل . وقيل الجفن قضبانه او ورقه . قال الاخطل يصف خابية خمر :

---

(١) هكذا ذكرت في اللسان والتاج ولم أجد الشكة ولا البيلة بهذا المعنى .

(٢) الطاقة بمعنى الشعبة يقال طاقة من ريحان او شعر وطاقة الحبل قوته .

آلت الى النصف من كلفاء أنأقها علج وكتمها بالجفن والغار

وقيل الجفن قشر العنب الذي فيه الماء وقيل ضرب من العنب واحدته جفنة . وقال الراغب سمي الكرم جفناً تصوروا انه وعاء للعنب . وقيل الجفن ما ارتقى من الكرم في الشجر فتجفن فيه اي تمكن ولا يسمى بذلك غيره . و يقال للخمر ماء الجفن قال الشاعر يصف ريق امرأة و يشبهه بالخمر :

تُحسي الضجيع ماء جفن شابه صبيحة البارق مثلوج ثلج

أراد بماء الجفن الخمر . و يقال ايضاً شربوا ماء الجفن اي الكرم .

الحَبَلة بفتحتين و يجوز سكون الباء والحبلة بضم ففتح الكرم وقيل الاصل من اصول الكرم . والحَبَلة طاق من قضبان الكرم . والحَبَل شجر العنب واحدته حبلة ونهى الشرع عن بيع حبل الحبلة بتحريكها اي حمل الكرمة قبل ان يبلغ . جعل حملها قبل ان تبلغ حبلاً . وكان لأنس بن مالك حبلة تحمل كُرّاً وكان يسميها ام العيال . وهي الاصل من الكرم انتشرت قضبانها عن غراسها وامتدت وكثرت قضبانها حتى بلغ حملها كرّاً (والكر ستون قفيزاً والقفيز ثمانية مكاكيك والمكوك صاع ونصف) .

المَيْس ضرب من الكرم ينهض على ساق بعض النهوض لم يتفرع كله واليه ينسب الزبيب الميسي كذا قاله في التاج . وفي اللسان الميس شجر عظام شبيه في نباته وورقه بالغَرَب واذا كان شاباً فهو ابيض الجوف فاذا تقادم اسود فصار كالآبنوس و يغلظ حتى تتخذ منه الموائد الواسعة والرحال . ثم قال : قال ابن سيده واخبرني اعرابي انه رآه بالطائف قال واليه ينسب الزبيب الذي يسمى الميسي . ولعل ما في التاج أقرب الى الصواب .

الزَرَجون بالتحريك شجرة العنب واحدته زَرَجونة . قال دُكَين بن رجاء :

كأن بالآبرَزْآ المعلول ماء دوالي زرجون ميل

وقيل الزرجون قضبان الكرم ومنه قول الشاعر :

بُدِّلوا من منابت الشيح والاذ خر تيناً و بانعاً زرجونا

وقيل الزرجون القضيب يغرس من قضبان الكرم وأنشد :

اليك امير المؤمنين بعثتها من الرمل تنوي منبت الزرجون

أراد بنبت الزرجون الشام لانها اكثر البلاد عنباً .

وقال ابن سيده : فاذا تأصل واستحكم نباته فكل اصل زرجونة وحبلة وكرم وكرمة وقال في موضع آخر فان غرس الكرم من قضيبه فاسم القضيب الشكير وجمعه شكر وهو ايضاً زرجونة وجمعه زرجون . ثم قال والحبلة كالشكير وجمعها حبل .

الحَبَكة بالتحريك والهاء والحَبَك بحذف الهاء الأصل من اصول الكرم .

العوادي من الكرم مايغرس في اصول الشجر العظام واحدته عادية . قال الاصمعي ويسمون كرم العنب الذي يعرش[1] في اصول الشجر العظام العوادي وذلك انهم يعمدون الى المكان الكثير الشجر الظليل الذي قد التف شجره الذي لا يخلو اصله من الظل ولا تصيب الشمس ماتحته فيسمونه الضّارّ فاذا غرسوا الكرم تحت ذلك الشجر نسبوا كل شجرة من الكرم الى الشجرة التي غطت عليها ولايسمونها الحبلة كما يسمونها في الحوائط ولكن يقولون عادية العتمة وعادية العَرْعرة وعادية الثومة ويسمون العوادي الجفن ومثله في المخصص الا انه قال فيسمونه الضار بالضاد المعجمة وهو تصحيف والصواب الصار بالصاد المهملة . قال في تاج العروس والصار الشجر الملتف الذي لا تخلو اصوله من الظل لاشتباكه .

« اصطفاف شجره واتساقه »

السريف كأمير السطر من الكرم .

السُرْبة الصف من الكرم وكل طريقة سربة . وفي المخصص السربة الطريقة من شجر العنب .

وفي اللسان في مادة (ج ب) والشَّرَبَّة الطريقة من شجر العنب على طريقة شربه ولم يذكرها في مادة (ش ر ب) بهذا المعنى .

السّكة السطر المصطف من الشجر والنخيل . وقال الاصمعي العنب اصيل اي كثير اصلاً وفي التاج عن الاساس ان النخل في ارضنا لأصيل اي هو بها لا يزال باقياً لا يفنى ونحوه في اللسان .

---

(١) كذا في الاصل والصواب يغرس .

« النَّوْر والزهر »

النَّوْر بالفتح الزهر او الابيض منه . وقيل النور الابيض والزهر الاصفر وذلك انه يبيض ثم يصفر وجمعه أنوار . ويقـال له النُّوْرة والنوار كرمان واحدته نُوّارة ونور الشجر تنو يراً وأنار انارة اخرج نوره وأنار الشجر والنبات وانور ظهر وحسن .

الزهرة بفتح فسكون وبفتحتين نور كل نبات والجمع زَهْر وازهار وجمع الجمع أزاهير ويقال أزهر النبات والشجر بالالف وازهر وازهارّ اذا نور وظهر زهره ويقـال زهر النبت كفرح وكرم اذا حسن .

قال الأصمعي : أزهر العنب . وقد طار الزهر عن العنب وهو ان يخرج زهره اي نوره . وفي المصباح أزهر النبت خرج زهره وزهر يزهر بفتحتين لغة . وفيه قالوا ولا يسمى زهراً حتى يتفتح . وقال ابن قتيبة حتى يصفر وقبل التفتح هو برعوم . و يقال ازْرَنْشَق الشجر اذا أزهر .

و يقال تفتحت الاكمّة عن النور اي انشقت وكل ماانكشف عن شيء فقـد انفتح عنه وتفتح . وفي اللسان وكل نور تفتح فقد تفقح وكذلك الورد وما أشبهه من براعيم الأنوار .

الزَّهْو نور النبت وزهره واشراقه والنبات الناضر وزها النبت يزهو اذا نبت ثمره وأزهى يزهي اذا احمر او اصفر وقيل هما بمعنى الاحمرار والاصفرار .

القعال كغراب نور العنب وشبهه . او القعال ماتناثر عن نور العنب وفاغية الحناء وشبهه من كامه واحدته قُعالة . وأقعل النور انشقت عنه قُعالته وكذلك اقعأل كاشمعل وأقعل الكرم انشق قعاله وتناثر . والاقتعال تنحية القعال . واقتعله الرجل استنفضه في يده عن شجره . وفي المخصص واذا انتثرت اكمة الكرم فذلك القعال والاقتعال جمعه واخذه . وزعم جماعة ان القعال بزر العنب .

الكم والكمامة بكسرهما غطاء النور والجمع أكِمّة وأكمام وكمام بالكسر . وكم الكبائس يكُمها كمّاً وكممها تكميماً جعلها في اغطية تكنها كما تجعل العناقيد في الاغطية الى حين صرامها واسم ذلك الغطاء الكِمام . وفي اللسان لكل شجرة مثمرة كُمّ وهو برعومه . وكمام العذوق التي تجعل عليها واحدها كُمّ . وفيه ايضاً وكُم كل نور وعاؤه والجمع أكمام

والأكاميم وهو الكِمام وجمعه أكِمّة . وكُمّ الفسيلُ اذا اشفق عليه فستر حتى يقوى . والكُمّة بالضم كل ظرف غطي به شيئاً وألبسته اياه فصار له كالغلاف . واكمام الزرع غلُفها التي يخرج منها والكِم غلاف الثمر والحب قبل ان يظهر .

ويقال الأكِمّة لباس النور . ولباس كل شيء غشاؤه .

قال اللسان : الكافور كِم العنب قبل ان ينوِّر . وقال ايضاً وقول العجاج كالكرم اذ نادى من الكافور كافور الكرم الورق المغطيّ لما في جوفه من العنقود شبهه بكافور[1] الطلع (وهو وعاؤه وقشره الاعلى) لانه ينفرج عما فيه ايضاً . وفي المصباح والكافور كم النخل لانه يستر ما في جوفه . وقال ابن فارس الكافور كم العنب قبل ان ينور لانه كفر الوليع[2] اي غطاه ويقال له الكُفَرّى .

وفي التاج والكافور زمع الكرم وهو الورق المغطى الخ ما جاء في عبارة اللسان ثم قال وجمعه كوافير وكوافر . والمشهور في جمع الكافور كوافير واما كوافر فانه جمع كافر كما صرّح به في اللسان وسيأتي عن المخصص ان البنائق هي الكوافير اي الاغطية .

البُرعُم والبُرعُمة والبرعوم والبرعومة بضم الباء والعين وسكون الراء فيهن كم ثمر الشجر والنور . وقيل هو زهرة الشجر ونور النبت قبل ان يتفتح وبرعمت الشجرة فهي مبرعمة وتبرعمت اخرجت برعمتها والجمع البراعيم .

القُنْبُعة غلاف نور الشجرة مثل الخنبعة قنبعت الشجرة اذا صارت زهرتها في قنبعة اي غطاء .

البرهمة ويضم برعمة الشجر . وفي اللسان برهمة الشجر برعمته وهو مجتمع ورقه وثمره ونوره . قال رؤبة : يجلو الوجوه ورده وبرهمه .

البَهْرَمة زهر النور . وبها روى قول رؤبة السابق وفي اللسان بهرمة النور زهره .

الحَنْبر محركة نور العنب . وجيه بعد البرم وسيأتي .

الخَمْطة . ريح نور الكرم وما أشبهه مما له ريح طيبة وليست الشديدة الذكاء طيباً . « للبحث صلة » سليم الجندي

عضو المجمع العلمي

---

(١) قيل وعاء كل شيء من النبات كافوره . (٢) الوليع الطلع او الطلع قبل ان ينفتح او ما في جوف الطلعة .

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

- ٧ -

حدثني ابو الحسين قال سمعت اباعيسى احمد بن محمد بن خالد المعروف باخي صخرة يحدث ابي قال ما رأينا احسن رعاية من ابي القاسم عبيد الله ابن سليمان فمن ذلك ان اسماعيل بن ثابت المعروف بالزغل كان يتقلد لابي الصقر اسماعيل بن بلبل في وزارته طساسيج بادوريا وقطربل (١) ومسكن (٢) ونهر بوق (٣) والذنب وكلواذى (٤) ونهربين (٥) فلحق علي عبيد الله بن سليمان وهو اذ ذاك متعطل في منزله بعقب تقضي النكبة عنه ولزومه لبيته ثلاثة آلاف درهم ذكر انها تجب عليه ببادوريا في سنين من مظالم باطلة وبقايا غير لازمة وأحضر وكيله وطالبه بها فقال له أمضي والتقي بصاحبي واوافقه عن الاداء فوكل به عدة من رجالته وانصرف . فصار الى عبيد الله وقال له اغرم للرجالة جملا ودافع بلقائه يومين الى ان نطرح عليه من يسأله ترك المطالبة باذ يقررها معه فخرج الوكيل وبذل للرجالة أوفر الاجمال فذكروا انهم لا يقدمون علي الافراج عنه خوفاً من الزغل وتكرر الكلام

«١» م ، ع : قطربل قرية في ضواحي بغداد كانت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين.

«٢» م ، ع : مسكن موضع على نهر دجيل كانت به الوقعة بين عبد الملك ومصعب ابن الزبير . «٣» م ، ع : نهربوق طسوج من سواد بغداد قرب كلواذى .

«٤» كلواذى طسوج قرب بغداد لهج بذكرها الخلعاء كثيراً . «٥» م ، ع : نهر بين ويقال له نهربيل طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق .

بينهم الى ان وثب حاجب عبيدالله بهم «١» وحال بينهم وبين الوكيل وادخله الدار وانصرفوا فشكوا ذلك الى الزغل واسرفوا خوفاً منـه ليقوم عذرهم لجاء الزغل فأسرف اسرافهم وأضـاف كل قبيح الى عبيد الله وشكاه الى الوزير اسماعيل وقال له انه لا يقدر على استخراج مال عليه الا بالمبالغـة في مكروه عبيد الله والانكار عليه وحبسه بنفسه في الديوان حتى يؤدي ولا يقتدي به المتمذر. وكان اسماعيل من العداوة لعبيد الله والبغض له والخوف منه على محاله بمنزلة عظيمة وفيه مع ذلك تشدد في نصرة العمل وجبرية في نفسه فاغتاظ جداً فأحضرني وانا مع ذلك «٢» اتولى له ديوان ضياعه وتقدمته وتدبير الجيش برسمه ومنزلتي في الاختصاص به قوية فقـال احضر هـذا الجاهل عبيد الله بن سليمان وعرفه ما شكا منـه اسماعيل بن ثابت وان جرأه عليه الابعاد الى طنجة «٣» وقبض نعمته وضياعه واني اعرفه بالعجب والجهل ولولا ان الزمان قد كفاني اسقاطه باسقاط ابيه وصار الى منزلة ان عاقبتـه بما يستحقه جملت له فيه سوقاً — لما أخرت عقوبته ولكن قل له والله لولا تذممي لأمرت بالاخير (٤) ان يصفع من داره الى ديوان اسماعيل بن ثابت ويقام على رجله حتى يؤدي ما عليـه ولا تدعه من الديوان او يحضر وكيله

«١» م، ع: كذا في الاصل والمعروف وثب عليه. «٢» لعله حينئذ. «٣» م، ع: كـذا في الاصل: وفي معجم البلدان طنج رستاق بخراسان قرب مرو. وطنجة بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء هي آخر حدود افريقية. ولعل الاصل وان جزاءه عليه الابعاد الى ... «٤» م، ع: الاخير. الادنى والارذل والموءخر والابعد ويقال في الشتم ابعد الله الاخر والاخير.

وحاجبه فيسلمهما الى اسماعيل بن ثابت وتصرفه حينئذ ليطالبهما اسماعيل بما عليه . قال فخرجت وكتبت اليه رقعة استدعيه فيها الى الديوان دعوت له فيها كما يدعى من الديوان لمثله وهي سطران دعاء وترجمتها من ظاهرها لاني فلان من فلان وكان الكاتب كتبها عني فلما عرضها علي زدت فوق الدعاء بخطي يا سيدي وكتبت من داخل الرقعة عبدك وانما أردت توفية الحق بذلك وستر الامر عن كاتبي لئلا يسمع اني خاطبته بتعظيم (١) فأقع في مكروه مع اسماعيل . وزدت في آخر الرقعة بخطي انه لا يجب ان يستوحش من شيء أتوسطه فاني أحوطه بجهدي وان سبيله ان يحضر عشياً ولا يتأخر فيطرق على نفسه امراً عظيما . وأردت ان يحضر عشياً ليكون مجلسي خالياً فأوفيه الحق ولا يجيء عدوه فان وفيته الحق لحقني من الوزير انكار . وان قصرت تذممت اليه وراعيت العواقب فيه . فجاءني في جواب الرقعة عشياً فقمت اليه وكان هذا عظيما محظوراً على مثلي وخاصة في الديوان وصدرته وجلست بين يديه وعرفته ماجرى من الزغل واعدت من كلام الوزير من الانكار والايعاد ما جمل لفظه ، وقلت قال اشياء أخر كثيرة قبيحة عظيمة هائلة لا أستحسن تلقيك بها وأجل سمعك عن ايرادها عليك هذا أقلها وأحسنها ، ومع ذلك فانه أمرني ان لا تبرح او تحضر الوكيل والحاجب ثم استأذنته في انصرافك . فأجاب على ان فعلت هذا ان يصير لك اعتقال ان خالفت ثم لا ادري اي شيء يتولد من طمعه فيك ولا اي

(١) بالاصل بعظيم .

شيء يتجز عليك واكون سببه ولكن اجعلني على ثقة من انفاذك الرجلين اليه وانصرف لاعرفه ماجرى فان انكر عليّ انصرافك بغير اذن جحدته اني سمعت ذلك منه وكن على تحرز من غير ان يشيع ذلك الى ان يجيئك ثقتي بجلية الصورة فتعمل بها وبحسبها اما في الامن او الهرب . فشكرني وقال ما أطمع (١) ان اكافيك على هذا . وقام وقمت بقيامه وودعته وقلت ياغلمان باسركم بين يديه . فخرج وانفذ الرجلين وتوقى توقياً ضعيفاً . ودخلت فعرفت الوزير الصورة وجملت القصة وأمرني بترك التعرض له وتسليم الرجلين الى الزغل . فأحضرت الزغل وسلمت الرجلين اليه وقلت له تقبل رأيي ؟ فقال قل : فقلت قد بلغت ما تريد فأحسن في الامر ماقدرت . فقال ياسيدي هذا ابطال العمل ولا بد من تقويعهما فجهدت به في الاحسان فلم يفعل وانفذ الرجلين الى باب عبيدالله فضربهما عليه كل واحد منهما عشرين مقرعة وصفع الوكيل بعد الضرب خمسين صفعة واستخرج الدراهم ومضت السنون على هذا وفرج الله عن عبيد الله وتقلد الوزارة فاستترت لاجل اختصاصي باسماعيل الوزير وما التزم من جهته . وقبض عبيد الله على الزغل وكان اول من صودر من اسباب اسماعيل وعومل من المكاره بما لم يسمع باعظم منه . ولم يتصرف في ايام عبيد الله الى ان مات وهو يتصدق (٢) واستترت انا اياماً فلم يعرض عبيد الله لطلبي ولا لشيء من داري وضيعتي

(١) لعله : اطمعني . م ، ع : الاظهر ما في الاصل لان المراد اظهار اليأس من القدرة على مكافأته لا التعجب من الطمع في المكافاة .

(٢) م ، ع : تصدق بمعنى سأل وبمعنى اعطى وانكر الاصمعي وغيره كونها بمعنى سأل .

ولا لاهلي ولا معاملي فأنست بذلك وكتبت اليه بعد ذلك أسأل الامان فأمنني فحضرت مجلسه وهو حافل بالناس وبين يديه الخلق من اصحاب الدواوين والقواد . فحين رآني قام اليّ قياماً تاماً فقبلت رجليه وقلت قيلني (١) الوزير أطال الله بقاءه وليس هذا محلي . فقال ولمَ ؟ مايفي قيامي الك بقيامك لي لانك قمت لي في وقت عرضت بقيامك لي نفسك ودمك ونعمتك وحالك لذلك العدو لله . وعاملتني عا لف (٢) به شكري ولك كلما تحبه عندي ولن يلحقك سوء في مالك ولا غيره قال ولج به المعتضد في مصادرتي وهو يدفعه عني ويقول له اشياء يدفع بها عني لا اصل لها منها انه قال له هذا قد صادره اسماعيل في ايام تصرفه معه دفعات وافقره على سبيل القرض وكانت له نفقات عظيمة ومروءة وهو مع هذا عفيف لا يرتفق بشيء ولا يجاوز رزقه ولا حال له فيصادر ولا طريق عليه . قال والمعتضد يلح فقال لي عبيد الله ليس لك الا ان تبعد عن المعتضد حتى ينساك . فقلت الامر للوزير فقلدني الخراج والضياع بقم وكتب الى صاحب المعونة يخدمني واخرجني على امر عظيم . وطالبه المعتضد بالتزام مصادرتي فأعاد عليه القول . وقال احتجت الى الاستعانة بكفايته فأنفذته الى قم . فقال فلا بد من الزامه شيئاً هناك فكتب بالصورة اليّ وألزمني عشرين الف دينار وعدني باخلافها علي . فالتزمتها ولم يكن القول بها موءثراً في حالي . فلما أديت منها عشرة آلاف

«١» م ، ع : كذا في الاصل ولم نجد في معاني قيل ما يلائم هذا المقام ولعلها محرفة عن قيد ، من قولهم قيده باحسانه .

«٢» لعله لم يف .

أسقط الباقي . وسأل المعتضد فيه فحطه عني وماعطاني الى ان مات . فسلمت ونعمتي عليه وكسبت معه نعمة ثانية انا فيها الى الآن ثمرة ذلك الاحسان . وهلك الزغل وبلغ الى الصدقة ومات في الفقر بثمرة ذلك الشر .

ومن عجائب الدنيا وآياتها اشياء في سواد واسط : حدثني جماعة منهم رجل يعرف بابن السراج وغيره ومنهم محمد بن عبد الله بن محمد ابن سهل بن حامد الواسطي وجده ابو بكر محمد بن سهل كان وجهاً من وجوه الشهود بواسط . ثم تقلد القضاء بها سنين دفعات فأثبت ذلك بخطة محمد بن عبد الله عقيب هذا الكلام : شاهدت على نحو من فرسخ وكسر من رصافة الميمون (١) قرية من قرى النبط او الاكاسر وتعرف بالحراوقله (٢) فيها آثار قديمة من بنايا جير وجص وفيها قبة قائمة كالهيكل كانت قديماً وتمثال رجل من حجر اسود املس عظيم الخلق يعرف عند اهل ذلك الصقع بابي أسحاق لانه يتعاطى قوم من اهل القوة شيله فيسحقهم ويكسر عظامهم وقد قتل وأزمن خلقاً فيذكر اهل الموضع انهم سمعوا أشياخهم يدعونه بذلك على قديم الايام وهذه القرية خراب لا يذكر فيها عمارة قد كان احتمل هذا الحجر رجل يعرف بالجلندى كان على حماية المأمون فعمد اليه وشد فيه الحبال وجره بالبقر الى ان بلغ به موضعاً من الصحراء فأمسى فتركه في موضعه فلما أصبح عاد فوجده ناحية عن

«١» راجع كتاب المشترك لياقوت الحموي ص ٤١٣ .

«٢» كذا بالاصل : ولعله بالجير او قلة .

الموضع الذي تركه فيه و ن ذلك الحجر صار بالقرب من موضعه الاول وتركه وانصرف . ثم احتمله بعد ذلك رجل آخر من اهل الرصافة على خلق من الحمالين يتناوبون عليه حتى أدخله الرصافة . فحضر اهل ذلك الصقع الذي كان فيه يصيحون ويقولون ان هذا يؤنس به في ذلك المكان وانا نأوي اليه في الليل فنأنس به ويمتنع عنا الوحش اذا كنا نقربه فلا يقربون ما يأوي اليه . فحملوه ثانية حتى ردوه الى موضعه الاول بعد ان بذل لهم الرجال حمله من الرصافة وكان على صدره وعلى ظهره وكتفيه كتابة محفورة قديمة لا يدرى باي قلم هي . وفي هذه البلاد قرية تعرف بقصبة نهر الفضل وهي تلهوار (١) بنحو فرسخين «من» تل يعرف بتل ريحا من البلاد القديمة فيها آثار وفيه حجر عظيم مربع له سمك كثير وهو كالسرير طوله تسعة اذرع في اذرع (٢) قد غاب في الارض اكثره وعليه تماثيل ونقش وكان صاحب تلهوار احمد بن خاقان أراد اقلاب (٣) هذا الحجر لينظر ما تحته فاحتفر حوله واجتهد ان يقدر على قلبه فلم يقدر على ذلك : انهم كانوا (٤) كلما احتفروا تحته ليتمكنوا من قلبه هوى الى الحفرة فاستغرق فيها فلما أعياه ذلك تركه على حاله . وفي موضع من (٥) الذي في

«١» م ، ع : كذا في الاصل وفي معجم البلدان تل هوارة من قرى العراق . ونهر الفضل من نواحي واسط . «٢» م ، ع : كذا في الاصل .

«٣» م ، ع : اقلب بمعنى قلب وهي لغة ضعيفة .

«٤» لعله : لانه كان .

«٥» بياض بالاصل .

ظهر البطائح بين واسط والبصرة مما يلي الطفوف (١) من القبة العتيقة فيه خزانة يقال لها القارة يقال انها من خزائن قارون . طولها اربعون ذراعاً والعرض مثله وارتفاعها اكثر من ذلك. مبنية بالقار والحصى والنوى وهي مجموعة الرأس لها باب ولا تقف لها على مدخل وكان رجل من ساكني تلهوار يعرف بعمر النجار أضاف رجلا من المجتازين واكرمه فأحب ان يكافيه فأعلمه كيف الوصول الى هذه القارة وكتب له بذلك كتابا أوقفه عليه وقال له نريد ان نستعين برجل كبير وأومى الى خاقان وابي القاسم بن حريط العبدسي (٢) وكانا رئيسي البلد فاعلمهما ذلك فأعدوا له آلة لما يحتاج اليه من الفتح من مرور وآلات حديد وخشب وزبل (٣) وسلاليم (٤) واجرة سفن وحبال وغير ذلك ولزمهما عليها مع مؤن الرجال الوف دراهم كثيرة وأثبتا (٥) رجالا كثيرة للحماية لان الموضع تطرقه القرامطة والبوادي ثم أخرجاه ومن معه من الرجال في سفن في البطيحة لان الماء اذا زاد في البطيحة يصير فيما بينه وبين هـذه القارة دون الفرسخين فمضوا اليها . فحدثنا ابن لهذا الرجل المعروف بعمر النجار انه كان مع ابيه في الموضع

«١» م ، ع : الطف ماأشرف من ارض العرب على ريف العراق ، والطف طف الفرات اي الشاطي موضع بناحية الكوفة والجمع طفوف . «٢» غير واضح .

«٢» غير واضح . م ، ع : قال ياقوت عبدسي اسم مصنعة كانت برستاق كسكر خربها العرب وبقي اسمها على ما كان حولها من العمارة وفي التاج عبدس كمنبر علم .

«٣» م ، ع : زبل ككتب جمع زبيل كأمير القفة او الوعاء .

«٤» م ، ع : جمع سلم وهو المرقاة .

«٥» م ، ع : كذا في الاصل ولعله بثا اي فرقا ونشرا .

فوافى فمسح مما يلي مطالع الشمس من هذه القبة اربعين ذراعاً ثم احتفر الموضع فظهر له حجر عظيم لا يقله الا الجماعة الكثيرة فلم يزل يحلحل (١) حوله حتى أخرجه واذا أزج (٢) عظيم كان ذلك الحجر عليه على بابه ولحقه المساء فعمل على المباكرة لدخول الازج والوصول الى باب القبة فبات ليلته ومن معه فلما كان من وجه الصباح حين يبدو الفجر سمعت الجماعة تكبيراً وضجة ونظروا فاذا سيوف الخيل تبين من خلال الظلمة فتاذروها (٣) ولم يشكوا انها خيل القرامطة وتوجهوا نحو البطيحة والسفن التي لهم هناك فلم يزالوا كذلك يتعادون الى ان أصبحوا وبان مافي الصحراء مما يحتاجون ان يروه فلم يروا خيلا فظنوا انها قد انصرفت عنهم فعادوا راجعين الى مواضعهم فصادفوا عمر النجار مذبوحاً في بعض الطريق ووافوا الى مواضعهم فوجدوا أمتعتهم كما هي : مافقدوا منها شيئاً . فاحتملوها واحتملوا عمر النجار وانصرفوا . وقيل انه لم يوجد الحجر ولا أثر الموضع الذي احتفروا. وقد يجد الناس ممن يجتازون بذلك الموضع اويقصده — دراهم وجواهر حول تلك الخربات والقبة وقد يأوي الى تلك الخربات النعام وتبيض فيها لخلوها وانقطاع الناس عن الاجتياز بها الا في الحين بعد الحين .

رأيت بواسط شيخاً ذكر لي في شهر ربيع الاول من سنة ٣٦٣ انه قد

«١» م ، ع : يقال حلحل الشيء اذا حركه وأزاله ولعل الاصل يحلحل ما حوله .
«٢» م ، ع : الازج بيت يبنى طولا وقد ذكر علماء اللغة أن القنطرة أزج يبنى ويعبر عليه . «٣» م ، ع : كذا في الاصل ولعله تناذروها اي انذر بعضهم بعضاً وخوفه .

تجاوز الستين سنة وان مولده ومنشأه بالدحب (١) قرية من سواد واسط وان اباه كان رجلا من اهل البصرة من بني تميم وفد قديماً الى واسط ثم استوطن السواد فولد هو فيه ونشأ الى ان بلغ ، فأحب العلم فرجع الى البصرة وأقام بها وتأدب ثم دخل البادية فأقام بها نحو عشر سنين ولقي الناس ووجدته يفهم من اللغة والنحو طرفاً وهو شاعر من شعراء واسط المشهورين ويلقب بسيدوك . وأخبرني هو قال قال لي ابو محمد المهلبي وقد امتدحته لمّا وزر : لمَ تسميت بسيدوك ؟ قال قلت لانه اسم رئيس الجن وانا رئيس الشعراء . قال فقال لي أفتدري لم سمي سيدوك رئيس الجن بهذا الاسم ؟ قلت لا قال . بلغني انه انما سمي بذلك لان في الجن قبيلة يقال لها هلوك (٢) وهو سيدها فاستثقلوا ان يقولوا سيد هلوك (٣) فخففوها فقالوا سيدوك والرجل كان يكنى ابا طاهر واسمه عبد العزيز بن حامد بن الخضر على ما أخبرني .

وحدثني «٤» قال كنت يوماً بحضرة بعض الرؤساء في مجلس شراب فرماني بنارنجة نصفها أصفر ونصفها أخضر . وقال لي قل في هذه شيئاً . فقلت في الحال :

وطيبة النشر مسكية مرصعة بالتحايا «٥» العذاب
فاصفر في لون شمس المسا واخضر في لون قوس السحاب

«١» لعله : بالرحب . «٢» بالاصل يقال لها هلوك .
«٣» بالاصل سيدوك . «٤» بدائع البداية لابن ظافر ٢ : ٢٢ .
«٥» في البدائع بالسجايا .

فلون كوجنة مرعوبة   ولون كاثر نصول الخضاب
فهذا كمصة نحر (١) الحبيب   وذاك كاعل صرف الشراب

وأنشدني لنفسه ايضاً :

شربت حلاوة عيش الصبي   وذقت مرارة فقد الشباب
فلا طعم اكره مما أغتدى   خضابك مستهتراً من خضابي (٢)
ولا شيء أعجب مما التقى   نصول الخضابين يوم العتاب
اشارت الى قصص محدقات   بالوان نيلوفرات طياب

وأنشدني لنفسه :

ارى قسمة الارزاق أعجب قسمة   كذي رعة (٣) مثر ومكد به الكدّ
فاحمق ذو مال واحمق معدم   وعقل بلا حظ وعقل به (٤) جدّ
يعم الغنى والفقر ذا الجهل والحجى   ولله من قبل الامور ومن بعد

وأنشدني لنفسه :

أظن بلية دهمت فؤادي   وأحسبها غزال بني سليم
والا - لم بقيت - فيمثربني   بدِّ أنه ضائم من غير ضيم
ولم عيني اذا فقدته كانت   كعين الشمس اذ غطيت بغيم

حدثني ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله قال كنت مع ابراهيم ابن نافع العقيلي المعروف بابن البارد الطوق وبعض العرب (٥) يباري الطوق

«١» في البدائع : خد . «٢» م ، ع كذا في الاصل . «٣» م ، ع كذا في الاصل والرعة حسن الهيأة . والاولى ان تكون دعة بالدال . وهي السعة في العيش والراحة . او هي الرعية بكسر الراء الماشية الراعية . «٤» بالاصل بدي . «٥» لعله سقط : يسميه .

وكانت العامة تسميه ابن البارد الطوق . وخبروني انه سمي بذلك ابوه لانه ضرب رجلاً في عنقه طوق فبراها (١) بالضربة قال وكان ابو اسحاق بن البارد هذا اذذاك امير نهر الايسر الذي بين رستاق البصرة والاهواز (٢) وهو اذ ذاك يليها من قبل معز الدولة . فورد عليه رجل قد هرب من القرامطة من بني عقيل يعرف بمختار بن فرناس وكان من حي ابراهيم من بني معاوية بن حزن ، وكان في عنق المختار هذا طوق فضة ، وكان سبب هربه على ماسمعت خلقاً من بني عقيل يخبرون بذلك اذ ذاك انه قتل اخاه وابن عمه لاجل ضيف أضافه وذلك انه كان مع الضيف مال صامت (٣) فأعمل اخوه على الغدر بالضيف واخذ المال منه فأعلم المختار بذلك (و) منعه واقتتلا بالسيوف فقتل اخاه فجاء ابن عمه يلومه وتخاطبا الى ان تجاذبا السيوف وتخابطا بها فقتل ابن عمه ايضاً وسكن من نفس الضيف حتى لا يذعر ولم يكن له ما يطعمه تلك الليلة فعرقب فرسه وذبحه واشتوى من لحمه واوقده حتى اصطلى به الضيف . فلما أصبح وارتحل الضيف خاف ان يبلغ القرامطة خبره فيأمر العريف باخذه واسلامه الى المحنة فهرب الى ابراهيم . فرأيت رسول القرامطة قد جاء الى ابراهيم فأخذه على صلح وامان ورجع الى حيه . ثم بلغنا انهم محنوه بعد ذلك تأديباً له . فما سمع برجل في زماننا من اهل البادية أشجع ولا أكرم ولا آدب منه ، والمحنة عند القرامطة انهم

(١) م ، ع : كذا في الاصل . وعليه يعود الضمير على العنق لانها قد تؤنث . وفي بري العنق بري للطوق . (٢) في معجم البلدان : كورة ورستاق بين الاهواز والبصرة . (٣) م ، ع : الصامت من المال الذهب والفضة والناطق منه الابل .

اذا نقموا على رجل استدعوه من حيه الى الاحسا بلدهم فطرحوه: امامقيداً يكدي في البلد او سائساً للخيل او راعياً للغنم او الابل او ضربوه وجددوا عليه في كل يوم لوناً من العقاب . ولا يزال عندهم حولاً واكثر وربما عاقبوه بالوان أخر لجميع ما يعملونه من التأديب يسمونه محنة .

انشدني ابو القاسم لنفسه :

اصدع صدر الرمح في صدر فارس ... واوقد ما يبقى من الرمح للضيف
واقطع سيفي في الطلى ثم انثني ... فاذبح عيري (١) بالبقية من سيفي
واني اصيف في الشتاء اذا اتى ... واني شتاء بارد الظل في الصيف
وما زلت صدر العلم صدر كتابة ... وقلب الوغى ناب عن الضيم والحيف

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال حدثنا ابو جعفر محمد بن يحيى ابن زكريا بن شيرزاد قال لما أخرج المقتدر هارون بن غريب الخال مع مونس ونصر والقواد لمحاربة القرمطي حين وافى من زبارا (٢) عرضنا الجيش لانه كان ديوان العرض الى صاحبي ابن الخال وكنت اكتب عليه وعلى امره كله فأمره المقتدر بعرض الجيش بزبارا لئلا يكون قد اخلى (٣) ممن جرد الى الحرب احد فتقدم اليّ ابن الخال بذلك فعرضتهم فكانت العدة من سائر الفرسان والرجالة مع من جرد من الحجرية وخدم الدار

«١» م ، ع : كذا في الاصل والعير بفتح العين الحمار الوحشي وبالكسر الابل .
«٢» م ، ع : قال ياقوت في معجم البلدان زبارا موضع اظنه من نواحي الكوفة ذكر في قتال القرامطة ايام المقتدر ولم يضبطه . «٣» م ، ع : اخلى الرجل انفرد واخلاه غيره ولعله خلى اي ترك .

اثنين وخمسين الف رجل مرتزق اواحداً وخمسين. الشك من ابن شيرزاد وهذا سوى من تبعهم ممن لارزق له على السلطان وانما رزقه على صاحبه . قال ابو جعفر وكان قد تخلف ببغداد نازوك وعسكره برسمه ورسم الشرطة سبعة آلاف فارس وراجل وبقي في دار الخليفة ممن لم يخرج الف غلام من الحجرية والف خادم(١) اقل او اكثر ممن ترك لحراسة الدار وهذه العدة سوى من كان في النواحي من الشحن(٢) الا من استدعي ممن كان في السواد لمعاون بغداد مثل طريق خراسان وطريق دجلة وسقي الفرات وهذه النواحي القريبة .

حدثني ابو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي قال كنت قد ركبت مع نفر من بني قشير بالموصل فحملوني الى حي لهم بالبادية على ايام منها فأقمت في الحي شهوراً فكنت يوماً جالساً فرأيت فتىً بدوياً يسمى بمساف حدث(٣) السن حسن الوجه راكباً . فقال لي صاحب البيت هذا رجل من بني نمير وهو جار لنا وهو شاعر فيجب ان تسمع من شعره ، فقلت نعم : فسأله النزول فنزل وذاكرته بالشعر فوجدته كثير الرواية لاشعار البادية في زمانه فما انشدني بيتاً اعرفه ولا نسب شيئاً مما انشدنيه الى شاعر اعرفه : متأخر او متقدم ووجدته لا يلحن البتة . وانشدني شيئاً كثيراً

«١» م ، ع : كذا في الاصل ولعله او اقل الخ . «٢» م ، ع : الشحنة من فيه الكفاية لضبط البلد او الكورة من جهة السلطان والرابطة من الخيل .

«٣» م ، ع : جمهور اللغويين يقولون حدث فان ذكرت السن قالوا حديث السن ونقل عن ابن سيده حدث السن وحديثها .

فماق بحفظي من ذلك قصيدة استعدته اياها دفعات حتى حفظتها وقد شذ عني منها ابيات . قال وكان هذا في سنة ٣٣٦ واسم الشاعر عساف النميري . قال ولا اعرف اسم ابيه ولا نسبه . والقصيدة :

نظرت واعلام السرية دوننا ... بعينيْ فتى صب يرى الهجر مغرما
واشرف ركب يهلك الطرف دونه ... يظل به الحبشية (١) الحوّ جثما
واكرهت طرف العين حتى كأنني (٢) ... ارى بفضاء الارض ستراً منمنما
اذا القوم قالوا اصح شيء (٣) حسبته ... اصم وعن رد المشورة اعجما
دعاهن من نجد لحوران بعدما ... رمين بسهم الحب قلباً متيما
تعرّض (٤) لي يوم اللوى عن مشورة ... واودعن في ذات الوشاحين مرنما «٥»
وقلن اقتلنه «٦» يا مليح فانه ... متى مارمى كانت مراميه «٧» حذما
دماء الغواني عند ذا مستحلة ... فان نرم رشقاً «٨» نلق سهماً مسمما
فابدت على اللبات وحفاً «٩» كأنه ... عناقيد عناب تفرّع سلما

«١» م ، ع : الحُبشية ضرب من النمل سود عظام . والحو السود . ومن النمل نمل حمر يقال لها نمل سليمان وجثم جمع جاثم اي لابد . والمعنى انه يتراءى له من كثرة تحديقه في الركب خيالات نمل اسود بينه وبين الركب . «٢» بالاصل كانا . «٣» بالاصل سا . م ، ع الصواب صح شيئاً وهو اقرب الى مافي الاصل . والمراد انه صح قليلا من عشقه .

«٤» لعله تعرضن . «٥» م ، ع كذا في الاصل والظاهر انه محرف عن مزعم اي مطمع . يقال زعم في غير مزعم . طمع في غير مطمع . اي انهن اودعن فيها طمعهن وثقتهن في ان تكون هي العاملة على قتله . «٦» م ، ع كذا في الاصل والظاهر اقتليه يامليحة . «٧» م ، ع المرامي جمع مرماة وهي السهم وحذما قاطعات . «٨» م ، ع يقال رموا رشقاً واحداً اي وجهاً واحداً بجميع سهامهم . «٩» م ، ع الوحف الشعر الكثير الحسن الاسود .

وجيداً كجمار «١» الفسيلة بزه من الليف جانيه وكان مكرّما
وعني غضيض الطرف من جدل(٢) المها كحيل المآقي قرنه حين كمّما
وابيض براق الغروب (٣) كأنه حصى برد همّت به ان تبسما
قالت انا سعدى تبدلت بيننا صدوداً ومحمود العشيرة ضيغما
فقلت هنيئاً ذاك شيء يسرني غناها وان تلقى من العيش انعما
ولكن سليني عن حراجيج (٤) ضمر سواهم (٥) يحذفن (٦) السريح المخدّما
وخرق (٧) كأن البق (٨) بالدغ دفها اذا المعجب الساري عليها ترنما
وعن فتية شمث اللمام (٩) رمى بهم هويّ (١٠) المطايا مخرما (١١) ثم مخرما
سروا لسنا نار هوين (١٢) وكلهم من البرد ما يبدي البنان المكمما
فلما اتونا جانب الحي عرسوا غرائي وما ذاقوا من الامس مطعما

«١» م ، ع : الجمار شحم النخل . والفسيلة النخلة الصغيرة . «٢» م ، ع : جمع جادل وهو ولد البقرة الوحشية وغيرها اذا قوي وتبع امه وكم اي طلع من كممت النخلة اخرجت كامها وهو وعاء الطلع وغطاء النور . «٣» م ، ع : جمع غرب وهو الماء الذي يجري على الاسنان . «٤» م ؛ ع : جمع حرجوج وهي الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الارض . «٥» م ؛ ع : جمع ساهمة وهي الضامرة المتغيرة . «٦» م ؛ ع : كذا في الاصل والصواب يحذين السريح المخدما . والسريح جمع سريحة وهي شبه نعال تلبسها اخفاف الابل . والسريح المخدم هو المشدود الى الخدمة وهي سير غليظ كالحلقة يشد في رسغ البعير قال الاعشى : (وطايفن مشياً في السريح المخدم)

«٧» م ، ع : كذا في الاصل والصواب وحرف : وهي الناقة الشديدة ودفها جنبها او صفحة جنبها . «٨» م ؛ ع : البق عظام البعوض . «٩» م ؛ ع : جمع لمة وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن . «١٠» م ، ع : اي سرعة . «١١» م ، ع : جمع مخرم وهو الطريق في الجبل والرمل . «١٢» لعله : هويا .

فجئتهم قبل القرى وقريتهم ... قرى لم يكن نزراً ولم يأت مفعما
وماء قديم قد مضى دون عهده ... لوارده عشرون حولاً متمما
وعن شزب (١) شعث النواصي كأنها ... سراحين يحملن الوشيج المقوّما
عليهن منا كل اروع ماجد ... كريم اذا ما عارض (٢) الموت اوسما (٣)
اخو حملات يعلم القوم انه ... ضروب بنصل السيف ضربا غشمشما (٤)
لحقت بهم جمع القطامي بعدما ... دنا من يسير (٥) الصبح ان يتكلما
غداة التقينا لا سفيرة بيننا ... سوى مخلصات (٦) تترك الهام اقعما (٧)
يكر عليهم مخطفات (٨) كأنها ... صقور المضري كان للصيد مطعما
كأن على المشوين (٩) منا ومنهم ... عمائم تسقى حالك اللون عندما
سلو قرن مرفوع (١٠) فقد كان شاهداً ... غداة التقينا اينا كان اكرما

للبحث صلة

«١» م ، ع : اي ضمر . «٢» م ، ع : العارض السحاب المعترض في الافق .
«٣» م ، ع : كذا في الاصل وصوابه اوشم ومن قولهم اوشمت السماء بدا منها برق واوشم البرق لمع لمعاً خفيفاً قال الشاعر : (حتى اذا ما أوشم الرواعد)
«٤» م ، ع رجل غشمشم جريء ماض لا يثنيه شيء عما يريد ، ويقال ضرب غشمشم ومنه قول القحيف بن عمير :

لقد لقيت افناء بكر بن وائل ... وهزان بالبطحاء ضربا غشمشما

«٥» م ، ع كذا في الاصل . والصواب بشير الصبح اي المبشر به .
«٦» م ، ع اي سيوف اخلصت اي جعلت خالصة قال الحصين بن الحمام

صفائح بصرى اخلصتها قيونها ... ومطرداً من نسج داود مبهما

«٧» م ، ع الاقعم الذي اصابه داء فقتله . «٨» م ، ع ضوامر «٩» م ، ع يقال أشوى الرجل اذا اصاب شواه وهي جلدة الرأس . واليدان والرجلان . والاول هو المراد . «١٠» لعله مدفوع .

الاستاذ جبر ضومط



أستاذ اللغة والآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية واحد أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق توفاه الله ليلة الاحد الواقع في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٠ في الثانية والسبعين من عمره بعد ان جاهد في خدمة العلم والادب واللغة العربية اربعاً وخمسين سنة ، وقد أقيمت له جنازة مهيبة وسير بنعشه مرفوعاً على اكف تلاميذه وعارفي فضله الى منتدى الجامعة الكبير حيث صُلّي عليه ، ثم نقل الى سوق الغرب يشيعه موكب عظيم من زملائه وأصدقائه وتلاميذه ودُفن بكل احترام في مدفن أسرته ·

(نشأته) — كانت ولادة الاستاذ جبر ضومط في ١٤ ايلول سنة ١٨٥٩ في برج صافيتا من اعمال طرابلس الشام من ابوين فاضلين ولكنه مالبث ان مُني بفقد والده وهو في الثانية من عمره فقامت والدته بتربيته وأحسنت ايها مع انه كان وحيداً لها ·

تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة المرسلين الاميركان في مسقط رأسه ثم انتقل

منها الى مدرسة عبيه العالية ١٨٧٠ ودرس فيها سنتين متواليتين استعداداً لدخول المدرسة الكلية في بيروت وفي سنة ١٨٧٢ التحق بالقسم العلمي من هذه الكلية (بكلية العلوم والآداب) ونال رتبة بكلور يوس علوم ١٨٧٦ وكان ممتازاً بقوة عقله ومقدرته على حل المسائل الرياضية ·

(حياته التعليمية) — بعد ان أحرز البكالوريا قصد حمص وعلّم في مدرسة المرسلين الاميركية نحو نصف سنة ثم انتقل منها الى طرابلس الشام ونولى التدريس في مدرستي الاميركان العاليتين فيها مدة ثماني سنوات كان في خلالها يطالع مؤلفات الفيلسوفين هربرت سبنسر وتشارلس داروين وقد نشرت بعض مقالاته في ذلك العهد مجلة المقتطف والنشرة الاسبوعية في بيروت ·

(أسفاره وأعماله فيها) — وكأنه سئم التدريس المتواصل وهو لا يزال في إبان شبابه وعنفوان طموحه فغادر طرابلس في سنة ١٨٨٤ الى الاسكندرية واشتغل مدة في إدارة جريدة المحروسة وترجم لها كتاب دفاع عن عرابي باشا لمحام انكليزي · ثم برحها الى مصر وكانت بريطانيا العظمى في حاجة الى تراجمة لحملة السودانية التي عبأتها لانقاذ غردون باشا فتطوع الاستاذ ضومط مع صديقه جرجي زيدان لهذه الخدمة وعينا ترجمانين في تلك الحملة وصحباها الى السودان وعادا في العام التالي بعد ان عانيا من اختبارات الحملات العسكرية وأهوالها ما عانياه — وما بقي اثره بليغاً في نفس الاستاذ ضومط أورثه الكره الشديد للسياسة الاستعمارية كل ايام حياته ·

وأقام الصديقان جبر ضومط وجرجي زيدان في بيروت يدرسان العبرانية والسريانية استعداداً للاشتغال في احدى جامعات اوربا · وسافرا الى انكلترا وأقاما في لندن مدة من الزمن يترددان الى المتحف البريطاني والى بعض مكاتب لندن الشهيرة · اما الاستاذ ضومط فقد كان من نتاج درسه لهاتين اللسانين انه وضع باكورة مؤلفاته كتاب « خواطر في اللغة » ثم عاد الصديقان الى الوطن للعمل بين اخوانهم ·

(استئناف الخطة التعليمية) — كان الاستاذ ضومط قبل سفره الى بلاد الانكليز قد علّم في مدرسة كفتين العالية للروم الارثوذكس بضعة اشهر فلما آب من سفره عاد الى وظيفة التعليم في هذه المدرسة ولازمها ثلاثة أعوام حتى انتدبته الكلية السورية

الانجيلية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) لادارة الدروس العربية فيها وكان ذلك سنة ١٨٨٩ على اثر استقالة سلفه الاستاذ المهندس يوسف افتيموس . وقام الاستاذ ضومط بادارة الدروس واعباء التعليم والتهذيب خير قيام مع ما كانت يلاقيه مدرسو العربية من مثبطات الهمم سواء أكان ذلك من اولياء الطلبة ام من الحكومة الحميدية في ذلك العهد .

وقدرت الكلية مواهبه العقلية وجهوده في التعليم فمنحته رتبة معلم علوم سنة ١٩٠١ ورفعت مقامه الى كرمي أستاذ اللغة العربية سنة ١٩٠٩ على اثر اعلان الدستور وتنبه الحياة القومية في السلطنة العثمانية .

(مؤلفاته) — ومما يدل على مقدرة الاستاذ ضومط العقلية واجتهاده العلمي مع انه كان يلقي الدروس العربية بنفسه على الصفوف العالية و يقوم بالواجبات المدرسية المتعددة وكان رب أسرة كبيرة — فانه تمكن مع كل ذلك من وضع المؤلفات القيمة في الموضوعات التي درسها .

كانت باكورة مؤلفاته خواطر في اللغة — الكتاب الذي طبعه بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٦ وقد تناول فيه اكثر المبادئ التي سارت عليها اللغة في نشوئها . قال الدكتور يعقوب صروف (في المقالة التي أعدها قبيل وفاته لتُتلى في يوبيل الاستاذ ضومط الذهبي) « المشتغلون بالعلم كثيرون ولكن قلّ منهم من يُبقي أثراً يذكر به . فالذين اشتغلوا بقواعد العربية منذ الف ومئتي سنة الى الآن يعدون بالمئات او الالوف ولكن قلما نذكر منهم غير سيبويه والمبرد والكسائي وابن جني وابن مالك وابن هشام وأمثالهم من الذين وضعوا قواعد الصرف والنحو . ومع ذلك فعمل هؤلاء كلهم مقصور على الجمع والتبويب وما منهم من بحث عن اصل العربية وكيف نشأت كلماتها وتصاريفها . فاننا صرنا نعلم في هذا العصر ان لغات البشر التي تعد بالالوف كانت في زمن متوغل في القدم لغة واحدة قليلة الكلمات ثم تفرقت طوائف وكل طائفة تشعبت شعباً كثيرة ودخل المزج والنحت في كلماتها حتى بلغت مابلغته . وهذا شأن العربية — ولكنني لا أعلم ان احداً أطلق هذا البحث على العربية من ابنائها قبل الاستاذ جبر ضومط ... والاستاذ ضومط تمكن من البحث في هذا الموضوع لمعرفته العبرانية والسريانية ...

ولو عرف الحميرية والحبشية لزاد توسعاً في البحث وكشفاً للغوامض . فهو مثل ورنر ولَيل في علم الجيولوجيا وتولد طبقات الارض ومثل لامارك وداروين في نشوء الاحياء وتولد بعضها من بعضها ، ومثل مندل في كشف ناموس الوراثة وتطبيقه على الاحياء . . فهل يقوم من تلاميذ الاستاذ ضومط من يعود الى هذا البحث ويكون متضلعاً من العربية والسريانية ومن الحميرية والحبشية والقبطية واليونانية واللاتينية والفارسية فيميط اللثام عن تاريخ كل الكلمات التي في معاجمنا العربية ؟ » .

وألف كتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيان وطبعه بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٨٩٦ ونحا في تأليفه نحواً جديداً يلائم حال الطلبة في هذا العصر وما هم عليه من تعدّد الدروس اليومية وانقلاب نسق التدريس من مجرد سماع شرح الاستاذ الى أمثولة معينة يكلفون درسها بانفسهم واستخراج مافيها من المعاني . وقد اكثر من الأمثلة والايضاحات والاعادات على ما يقتضيه الاسلوب التعليمي لكي يقرب لافهام الطلبة ما كان بعيد المنال عليهم .

ثم لم يلبث ان أردف كتاب الخواطر الحسان بكتاب فلسفة البلاغة وطبعه بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) سنة ١٨٩٨ وقد حاول في هذا المؤلف ان يقرر المبدأ العام الذي تنتهي اليه كل قواعد البلاغة وتتشعب عنه جميع فروعها وضوابطها الكثيرة وهو الاقتصار على انتباه السامع وعلى التأثير فيه .

وكانت الحاجة ماسة الى مؤلف جديد في علم النحو فنشط الاستاذ ضومط لسد هذه الحاجة ووضع كتاب الخواطر العراب في النحو والاعراب وطبعته المطبعة الادبية في بيروت . وقد أراد به ان يكون لفهم الطالب اكثر مما هو لحفظه ولتنشئة التلميذ على الاعتقاد ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لا مستعصية عليه مستبدة به . وان آراء النحاة حتى المشهورين منهم ان لم تطابق المنقول عن اللغة فيما يحتاج فيه الى النقل او المعقول فيما يحتاج فيه الى العقل فهي مما لا يعتد به .

ومما يدلّ على ما أحرز كتاب الخواطر العراب من المكانة عند أئمة اللغة كتاب بعث به الطيب الذكر المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية قال فيه يخاطب

الاستاذ ضومط — « قصرت في الاسراع الى شكرك لما أتحفت به اهل لغتك من ذلك الكتاب الذي تجلى فيه ذكاؤك واعتدال رأيك في أحسن صورة — كتاب لم تفتك فيه فضيلة الابداع ، ولم تنقصك مزية حسن الاتباع . اقتفيت اثر سلفك في تجويد الرأي واحترام مقام العقل ، فلم يهبط بك التقليد الى مايحط بالعمل و يسقط من قيمة الكد في الجد . ثم ابتدعت في تركيب كتابك على ماهو أقرب الى الفهم وأدنى الى التقريب من حقيقة العلم ... جزاك الله عن نفسك خير مايجزى به عامل عن عمله ، وجزاك عن أهل لغتك أفضل مايجزى به محسن عن احسانه » .

وكان كاتب هذه الرسالة يدرّس علم الصرف في الدائرة الاستعدادية من المدرسة الكلية في ذلك العهد وكان الاستاذ ضومط لايزال ينوي تتميم مؤلفاته في علوم اللغة فاتفقنا على وضع كتاب « فك التقليد » في علم الصرف وطبعناه في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٥ وقد قلنا في مقدمته اننا تطاولنا فيه الى الدعوى انا مجتهدون لم نتبع ولم نقلد . وسواء أصحت هذه الدعوى ام لم تصح فاننا ننبه بها كثيرين الى ان الاجتهاد في هذا الفن لم يزل بابه مفتوحاً لكل مؤلف . وحسبنا ان ننبه الخواطر الى هذه الحقيقة الراهنة ، فان اكثر الطلبة والمدرسين ان لم نقل كلهم يؤخذ من ظاهر أحوالهم انهم يعدون علم الصرف من العلوم التي أغلق فيها باب الاجتهاد فما كُتب فقد كُتب لا يجوز لمؤلف ان يتطاول الى خلافه . وفي هذا ما فيه من جمود الفكر وجمود لغتنا العربية الشريفة على ما كانت عليه في علم أفراد قلائل منذ بضع مئات من السنين الى الآن » .

وكان آخر مانشره الاستاذ ضومط بحث في من هو كاتب سفر التكوين وأجاب على سؤاله هذا بقوله هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم لا موسى الكليم — بانياً رأيه هذا على ما استنتجه من درس اسفار العهد القديم ولاسيما الاسفار الخمسة ونقد سفر التكوين وتحليله باعتبار ان يوسف كاتبه لا موسى .

وقد جمعت المقالات التي نشرها الاستاذ ضومط في مجلتي المقتطف والهلال وطبعت معاً في كتاب واحد بمطبعة المقتطف سنة ١٩٢٩ تحت عنوان فلسفة اللغة العربية وتطورها .

(تقاعده عن التدريس و يوبيله الذهبي) — وفي سنة ١٩٢٢ تقاعد الاستاذ ضومط

ن اعمال التدريس فأطلقت عليه عمدة الجامعة لقب أستاذ شرف للغة العربية . وفي أواخر نيسان سنة ١٩٢٨ احتفل تلاميذه واصدقاؤه الكثيرون بيوبيله الذهبي . اقاموا الحفلة في منتدى الجامعة الاكبر وشهدها جمهور عظيم من وجوه بيروت وادبائها وفضلائها يتقدمهم رئيس الجمهورية اللبنانية واركان حكومتها . وتكلم في الحفلة فريق من زملاء الاستاذ وتلاميذه وتليت رسائل و برقيات التهنئة من الكثيرين ممن لم يتمكنوا من حضور الحفلة . وناب عن المجمع العلمي العربي في دمشق الاستاذ فارس بك الخوري . ومما زاد في رونق ذلك اليوبيل ان فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية قام في مستهل الحفلة وعلق على صدر الاستاذ ضومط وسام الاستحقاق اللبناني وقد اهدت اليه ايضاً رئاسة حكومة سورية الجليلة وسام الاستحقاق السوري .

(اخلاقه وصفاته العلمية) — تحلّى الاستاذ ضومط بصفات المعلم الصالح — امتلك ناصية الموضوعات التي كان يدرّسها بما خصه الله من قوى العقل الثاقب ومن الجهد في الاكباب على الدرس والتقصي في المسائل التي كان يعالجها . اكتسب محبة تلاميذه واحترامهم بغزارة علمه وكرم اخلاقه — بلطفه في معاملتهم واخلاصه في ارشادهم وقد كان يجريهم مجرى بنيه . اختط لنفسه أسلوباً جديداً في التعليم وحبب الى تلاميذه درس العلوم العربية على صعوبتها . كان مع جرأته العلمية وديعاً متواضعاً بعيداً عن الدعوى لا يغمط حق زميل او يحاول الحط من كرامته اذا تحدث عنه . كان ذا شخصية محترمة عالماً عاملاً بعلمه لا يكذب قوله فعله . وفوق هذا كله كان شديد الوطنية يحض الناس على التشبث بكل مايعزز الوطن و يحتفظ بمقوماته الادبية والاقتصادية والاخلاقية . وان في كثير من خطبه العمومية ومن المقالات التي نشرت في المجلات ما يؤيد ذلك .

هذا غيض من فيض مما يجب ان يقال في أستاذنا الفقيد الخالد الذكر وفي ما خلف بعده من الاثر الباقي والسيرة الصالحة .

بيروت : بولس الخولي

عضو المجمع العلمي العربي

نجوى آدم

رمت بآدم أيدٍ ما أحيط بها   عن عالم مائج الظلماء غربيب
رمت به في عراء كله عجب   فحار آدم في تلك الأعاجيب
انى تلفّت لم تأخذ نواظره   الا محاسن من شتى الأساليب
شمس تضاحك من علياء هامتها   روضاً يميد بريّان المعاشيب
وأنجم في كفاف الأفق لاهية   في أفقها بين تشريق وتغريب
فقال آدم : ما للشمس باسمة   هيهات ما نقصت شجوي وتعذيبي
فما الذي في مجال الطرف يطربني   أصحوة الجو أم دفق الشآبيب
أم نظرة من رفيف الفجر ناعسة   كأنها غمزة من عين محبوب
أم نفثة من شفاه الورد ناعمة   كأنها فرجة عن صدر مكروب
أم موجة في عصيف الريح صاخبة   كأنها غضبة في وجه مغضوب
أم هبّة من نسيم البان لينة   نناعم الخدّ في صبح وتأويب
هواي في شبح نشوان من مرح   ألهو به في دجى ليلي ويلهو بي
أعطيه حبي و يعطيني محبته   نذوب في مثل في الحب مضروب
نشدو قوافي الهوى في ظل ألفتنا   حياتنا في الهوى شعر المناسيب

* * *

وبينما آدم في خلوة قلق   في جاحم من أجيج الغم مشبوب
يبعد الغم عنه او يقربه   حيران في بعده عنه وتقريب
إذ روح حوّاء في عطفيه وامضة   العوبة العين ، ويحاً للألاعيب
فيها من العالم المجهول أمثلة   من كل فن وفيها كل أسلوب
فقال آدم لما هاج هائجه   مرحّباً بسناها اي ترحيب
ما الموج ما الفجر ما الريحان من أربي   لولاك لم ألف للريحان من طيب
فما تنفّس هذا الورد في سحر   الا ليفترّ عنه ثغر رعبوب

يا دمية حجبت عني محاسنها ... حتى تذوقت حسناً غير محجوب
كأنما وهبتك الشمس رونقها ... يا خير موهبة في خير موهوب
ألقت شعاعاً على عينيك مؤتلقاً ... بريق عينيك مأمولي ومرهوبي
هذي الروائع فيها الحس منعقد ... اذا نعمت فلم أنعم بمكذوب
غدائر كصفيح اليم مائجة ... تكاد تلمع في سود الغرابيب
وبسمة كحفيف الروض هادئة ... تحنو على الحب الاشجان مشبوب
حتى تسل من الملهوف لهفته ... فلست تلقى عليه ظل تقطيب

* * *

هيهات ماملأت عيني ولا أذني ... عوالم حسها حس الأناصيب

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي



آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع
« من كتاب نهاية الارب »

نشرت مجلة المجمع العلمي في عددها السابع من أعداد سنة ١٩٢٩ فصلاً[1] ممتعاً للاستاذ المغربي عن تصحيح الجزء السابع من كتاب نهاية الأرب الذي تقوم بنشره دار الكتب المصرية ، وقد أورد الاستاذ في هذا الفصل طائفة من عبارات هذا الجزء وذكر ان التغيير في بعضها صواب ، وفي البعض الآخر أصوب ، ونحن مع شكرنا الخالص لحسن جهاده وفضل اجتهاده ، نرى ان نبين له وللقراء والادباء وجهة نظرنا في هذه العبارات التي اعتبرها خطأً واعتبرناها نحن صواباً خدمة للعلم وتمحيصاً للبحث :

(١) — جاء في ص ٣ س ٥ من هذا الجزء (اتى صلى الله عليه وسلم بما أعجز البلغاء ، وأخرس الفصحاء ، وفلّ حد المؤرخين) اه . وقد أراد المؤلف بقوله : (وفلّ حد المؤرخين) انه قد ذكر في القرآن من انباء القرون الاولى ، وقصص الانبياء والرسل الماضين ، وأحوال الامم السالفة مالا علم به للقصّاص وأصحاب الاخبار من علماء الاديان الأخرى الذين كانوا في هذا العصر ولم يمكنهم الوصول الى معرفته قبل القرآن ، وقد عدّ الله سبحانه وتعالى ذكر تلك الانباء والقصص من وجوه الإعجاز في كتابه ، ودليلاً من الأدلة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى في سورة هود : (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) .

ذلك ما فهمناه من كلمة : « المؤرخين » في عبارة المؤلف ، وذكر الاستاذ ان صواب

---

(١) نشرت هذا الفصل في مجلد السنة التاسعة (ص ٣٨٥) وفيه ٦٤ تصحيحاً وقد ناقشني الاستاذ صاحب هذا المقال في صحة نصفها وسكت عن الباقي . ولم أر لزوماً لإعادة القول فيما ناقشني فيه لظهور امره .

« المغربي »

العبارة : (وفلّ حد المعارضين) واحتج لذلك (بانه لم يكن في بلاد العرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مؤرخون) اه . ونحن نقول : ان الذي كان غير معروف في بلاد العرب انما هي التسمية بالمؤرخين فقط لأنها تسمية ظهرت في العصور الحديثة ، اما العلم بمسمى التاريخ وهو القصص والأخبار فذلك كان معروفاً لديهم ، شائعاً بين علماء الأديان في هذا العهد ، ويدل على ذلك ما ذكره الله تعالى في كتابه حكاية عن الكفار في تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلا) وإذن فلا نرى مقتضياً لتغيير كلمة (المؤرخين) الموجودة في الأصل (بالمعارضين) مع ظهور المعنى السابق وبعد الثانية في رسم الحروف من الاولى وان كان المعنى يستقيم بها ايضاً .

(٢) — وجاء في (ص١٩ س٦) بعد ان أورد المؤلف قوله تعالى : (اقرأ وربك الاكرم الذي علّم بالقلم) قال : (فوصف نفسه تعالى جدّه بان علّم بالقلم كما وصف به نفسه بالكرم) اه كلام المؤلف ويريد بهذه العبارة انه كما وصف نفسه تعالى بالتعليم بالقلم وصف نفسه بسبب ذلك التعليم بانه كريم ، فالباء في قوله : « به » للسببية والهاء ضمير يعود على التعليم بالقلم ، وإذن فقوله : (به) غير زائد ولا حشو وليس من الصواب إسقاطه كما رآه الاستاذ ، بل لو أسقط لضاع بذلك معنى في العبارة لا يؤدى الا به .

(٣) — وجاء في (ص١٩ س٦) (واعتدّ بذلك من نعمه العظام) قال الاستاذ : صوابه : (واعتد ذلك) باسقاط باء الجرّ ، واحتج لذلك بان (اعتد) هنا بمعنى (عدّ) وهو (يتعدى بنفسه) اه كلام الاستاذ : وأقول : ورد في المصباح المنير انه يقال : اعتددت بالشيء على افتعلت ، اي ادخلته في العدّ والحساب ، والشيء معتد به ، اي محسوب غير ساقط اه كلام المصباح ، وعلى هذا فإثبات الباء في قوله : (بذلك) صحيح لا خطأ فيه ، لان اعتد كما يتعدى بنفسه يتعدى كذلك بالحرف .

(٤) — وجاء في (ص١٩ س١١) في ذكر الدواة وما يجب على الكاتب من اصلاحها ، قال : (فليمنع ربها واصلاحها) اه . وقوله : (ربها) بالباء الموحدة يحتمل معنيين اولها انه مصدر قولهم : رب فلان الامر اذا أصلحه وأحسن القيام عليه ، يريد انه يجب على الكاتب ان يتعهد دواته ويحسن القيام عليها بسائر ضروب التحسين ، وإذن فيكون

عطف الاصلاح عليه من قبيل عطف التفسير وثاني المعنيين ان المراد بالرب هنا : التطبيب يقال : ربّ فلان الدهن اذا طيبه ، وقد كان بعض الكتاب كالحسن بن سهل وغيره يطيبون دواتهم بالمسك وغيره من انواع الطيب وعلى هذا فقوله (ربّها) صحيح لا بعد فيه ولا تكلف ولا ينبغي لنا ان نغيره الى ما اختاره الاستاذ من إثباتها بالياء المثناة لتحتية مادام الاصل مستقيما ·

(٥) — وجاء في (ص٢٥س٢) في صفة الاقلام : (تفصح باود القدود) اه · ذكر الاستاذ أن صوابه (تفضح أود) الخ ونقول انه يريد بقوله (تفصح باود القدود) ان هذه الاقلام تحاكي القدود محاكاة تامة حتى كأنها تعبر عنها تعبيراً فصيحاً ان يراها وهذا أبلغ في التشبيه وأدق في أدائه ، فان هذه العبارة تتضمن تشبيهين : احدهما تشبيه الأقلام بالقدود ، وثانيهما تشبيه تلك المشابهة بتعبير اللفظ عن المعنى في وضوحها ودلالتها على ان هذا التعبير قد ورد في الشعر ، قال الشاعر :

وطرف يترك الأبطال صرعى بلا جرح ويعبث بالحلوم
ووجه مفصح بالصبح تبدو على قسماته سيما النعيم

(٦) — وجاء في (ص٣٧س٧) في الكلام على اللفظ المجازي وسبب تسميته مجازاً ما نصه : « وصف بانه مجاز على انهم قد جازوا به موضعه الاصلي او جاز هو مكانه الذي وضع فيه اولاً لانه ليس بموضع اصلي لهذا اللفظ ، ولكنه مجازه ومتعداه يقع فيه كالواقف بمكان غيره » اه كلام المؤلف · ويقول الاستاذ : « ان صوابه (يقف فيه) بالفاء بدل (يقع) بالعين المهملة » اه ونقول : ان الوقوع هنا يعني الحصول ، والمراد ان الكلمة المجازية حين استعمالها في غير ما وضعت له قد وقعت اي حصلت في غير مكانها الاصلي ، وكثيراً ما يستعمل الوقوع بالعين وصفاً للألفاظ فيقال : هذه كلمة وقعت موقعها وهذا اللفظ وقع في موقع هذا ، ولم نجدهم استعملوا في ذلك الوقوف بالفاء فلم يقولوا : هذه كلمة وقفت في مكانها او وقفت موقف كذا ، واما قول المؤلف بعد ذلك (كالواقف في موقف غيره) فهو تشبيه لتقريب المعنى ·

(٧) — وجاء في (ص٦١ س١٤) في الكلام على الفرق بين الإخبار بالاسم والإخبار بالفعل بان الاول يفيد الثبوت بخلاف الثاني ما نصه : « بل جعل الانطلاق

او البسط مثلاً صفة ثابتة ثبوت الطول او القصر » الخ كلام المؤلف ، قال الاستاذ : « صوابه (بل جعل البسط) باسقاط كلمة (الانطلاق) » اهـ . ونقول : ان إسقاط كلمة كهذه من الاصول التي بين ايدينا بدون حجة قوية لإسقاطها امر خطير لا يصح ان نرتكبه ، والا فقد اخللنـا بالأمانة الواجب على المصحح مراعاتها ، ومع ان المصادر التي بين ايدينا لهذا الكلام قد تضافرت على اثبات هذه الكلمة فان المعنى على اثباتها مستقيم لا غبار عليه واما احتجاج الاستاذ لرأيه بانه لم يسبق في كلام المؤلف مثال فيه وصف بالإنطلاق ، فهو احتجاج لا يسوّغ لنـا إسقاط هذه الكلمة لجواز ان يكون المؤلف قد اكتفى عن ذكر هذا المثال بالبيت الآتي بعد هذه العبارة وهو قوله :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليهـا وهو منطلق

واما استظهار الاستاذ ان يكون هذا البيت كان متقدماً في الكلام ، وقد أخر سهواً فيمنعه ان ارتباط الكلام واتساقه من اول الفصل الى هذا البيت لايجعلنا نشعر بان البيت في غير موضعه بل اننا لا نجد في الكلام السابق موضعاً يصح ان يكون هذا البيت فيه .

(٨) — وجاء في (ص٩٧س١٦) هذا البيت :

حدا بابي ام الرئال فأجفلت نعامتـه من عارض متلبب

وقلنا في تفسير لفظ (المتلبب) انمعناه المتحزم بالسلاح ، يريد المتهيء للحرب ، وقد نقلنا هذه الكلمة عن كتاب حسن التوسل اذ كان لفظها في الاصل محرفاً ، وقد اعترض الاستاذ على هذا التفسير « بان (المتلبب) بهذا المعنى لا يتنـاسب ان يكون صفة للعارض فان العارض هو السحاب المعترض في الأفق » واستظهر « ان لفظ العـارض محرف عن كلمة (الفارس) وإذن يستقيم الوصف » اهـ كلام الاستاذ . ونقول : ان العارض هنـا معناه الجيش تشبيهاً له في كثرته وكثافته بالسحـاب المتراكم في الأفق ، وهو جيش المهلب بن ابي صفرة الذي كان يقاتل قطري بن الفجاءة ، وقد شاع بين الشعراء استعارة لفظ العارض للجيش ، ومنه قول الهذلي يرثي اهل أنف عاذ :

من الأسى اهل انف حين جاءهم جيش الحمار ولاقوا عارضـاً بردا ... ..

.. يريد ولاقوا جيشاً كالعارض الكثير البرد وإذن فوصف العارض بالمتلبب مستقيم لا غبار عليه من النقد ولاينبغي ان نستبدل لفظ (العارض) الوارد في الاصل : بلفظ

(الفارس) كما رآه الاستاذ مع استقامة المعنى على الاول ، وبعد الكلمتين في رسم الحروف من بعضها ٠

(٩) — وجاء في (ص١٢٥ س١١) في الكلام على عتاب المرء نفسه ، قال المؤلف: « ان هذا النوع من أفراد ابن المعتز ولم ينشد عليه اي ابن المعتز سوى بيتين ذكر ان الآمدي انشدهما عن الجاحظ » اه كلام المؤلف ٠ وقد كتبنا على قوله : (الآمدي) مانصه : « كذا في الاصل وحسن التوسل ، والذي في تحرير التحبير وخزانة الأدب للحموي : (الأسدي) ولم نقف فيمابين ايدينا من المظان على مايرجح احدى الروايتين) اه وقد اعترض الاستاذ على شكنا هذا في انه : (الأسدي) او (الآمدي) ورجح ان يكون المنشد هو (الأسدي) واحتج لذلك « بان الآمدي وهو ابوالقاسم الحسن بن بشر بن يحيى قد توفي بعد ابن المعتز بزمن بعيد » اه ٠ ونقول : اننا لم نشك هذا الشك الا بعد ان راجعنا كتب الأدب التي بين أيدينا والمعاجم التي اشتملت على اسماء الرواة فلم نقف على من ينسب الى بني أسد من رواة الشعر والاخبار ونحن مع علمنا بان ابا القاسم الحسن بن بشر قد توفي بعد ابن المعتز بزمن بعيد فليس ذلك مزيلاً لشكنا لجواز ان يكون الذي أنشد البيتين رجل آخر غير ابي القاسم ينسب الى (آمد) فان (آمد) من البلاد التي ينسب اليها خلق كثير من اهل العلم ، في كل فن كما في ياقوت ٠

(١٠) — وجاء في (ص١٨٦ س٨) قال المؤلف : « وليكن ماتختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل نسأل الله » الخ كلام المؤلف ، وقد اعترض الاستاذ على قوله (بمثل) بان الباء زائدة ورأى ان الصواب إسقاطها محتجاً لذلك بان (مثل) خبر لقوله (يكن) اه ٠ ونقول : وما المانع من ان يكون قوله : (بمثل) متعلقاً بمحذوف خبر لقوله (يكن) وفي كتب النحو ان الخبر كما يكون مفرداً يكون جملة وشبه جملة كذلك و يريدون بشبه الجملة الظرف والجار والمجرور وإذن فيكون تقدير الكلام « وليكن ماتختم به فصولك مقترناً بمثل (نسأل الله) الخ يقول : « انه يتعين على الكاتب في ختام رسائله في التعزية مثلاً ان يقرنه بالدعاء للمكتوب اليه ان يدفع الله عنه المحظور ، ويصرف عنه المكروه » الخ وقد بنى الاستاذ نقده على ظنه « ان الباء في قوله : (بمثل) زائدة فقال :

(ان هذا ليس من المواضع التي تجوز فيهـا زيادة الباء) اه وليس كذلك كما بينا ، فان الباء اصلية في الكلام .

(١١) — وجاء في (ص١٩٥ س ١٠) بصف استسلام عدو : (فلاذ بالالتجاء الى سلمنا ، وعاذ باسناد الرجاء الى كفنا عنه وحلمنا) الخ وقد ضبطنا (إسناد) بكسر الهمزة وهو مصدر قولك : أسندت كذا الى كذ اذا جعلته متكاً له ومعتمداً ، يريد الكاتب بهذه العبارة ان ذلك العدو قد عاذ من بأسنا بان أسند رجاءه الينا اي جعل حلمنا متكاً لرجائه ، ومعتمداً لآماله ، وقد اعترض الاستاذ على ضبط (إسناد) بكسر الهمزة وقال: « ان المعنى لا يستقيم عليه واصوب ان تكون (إسناد) بفتح الهمزة على انه جمع (سند) وهو ما يلتجئ اليه الخائف من حائط او جبل او نحوهما اه . ونقول : ان قول الكاتب بعد : (الى كفنا عنه) يؤيد ما أثبتنا كما يمنع مارآه الاستاذ ، وقداعترف هو بذلك ، و يرجح ما أثبتنا ايضاً مقابلة الإسناد في هذه الجملة بالالتجاء في الجملة السابقة ، فكلتا الكلمتين من واد واحد ، فاذا صح ان يلوذ العدو بالالتجاء وهو مصدر صح ان يعوذ باسناد رجائه اذ لا فرق بينهما ، على ان الكاتب لا يريد بالالتجاء والإسناد معناهما المصدري ، وهو نفس الحدث بل يريد المعنى الحاصل به ، والفرق بينهما في كتب القواعد مشهور .

(١٢) — وجاء في (ص١٩٩ س١٧) في وصف مارق يمالئ الاعداء : « وجرّ لنفسه بموالاة التتار عناء كانت عنه في غنى ، وأوقع روحه بمظافرة المغول في حومة السيوف التي تخطفت اولياءه من هنا ومن هنا » الخ . قال الاستاذ : قوله (بمظافرة) لعل صوابه (بمضافرة) بالضاد مصدر ضافره اذا عاونه اه . ونقول : وكذلك (المظافرة) بالظاء مصدر ظافره اذا ناصره ، وهو مشتق من الظفر بفتح الظاء والفاء وهو النصر ، فمعنى المظافرة ، المناصرة ، وهذه الكلمة وان لم ينص عليها في كتب اللغة مادة (ظفر) الا ان صيغة المفاعلة قياسية في كل فعل يراد جعله مشتركاً بين اثنين كما نص على ذلك في كتب القواعد ، واذ قد نصوا على قياسية الصيغة فلا موجب لتتبع أمثلتها في كتب اللغة .

(١٣) — وجاء في (ص٢٠١ س٨) ذكر المؤلف « انه يجب أن يراعى في التقاليد والمناشير والتواقيع امور : منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة او الحال او قدر النعمة »

الخ . والمراد بالحال هنا الصفة التي يتصف بها من صدر له التقليد او التوقيع كالخبرة بفنون الحرب حتى استحق ان يقلده الملك قيادة جيشه ، اوالحذق بالامور الحسابية حتى استحق ان يحمله الملك على ديوان خراجه ، او العلم الواسع بالفقه وأحكام الشريعة حتى كان اهلاً لان يتولى القضاء او الافتاء مثلاً ، ذلك مافهمناه من كلة (الحال) بالحاء المهملة . وقد قال الاستاذ : « لعل صوابه (المال) بالميم ، واحتج لذلك بان تواقيع الملوك كما تصدر بالرتب تصدر كذلك بالمال اه . ونقول : اذا صح المعنى على الاولى فلاموجب لتغييرها بالثانية مادام الاصل مستقيماً لا عوج فيه .

(١٤) — وجاء في (ص٢٠٤ س١١) « وأظلت على الاعداء سيوفنا التي هي على من كفر النعمة دعوة نوح » الخ . يقال : أظله الشيء اذا غشيه كما في القاموس ، يريد الكاتب بهذه العبارة ان السيوف قد غشيت الأعداء فأبادتهم كما أبادت قوم نوح دعوته عليهم ، وقد استصوب الاستاذ ان تكون الكلة (وأطلت على الأعداء) الخ بالطاء المهملة واحتج لذلك (بان الإظلال بالظاء المعجمة للرحمة اما السيوف لا تظللهم برحمتها) اه . ونقول ان تفسير اهل اللغة الإظلال بالغشيان عام ليس مقيداً بالرحمة او العذاب ، على ان الظل ، وهو اسم للإظلال قد ورد استعماله في العذاب ايضاً كما ورد استعماله في الرحمة . قال تعالى : « الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب » واذا سلمنا ان الإظلال يستعمل في الرحمة فلمَ لا يكون استعماله هنا في العذاب من قبيل التهكم الذي يستعمله البلغاء كثيراً على حد قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب اليم » و يقول الاستاذ (ان فعل الإظلال يتعدى بنفسه لا بالحرف). ونقول (ان هذا الفعل يتعدى « بعلى » ايضاً) فيقال أظل عليه ، كما يقال (أظله) كما في كتاب أقرب الموارد .

« للبحث صلة »

مصححه

احمد الزين

مطبوعات حديثة

الامتيازات الاجنبية
« تأليف محمد عبد الباري »

(الامتيازات الاجنبية) — علة الشرق عامة ، والدول الاسلامية منه خاصة . كانت منحة الكريم المضيف ، فلد بها عنق المضيف الضعيف . فعادت مع الايام غلاً في عنقه مايستطيع منه فكاكاً ، ولا يطيق معه حراكاً .

وليس يعرف شر هذه الامتيازات ، الا امرؤ قضى عليه نكد الطالع ان يعامل في بلده اجنبياً سيئ المعاملة شرس الطبيعة ، او آخر عانى القضاء وكان احد الخصمين في احدى قضاياه أجنبياً ، فهناك القانون مدوس ، والحق مضاع . فلا أوراق تبلغ ، ولا مجالس تعقد ، ولا أحكام تنفذ — ان هي نفذت — الا بشق الأنفس ، وبعد السنين الطوال .

فليس عجيباً بعد هذا ان لا تعد في الدول المستقلة دولة ترهقها هذه الامتيازات ، ولا غريباً ان يكون هم الدولة اول ماتستقل ان تفلت من ربقة هذا القيد مهما كلفها الامر . ومن لم تستطعه من الدول غلاباً ، كما فعلت تركيا والفرس والافغان والصين واليابان ، حاولته طلاباً ، كما تفعل الدول المستضعفة الى اليوم ، ومنهن : نحن ومصر .

شتان ما يومي على كورها ويومُ حيان اخي جابر

هذا مادعا السيد الفاضل محمد عبدالباري الى ان يضع كتابه (الامتيازات الأجنبية) ولقد قدم هذا الكتاب الدكتور عبد الرزاق السنهوري بمقدمة ممتعة ملأى بالأنظار القانونية ، تعرض فيها للمقترحات البريطانية فنقدها نقداً صحيحاً وجرحها من حيث مساسها باستقلال مصر القضائي . ثم تناول المؤلف الكلام فبرهن على « ان في الامتيازات معارضة لمبدإ المساواة ، وهدم لأهم اركان القانون العام ، وقضاء على سلطان الدولة » .

ومضى يقدم الحجة بعد الحجة على فساد هذا النظام ، ويهدم المعذرة بعد المعذرة يستند اليها الغاصب في تبرير موقفه وتمسكه بالامتيازات ، ولو ان الحق ينال بنفسه

وقوته ، لكان خليقاً بمثل الحجج التي أدلى بها المؤلف ان تدفع عن مصر هذا الكابوس . ولكن لمن تسمع من ؟

وهل الابقاء على هذه الامتيازات ، وتوسيع ولايتها بشمولها من لم تكن تشمل من قبل ، والاستمساك بها من غير تبديل ولا تعديل ، الا دليل على ان الغرب يريد ان يبقي هذه الامتيازات في حيث يستطيع من بلاد الشرق لسبب آخر غير الحاجة اليها من وجهة الحق والعدل ، وحماية القلة ، الجنسية او المذهبية ؟

واستنتج المؤلف ان الامتيازات ليس مصدرها اسلامياً « وانما هي من اصل روماني عرفته اوربا قبل ان تعرف الاسلام . وأساس هذا النظام فكرة (محلية القوانين ومركزيتها) واصل هذه الفكرة ان الفاتحين الرومان جروا على ترك الولايات الاغريقية الراقية تباشر تنظيم علاقاتها الداخلية بتطبيق قوانينها المحلية ، ولم يفرضوا تطبيق القانون الروماني العام الا في الامور ذات الارتباط بالشؤون الرومانية العامة » .

والكتاب قيم مفيد ، لا يستغني عنه رجل يعنى بدراسة القوانين في البلاد العربية التي ترزح تحت هذا النير . عارف النكدي

نيل الوطر

« من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ، لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة »
« الحسني اليمني الصنعاني »

مما تثلج به النفس ، ان هذه النهضة العربية لا يختص بها قطر دون قطر ، بل هي تكاد تعم الاقطار العربية جميعاً ، على تفاوت بينهن تقتضيه حال كل قطر ، من سبق في الأخذ باسباب النهضة الحديثة ، او موقع جغرافي ، او غير ذلك من العوامل الاجتماعية .

وهذا الكتاب الذي جاءنا من اليمن فساق هذه الكلمة ، يقع في اربعمائة صفحة ونيف فيه مئتان وخمس عشرة ترجمة من رجال اليمن جلهم ممن عانى الفقه ، وقال الشعر ، وعرف بالتقوى والزهد . وقد أورد المؤلف رجاله على النمط الذي فعله ابن خلكان وابن البسام وغيرهما ممن الفوا في التراجم .

وفي هذا الكتاب كثير من الشعر ، منه طائفة تكاد تعد في الطبقة الوسطى اودونها قليلاً . وهذا الشعر في جملته أشبه بما كان ينظمه شعراء الشام ومصر لمئة او مئة وخمسين سنة خلت . اي في القرن الثاني للهجرة . أوزان والفاظ وتواريخ .

لا يؤخذ على أشقائنا في اليمن ان يكون بيننا وبينهم قرن من الزمن . فلقد خالطت مصر والشام ، الغرب ولابستاه برهة من الدهر أثرت في نهضته وادبه هذا الاثر .

واليمن — من حسن حظها — لم توفق الى هذه الخلطة ، او بعبارة اصح لم تصب بها . فظل أدبها قاصراً بعيداً عن الروح الجديد .

واذا كان هذا الانزواء نافعاً في ادبها ، فلقد كان حافظاً لاستقلالها ، وما ذا على اليمن ان يظل أدبها حيث هو ، واستقلالها خالصاً تاماً لا يشوبه حماية ولا استعمار . واي شيء هي هذه الصناعة اللفظية ، والبضاعة الكلامية ، في جانب الحرية الحقيقية ، والحياة القومية .

على ان في مكنة اخواننا في اليمن ان يستعينوا بادب اخوانهم العرب المخلصين : في مصر والشام ، فيستفيدوا من النهضة الغربية بالواسطة لا مباشرة . فيفوزوا بالحسنيين : الادب عالياً ، والاستقلال باقياً . عارف النكدي

السوريون في مصر

رسالة للخوري بولس قرألي في هجرة السوريين المسيحيين الى مصر . وطأ لها بموجز عن تاريخ القطر الشقيق ، منذ القديم الى ايام محمد علي باشا مؤسس الأسرة المحمدية العلوية . عارف

في اوقات الفراغ

— بقلم —

« الدكتور حسين هيكل »

رسائل في الأدب والتاريخ والأخلاق والفلسفة كتبها الدكتور حسين هيكل بك وجمعها في كتاب أهداه الى احمد بك لطفي السيد مدير الجامعة المصرية اعترافاً بفضله عليه .—

يصعب في مثل هذا المقام ان أطيل الكلام على خصائص هذه الرسائل ، فمن جملة هذه الخصائص الرأي المختمر ، والفكر الجديد ، وليس بقليل ان يكون الكاتب في عصرنا هذا صاحب رأي في موضوعات شتى كالفلسفة والأخلاق والتاريخ وأشباه ذلك ، ان العصر انما هو عصر تفكير ، والكاتب كل الكاتب من انبسط مداه في أفق هذا التفكير ، غير ان الفكر وحده قد لا يخلد صاحبه فلا بدّ لهذا الفكر من قالب لفظي يجمع شيئاً من روح اللغة وعبقريتها ولكنّ الدكتور حسين هيكل بك لا يوافقنا على هذا المذهب ، ان له رأياً في مسائل القوالب اللفظية غير رأينا ، واليك شيئاً من هذا الرأي :

« الأدب لا يقوم على الألفاظ ولا على العبارات التي يستعملها الكتاب بمقدار ما يقوم على الصور والمعاني التي تلهم بها خيالاتهم وتجود بها قرائحهم » .

فالدكتور حسين هيكل بك من أصحاب مذهب المعاني فالعبرة في نظر الدكتور بالمعنى لا بالمبنى ، فلو جرينا على هذا المذهب لما كان فرق بين الأدباء وبين غير الأدباء لان المعاني كما قال شيخنا الجاحظ في القديم مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك ، وعلى هذا الرأي اكابر كتّاب فرنسة في عصرنا ، منهم « اميل فاگه » و « اناتول فرانس » .—

اما وقد عرفنا مذهب الدكتور حسين هيكل بك في الصيغ اللفظية فلا عجب اذا وجدنا في كتابته شيئاً من المسامحة والمساهلة في هذه الصيغ فقد تستفيض العجمة في كتاباته في بعض الأحوال فاذا كنت تعرف اللغة الفرنسية وقرأت كلام الدكتور

تصوّرت لك في الحال العبارة الفرنسية التي تقابل عبارته ، من هذا القبيل قوله : ولتكون عندهم فكرة عامة من عالم بأسره ، فهذا التركيب انما هو تركيب فرنسي محض واليك التركيب الفرنسي : « afin qu'ils aient une idée générale de tout un monde » فقد ينقل الدكتور العبارة الفرنسية حرفاً حرفاً دون ان يزيدها او ان ينقصها شيئاً اي دون ان يخلع عليها برداً عربياً يستر عجمتها ، ومن هذا القبيل كثير من عباراته ، منها قوله : اني اعلق الأهمية الكبرى على الكاتب ، فالذي يستخرج من هذا ان الدكتور حسين هيكل بك يفكر تفكيراً أعجمياً اي انه تزدحم في صدره أفكار اقتبسها من قوم غير قومه فاذا أحبّ ان يؤدي الى قومه هذه الأفكار المختمرة في ذهنه أدّاها بصورها الأعجمية ، اما ان يكون الدكتور حسين هيكل بك أعجمي المعنى فهذا لا سبيل لنا الى مؤاخذته به فان افكارنا اذا لم يمتزج بها في هذا العصر كثير من الافكار الاوروبية المستحسنة جمدت ونضب معينها ، واما ان يكون الدكتور أعجمي المبنى فهذا ما يسوءنا جداً لانه مصقول العقل مهذّب الفكر فلا ينبغي لهذا الفكر الصقيل ان تظهر عليه آثار العجمة .

وقد يقول لنا قائل : واي غضاضة على الدكتور حسين هيكل بك في هذا كله ، أما تفهمون كلامه ؟ أما تدركون مراميه ؟ فسواء أكان أسلوبه أعجمي الطراز أم كان عربي النمط ان كلامه مفهوم ، قد يقول لنا قائل هذا كله وشبه هذا ، فنحن نقول له : كل هذا صحيح ولكن الدكتور حسين هيكل بك لا تزال تنوته عبقرية اللغة وروحها فقد اخذت بخنّق أسلوبه رائحة غريبة ، فأسلوبه فيه شيء من رائحة اللغة الفرنسية وفيه شيء آخر من العربية غير المصقولة .

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي

——

مبادئ الميكانيكا

« تأليف السيدين الدكتور احمد عبد السلام الكرداني المفتش بوزارة المعارف »
« وحسن الجندي المدرس بالمدرسة الخديوية بمصر »
يقع في ٣٧٢ صفحة وقد طبع بمطبعة دار الكتب المصرية في القاهرة
سنة ١٩٢٩ م

قابلت هذا الكتاب بكتاب فرنسي كنا ندرس به في فرنسة وهو (كالكتاب الذي نبحث عنه) وضع وفق منهج مدارس التجهيز فاذا بكتابنا العربي يفوق الكتاب الفرنسي بكثرة تمريناته ووضوح اشكاله ووفرة امثاله . ولغتـه جيدة اجمالاً واغلاطه العربية والمطبعية قليلة . وفيه بعض مصطلحات يستعملها المصريون تخالف مصطلحاتنـا في الشام وربما كتبنا عنها على حدة .

والذي يعلم شدة حاجة اللغة العربيـة الى كتب مدرسية كهذا الكتاب و يدرك ما في تصنيفها من صعوبة لا يسعه الا الارتياح الى هذا المصنف المفيد فلعل مؤلفيه الفاضلين يتمكنان من تأليف كتاب ثالث مسهب وفق منهج مدارس الهندسة او على الأقل وفق منهج المدارس الزراعية العليا فيكون لهم على البلاد العربية يد جديدة تضاف الى هذه اليد .

مصطفى الشهابي



مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : ايلول سنة ١٩٣٠ م — الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤٩ هـ

درس

في حياة أسامة بن منقذ و «كتاب الاعتبار»

في العام الذي تلا فيه البابا أوربانوس الثاني في كلرمون خطابه الذي يعدّ حقه باعتبار نتائجه الصليبية أفعل خطاب في التاريخ ، وُلد لبني منقذ الامراء في شيزر على العاصي (وذلك يوم الاحد ٢٧ جمادي الآخرة سنة ٤٨٨ = ٤ تموز سنة ١٠٩٥) غلام أُطلق عليه والداه اسماً تحلّى به في صدر الاسلام اول قائد عربي عهد اليه امر فتح الشام[1] ، وكان ذلك الاسم قد ورد في الرُّقُم الحميرية السابقة للاسلام[2] . ذاكما أسامة بن منقذ ، مؤلف كتابنا هذا وبطله .

عاش أسامة شهماً فارساً ، واشتهر مجاهداً مقاتلا ، ولمع أديباً وشاعرا ، ونلهى صياداً وجوّابا . نشأ على ضفاف العاصي بجوار حماة ، وقضى معظم ايام شبابه في البلاط النوريّ بدمشق ، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة ، وغالب سني كهولته في الدار الاتابكية بالموصل ، وفي حصن كيفا على دجلة . زار بيت المقدس في فلسطين وحج الى

(١) أسامة بن زيد . (٢) في متحف اللوفر بباريز حجر أُتي به من صنعاء الرحالة بركهاردت زبرت عليه كتابة بالقلم المسند تضمنت اسم « أسامة بن عامر » راجع :
M. lidzbarski - Ephemeris Fur Semitische Epigraphik
(Giessen ١٩٠٢) مجلد ١ صفحة ٢٢١ — ٢٢٢ .

الحرمين ، ولنقل بين معظم العواصم الاسلامية مدنية ودينية . عاشر نور الدين زنكي ، وصاحب الخليفة الحافظ . وخلفه الظافر ، وتعرّف بنفسه الى بوهمند وتنكرد وفُلك من الافرنج الصليبيين ، وخصه قبيل وفاته بدمشق عن ٩٦ عاماً قمريا ، صديقه صلاح الدين بعطفه . آخى الافرنج — ولا سيما الفرسان منهم — في وقت السلم ، وقاتلهم في حال الحرب ، كما قاتل غيرهم من الاسماعيلية وسائر العرب ، فضلاً عن الأسد والوحوش الضواري . وفي آخر ايامه دوّن لنا كل ما خبره بالذات ، وعرفه من مصادره الاصلية ، في مذكرات شائقة رائعة قلّ نظيرها — من حيث الامانة في النقل والصدق في الرواية والدقة في الملاحظة وطيب النكهة في التعبير — في آداب اللغة العربية .

فحياة أسامة إذن تمثل لنا ازدهار الفروسية الاسلامية العربية في ربوع الشام في أواسط القرون الوسطى . التي بلغت زهوها الكامل في عهد صلاح الدين ، وسيرته تتضمن موجز تاريخ البلاد في القرن الثاني عشر — قرن التجريدات الصليبية الثلاث الاولى — ومذكراته الموسومة « بكتاب الاعتبار » مرآة تُجلي فيها المدنية الشامية في أجلى مظاهرها — لا لذاتها فقط بل بالمقابلة مع المدنية الافرنجية التي قامت الى جانبها . وأسامة لو عاش اليوم لكان بلا ريب عضواً في المجمع العلمي العربي ، ولكان بيته مجلس الأدب بدمشق ، ولراسل «الهلال» و «المقطم» ، ولأكثر من العيش في الهواء الطلق يدرس طبائع الحيوان و يراقب نموّ النبات ، ولنالت جياده العربية جوائز السبق في بيروت ، ولكان بلا تردد في اثناء الحرب العظمى جيّش جيشاً من المتطوعة تولى قيادته بنفسه .

* * *

على بعد (١٥) ميلاً الى الشمال من حماة أكمة صخرية منتصبة على ضفة العاصي الغربية يكللها حصن لم يزل قائماً الى اليوم معروفاً باسم «سيجر» تحريف شيزر . شيزر هو المرسح الذي تمثلت عليه معظم الحوادث المدوّنة في الكتاب والتي جرت وقائعها في ايام أسامة الفتى . الهضبة لنتوئها سماها مؤلفو العرب « عرف الديك » . نهر العاصي يلتف حول الأكمة من جهاتها الثلاث ، فهي إذن شبه جزيرة بوضعها الجغرافي . غير ان الانسان كمّل عمل الطبيعة بحفره خندقاً في الصخر الواصل بين شبه الجزيرة والبر ،

مما زاد في مناعة الحصن وفي تعذر الوصول اليه . وشيزر قسمان : قسم في القلعة على الرابية وهو البلد ، وقسم قرب الجسر على العاصي وهو المدينة . وللقلعة أبواب ثلاثة أهمها يفتح الى الجسر . وعلى الجسر حصن أطلق عليه اسم « حصن الجسر » .

اذا غزا غاز البلاد السورية من الشمال فأمامه طريقان : طريق بحرية تمر في اللاذقية فالساحل الفينيقي — وهي الطريق التي اختارها الاسكندر وكثير من الغزاة الأشوريين ، وطريق داخلية تماشي العاصي الى حماة فحمص ثم تنعطف غربا مع وادي النهر الكبير الى شمالي طرابلس ، أو انها تستمر من حمص في سهل البقاع وتتصل بالساحل الغربي جنوباً عند سفوح سلسلة لبنان . والطريق الثانية هي التي سلكها معظم الفاتحين المصريين والبابليين مثل رعمسيس ونبوخذنصر ، وآثرها اكثر الصليبيين . ولا بد لمن طرق هذه الطريق الثانية من اجتياز أفامية (قلعة المضيق) واختها الجنوبية شيزر المتسلطة على وادي العاصي . هذا ما يجعل لموقع شيزر خطورة حربية .

لشيزر اسم في رأس قائمة المدن السورية المتوغلة في القدم . ذكرها تحتمس للمرة الاولى بالهيروغليفية نحو سنة ١٥٠٠ (ق . م) وهو يصف احدى حملاته من مصر باسم « سنزار » او « سيزار » وذكرها بعده خلفه البعيد امنحوتب الثاني[1] . ووردت بصيغة « زنزر » في رُقم تل العمارنة المسمارية . وسماها اليونان الأقدمون « سدزارا » ، والبيزنطيون « سيزر » . وفي أواخر القرن الرابع قبل المسيح أسكنها سلوقس الاول مهاجرين من لارسّا في تساليا وغيّر اسمها الى « لارسّا » . على ان الاسم السامي الاصلي ما لبث ان عاد فتغلّب وظهر بالعربية في صيغة « شيزر » . وعلى هذه الصورة ورد الاسم في بيت قديم لامرئ القيس :

تقطّع أسبابُ اللُبانة والهوى   عشية رحنا من حماة وشيزرا

وفي آخر لعبيد الله بن قيس الرُقيات :

فواحَزنا اذ فارقونا وجاوروا   سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا[2]

(١) راجع J. H. Breasted Ancient records of egypt (chicago ١٩٠٦) مجلد ٢ فقرة ٥٨٤ و٣١٤ . (٢) ياقوت « معجم البلدان » (لبزغ ١٨٦٨) ٣ : ٣٥٣

اما مؤرخو الافرنج الصليبيون فأطلقوا عليهــا اسم « قيصرية » (Coesarea) او « قيصرية العاصي » للتمييز ·

فتح العرب شيزر عام ١٧ (٦٣٨) فيما فتحوا من المدن الشامية ، وذلك عقب الاستيلاء على حمص وحماة بقيادة ابي عبيدة بن الجراح ، فتلقاه اهل شيزر « بكفرّوك ومعهم المقلّسون ، ورضوا بمثل ما رضي به اهل حماة[1] » · و بالنظر لموقع البلدة الجغرافي ، و باعتبار كونها مفتاح سورية الداخلية ، بقيت مطمح ابصار البيزنطيين الذين استخلصوها مراراً من ايدي العرب وخسروها ، الى ان أخضعها الامبراطور باسيل الثاني سنة ٩٩٩ وبقيت بيد الروم حتى عام ١٠٨١ وهو العام الذي استرجعهــا فيه عز الدولة سديد الملك ابو الحسن علي جد أسامة من ايدي الامبراطور ألكسيس كومنينس ·

* * *

وكان صالح بن مرداس صــاحب حلب قد منح الامراء المنقذين من بني كنانة عام ١٠٢٥ إقطاعاً في جوار شيزر · فتمكّن احد هؤلاء الامراء (مقلّد) من الاستيلاء على كفر طاب سنة ١٠٤١ · وجاء بعده خلفه ابو المتوّج مقلّد بن نصر الذي بسط سلطته الى العاصي وبنى حصن الجسر عند قدمي شيزر ليقطع عنها المدد · ولكن البلدة بقيت بيد البيزنطيين الى ايام سديد الملك · فسديد الملك اذن هو مؤسس الدولة المنقذية بشيزر · ولدن وفاته عام ١٠٨١ عقبه ابنه عز الدولة ابو المرهف نصر[2] ، وهو مع اشتهاره بالورع وحب السلام تولى الى حين أفامية وكفرطاب واللاذقية عدا شيزر ·

توفي ابو المرهف بلاعقب عام ١٠٩٨ ، فانتقلت الإمارة من بعده الى اخيه الأصغر مجد الدين ابي سلامة مرشد (١٠٦٨—١١٣٧) ، والد مؤلف كتابنا أسامة · ولكن مجد الدين شغف بالصيد ونسخ القرآن اكثر من السياسة ، فتنازل عن السيادة لاخيه الأصغر عز الدين ابي العساكر سلطان مردّداً (والله لا وليتها · ولأخرجن من الدنيا كما

(١) البلاذري «فتوح البلدان» (ليدن ١٨٦٦) ١٣١ · (٢) فصّل ذلك ابن الاثير « كامل التواريخ » في Recueil des Historiens des Croisades Historiens Orientaux (paris ١٨٧٢) ٥٠٤ : ١

دخلتها (١) .

وكانت شيزر على عهد سلطان عم أسامة عرضة لغزوات متتابعة يغزوها بنو كلاب في حلب ، وكذلك الاسماعيلية والروم البيزنطيون والافرنج الصليبيون رشقها الامبراطور جان كومنينس عام ١١٣٨ بالمنجنيق عشرة ايام متوالية . وحاول الافرنج الاستيلاء عليها مراراً ، ولكن على غير جدوى . فأنقذتها من السقوط مناعتها الطبيعية وحصونها القوية ، وزعامتها المنقذية .

وفي خلال إمارة (سلطان) جرت معظم الحوادث التي دوّنها أسامة في مذكراته ، وهو شاهد عيان لها ، فخلد وقائعها وجعلها ارثاً لنا . ومع ان أسامة كان احد اخوة اربعة هو ثانيهم ، فان عمه سلطاناً – ولم يكن له اولاً ولد ذكر – خص أسامة بعطفه ورعايته ، ودرّبه على الفنون الحربية ، وكان يمتحن بالسؤال حضور ذهنه في ساعة القتال (٢) ونشأه تنشئة من يريد ان يجعل منه خلفاً له . وكثيراً ما وكل اليه قضاء مصالح اهل بيته مثل مرافقته لزوجة عمه واولادها من شيزر في ايام الحر الى مصياد (٣) . اما بعد ان رزق العم ولداً يخلفه فوجهة نظره نحو ابن اخيه تغيرت ، والحسد أخذ يعمل فيه ، مما جعل أسامة الشاب يغادر شيزر موقتاً عام ١١٢٩ ، ثم اطردت هجرته بعد وفاة والده أخي سلطان في ٣٠ ايار سنة ١١٣٧ . وكانت جدة (٤) أسامة لابيه حذرته مرة من عمه وقد رأت حفيدها داخلاً البلدة مساء وبيده رأس أسد ضخم كان قد اصطاده ، فأسدته النصح مشيرة الى الأثر الذي يحدثه عمله هذا في نفس عمه قائلة له « ما يقرّبك هذا منه وانه

---

(١) ابو شامة « كتاب الروضتين في اخبار الدولتين » (مصر ١٢٨٨) ١ : ١١١ – ١١٢ وابن الاثير في (Recueil) ١ : ٥٠٤ . (٢) « كتاب الاعتبار » (ليدن ١٨٨٤) ٧٦ ولا بد من التنبيه الى ان الاشارات فيما بعد كلها الى هذه الطبعة – طبعة درنبورغ – ريثما تتم الطبعة الجديدة المبنية على المخطوطة الاصلية والتي تتولى الآن طبعها في مطبعة جامعة برنستون العربية . (٣) كتاب الاعتبار ١٠٩ .

(٤) ابن الاثير « تاريخ الدولة الأتابكية » في (paris ١٨٨٧) « Recueil » مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠٠ يجعلها والدته .

يزيدك منه بعداً ويزيده منك وحشة ونفوراً [١] » . ومع هذا فان (كتاب الاعتبار) يحفظ لنا نكتة تمثل شهامة سلطان . وخلاصتها ان امرأة كان قد تزوجها سلطان وطلقها فوقعت أسيرة في يد الافرنج ، ففك المحال أسرها وسلمها الى اهلها قائلا « ماأدع امرأة تزوجتها وانكشفت عليّ في أسر الافرنج [٢] » .

توفي سلطان حوالى عام ١١٥٤ فخلفه ابنه تاج الدولة ناصرالدين محمد ، وهو آخر الامراء من بني منقذ وفي ايامه جرت في شيزر مأساة مفجعة قضت على بني منقذ باسرهم . وذلك خلال ختان ولد لتاج الدولة فقد أولم الوالد وليمة حضرها جميع آله ، وفي اثنائها حدث الزلزال الشهير عام ٥٥٢ (١١٥٧) الذي « هلك فيه مالايحصى » والذي خرّب حماة وشيزر وكفرطاب والمعرة وأفامية وحمص وحصن الاكراد الخ [٣] » « ولم ينج من بني منقذ احد [٤] سوى زوجة تاج الدولة التي انتشلت من تحت الردم ، الا ان نور الدين صاحب دمشق عاد فعمر شيزر .

(التأثير الاكبر في نفسية أسامة كان لعمه سلطان وبعده لوالده) — تمثل صورة الوالد التي ابقاها لنا أسامة في مذكراته رجل تقوى وسلام لا تهمه شؤون هذا العالم الفاني ، يفرغ « زمانه لتلاوة القرآن والصيام والصيد في نهاره ، وفي الليل ينسخ كتاب الله [٥] » . مع ذلك لايجب ان يُفهم من ذلك انه كان متقاعداً جباناً . ففي غير مكان يذكر أسامة ان والده لم يكن « له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله [٦] » ثم يقتبس عنه عبارة قالها لمحذّره ولده في معركة : « ياولدي في طالعي انني لاارتاع [٧] » .

ولنستشهد الآن ببعض الوقائع الدالة على نوع التربية التي ترباها أسامة في ظل والده وعمه ، ومرثاها كلها في قول أسامة « ما رأيت الوالد رحمه الله ، نهاني عن قتال ولا ركوب خطر ، مع ما كان يرى فيّ وأرى من اشفاقه وابشاره لي [٨] » . أسامة وهو دون العاشرة [٩] ، يطعن خادمه طعنة تجيء قاضية دون ان يستوجب سخط والده

---

(١) كتاب الاعتبار ٩٣ . (٢) ص ٥٣ . (٣) ابن الاثير في « Recueil » ١ : ٥٠٣ . (٤) ايضاً ١، ٥٠٥ ـ ٥٠٦ . (٥) كتاب الاعتبار ١٤٤ .
(٦) ايضاً ١٩٩ . (٧) ايضاً ٤١ . (٨) ايضاً ٧٦ . (٩) ايضاً ١٠٧ .

يباشر القتال وهو حدث يافع فيذكر كيف أنه في اول قتال حضره حمل على افرنجي طعنه فخرج من السرج لخفة جسمه وقوة الطعنة[1] . يرى حية وهو صبي على حائط الدار فيتسلق اليها و يأخذ يحز رأسها بسكينه الصغير وهي تلتف على يده ووالده يراه ولا ينهاه[2] . نعود رهائن من الفرنج وأرمن كانت في شيزر الى بلدها فتقع في ايدي صاحب حمص وهو مسلم ، فتصدر اوامر والد أسامة له في هذه الصيغة « اتبعهم بمن معك وارموا انفسكم عليهم واستخلصوا رهائنكم[3] » الكلمات الأخيرة (ارموا بانفسكم) تقع من نفس أسامة موقعاً شديداً .

وللدلالة على الرابط البنوي الذي كان يربط الابن بالوالد يكفي الاستشهاد بعبارة أوردها أسامة بعد ان أطنب بحسن خط والده : « وما يقتضي الكتاب ذكر هذا وانما ذكرته لأستدعي الرحمة (على الوالد) ممن وقف عليه [3] » .

- أما والدة أسامة فلنا ان نحقق المعدن التي جبلت منه من مراجعة حادثة ذكرها أسامة[4] . ومفادها ان الاسماعيلية مرة هاجمت شيزر والرجال متخلفون ، فوزعت أم أسامة السلاح والبست ابنتها الخف والازار واجلستها على روشن يشرف على الوادي حتى اذا ما انتهى الاعداء اليها تدفعها وترميها الى الوادي فتراها ميتة ولا اسيرة في ايدي « الفلاحين والحلاجين [4] » . حقاً ان والدته كجدته كانت من « أمهات الرجال[5] » .

تلك هي البيئة التي نشأ فيها أسامة وترعرع . فتصلب عوده وهو مرن ، والف اقتحام المخاطر والمغامرات ، ونشأ على مبادىء الفروسية والشهامة . وذلك في عصر تلاحقت فيه الحروب ، وتتابعت الغزوات من الافرنج والعرب – من مسيحيين ومسلمين ، وفي بلاد كثرت فيها الوحوش الضارية والحيوانات المفترسة . حتى ان أسامة ما كان يخرج للصيد في جوار شيزر الا وهو مسلح مستعد للعدو المفاجئ[6] . ولم يشهد أسامة القتال في شيزر وحماة في شمالي سورية فقط ، بل في عسقلان وبيت جبريل

(١) كتاب الاعتبار ٣٠ . (٢) ايضاً ٧٦ . (٣) ايضاً ٣٩ .
(٤) ايضاً ٩٢ . (٥) ايضاً ٩٣ . (٦) ايضاً ١٤٦ .

من اعمال فلسطين ، وفي شبه جزيرة سيناء ومصر ، وفي ديار بكر والموصل . فلا غرو اذا أصبح اسم أسامة في التواريخ الاسلامية مرادفاً للبطولة .

ولقد دعاه الذهبي « احد أبطال الاسلام [1] » ووصفه ابن الاثير بانه « كان من الشجاعة في الغاية التي لامزيد عليها [2] » . وأسامة نفسه أجمل اختباراته الحربية بقوله في آخر ايامه « فكم لقيت من الأهوال ، وتقحمت المخاوف والاخطار ، ولاقيت الفرسان ، وقتلت الاسود ، وضُربتُ بالسيوف ، وطُعنتُ بالرماح ، وجُرحتُ بالسهام والجروخ [3] » ! هتاف ليس المقصود منه التأثير الخطابي فقط بل تبيان الحقائق

ومن خلال كل هذه التجارب نتبين لنا شخصية أسامة . فاذا بها شخصية مستسلمة تستقبل الأفراح ، وتودّع الأحزان ، تواجه الظفر وتجابه الفشل ، بروح الصبر والتسليم . النصر — باعتبار أسامة — من الله [4] . وكذلك الهزيمة . الموت لا « يقدّمه ركوب الخطر ، ولا تؤخره شدة الحذر [5] » . « الله مقدّر الأقدار ، وموقّت الآجال والأعمار [5] » . في الجملة الاخيرة متضمن فلسفة الحياة بأسرها كما فهمها أسامة .

وفي مجمل معاملاته مع اصدقائه وخصومه يدهشنا ميله للنصفة والعدالة . ها كه مع رفيق في مكان مشرف على ثمانية فرسان من الافرنج . الرفيق يشير باخذهم على غرّة ، ولكن جواب أسامة : « ما هذا انصاف ، بل نحمل عليهم انا وانت [6] » والمبهج انه لا يتم سرد هذه الحادثة ، التي هزم فيها مع رفيقه ثمانية ، حتى يشرع بسرد غيرها يهزمها فيها «روبجل» [6] . يروي قصة ممتعة تظهر الطب الافرنجي سقيماً بالمقابلة مع الطب العربي [7] — وهي من أبدع قصص الكتاب — ثم يردفها باخرى تظهر الوجهة الفضلى من طب المغرب [8] . يطنب بوالده صياداً . ولكن سلامة ذوقه توحي اليه على الأثر « ما أدري : كنتُ أراه بعين المحبة . كما قال القائل : وكل ما يفعل المحبوب

(١) « دول الاسلام » (حيدرآباد ١٣٣٧) ٢ : ٧١ . (٢) « الدولة الاتابكية » في (Recueil) مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠٧ . (٣) « كتاب الاعتبار » ١٢١ — ١٢٢
(٤) ايضاً ١٠٩ . (٥) ايضاً ١٢١ . (٦) ايضاً ٤٣ . (٧) ايضاً ٩٧ — ٩٨ .
(٨) ايضاً ٩٨ .

محبوب . ما أدري : أكان نظري فيه على التحقيق . وأنا ذاكر شيئاً من ذلك ليحكم فيه "من" يقف عليه[١] .

قضى أسامة سنين غير قليلة في البلاط الفاطمي بمصر (١١٤٤ – ١١٥٤) وربما لم يكن لذلك العهد من دار عشّشت فيها جراثيم المكائد والمفاسد كما في تلك الدار : يد الوالد على الابن ، والابن على الوالد ، ويد الخليفة على الجميع . ابن الاثير[٢] يدّعي ان أسامة هو الذي أشار على عباس بن ابي الفتوح بقتل العادل وزير الظافر[٣] . ولكن مذكرات أسامة لا تدل على انه لوّث يديه في حال من الأحوال . صلاح الدين الغسياني ، ذلك الجلف التركي ، يوسّط من يشاء من رجاله (اي يأمر بقطعهم من الوسط شطرين) لسبب او لغير سبب ، فلا يتردد أسامة في الشفاعة بهم[٤] . عمّ أسامة يجلوه عن مسقط رأسه ، ثم يودي الزلزال بحياة ابن عمه وسائر آله في شيزر ، فيرثيهم أسامة الشاعر بقصيدة كلها شعور طيب :

لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم قلباً أجشّمه صبراً وسلوانا
فلو رأوني لقالوا مات أسعدُنا وعاش للهم والأحزان أشقانا
لم يترك الموت منهم من يخبّرني عنهم فيوضح ما قالوه تبيانا
بادوا جميعاً وما شادوا فواعجبا للخطب أهلك عمّاراً وعمرانا
هذي قصورهم أمست قبورهم كذاك كانوا بها من قبل سكانا

الى ان يقول :

بنو أبي وبنو عمّي دمي دمهم وان أروني مناواةً وشنآنا[٥]

وان احترام أسامة للنساء لأمر يسترعي انتباهنا . فانا نراه يضع تأليفاً موسوماً « باخبار النساء » ويخصص في (كتاب الاعتبار[٦]) صفحات للاشادة باعمال البطولة التي قام بها بعضهن وبينهن والدته . وفي قصته مع خادمته العجوز التي أفرد لها بيتاً في

(١) « كتاب الاعتبار » ص ١٤٤ . (٢) « كامل التواريخ » أيسالا ١٨٥١ ١١ : ١٢١ . (٣) قابل « كتاب الاعتبار » ٦ . (٤) ايضاً ١١٦ – ١١٧ .
(٥) ابو شامة ١ : ١٠٦ . (٦) ٨٧ – ٩٧ .

داره وكان يناديها « يا أمي [١] » نافذة نطل منها على الشيء اللطيف ضمن أعماق نفسه · وما ألطف ملاحظته بعد ان افتدى اسيرة مسلمة مع غيرها من يد الافرنج فهربوا قبل ان يدفع الفداء فألزمه الافرنجي القيمة كلها « وهان ذلك علي لسروري بخلاص اولئك المساكين [٢] » ·

حين لم يكن أسامة منهمكاً بقتال الاعداء من البشر كان يشتغل بقتال الحيوانات المفترسة التي كانت سورية الشمالية يومئذ ملأى بها ، او يصطاد الغزلان والطيور والأرانب وحمُر الوحش بالبازي والباشق في شيزر ودمشق وفي الموصل والقاهرة · وترى زبدة اختباراته ضمنها فصلاً في الصيد ختم به كتابه ، فصل ربما لم يكن في اللغة العربية أنفس منه في موضوعه · أسامة يقول عن نفسه انه شهد الصيد سبعين سنة [٣] وانه حضر قتال الاسد في مواقف لا تحصى ، وقتل عدة منها لم يشاركه في قتلها احد [٤] وان الخليفة الحافظ عناه في سؤاله الانكاري « واي شيء شغل هذا الا القتال والصيد؟ [٥] » لأنه في درس الحيوان جملته يكتشف ان « الأسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان [٦] » وان « الاسد اذا خرج من موضع لابدّ له من الرجوع اليه [٧] » وان « الاسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه ، وفيه غفلة وبله ، ما لم يُجرَح ، فاذا جُرِح فحينئذ هو الاسد [٨] » ·

وان النمر « دون سائر الحيوان يقفز الى فوق اربعين ذراعاً [٩] » · على ان صاحبنا شارك جيله في بعض خرافاتهم : « ومن خواص النمر انه اذا جرح الانسان وبالت عليه فارة مات ، ولا ترتد الفارة عن جريح النمر [٩] » · ولما عرض افرنجي في حيفا (فهداً) للبيع أدرك أسامة لاول نظرة من طول الوجه وزرقة العينين انه نمر لا فهد ولا يصلح للشراء [٩] » · ومن دقيق ملاحظاته ان الحُبارى اذا اقترب منها الصقر (استقبلته

---

(١) كتاب الاعتبار ص١٣٨ · (٢) ايضاً ٦٢ · (٣) ايضاً ١٦٧ ·
(٤) ايضاً ٨١ و١٠٦ · (٥) ايضاً ١٤٢ · (٦) ايضاً ٧٨ · (٧) ايضاً ٧٨ لم أجد في الكتب العلمية ما يثبت صحة هذه الملاحظة · (٨) ايضاً ٨١ ·
(٩) ايضاً ٨٢ ·

بذنبها . فاذا دنا منها سلجت عليه بأت ريشه وملأت عينيه وطارت [١] » .

نظر أسامة للصيد كـبر للهو — ظاهر من البيت الذي استهل به فصله :

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والبطالة جانب [٢]

ونزعته الارستقراطية تلوح من عدم تلبيته طلب نورالدين عندما سأله ان يصلح الباز فرفض وأجاب — لما أظهر نورالدين عجبه كيف ان أسامة يقضي عمره بالصيد ولا يحسن إصلاح الباز — « يامولاي ما كنا نصلحها نحن ، كان لنا باز يارية وغلمان يصلحونها [٣] » .

درس أسامة النحو عشر سنين على (ابوالطالب الحلبي ، سيبويه زمانه) الذي كان قد تولى دار العلم بطرابلس [٤] . ولا شك ان سياق دروسه تناول فضلاً عن النحو الخط والشعر والقرآن — وهي فروع الثقافة في ذلك العصر . فتهذب أسامة على الطريقة التي كان يتهذب بها أشراف العرب في زمانه . ونشأ راوية كاتباً ، واديباً شاعراً .

بهذه الصفة الاخيرة عرفه معظم الذين ترجموه . فالذهبي [٥] يذكر عن لسان أسامة انه قال كان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من الشعر الجاهلي ، والراجح انه لم يتصل بجيل أسامة هذا المقدار من الابيات . ويقول عمادالدين الكاتب الاصفهاني الذي اجتمع باسامة في دمشق في « خريدة القصر وجريدة العصر [٦] » : « أسامة كاسمه ، في قوة نثره ونظمه .... حلو المجالسة ، حالي المساجلة ، ندي الندى بماء الفكاهة ، عالي النجم في سماء النباهة » . ابن عساكر تلميذ أسامة ، ذكر في (التاريخ الكبير [٧]) ان لأسامة « يداً بيضاء في الأدب والكتابة والشعر » واقتبس عن لسانه احدهم قوله ان أسامة « شاعر اهل الدهر ، مالك عنان النظم والنثر » وان مقطعاته « أحلى من الشهد

(١) كتاب الاعتبار ١٠٣ قابل C. H. Stockley, Big Game Shooting in the indian Empire (London ١٩٢٨)

(٢) كتاب الاعتبار ١٣٩ . (٣) ايضاً ١٤٤ . (٤) ايضاً ١٥٣ .

(٥) ملحق Derenbourg, « Vie d' ousâma » (Paris ١٨٨٩) ص ٥٩٥

(٦) (باريز ١٨٨٧) ١٢٢ .

(٧) (دمشق ١٣٣٠) ٢ : ٤٠٠—٤٠١ .

والذّ من النوم بعد طول السهد » . واقتبس ياقوت في (معجم البلدان [١]) من أشعار أسامة . وأفاد ابوشامة [٢] ان صلاح الدين الايوبي كان « عنده ديوان الامير مؤيد الدولة أسامة ... وهو به مشغوف ، وخاطره على تأمله موقوف ، والى استحسانه مصروف » . وصالح بن يحيى (٣) يفاخر باقتناء ديوان شعر «عزالدين ! » أسامة بن منقذ بخطه . وعليه فيكون أسامة قد عُرف لمعظم الذين ترجموا له بشاعريته .

وهاك ابياتاً تدل على قوة الابداع في أسامة الشاعر قالها في ضرس له قلعه :

وصاحب لا أملّ الدهر صحبته ... يشقى لنفعي ويسعى سعيَ مجتهدِ
لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا ... لناظريّ افترقنا فرقة الابدِ [٤]

وغيرها كتبها على حائط مسجد في حلب ، وكان قد زار المسجد قبلاً في طريقه الى الحج :

لك الحمد يا مولاي كم لك منةٌ ... عليّ وفضلٌ لا يحيط بها شكري
نزلتُ بهذا المسجدِ العامَ قافلاً ... من الغزو موفورَ النصيبِ من الاجرِ
ومنه رحلتُ العيسَ في عامي الذي ... مضى نحو بيت الله والركن والحجرِ
فأديتُ مفروضاً وأسقطت ثقل ما ... تحملت من وزر المسيئة عن ظهري [٥]

وأخرى تعرب عن حنينه لوطنه الشامي وتوق نفسه للرجوع الى اهله ، وقد كتبها على حائط دار سكنها بالموصل :

دارٌ سكنتُ بها كرهاً وماسكنتْ ... روحي الى شجنٍ فيها ولا سكنِ
والقبرُ أسترُ لي منها وأجملُ بي ... إن صدّني الدهر عن عودي الى وطني [٦]

واليك ما كتب في صدر كتاب الى بعض اهله : ...

---

(١) (دمشق ١٣٣٠) ٢ : ٤١٧ . (٢) ١ : ٢٤٧ . (٣) « تاريخ بيروت » (بيروت ١٩٠٢) ٣٥ — ٣٦ . (٤) الذهبي ملحق (Vie d, ousàma) ٥٩٦ . قابل ابن عساكر ٢ : ٤٠٢ ، ابن خلكان ١ : ١١٢ ، ابوشامة ١ : ٢٦٤ ، عماد الدين الكاتب ١٢٣ . (٥) ابن الاثير « الدولة الاتابكية » في (Recueil) مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠٨ . (٦) ابن عساكر ٢ : ٤٠١ .

شكا ألمَ الفراقِ الناسُ قبلي ورُوِّع بالنوى حيٌّ وميتُ
وأما مثل ما ضمَّتْ ضلوعي فاني ما سمعت ولا رأيت (١)

ويتضح شغف أسامة بالكتب من ملاحظة أبداها عندما عادت أسرته من مصر فوقعت في ايدي الافرنج وخسر الكثير من المال فلم يأسف عليه أسفه على ما فقد من الكتب وعددها اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة « فان ذهابها (على ما قال) حزازة في قلبي ما عشت (٢) .

« للبحث صلة »

جامعة برنستون : فيليب حتي

عضو المجمع العلمي العربي

---

(١) ابن خلكان ١ : ١١١ .

(٢) « كتاب الاعتبار » ٢٦ .

المحاضرة الثامنة عشرة

اخلاق المتنبي (١)

— ١٠ —

ليس من المستسهل ان أخوض في شيء من الكلام على اخلاق المتنبيّ وعلى طبائعه ، وعلى الخصوص فان اباالطيب لم يكتب ترجمته بقلمه وان اهل عصره لم يمضِ لهم قول وافر في هذا الباب ، فلا نعرف هيأته ولا نعرف تركيب خلقته ، ولو كنا نحيط بطائفة من هذا الامر لاستطعنا ان نستدل بذلك بعض الاستدلال على معرفة اخلاق المتنبيّ وطبائعه ، فما وصل الينا من أقوال اهل زمانه في هذا الموضوع لا ينقع غليلاً . —

ان اباعبدالله معاذ بن اسماعيل اللاذقي لما قدم عليه المتنبيّ في سنة عشرين وثلاثمائة اي لما كان عمره سبع عشرة سنة وصفه فقال : قدم اللاذقية وهو لاعذار له ، وله وفرة الى شحمتي أذنيه فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته ، واضاف الى هذا كله انه لم يسمع منه كلمة هزل قط .

والذي أعلمنا به ابو الفرج وقد كان ابو الطيب يأنس به و يأمنه على غيبته ان سيف الدولة كان يغتاظ من تعاظم المتنبيّ .

وقد عاتب ابو عبدالله بن خالويه سيف الدولة لما غمز غلمانه على المتنبيّ فقال له سيف الدولة : يتعاظم تلك العظمة و ينزل تلك المنزلة لولا حماقته .

وحكي عن ابي حمزة البصروي انه بلا من ابي الطيب خلالاً محمودة منها عفة المذهب ، والصدق وبلا منه ثلاث خلال ذميمة وذلك انه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن .

ووصفه ابن فورجة فقال فيه : كان داهيةً مرّ اللسان شجاعاً ، حافظاً للآداب ، عارفاً باخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه و يسقطه الا بخله وشرهه على المال .

والذي دلنا عليه الوحيدي ان المتنبيّ كان سيء الرأي ، وسوء رأيه أخرجه من

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

حضرة سيف الدولة ، وعرّضه لعداوة الناس .

وقد ذكر ابو علي الحاتمي ان ابا الطيب المتنبيء عند وروده مدينة السلام قد التحف برداء الكبر والعظمة فلا يرى احداً الا و يرى لنفسه مزية عليه حتى ثقلت وطأته على اهل الأدب بمدينة السلام وبلغ من شذوذه انه لبس مرة سبعة اقبية ملونة وكان الوقت أحرّ مايكون من الصيف وأحق بتخفيف اللبس وشهد له ابو علي هذا بالفضيلة وصفاء الذهن ، وجودة القدح .

وكان ابو علي الفارسي قبل معرفته بالمتنبيء يستثقله عن قبح زيه وعلى ما كان يأخذ به نفسه من الكبرياء .

هذا ما انتهى الينا من وصف بعض ظواهر المتنبيء وبواطنه بوجه التقريب ، ولم يكن في تخلف هذا الوصف شيءٌ من الخروج من المقدار ، فمن المحقق ان الرجل كان قليل الميل الى الهزل ، فان روحاً مثل روحه نزّاعة الى العظمة والعلو لا شأن لها في الهزل ، فقد كانت حياته جداً كل الجد ليس فيها متسع للهزل ، وان رجلاً يضرب في مناكب الارض وبواديها وحواضرها ابتغاء لأمر جلّ ان يسمى :

يقولون لي ما أنت في كل بلدة   وماتبتغي ، ماابتغي جل ان يسمى

ان رجلاً هذا هو مطمعه في الحياة لايجد لغير الجد معنى ، ولئن عبث في قليل من شعره ، مثل عبثه في قوله وقد مرّ برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يعجّبان الناس من كبره :

وايكما كان من خلفه   فان به عضة من الذنب

او مثل عبثه في قوله :

اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق   أراه غباري ثم قال له : الحق

نعم فما كان العبث من مذهبه .

ومن المحقق ان اباالطيب كان صادقاً عنيف المذهب :

ومن هوى الصدق في قولي وعادته   رغبتُ عن شَعَرٍ في الرأس مكذوب

فلسنا نجد في اضعاف شعره نزعة الى اللهو والطرب ، فقد كان ينظر الى الحياة من ناحيتها السوداء وقلما نظر اليها من الناحية البيضاء اللامعة ، فما تغنى في شعره بشيء من نضارة الحياة ولذتها ، وانما أعرب في شعره عن الألم وقلما يجتمع اللهو وألم النفس ، وللهو

نفوس لا سبيل للآلم اليها ، اما الأبيات التي تدل على ألم روحه فهي كثيرة . فمنها :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ماتهب اللئام

ومنها :

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

ولقد اكثر من الاشارة الى تضافر المصائب فمن قوله في مصر وقد أصابته حمى :

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت انت من الزحام

وفي هذه القصيدة يقول :

وان أسلم فما أبقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام

لحياته في نظره موت له ، فما أقل سروره :

وقت يضيع وعمر ليت مدته في غير أمته من سالف الامم
أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم واتيناه على الهرم

على انه قد جاء في شعره ما يدل على ذوقه شيئاً من اللذات ، فمنه قوله :

درّ درّ الصباء ايام تجرير ذيولي بدار أثلة عودي

ومنه قوله :

إنعم ولذّ فللأمور أواخر ابداً اذا كانت لهن اوائل
مادمت من أرب الحسان فانما روق الشباب عليك ظل زائل
للهو آونة تمرّ كأنها قُبَل يزوّدها حبيب راحل

ولكن مذهبه في اللذّات العفة التامة :

اني على شغفي بما في خمرها لأعفّ عما في سرابيلاتها
وترى المروّة والفتوّة والابوّة فيّ كل مليحة ضراتها
هنّ الثلاث المانعاتي لذّتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

نعم هذا هو مذهبه : المروّة والفتوّة والابوّة ، وان بيتاً مثل هذا البيت :

اذا كان الشبابُ السكر والشيبُ هماً فالحياة هي الحمام

لا يصدر عن قلب فضى صاحبه شرخ الشباب في شيء من اللهو وفي شيء من توابع اللهو ، فما اصدقه في هذا الكلام :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ·

* * *

اما شجاعته فلا ريب فيها وان رجلاً يقولون له : كمنت لك جماعة تريد بك الشر نخذ معك من يسير بين يديك فيغتاظ من هذا القول غيظاً شديداً ويقول : والله لا أرضى ان يتحدث الناس باني سرت في خفارة احد غير سيفي ، ان رجلاً مثل هذا يحذرونه من الموت فلا يبالي بتحذيرهم استصغاراً لشأن الموت ، واحتقاراً لمن كمن له ، فيقيم في الذي حذروه منه لايدخل الخوف قلبه ، ولقد أعانه على هذه الشجاعة صحبته للأعراب ، وإلفته لغزوهم ، وسيره في البوادي ، ومصاحبته لسيف الدولة في كثير من غزواته ، فالرجل كان شجاعاً لاشك في شجاعته والذي يرى حياته موتاً يستوي عنده الموت والحياة ·

وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه
فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه

واما شرهه على المال فهذا امر طبيعي ، فقد ذاق المتنبي في حداثة سنه ألم الفقر ، فما زال يسعى في طلب المال حتى اجتمع له شيء منه ، فحرص على ثروته ولم يبذر ولا يعرف قيمة المال الا الذي يتعب في جمعه ، والمتنبي لم يغن من غير ان يساوره كثير من الألم ، واي ألم أعظم من ألم الحساد ، فهل يلام على حرصه ولا سيما ان الرجل كان محسّد الشأن حتى كان حساده يتمنون موته ، فكانوا يبغضونه ، ويتربصون به الدوائر ، هل يلام على اتخاذه المال جنة يدفع بها عن نفسه اذا أعرضت الدنيا عنه في يوم من الايام فما ذا كان يلاقي من الناس في حالة اعراضها ، أفكان يلاقي منهم غير الشماتة ؟

على اني أعتقد ان الرجل كان مقتصداً ولم يكن بخيلاً والفرق بين البخل وبين الاقتصاد ظاهر ، فما أظن ان ابا الطيب كان من البخلاء الذين ينشأ بخلهم عن مرض من أمراض العقل فلايجدون في انفسهم سلطاناً عليه ، وانما كان مقتصداً يحسب للامور حساباً ويعد لها عدتها حتى لايفاجئه الزمان بمكارهه ·

م : ٢

واما ضعف عقيدته ورقة دينه فهذا امر صحيح ، وكثيراً ماقرع المتنبي هذا الباب كما قال الثعالبي ، وقد رويت لكم الابيات التي دلت على اخلاله بالدين واستهانته بامره والظاهر ان الرجل كان على مذهب المتشككين .

تخالف النـاس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

***

ولكن أظهر أخلاق المتنبي التعظم وقلة المداراة ، وقد أثبت هذه الأخلاق ما كان يقع له في مجالس سيف الدولة وكافور وفي بغداد ، فأبو الطيب كان قليل المداراة للناس ، وقد شهدتم كيف كان يتعرض لأكابر الادباء ويستأنس بتجهيلهم ، وليس معنى هذا ان اباالطيب كان يجهل بعواقب تعرضه للناس ، و بخواتيم قلة المداراة ، ولكن الرجل كان شاذ الخلق ، يصعب عليه ان يداجي ويداري ، ولو فعل شيئاً من ذلك لملك القلوب ، ونحن نشاهد في عصرنا من لايداجي ولا يداري ، فتنقبض القلوب عنه ويبسطون السنتهم فيه ، والناس ينقادون عادة من نواحي العاطفة والهوى ، فرب ابتسام نبتسمه ينزع ماوقر في الصدور من غل او حقد ، ورب تقطيب نقطبه يغرس لنا البغضاء في القلوب ، هذه هي طبيعة البشر . ولكن ابا الطيب اكبر من ان يحتاج الى شيء من المداراة والمداجاة ، فكان يجري على طبيعته لايعبأ بشيء من غضب الناس عليه أو طعنهم فيه ، فان له من الثقة بخلود عبقريته مايجعله يحتقر اولئك الغاضبين الطاعنين .

ليث ثنائي الذي أصوغ فدى من صيغ فيـه فانه خالد

فالطعن على اهل العبقرية يذهب جفاء ، وتمكث عبقريتهم في الارض ، فلا الافراط في الثناء على اهل البلاهة يمهد لهم سبيلاً الى الخلود ، ولا الافراط في تنقص اهل العبقرية يغلق الأبواب في وجه خلودهم ، نعم كان ابوالطيب يعرف هذا كله ، ولكنه أرفع من ان يُسِف الى المداجاة والمداراة . ماداجى ولا دارى الا كل من لا يثق بقوة نفسه ، وكل من يحتاج الى قوة غيره ، ويستعين بها على حياته .

على ان اباالطيب كان يجاري الناس في بعض الاحايين في الخداع ، وما مجاراته هذه الا هزء بالناس :

ولما صار وُدّ النـاس خِبّاً جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت اشك فيمن اصطفيه لعلمي انه بعض الأنام

فالرجل كان قليل المداراة ، وقلة مداراته أوغرت الصدور ، وهاجت الضغائن ، ولكن ابا الطيب كان يسخر من حسد الحساد ، واغتيـاظ المغتاظين ، فلم يفكر فيهم ولا شغل ذهنه بهم ، فقد سلّح الأدب بابيات يملاحًا يهزأ بثرثرة الثرثار وهذر المهـذار ، أفأجد حاجة الى ان أعيد هذه الابيات وقد سمعتموها في المجلس الماضي و يكفيني ان أشير منها الى بيت واحد :

ومن يك ذا فمٍ مرٍ مريضٍ يجد مرّاً به الماء الزلالا

او الى بيت آخر :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكله

بهذه الابيات واشباهها كان المتنبي يسحق المتطاولين للوقيعة فيه ، فما أصدق الذي وصفه بمرارة اللسان ، واي مرارة أمرّ من هذه المرارة ، ولو جمعوا كل ماقالوه فيه من طعن لما وازن حرفاً من هذه الأبيات :

بذي الغباوة من إنشادها ضرر كما تضر رياح الورد بالجعل

* * *

نعم كان ابو الطيب مرّ اللسان ، فاذا غضب على احد أذاقه مرارة هذا اللسان فانه لما فارق سيف الدولة لم ينج سيف الدولة من قوارصه ، وفي اول قصيدة قالهـا في كافور أثر من هذه القوارص :

حببتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكن أنت وافيـا
وأعلم ان البين يشكيك بعده فلست فؤادي ان رأيتك شاكيـا
فانّ دموع العين غدر بربها اذا كنّ اثر الغادرين جواريا
اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا

فهذا الشعر كله تعريض بملك حلب ، والظاهر ان سيف الدولة كان يؤلم المتنبي

في عطاياه ، فكان ينعم عليه ولكنه كان يبطل نعمته بالمن والاذى فاذا تأخر مدح ابي الطيب عنه انكر له بالحال (١)

أرى ذلك القربَ صار ازوراراً ... وصار طويل السلام اختصارا
تركتني اليوم في خجلة ... أموت مراراً وأحيا مرارا
أسارقك اللحظ مستحيياً ... وازجر في الخيل مهري سرارا

فكان المتنبيُّ يضطر الى الاعتذار :

كثرت مكارمك الباهرات ... ان كان ذلك مني اختيارا
ولكن حمى الشعر الاَّ القليلَ ... همٌّ حمى النوم الاَّ غرارا

ولا يخفى ما في الاعتذار من إعنات النفس والتشديد عليها ، واذا علمنا ان الشاعر قد تعرض له في بعض الحالات عوارض يعاف فيها حياته ، فيستعصي عليه الكلام أدركنا الألم الذي كان يساور ابا الطيب في ازورار سيف الدولة عنه اذا ابطأ عليه مدحه ، فكان سيف الدولة يقول له : انا اشتريت شعرك بالمال ، وقد أخذت مالي فاعطني شعرك ، وكل هذا لا يخلو من منة واذى ، وكل هذا لا يخلو من ايلام وايجاع ، وعلى الخصوص اذا كانت الروح الاليمة مثل روح ابي الطيب يحركها اقل شيء ، ومن الذي يحق له ان يلجأ الى المنة ، أسيف الدولة أم المتنبي ، أفكان سيف الدولة لولا المتنبي الا ملكاً من اولئك الملوك الذين ذهبوا بين سمع الأرض وبصرها ولم يبق لهم الا القليل من الذكر ، أفكان سيف الدولة لولا ابو الطيب يخلد هذا الخلود على شيبة الزمان وعلى هرمه ، فالمتنبيُّ لم يسيء الى سيف الدولة ، وانما سيف الدولة هو الذي بدأ بالاساءة ، ومع هذا كله فقد كان في قلب ابي الطيب بقية محبة لسيف الدولة بعد الانصراف عنه .

(١) كان سيف الدولة اذا تأخر عنه مدح المتنبيُّ شق عليه واكثر أذاه وأحضر من لا خير فيه وتقدم اليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب فلا يجيب ابو الطيب احداً عن شيء فيزيد ذلك في غيظ سيف الدولة ويتمادى ابو الطيب على ترك قول الشعر ويلج سيف الدولة فيما كان يفعله الى ان زاد الأمر وكثر عليه فقال قصيدته التي اولها .

واحرَّ قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمي وحالي عنده سقم

رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفي وقوسي وأسهمي

نعم ترك المتنبي مجالاً للصحبة فلم يغضب على سيف الدولة كل الغضب :

فراق ومن فارقت غير مذمم وأمٌّ ومن يممت خيرُ ميمّم

ولما خرج ابو الطيب من مصر الى العراق كتب اليه سيف الدولة بالعودة اليه وألح عليه ، فلم يرض بذلك ابو الطيب ، وهذا يدل على أن أثر الجرح في نفسه بليغ .

* * *

نعم غادر المتنبيُ سيف الدولة ولم ينفض كل ما في قلبه من محبة سيف الدولة ، وانما اقتصر على الاشارة الى التنغيص والمنن ، فلم تظهر مرارة لسانه الظهور كله ، ولكنه لما ترك كافوراً عرض علينا هذه المرارة في أوضح معارضها ، فان كافوراً أساء الى ابي الطيب من اول اتصاله به ، فقد أظهر له التهمة اول يوم ولم يسمح له بان ينشده وهو قاعد ، ولم يسمح له بان يجلس في مجلسه ، ووعده بان يوليه فأخلف الميعاد ، وفي خاتمة الامر نوى ان يقتله ، أفيلام ابو الطيب اذا تشفى من غيظه ، وعلى الخصوص بعد ان أطمعه كافور في الولاية ولم يذقه حلاوتها ، وانتم تعلمون كم كانت الولاية تشغل باله ، أفيلام ابو الطيب اذا آذاه كافور فردَّ اليه شيئاً من الاذى :

أميناً واخلافاً وغدراً وخسة وجبناً أشخصاً لحت لي ام مخازيا

لم يتزيد المتنبيُ في هذا الهجو ، رمى كافوراً بالكذب ، وقد كذب عليه ، ورماه بالاخلاف وقد أخلف وعده ، ورماه بالغدر ، وقد غدر به فأراد قتله ورماه بالجبن وقد كان يخافه اذا هو ولاَّه .

ليس من العجب بعد هذا كله ان تظهر مرارة لسان المتنبيُ في أهاجيه في كافور ولست أنبهكم على موطن من مواطن هذه المرارة فارجعوا الى كل اهاجيه فيه فانها آلم ما يكون من الشعر :

من علّم الأسود المخصيَّ مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم اذنه في يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود
اولى اللئام كويفير بمعذرةٍ في كل لؤم وبعض العذر تفنيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

وما هي عطايا كافور الى جنب ماقاله المتنبيّ فيه ، وما هو حظ كافور من الخلود لولا شعر ابي الطيب الذي خلّده ·

على ان ابا الطيب لم يكن قليل الوفاء ، فما عرّض بسيف الدولة الاّ لأن سيف الدولة كان يؤلمه في عطاياه ، وما أفحش في هجاء كافور الاّ لان كافوراً أراد قتله ، ولقد وفى ببعض العهود ، وفاء دل على ان الرجل كان صادق الود فقد توفي ابوشجاع فاتك بمصر سنة خمسين وثلاث مائة فرثاه المتنبيّ بعد خروجه منها اى بعد انقطاع رغبته في كل عطية من عطايا فاتك ، وتوفيت اخت سيف الدولة بميافارقين ، وورد خبرها الى الكوفة فرثاها ابو الطيب وعزى اخاها بها سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة اي بعد مفارقته سيف الدولة وبعد عزمه على ان لا يعود الى مجالس سيف الدولة ، وجاء في هذه القصيدة ابيات دلت على حسن وفائه :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر — فزعت فيه بآمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً — شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

نبين لكم ان ابا الطيب كان لا يداري والغالب على الذين نقل مداراتهم التعظم والكبرياء وقد يكون تعظمهم في بعض الاحيان خلقاً ظاهراً يبطنه الناس خلقاً باطناً فقد نغش الظواهر فلا ننم عن حقائق البواطن ، ولسنا ندري أكان ابو الطيب من أصحاب العنجهية الظاهرة أم تمكنت الكبرياء من باطنه ، فكان متعظم الظاهر والباطن ، فالذي دل عليه شعره انه اكثر من الفخر بنفسه في كل حال من احواله ، فلا يجب ان نشبهه باحد لأنه لا شبيه له :

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه — فما احد فوقي ولا احد مثلي

وقد كان يشعر بعجبه ، و يوضح سبب هذا العجب :

ان أكن معجباً فعجب عجيب — لم يجد فوق نفسه من مزيد

ولكن الذي يزعج في بعض الاحوال ان لفظة « انا » لا يكاد يخلو منها شعره ، فلقد حار في الشيء الذي يشبه به نفسه ، فمرة هو صخرة الوادي والجوزاء :

انا صخرة الوادي اذا مازوحمت — واذا نطقت فانني الجوزاء

ومرة هو الاديب الذي لا اديب غيره :

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي   واسمعت كلماتي من به صمم

وحينا هو المبدع لكل شيء ·

انا السابق الهادي الى ما اقوله   اذ القول قبل القائلين مقول

وحينًا هو السمهري :

وما انا الا سمهري حملته   فزين معروضًا وراع مسودا

وما الدهر الا من رواة قصائدي   اذا قلت شعرًا أصبح الدهر منشدا

لقد امتلأ ابو الطيب عجبًا ، واظن انه كان يقلق اهل عصره في بعض الاحايين بهذا العجب ، فلو حدثنا محدث ، واخذ في كل فرصة يحدثنا عن نفسه و يردد لفظة«انا» « انا » لما فرغ من احاديثه دون ان يغادر في قلوبنا شيئًا من الملل ، لقد يحتمل المرء اذا فخر بنفسه مرة او مرتين ولكنه اذا جعل مجيراه هذا الفخر فقد تثقل وطأته علينا ، ولا شك في ان ابا الطيب قد ثقلت وطأته على اهل عصره في بعض الاحيان ·

ان تعظمه ظاهر في شعره لا يكاد يخفيه فهو كثير التكلم على نفسه ، لا يبالي بما ينشئ هذا التكلم من الآثار في النفوس ، ولم يقتصر على التغني بجمال عبقريته ولكنه جاوز هذا التغني الى شيء من العجب والفخر ، وقد يكون هذا المذهب مدعاة الى الاضجار ، اننا نحب ان يذوق الناس محاسننا من تلقاء انفسهم اي من دون ان نذيقهم اياها ، اننا نحب ان يشعروا بهذه المحاسن من غير ان نشعرهم بها فاذا توخينا اظهارها والتنبيه عليها والاشارة اليها فقد يذهب شيء من آثارها في النفوس ، وربما عادت هذه المحاسن مساوئ ، فابو الطيب كان يحب ان يذيق الناس محاسنه بنفسه فهو لا يريد ان يدع لهم مجالاً لذوقها بانفسهم ، ولعل هذا السر في ثقل وطأته على الناس ، وقد يكون السبب في لجوئه الى هذا المذهب ان الناس كانوا يبخسونه حقه ، ويطمسون من آثار حسناته فكان يضطر الى التنويه بحسناته :

واذا خفيت على الغبي فعاذر   ان لا تراني مقلة عمياء

نعم كان ابو الطيب متعظماً في الظاهر وفي الباطن وكثيراً ما كان يجعل نفسه في اماديحه بمنزلة الملوك الذين كان يمدحهم :

انما التهنئات للاكفاء   ولمن يدنى من البعداء

وانا منك لا يهني عضو بالمسرات سائر الاعضاء

وربما كان حظه من مدح نفسه في بعض شعره أوفى من حظ الممدوحين ، وقد حمله تعظمه هذا على احتقار الناس ، وما ذهب عنكم امر هذا الاحتقار ، ولقد هزأ بكافور نفسه في أماديحه فيه ، فأخلق به ان يهزأ به بغير كافور فكان كثيراً ما يلجأ الى التصغير حتى قال فيه ابو العلاء : ان الرجل كان مولعاً بالتصغير لا يقنع من ذلك بخاصة المغير والصحيح انه أولع بالتصغير فلم يكتف بتصغير الأحمق :

مقالي للأُحيمق يا حليم

او بتصغير الخادم :

ونام الخويدم عن ليلنا

او بصغير الشاعر :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر

ولكنه صغَّر اهل زمانه كلهم :

أُذمُّ الى هذا الزمان اهيله

دمشق : في ١٩ نيسان سنة ١٩٣٠



المقارنة

بين المعري والخيام(١)

اقوم محاضرتي على المقـارنة بين شخصيتي شـاعرين حكيمين هما ابو العلاء المعري العربي وعمر الخيام الفارسي واكبر الظن ان ليس في الحاضرين الكرام من لا يعرف شيخ المعرة الكبير او يجهل ادبه ورأيه في الحياة ونظره في الكون ، اذ انه اشهر من نار على علم ، لذلك ارى من الضرورة ان اتكلم اولاً عن شخصية عمر الخيام . حتى اذا اطلعتم عليها وفهمتم مناحيها ، سهل علينا جميعنا الانتقال الى الالمام برأي هذا الحكيم الفارسي ومعرفة اوجه الشبه بينه وبين حكيمنا الجليل ابي العلاء . وقبل ان اخوض هذا البحث ارغب ان ابين لكم وجه اهتدائي الى هذا الموضوع وما هي الاسباب التي دفعتني الى معالجته وما علاقة فتى عربي بالفارسية وما هي صلته بهذا المفكر الفارسي ؟ .

ولدت في كربلاء ، ولا اغالي اذا قلت انها المدينة التي يحج اليها في كل عام مائة الف فارسي ، لزيارة تربة سيدنا الحسين الشهيد واخوانه ، ولا يقنع هؤلاء الزوار وفيهم العالم والغني والامير بالمكوث فيها بضعة ايام ، بل فيهم من يبقى فيها مجـاوراً اعواماً طويلة ، وفيهم من ينقل اليها تجارته واعماله ويتخذها له موطناً ثانياً . فيقتضي هذا الاختلاط اصبح كل من ولد او سكن فيها يتكلم بالفارسية ويلم بها على اختلاف لهجاتها .

ولما فتحت عيني في كربلاء وترعرعت فيها ، واخذت اميز بين الخير والشر ، والنار والنور ، وجدت نفسي اتكلم بالفارسية العامية كباقي الفتيان ، بيد اني وجدت في بيت ابي عجوزاً شمطاء قد وهن عظمها ، وفشا المشيب في رأسها ، ووجدت كل من في البيت يضمر لها حباً كثيراً ويحترمها احتراماً شديداً ، وكانت (زن اغا) او (بي بي جان) الآمرة الناهية في طول البيت وعرضـه لا يعصى لها امر ، ولا ترد لها ارادة ، وقد نشأت على احترامها كسائر افراد العائلة غير اني كنت اجهل علاقة هذه الفارسية ببيت والدي ،

(١) محاضرة القاها في بهو المجمع العلمي العربي الاستاذ السيد احمد حامد الصراف من ادباء العراق .

وقد قصت عليّ امي امرها فعلمت انها كانت زوجة غني فارسي ، كان قد هجر وطنه شيراز وشد الرحال الى كربلاء زائراً فطاب له العيش فيها ، فأصبح مجاوراً ، وقد توثقت بينه وبين جدي اواصر المحبة والوداد ، فكانا يتهاديان و يتزاوران ، غير ان نكد طالعه جره الى استعمال الافيون فاستنزفت امواله فأُنزل من عرش الثراء واجلس على بساط الفقر ، فهجره خدامه وتركته حاشيته ، واصبح مثقلاً بالديون ، واخيراً صرعته هذه الآفة وسلبته روحه ، وبقيت زوجته وحيدة لا معين لها ولا نصير ، الى ان طحنها الفقر ووطئها الحزن فوقعت مريضة ٠ ولما بلغ جدي ما جرى لها هزته الحمية وحركته المروءة فنقلها الى بيته وجاء لها بالاطباء فعالجوها حتى شفيت وقوي جسدها ، فجعلها مربية لاولاده وبناته ، وكان يحترمها ويحسن معاملتها ويوصي بها خيراً ٠ وكانت (زن اغا) احدى حفيدات (فتح علي شاه) ملك فارس القاجاري وهي على جانب عظيم من الفضل والادب والاخلاق وكانت لبيبة تجيد الانشاء وتنظم القريض في الفارسية ، وتستظهر اروع الشعر واحسنه في الفارسية وكانت تلم بنكات الشعراء وتحفظ الشيء الكثير من الامثال الفارسية والعربية ، وقد تولت (زن اغا) تعليم امي واخواتها ، ادركتها ولم يبق في فمها غير ناب واحد ، وكنا اذا اجتمعنا عندها في ليالي الشتاء حدثتنا حديثاً لذيذاً عن نكات الشعراء والادباء حتى يتغشانا النعاس فتنصرفنا الى مضاجعنا واحداً اثر واحد ٠

ففي احدى ليالي الشتاء من سنة ١٩١٨ اجتمعنا عند (زن اغا) وكانت تدير علينا اكواب الشاي وقد امسكت بيدها غليونها الطويل واستعدت لتقص علينا مما خزنته في صدرها ٠

قالت : احدثكم الليلة عن احد القلندرية واسمه عمر الخيام وكان سكيراً مدمناً للخمرة مفتوناً بالمشعشعة كافتنان ابي نواس بها :

حمل ذات يوم ابريق خمرته وصعد الجبل ليحسو كؤوسها وكانت تصحبه ابنته وبينا كان يمتع نفسه بلذيذ طعمها هبت ريح شديدة فحطمت ابريق مدامه وانسكب ما في الابريق على الارض فغضب وقال مخاطباً الرب بهذه الرباعية :

ابريق مي مراشكستي ربي برمن درعيش رابيستي ربي
برخاك فكندي مي كلكون مرا خاكم بدهن مكر تومستي ربي

اي - يا آلهي حطمت ابريق خمري واوصدت باب الطرب في وجهي وقد سكبت على الارض خمرتي اللازوردية تراب بفمي فهل انت مثلي سكران يا آلهي ·

ولما اتم انشاد هذه الرباعية اسود وجهه حالاً فقالت له ابنته يا ابتي لقد اسود وجهك فطلب المرآة ونظر الى وجهه فالفاه اسود فاحماً فعلم ان الله قد غضب عليه فخاطب الله مستغفراً بهذه الرباعية ·

نا كرده كنه درجهان كيست بكو   وانكس كه كنه نكردچون زيست بكو

من بد كنم وتو به مكافات دهي   بس فرق ميان من وتوجيست بكو

اي — يا آلهي قل لي من الذي لم يرتكب خطأ في هذه الحياة وكيف عاش انسان ولم يرتكب خطيئة ؟ انا اعمل سوءاً وانت تقابلني بسوء مثله اذاً اي فرق بيني وبينك يا آلهي ·

وبعد انشاد هذه الرباعية عاد وجهه الى ما كان عليه ·

بهذا حدثتني (زناغا) عن عمر الخيام قبل اثني عشر عاماً ، وقد بعثت هذه الاسطورة اللذيذة في نفسي رغبة الاطلاع على شعره ومعرفة شخصه ، فطلبت اليها ان تدرسني ديوانه فرفضت طلبي زاعمة ان في شعره ما لا يتفق مع الشرع فالححت عليها الحاحاً شديداً فاخذت تدرسني رباعياته · واذا بي امام شاعر حكيم وفلكي شهير وفيلسوف مفكر له نظرة في الحياة غير هذه النظرات وتأمل في الكون غير هذه التأملات ، وانه لم يكن بالقلندري السكير وانما كان رجلاً فذاً منقطع النظير وانه يعد بلا مدافع من حكماء المسلمين المفكرين ·

اما وقد اطلعتم الآن على الاسباب التي دفعتني الى البحث في ادب الخيام حق لكم ان تستفسروا مني سائلين من هو عمر الخيام ، وفي اي عصر عاش ، وما هو رأيه في الحياة وما هو اثر ادبه ورأيه في الفرد وفي المجتمع ؟ :

* * *

في سنة ١٩٢٧ نشر العالم الكبير الدكتور (ميلار) مقالاً في جريدة (المورنن وست) ادعى فيها ان شخصية عمر الخيام محاطة بغلالة من غموض وابهام · وقد نسجت حوله اساطير غامضة تدعو الى الشك في وجوده ، وجاء ببراهين واهية واهنة انكر فيها عمر الخيام وزعم انه كان شخصاً موهوماً قد تخيلته ادمغة الناس تخيلاً فانبرى له اذ ذ

العالم الجليل القدر (السر دنيسون روس) مدير مدرسة الدراسات الشرقية في لندن وفند اقواله بدلائل تنحصر في خمس نقاط ، ولما كنت قد قضيت بضعة اعوام في درس حياة هـذا الحكيم وادبه شعرت في نفسي بقوة للرد عليه فرددت عليه بمقال اثبت فيه شخصية المبحوث عنه بثلاث عشرة وثيقة تاريخية لا غبار عليهـا ، واذ كان الذي يهمنا انما هو الاطلاع على ترجمته لذلك اكتفي بسرد الوثائق الهامة منها :

***

ان من اقدم الوثائق التاريخية التي ورد فيها اخبار عن عمر الخيام وحوادثه كتاب (جهار مقاله) لمؤلفه احمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي الذي تتلمذ لعمر الخيام وزار قبره في سنة ٥٣٠ هـ فقد قيل له ان استاذه توفي منذ اربع سنوات .

والنظامي هذا ذكر في المقالة الثالثة التي خصها باخبار الفلكيين ماتعريبه : في سنة ٥٠٦ هجرية في مدينة (بلخ) وفي صرح سراي (امير بو سعد جره) حظيت بمقابلة الاستاذ عمر الخيـام والامام مظفر اسفزاري وفي اثناء الحديث سمعت حجة الحق اي (عمر الخيام) يقول انني اذا مت فان قبري سيكون في مكان تهب عليه نسمات الشمال و ينتشر عليه الزهر والورد — وقد اخذني العجب من قوله لاني كنت اعتقد ان خياماً لا يتكلم الا عن روية . وفي سنة ٥٣٠ هجرية بلغني ان التراب قد اخفى ذلك العظيم منذ اربع سنوات وترك العالم السفلي يتيماً . واذ كان له حق التعليم عليّ ذهبت الى زيارة قبره يوم الجمعـة ومعي رجل يدلني على قبره فأخذني الى مزار حيرة والتفت الى اليسار فالفيت قبر عمر الخيام بجانب جدار حديقة مجورة وقد نبت حول القبر اشجـار المشمش وكان منوراً وكان الزهر يتساقط على قبره حتى توارى قبره . وقد ذكرت ما قاله لي في بلخ فبكيت ولم اجد في هذا العالم نظيره اسكنه الله تبارك وتعالى جنانه بمنه وكرمه .

وبين هؤلاء الشهرزوري شمس الدين محمد بن محمود : وقد ذكر عمر الخيام في كتابه (نزهة الارواح وروضة الافراح) الذي الفه بين سنة ٥٨٦ — ٦١١ .

عمر الخيام نيسابوري الآثار والميلاد كان تلو ابي علي (ابن سينا) في معرفة اجزاء علوم الحكمة الا انه كان سيء الخلق ضيق العطن تأمل كتاباً باصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فأملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت . وله ضنة بالتصنيف

والتعليم وله مختصر في الطبيعيات ، رسالة في الوجود ورسالة في الكون والتكليف وكان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ ·

ودخل عمر يوماً على شهاب الاسلام الوزير عبد الرزاق وكانت عنده امام القراء ابو الحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية فقال الوزير على الخبير سقطنا فسئل عمر عن ذلك فذكر وجوه اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منهم وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً فقال الغزالي كثر الله في العلماء مثلك اجعلني من ادمه (١) اهلك وارض عني فاني ما ظننت احداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلاً عن واحد من الحكماء · واما اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها ·

ودخل حجة الاسلام الغزالي عليه وسأله عن تعيين جزء من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء فطول الخيام الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا وضن بالخوض في محل النزاع وكان هـذا من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى اذن الظهر فقال الغزالي جاء الحق وزهق الباطل وقام ·

وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك بخاري يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام معه على سريره ·

وممن ذكره من مؤرخي العرب الوزير جمال الدين ابو الحسن علي ابن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ قال :

امام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم اليونان ويحث على طلب الواحد الديان بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية ، وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم وبواطنها حياة للشرع الواسع ومجامع الاغلال جوامع ، ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما أسره من مكنونه خشي على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته في العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ويكتم اسراره ولا بد ان تبدو

(١) كذا في الاصل ·

وكان عديم القرين في علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل في هذه الانواع لو رزق العصمة وله شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه وتكدر عرق قصده كدر خافيه. فمنه :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة يحصلها بالكد كفي وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلها فكن يازماني موعدي اومواعدي
اليس قضى الافلاك من دورها بان تعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك انما تخر ذراها بانقضاض القواعد
ولي فوق هام النيرين منازل وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
متى ما دنت دنياك كانت بعيدة فواعجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحياة منية فسيان حالا كل ساع وقاعد

جاء في (ج ٤ ص ٦١) من تاريخ روضة الصفا للمؤرخ الفارسي الشهير خواند مير نقلا عن وصايا الوزير نظام الملك ما ملخصه :

قرأت اربع سنين على الاستاذ موفق الدين النيسابوري فصادفت عنده تلميذين ذكيين عمر الخيام وحسن الصباح ، فصادقتهما وكنا بعد الدرس نجتمع لتكراره والمذاكرة فيه وعندما اجتمعنا يوماً لمثل ذلك قال لنا حسن الصباح لقد اشتهر ان من يقرأ القرآن او الحديث على الاستاذ موفق الدين يصبح ذا حظ عظيم ومنزلة سامية فاذا كان احدنا مصداقاً لذلك فما الذي يجب عليه لصديقيه فقلت له فما رأيك انت قال ان يشرك كل منا صديقيه فيما يناله من النفع فاتفقنا على ما رآه .

وبعد حين من الدهر جاءني عمر الخيام على عهد السلطان الب ارسلان السلجوقي فقابلته بمزيد الحفاوة وقلت له الآن وجب علي ان ابين درجة علمك وفضلك للسلطان واطلب منه ان يجعلك ملازماً لمجلسه حتى نكون شريكين في الجاه عنده كما كنا شريكين في الدرس لدى موفق الدين ، فقال اشكر لك حسن ظنك بي ، ولكن افضل ان تأمر لي بشيء اصلح به شأني كي اتمكن من ممارسة العلوم ومزاولة الفنون لان ملازمتي لمجلس السلطان تمنعني عما اتوخاه ، فجعلت له راتباً سنوياً قدره ١٢٠٠ ذهباً يتقاضاها من املاك نيسابور .

وبعد برهة من الزمن قدم عمر الخيام مرو على عهد السلطان ملك شاه السلجوقي وكان قد اشتهر في العلوم شهرة فائقة ولا سيما في الرياضيات وعلم الفلك فنال حظوة عظيمة

عنده وحاز منزلة كبار العلماء والحكماء ، ولم يجد نظام الملك في حسن الصباح خيراً لانه اراد مزاحمته في الديوان ·

***

ولقد علمتم الآن ان عمر الخيام نيسابوري المنشأ وانه عاش في اكناف الدولة السلجوقية وعاصر ملكشاه الب ارسلان وقد تتلمذ في عنفوان شبابه لموفق الدين النيسابوري مع نظام الملك والحسن الصباح في مدرسة واحدة وانه زار بغداد وتحاور مع الامام الغزالي في قضايا شرعية وفلكية وقد اثنى عليه الامام الغزالي وان له تآليف قيمة في العلوم الشائعة في عصره وانه قد توفي في اوائل القرن السادس الهجري · بقي علينا ان نفهم ماهي الافكار التي تجول في خاطر الحكيم وما هي تلك النظرة التي كان يرسلها الى الحياة وما هي فلسفة هذا الرجل الذي ملأت شهرته ارجاء العالم واستهوى شعره الناس ·

اري ان اتلو على مسامعكم طرفاً من شعره ليتوضح لكم جلياً رأيه الصريح قال :

زآن بيش كه غمهات شبيخون آرند فرماي كه تا بادهٔ كلكون آرند
تو زر نهٔ اي غافل نادان كه ترا در خاك نهند و باز بيرون آرند

قبل ان تهاجمك همومك مرهم ان يأتوك بمدامة وردية · انت لست ذهباً ايها الجاهل الغر ليدفنوك في التراب ثم يخرجوك ·

اي آنكه نتيجهٔ جهار وهفتي در هفت وجهار دائم اندر تفتي
مي خور كه هزار بار بيشت كفتم بازآمدنت نيست جو رفتي رفتي

يا من هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات حتى م انت تتألم بالتفكر فيهما اشرب الخمرة فقد قلت لك الف مرة مالك من اوبة فاذا ذهبت ذهبت ···

جام ومي وساقي بر لب كشت · بهتر ز بهشتي كه خبر بودش دشت
مشنو سخن بهشت ودوزخ از كس كه رفته بدوزخ وكه آمد ز بهشت

ان خيراً من الفردوس الذي وعدته كأس وخمرة وساق في جنب روضة · لا تسمعن من احد حديث الجنة والجحيم من ذا الذي ذهب الى الجحيم ومن ذا الذي جاء من الجنة ·

جون حاصل آدمى در ين جاي دودر جزد رد دل ودادن جان نيست دكر ···
خرم دل آنكه يك نفس زنده بنود · وآسوده كسي كه خود نزاد ازمادر ···

ان حاصل الانسان من هذه الدار ذات البابين الالم وزهوق الروح . فهنيئاً لمن يعيش ساعة وطوبى لمن لم يولد من امه .

روزي كه دومهلتست ميخورمي ناب كاين عمر دوروزه برتكردد در ياب
داني كه جهان رو بخرابي دارد تومنيز شب وروزهمي باش خراب

اشرب الخمرة الصافية مرتين في كل يوم . فان هذا العمر القليل لا يعود اليك مرة اخرى مادمت نعلم ان مصير الكون الى الخراب . انت ايضاً كن خراباً ليلاً ونهاراً .

ازحادثة زمانه آينده مبرس وزهرچه رسد جونيست باينده مبرس
اين يكدمه نقدر اغنيمت ميدان از رفته مينديش وزآينده مبرس

لا تسل عن حادث الزمان الآتي وعن كل ما يصيبك منه لانه لا يدوم اغتنم الساعة التي انت فيها ولا تفكر فيا مضى ولا تحفل بما يأتي .

لقد بان لكم رأي عمر الخيام في الحياة عريان صريحاً فان نظرة واحدة الى المعاني التي تضمنتها هذه الرباعيات تكفي لان توضح للباحث ان الطريق الذي يوصينا الخيام ان نسلكه هو طريق مظلم خطر يضل الانسان فيه ولا يهتدي الى السبيل السوي فان هذه الفلسفة السلبية التي بمقتضاها يتجرد الانسان عن كل شيء سوى الساعة التي يعيش فيها فلسفة هدم وتخريب لا فلسفة بناء وتعمير لانها فلسفة ترمي الى هدم امسنا الذي نحن ابناؤه والذي نستمد منه عناصر القوة في يومنا لنعيش في غد عيشة رغدة .

امس واليوم وغد سلسلة ذات حلقات ثلاث لا تنفصم عراها ولا تنفك احداها عن الاخرى ولا يمكن تصور تجزئتها لانها الحياة والحياة لا تتجزأ لان عناصر الحياة قوة واحدة في شكل مادة واحدة وان اختلفت مظاهرها وحياتنا اليومية حافلة بالاحلام والاماني والآلام وغيرها مما يختلج في الصدر في كل لحظة و يرد على الخاطر في كل برهة والانسان لا يستطيع ان يتخلى عن امانيه وآلامه واحلامه وخيالاته واوهامه اذ لا مندوحة له من هذه السلسلة التي لا تنفك تتجدد في كل يوم بل في كل لحظة ، على ان هذه الانفعالات كلها وليدة الحوادث وكل حادث يستحيل الى ماض بمجرد وقوعه وهذه المشاكل او الانفعالات النفسية تحتاج الى متسع من الوقت لحلها وهذا الوقت هو الغد فأمس واليوم وغد حلقات الحياة والوجود وكلها سلاسل وقيود لا يمكن التملص منها .

اذاً فما هو السر الذي جعل الناس يتهافتون ويتلذذون بآرائه وكلماته .

لقد اراد عمر الخيام ان يحل المعضلة العظيمة التي لم يستطع ان يحلها احد قبله ، اراد ان يفهم الحياة ففشل ولما فشل تشاءم ولما تشاءم اخذ يصور الحياة بابشع صورة وزعم انها ملأى بالاوجاع والاتراح مترعة بالأذى ، لذلك حثّ على عدم الاهتمام بها واوصى بطلب اللذة اغتناماً لهذه الفرصة فهذه الفلسفة السلبية تلائم ذوق الفرد خصوصاً البائس المتألم ، ورأي الخيام في الحياة يتلخص فيما يلي :

ما دام ليس في امكاننا ايقاف دورة الفلك وما دمنا لا نعرف من اين جئنا والى اين نذهب وما دمنا مسيرين لا مخيرين وما دام العمر قصيراً والحياة اذى فيجب قتل هذا الوقت المؤلم القصير بالخمرة وعدم الاهتمام بالتقاليد .

هذه كلمة موجزة في فلسفة عمر الخيام ، والآن نعود الى اصل الموضوع وهو المقارنة بين المعري والخيام .

* * *

كنت في اثناء درسي لرباعيات الخيام اشعر بوجود نسب متين وقرابة فكرية بين هاتين الشخصيتين وكنت كلما امعنت النظر في فلسفة الخيام ازددت عقيدة بوجود شبه عظيم بين هذين الفذين ، ولو ان توأمين نشأا في حضن أب وأم وتعلما في مدرسة واحدة وتربيا في بيئة واحدة وطرأ عليهما من شؤون الحياة في الصغر والكبر ما يكونان به شريكين فيه فتماثلت اخلاقهما وطباعهما وتقاربت آراؤهما ونظراتهما في الكون ، لقلنا ان المعري والخيام اخوان شقيقان وفرعان من غصن واحد فكأن المشيئة الآلهية قد قدتهما من أديم واحد وجبلت طينتهما في آنية واحدة وفي آن واحد وحبتهما طبعين وفكرين متقاربين متشابهين .

***

ان من غريب الاتفاق ان يكون الحكيمان متماثلين في الاخلاق فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بايديهم ماقتاً لهم مستهزءاً بهم مستخفاً بعقائدهم ومبادئهم وكلاهما مبغض للدنيا متطال لامور غامضة أجل شأناً واعظم قدراً من حطامها وكلاهما متطلع تائق الى اسرار الحياة معنى بها ، وكلاهما ابي النفس صادق

م : ٣

القول مطلق الرأي جريء على البوح بمذهبه ، الا فترات كانا كلاهما يراعي فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، ولو ارادا لنالا وفراً وذهباً وفضة ، وكلاهما عاش عزباً لم يتزوج وكلاهما نشأ في عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض بالآراء الفلسفية ، اذ في عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وفي عصرهما اجتمع اخوان الصفاء خفية وابرزوا رسائلهم الشهيرة . واقوال الفيلسوفين على تقارب في العلوم والمعارف . اما تآليفهما فقليلة ايضاً وأما السياسة في زمانهما فمتشابهة فقد كانت نار الفتنة مشتعلة في سورية في عصر المعري . واما فارس فقد كانت رحى الحرب فيها دائرة كل المدة التي عاش فيها الخيام فانه نشأ في اكناف الدولة السلجوقية التركية التي قامت مقام لدولة الغزنوية ولم تقم تلك الدولة الا بالسيف وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسع سلطان هذه الحكومة في ايام ملكشاه ٤٦٥—٤٨٥ الذي كان يجل عمر الخيام اجلالاً عظيماً حتى عهد اليه بناء الرصد وترتيب الزيج . وفي عهده اسس زميله وشريكه في الدرس (حسن الصباح) مذهب الباطنية وفي ايامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها اغتيل زميله وشريكه الآخر (نظام الملك) بطعنة باطني .

تضاربت آراء الباحثين في السنة التي ولد فيها عمر الخيام كما تشعبت آراؤهم في السنة التي توفي بها فالمؤلفون الغربيون يرجحون ان وفاته كانت سنة ٥١٧ هجرية وهو القول المشهور وقد ذكرت اقوال عديدة في وفاته وكلها بين سنة ٥٠٨ —و٥٣٠ وعلى كل حال فانه توفي في اوائل القرن السادس للهجرة وذكر عن النظام — وهو تلميذ خيام — انه زار قبره في نيسابور سنة ٥٣٠ وقيل له ان الخيام توفي منذ سنوات .

وذكر البيهقي في كتابه حكماء الاسلام وفاته فقال : حكى لي ختنه الامام محمد البغدادي انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل في بحث الالهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل (الواحد والكثير) وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى واوصى ولم يأكل ولم يشرب فلما صلى العشاء الآخرة سجد وكان يقول في سجوده اللهم انى عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لي وان معرفتي اياك وسيلتي اليك ومات رحمه الله تعالى .

اما ابو العلاء المعري فقد اجمعوا على انه ولد في سنة ٣٦٣ هجرية وتوفي عاشر ربيع الاول من سنة ٤٤٩ . فعلى هذا يكون المعري اقدم من الخيام بما يزيد على نصف

قرن وهي مدة كافية لنشر كتب ابي العلاء ورسائله ودواوينه في اقطار العالم الاسلامي ولا يبعد ان يكون الخيام اقتنى كتب ابي العلاء في طريقه الى الحجاز واطلع عليها ٠ على اننا لا نريد ان نتهم الخيام ولا نغض من قدره ولا نقدح في علمه وفضله وعبقريته انما نريد ان نبحث عن هـذه الاراء المتشابهة التي اشترك فيها الحكيمان ، فالمعري متقدم على زميله وعربي بحت لا يعرف الا اللغـة العربيـة والخيام متأخر فارسي مستعرب يعرف اللغتين وله شعران عربي وفارسي ٠

فهل الخيام عيال على المعري في مذهبه الفلسفي والشعري ينبغي ان نذكر أمثلة بهذا الخصوص ٠

« اتهامهما بالزندقة »

كان كل واحد من الشيخين متهماً بضعف الايمان والمروق عن الشريعة وموصوماً بالتعبير الذي كان شائعاً في ذلك العصر وهو (الزندقة) ذلك الجرم الذي ما الصق باحد الا كان جزاؤه الموت وكانت فرائص الاحرار ترتعد خوفاً منها وقد ذهب بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس والحلاج والسهروردي وغيرهم ضحايا هذه التهمة ٠

اما ابو العلاء فقد ذكروا انه دخل عليه ذات يوم رجل من قراء المعرة يعرف بابي القاسم فطلب منه بعض الناس ان يقرأ بعضاً من الآي الكريم فقرأ (ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا) يريد بذلك إهانة الشيخ ، وقد تألم ابو العلاء من ذلك الوقح فهجاه ببيتين ٠

ودخل عليه الوزير المشهور بالمنازي فسأله ما هذا الذي يرو به عنك الناس؟ قال : قوم حسدوني فكذبوا علي وقد تركت لهم الدنيا قال المنازي والآخرة فقال ابو العلاء (والآخرة ؟) ثم اطرق ولم يكلمني حتى قمت عنه ٠

وزاره بعض القضاة فقال له ابو العلاء لم اهج احداً ٠ قال صدقت الا الانبياء قال فتغيرلونه ٠

وقد ابتلي عمر الخيام بما ابتلي به صاحبه فقد وصمه (شيخ نجم الدين الرازي) في كتابه (مرصاد العباد) الذي الفه سنة ٦٢١ هجرية بانه ممن يدين بدين الفلاسفة والدهريين الطبيعيين وكان القائلون بهذا المذهب كفاراً ضلالاً في نظر الناس وقد احتج نجم الدين على ضلاله وزندقته باحدى رباعياته وقد تقدم ذكرها في ترجمته ٠

ومما يؤيد ظن الناس به ظناً سيئاً واتهامهم له بالزندقة قول (القفطي) (ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشي على دمه وامسك من لسان قلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية ... الخ) وقول القفطي فيه يدل على ان الناس كانوا يناوئونه و يتناوشونه بالكلام القارص البذيء ولا اشك في ان الذين كانوا يتهجمون عليه و يغرون العوام بايذائه هم رجال الدين وهذا شأنهم في كل عصر مع الاحرار والعظماء الا ان الخيام لم يقتصر في رد كيدهم في نحورهم واظهار مايبطنونه من المكر والخبث فقد قذعهم في كثير من رباعياته فمن ذلك قوله في المفتي واظنه كان من مناوئيه :

اي مفتي شهر ازتو بر كار تريم باابن همه مستي زتوهشيار تريم
ماخون رزان خوريم وتوخون كسان انصاف بده كدام خونخوار تريم

يا مفتي المدينة أنا احسن منك عملاً ومع كثرة سكرنا فانا أصحى منك أنا اشرب دم العنقود وانت تشرب دم الناس فانصف فأينا شراب الدماء .

« اعتقادهما بالجبر »

كان كلا الحكيمين معتقداً بمذهب الجبر دائناً به . فقد نص ابو العلاء المعري في مقدمة (اللزوميات) على انه لم يؤلف هذا الكتاب مختاراً وانما الفه بقضاء خفي لا يعرف كنهه وحقيقته . وقد ذكر الجبر في اللزوميات مراراً كثيرة مثبتاً اياه ومناضلاً عنه فمن قوله فيه :

خرجت الى ذي الدار كرهاً ورحلتي الى غيرها بالرغم والله شاهد
فهل انا فيما بين ذلك مجبر على عمل ام مستطيع فجاهد

...

ما باختياري ميلادي ولا هرمي ولا حياتي فهل لي بعد تخيير

...

جئنا على كره ونرحل رُغَّماً ولعلنا ما بين ذلك نجبر

...

وردت الى دار المصائب مجبراً واصبحت فيها ليس يعجبني النقل

...

ولم نحلل بدنيانا اختياراً ولكن جاء ذاك على اضطرار

اما عمر الخيام فكان رأيه صريحاً في الجبر بصورة لا يحتمل الشك ولا التأويل فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل (احداها) كيف صدر ملازم التضاد والشر عن الواجب مع البت بانه عز وجل يتعالى عن ان يكون مصدر شر او ظلم وجور ومع القول بامتناع تعدد الواجب. (الثانية) اي الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق: الجبرية القائلون بالجبر ونفي الاختيار عن الممكن ام القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله. (الثالثة) ان قوماً يقولون بان البقاء من صفات المعاني اي انه صفة زائدة على ذات الباقي في الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشة معهم.

فاجاب عمر الخيام بكلام طويل حلل فيه هذه الابحاث تحليلاً دقيقاً وكان جوابه على السؤال الثالث صريحاً في الجبر فقد قال — واما سؤاله عن اي الفريقين اقرب الى الصواب فلعل الجبري اقرب الى الحق في بادئ الرأي وظاهر النظر من غير ان يتلجلج في هذيانه ويتغلغل في خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً ومما يؤيد ذلك قوله في احدى رباعياته.

آورد باضطرارم اول بوجود جز حيرتم از جهان جيزي نفزود
رفتيم باكراه وندانيم جه بود زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي مضطراً الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة. ذهبنا مكرهين ولم نعلم المقصود من مجيئنا وبقائنا وذهابنا.

بر هـك ذرم هزار جاد ام نهي كويي كه بكيرمت اكر كام نهي
يك ذره زحكم توجهان خالي نيست حكم توكني وعاصيم نام نهي

تضع الاشراك يا الٓهي في الف مكان من سبيلي وتقول انك اذا وطأتها فانا نهلكك لا تخلو ذرة في العالم من حكمك انت تحكم وتقدّر عليّ وانت تسميني بالعاصي.

« البعث بعد الموت »

كان قدماء المصريين يعتقدون بعودة الروح الى الجسد في الدنيا، وكان فلاسفة اليونان الالٓهيون ولا سيما اتباع افلاطون يعتقدون بخلود الروح الا انهم ما كانوا يؤمنون ببعث الارواح كما نصت عليه الشرائع المنزلة وكانوا ينكرون حشر الاجساد التي لا تلبث

ان يتطرق اليها البلى بعد دفنها ، وزعموا ان الروح تنتقل بعد خروجها من الجسد الى عالم ملكوتي قدمي عقلي وهناك تحيى حياة إما شقية واما سعيدة لقاء ما أتته في الحياة من آثام أو اعمال مبرورة . اما ارباب الديانات فرأيهم صريح في البعث والمسلمون يعتقدون بخلود الارواح وحشر الاجساد ومن ينكر البعث بعد الموت يكفر وعقابه القتل، والقرآن طافح بالآيات التي يستدل بها المسلمون على البعث وللمفسرين من علماء المسلمين اقوال كثيرة وآراء عجيبة في هذا البحث .

وقد انعمنا النظر في رباعيات عمر الخيام فوجدناه تارةً منكراً للبعث انكاراً صريحاً مسفهاً رأي الزاعمين حشر الاجساد ومستهزئاً باقوالهم وطوراً معترفاً به مما يصعب على الباحث ان يصدر حكماً قطعياً ورأياً نهائياً بالسلب او الايجاب وقد لمس خيام هذا الموضوع استطراداً وذلك اثناء بحثه عن الخمرة وحثه الناس على شربها فمن قوله :

زآن بيش كه غمهات شبيخون آرند   فرماي كه تابادهٔ گلگون آرند
توزرنهٔ اي غافل نادان كه ترا   درخاك نهند و باز بيرون آرند

صاح قبل ان تهجم عليك غمومك على غرة مر ليأتوك بالخمرة اللازوردية . ايها الغافل الجاهل انت لست ذهباً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة اخرى .

ما لعبتكانيم وفلك لعبتباز   ازروي حقيقتي نه ازروي مجاز
باز يجه كنان بديم بر نطع وجود   رفتيم بصندوق عدم يك يك باز

نحن ألاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقي غير مجازي لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً اثر واحد .

فقوله (انت لست ذهباً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة اخرى ، وقد ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد) دليل على انه لم يكن معتقداً بالحشر والنشر كما يعتقد به المسلمون غير اننا نراه في موضوع آخر يبرم ما نقضه .

از خالق كردكار وزرب رحيم   نوميد نيم به جرم وعصيان عظيم
كرمست وخراب مرده باشم امروز   فردا بخشد به استخوانهاي رميم

لست قانطاً من رحمة الله الرحيم لجرمي وعصياني العظيمين وان انا مت اليوم سكران فانه سيغفر (غداً) رميم عظامي .

وكلمة (غدا) هنا لا تفسر الا بيوم القيامة التي يكون بها البعث والحساب والعقاب والعذاب .

وعمر الخيام بنقضه وابرامه يشبه اباالعلاء المعري فان الثاني اضطرب رأيه في البعث اضطراباً عظيماً فكان تارةً مؤمنًا به وتارةً منكراً له فمن قوله الذي أثبت فيه البعث :

وانى لأرجو منه يوم تجاوز فيأمر بي ذات اليمين الى اليسرى
اذا راكب نالت به الشأو ناقة فما أينقي الا الظوالع والحسرى
وان أعف بعد الموت مما يريبني فاحظي الادنى ولايدي الخسرى

ومن قوله الذي انكر فيه البعث انكاراً صريحًا :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله :

اما الجسوم فللتراب مآلها وعييت بالارواح انى تسلك

على انني ارتأي ان كلا الحكيمين كان منكراً للبعث غير معتقد بحشرالاجسام وخلود الأرواح واما الابيات التي نظمها الشيخان في اثبات البعث فقد نظماها تقية وخوفاً من الناس وسخط الجمهور عليهما (والشك) ولاريب أثبت في الانسان من اليقين ولا سيما في قضية هي أقرب الى الخيال الشعري من الحقيقة اليه .

وكان ابوالعلاء المعري يرى التقية ومداراة النـاس و يحتاط في اظهار آرائه ويعول على المجاز كثيراً اذ كان يخشى الاذى والاضطهاد ، وفي لزومياته شعر كثير نستدل به على ذلك فمن قوله :

اصدق الى ان ترى في الصدق مهلكة وبعد ذلك فاكذب قاعداً وقم

وقوله :

فاصمت فان كلام المرء يهلكه وان نطقت فإفصاح وايجاز

وقوله :

اهوى الحياة وحسبي من معايبها اني أعيش بتمويه وتدليس
اكتم حديثك لا يشعر به احد من رهط جبريل اومن رهط ابليس

فهذه الابيات تدل على ان ابا العلاء كان سيء الظن بالناس كثير الحذر منهم وقد اتخذ (التقية) جنة له ·

وقد حذا عمر الخيام حذو ابي العلاء المعري وسلك طريقه في دفع الاذى والضرر عن نفسه فقد ذكر « الوزير جمال الدين ابي الحسين عليّ بن القاضي الأشرف يوسف القفطي » مانصه : « ولما قدح اهل زمانه في دينه وأظهروا ماأسرّه من مكنونه خشي على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى أسراراً من السرار غير نقية » ·

ومما يؤيد قول القفطي الصراحة البارزة في بعض رباعياته التي يصح الاستدلال بها على حذره وتكتمه وعدم انشاء مايكنه ضميره خوف البله من صغار العقول وضعفاء الحلوم ·

باهر بد ونيك راز نتوانم گفت كوته سخنم دراز نتوانم گفت

حالي دارم كه شرح نتوانم داد رازي دارم كه باز نتوانم گفت

لاأستطيع ان ابوح بسري لكل طيب وخبيث انا قصير الكلام لا أستطيع ان أطيله · لي حال لا أستطيع ان أشرحها وسر لا أستطيع ان اقوله ·

ولاسيما ان عصر الخيام كان عصراً طافحاً بجماعات من المتصوفة العمي الابصار والقلوب وزمر عظيمة من المتزهدين الناسكين الذين أعمى التعصب الممقوت أفئدتهم وأطفأ سراج عقولهم فكان من حقه ان يتكتم وان لايبوح بآرائه اقتداء بزميله شيخ المعرة خشية هؤلاء الكذابين الذين كانوا يلعبون بعقول العوام كما يشاؤون ويقودونهم كما يرغبون ·

وقد اتعظ الشيخان بالفجائع والرزايا التي أنزلت بزملائهم وأنسبائهم في الرأي من الاحرار الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على البوح بما تجيش به صدورهم فذاقوا من اجل ذلك عذاباً اليماً ·

والنطع الذي أضجع عليه صالح بن عبد القدوس ، والسياط التي ألهبت جسد الحكيم الشهيد بشار بن برد الشاعر ، والجذع الذي صلب عليه الصوفي الشهير ابو منصور الحلاج ، والسيف الذي بتر عنق الفيلسوف السهروردي وغيرهم من الفطاحل الأفذاذ الى غير ذلك من الفجائع والوقائع الاليمة — كانت عبراً ودروساً ·

« التناسخ »

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية فقد زعموا ان الانسان

اذا مات اوقتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته وانتصب هامة فيرجع الى رأس القبر على رأس كل مائة سنة وقد دمغهم الرسول (ص) بردزعمهم فقال (لا هامة ولا عدوى ولا صفر) ثم كثر علم العرب بهذا المذهب في صدر الاسلام وذلك منذ أواخر القرن الاول وكانت بعض الفرق من غلاة الشيعة تدين به كأصحاب عبدالله بن سبا[1] الذي قال لعلي عليه السلام (أنت أنت) اى أنت الاله فنفاه الى المدائن فادعى بتناسخ الجزء الالهي في الأئمة بعد علي . ومثل هؤلاء أصحاب ابي كامل[2] الذي كان يدعي ان الامامة نور يتناسخ متنقلاً من شخص الى شخص وذلك النور يكون في شخص نبوة وفي شخص يكون امامة وربما تناسخت الامامة فصارت نبوة وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت . والغلاة على أصنافهم متفقون على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل أمة تلقوها من المجوس والمزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر وذلك هو معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء كإشراق الشمس في كوة او كإشراقها على البلور واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بحيوان ومراتب التناسخ اربع النسخ والمسخ والفسخ و لرسخ .

وقد اتخذ بعض الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت ومن اولئك الشاعر السيد الحميري الذي أعماه التعصب فأخرجه عن طريق الصواب وليس بين المطلعين على الآداب العربية من ينكر ما كان من ترهات الحميري وسخافاته .

وقد عثر المستشرق (Zokovski) زوقوفسكي في تاريخ الالفي على حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ في نفس عمر الخيام فقد ذكروا انه كان أستاذاً في مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة في حاجة الى ترميم واصلاح فكان سرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة وبينا كان عمر الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف عند باب المدرسة ولم يشأ الدخول اليها فجاء عمر الخيام وتقرب من الحمار وقرأ في أذنه هذه الرباعية :

(١) وتسمى هذه الفرقة السبئية . (٢) وتسمى هذه الفرقة الكاملية راجع ١٣٢ و١٣٣ من كتاب الملل والنحل .

اى رفته و باز آمده بل هم كشته نامت زميان نامها كم كشته
ناخن همه جمع آمده وسم كشته ريش از پس كون درآمده دم كشته

اسيه . يا أيها الذي ذهب وعاد مرة أخرى وصار (كالانعام بل هم أضل سبيلا) قد ضاع اسمك بين الاسماء، لقد اجتمعت أظافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك في عجزك فصارت ذيلاً .

فدخل الحمار المدرسة فسأله تلاميذه عن سر ذلك فأجابهم ان الروح التي حلت في جسد هذا الحمار كانت روح تلميذ عاش وتعلم فيها لذلك لم يرغب الحمار في الدخول اليها غير انه لما شاهد رفقاءه الاقدمين رضي بالدخول .

والذي يمعن النظر في هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلاً ان يعتقد بانها من القصص الملفقة المصطنعة وانها من نوع الأحاديث التي يختلقها العوام لان هذا الرجل الذي دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته الجليلة ومكانته العاليـة بين ملوك عصره — على رجاحة عقله وسعة علمه لايمكن ان يسف هذا الاسفاف وان ينفوه بهـذا الرأي المبتذل المأفون - هذا من جهة ومن جهة أخرى ان رباعياته التي اشتهر بها والتي أودعهـا آراءه الفلسفية تكاد تسوق الباحث الى الاعتقاد بالحاده ونكرانه البعث والحشر والنشر ويقينه بالعدم المحض لذلك يغلب على الظن براءة هذا الحكيم الكامل من هذه العقيدة .

وقد كان ابو العلاء المعري ممن ذم هذا الرأي وهزئ به وشنعه في رسالة الغفران وفي لزومياته فقال :-

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهـذبه النقل
فلا تقبلن مايخبرونك ضـلة اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

« تشاؤمهما »

ان سيرة المعري والخيام وشعرهما وآراءهما في الكون تدل على انهما كانا (متشائمين) متألمين ماقتين للحياة لما فيها من شرور وآثام معتقدين ان كل مافيها خطب وبلاء فالوجود خطب والحياة خطب والموت خطب والناس أشرار ذوو غدر وخبث وطباع فاسدة وان كل شيء في الكون خبيث ردئ وان جملة الشرور فيه تفوق جملة الخيرات وان آلام الحياة وبؤسها وشقاءها اكثر من مسراتها وأفراحها .

والتشاؤم (مرض روحي) ابتلي به كثير من الفلاسفة والمفكرين من ذوي الامزجة العصبية وهو مذهب قديم نشأ في ديانة البوذيين وشاع في الشرق ودان به كثير من الحكماء فكان خالق آلامهم وعلة اوجاعهم وهذا المرض العضال يتغلغل غالباً في نفوس سكان البلاد الحارة الموبوءة بالامراض القليلة الأرزاق الفقيرة التي مافيها عمل ولا كسب وكثيراً مايحصل من الوراثة هذا عند عوام الناس وهو وقتي لا يلبث ان ينقلب الى تفاؤل وفرح وسرور ان تحسنت الحالة فهو اذاً عند عامة الجمهور ضرب من الشكوى الوقتية المتولدة من (الحاجة) ومتى زالت الحاجة زال التشاؤم سريعاً ٠

اما عند الحكماء المفكرين فأمره عظيم وشأنه كبير فانه يتولد في نفوسهم من سلسلة التفكرات العميقة والتأملات الطويلة في شؤون غامضة وامور مبهمة لم يتوصل العقل البشري الى حل معضلاتها كالوجود والواجب وسر الوجود والخليقة وعلتها ووضعها ونواميسها والكون ومنشئه وهل هو حادث اوقديم وهل هو محدود ومتناه اوهو غير محدود وغير متناه والأزلية والسببية والمبدأ والمنتهى والمعاد والروح والخلود الى غير ذلك من الأسرار والألغاز التي ماتأمل فيها احد الارجعت تأملاته على أعقابها وتسرب اليه الريب ومال الى الشك قسراً لااختياراً والشك الذي هو نتيجة عدم ادراك هذه المعميات هو الذي يولد (التشاؤم) و يورث الألم واليأس ٠ وفي الحقيقة اذا فكر الانسان في علة وجود هذا الكون وفي سبب هذه الخليقة والايجاد والبقاء والانتقال الى جهة لاتعرف غايتها وعاقبتها وفي موته الذي يتخلى به عن رجائه وامله وامانيه يشعر ولاريب بهزات عنيفة في وجدانه وصدمات قوية في شعوره واحساسه واستيلاء يأس مظلم مخيف وخيالات مريعة واحلام محزنة والانسان مفطور على حب البقاء في الحياة على ما فيها من وجع وكدر وآفة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هي التي تورث التشاؤم الذي لامندوحة عنه ما دام موقناً بها ٠

وقد أعدت الراحة الكبرى لمن كان معتقداً بكون له ابتداء وانتهاء أوجده خالق قدير من العدم وسيورده العدم كما أوجده وان هناك حشراً ونشراً وحساباً وعقاباً وان هناك جنة عرضها السموات والارض فيها حور عين وأباريق وكأس من معين وفاكهة ولحم

طير مما يشتهون أعدت للمؤمنين الصالحين وان هناك ناراً ملتهبة فيها ألوان من العذاب أعدت للمجرمين الآثمين ·

فهذا الأمل الرائع يمنح المعتقدين راحةً وسلاماً وأماناً في الحياة فطوبى للمعتقد المؤمن وويل للشاك المرتاب ·

وان ابا العلاء المعري الذي تدل كلماته وأقواله على انه كان عنادياً بحتاً مرتاباً في وجود خالق صانع مدبر ، حائراً في سبب الخليقة والايجاد والفناء ، شاكاً في العقائد التي من ضمنها الحشر والمعاد والخلود — يجب ان يكون بطبيعة الحال (متشائماً) وهذا هو الواقع وانك لتجد عند قراءة (لزومياته) صيحاته الأليمة وصرخاته الحزينة وكأنك تكاد تلمس يأسه وقنوطه في شعره من أسئلته الدالة على تحيره الكثير وارتيابه العظيم ·

وهذه الآراء التي ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصائب والنكبات التي ألمت به بفقدان بصره وموت أبيه وأمه وفقره ووهنه هي التي أشعلت في قلب الشيخ جذوة اليأس والألم فراح بكيل للأديان السباب وللأنبياء الشتم وللناس القذع ، ماقتاً الحياة وسكانها مرسلاً خراطيم من نار غضبه على طبائعهم وسجاياهم ، معتزلاً عن الناس ، منزوياً قابعاً في كسر داره تتقاذفه أمواج الشكوك حتى صيرته حليف الضنى واليأس والبؤس وهل هناك برهان أقوى على مقته الحياة من ايصائه ان يكتب على قبره ·

هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد

وقوله :

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

* * *

تعب كلها الحياة فما أعجب الا من راغب في ازدياد

وقوله وهو دليل على مقته الناس :

مسخ المعاشر فالغضنفر ثعلب في لؤمه والناس كالنسناس
وتنكرت نفس اللبيب وقد رأت أشخوص جن أم شخوص أناس

عرب وعجم دائلون وكلنا في الظلم اهل تشابه وجناس

* * *

والشر طبع قد بثت غريزته مقسومة بين أنواع وأجناس

* * *

سجايا كلها غدر وخبث توارثها أناس عن أناس

وقد تزاحمت هذه الافكار في دماغ عمر الخيام كما تزاحمت في دماغ صاحبه المعري وكان الشؤم واليأس ملازمين لروحه مسيطرين على احساسه وشعوره حتى بلغ من كراهته للحياة وتشاؤمه منها انه تمنى انه لو لم يكن مخلوقاً في الدنيا ·

گر آمد نم بمن بدی نامدی ورنیز شدن بمن بدی کی شدمی

به زآن بندی كه اندرین عالم خاك نه آمدی نه شدمی نه بدمی

لو كان مجيئي باختياري لما جئت ولو كانت خلاصي بيدي لما رغبت ان أخلق · الافضل أنني لم اكن في هذا العالم ولم اجئ اليه ولم أخلق ولم أبق فيه ·

لقد علمنا مما تقدم ذكره أن كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء فقد اتحدا واتفقا على تشخيص الداء الا انهما اختلفا في الدواء ·

« الخمرة — المنية »

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحياة السلافة · وكان المعري يرى ان المنية هي الوسيلة الى ذلك وقد وصف الخيام الخمر بما وصف به ابو العلاء الموت · وفي طاقتنا ان ندعي ان نفس المعاني التي ذكرها المعري في الموت جعلها الخيام في الخمر فقد ذهب في المغالاة بمدحها والاسراف في حبها والولوع بها وحث الناس على شربها ما جعل بعض الباحثين ان يسيئوا به الظنون و يعتبروا أقواله ضرباً من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب الخيام في الخمرة مذهب اكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون ان فيها راحة للنفوس وتسكيناً للأوجاع وتخفيفاً للآلام والاكدار ومما ينسب الى الحكيم الفارابي في هذا المعنى قوله :

بزجاجتين قطعت عمري وعليهما عولت أمري

فزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بخمر

فبذي أدوّن حكمتي وبذي ازيل هموم صدري

وتدل رباعياته على انه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث وانما اتخذها دواء كما يتخذ المريض الدواء لمرضه وانه كان يرى ان السلافة هي الوسيلة الوحيدة الى تبديد الهموم وتفريج الكروب عن الصدور فمن ذلك قوله :

مى خوردن من نه از براى طرب است نى بهر فساد وترك دين وادب است
خواهم كه ببيخودى بر آرم نفسي مى خوردن ومست بودنم زين سبب است

ليس شرب الخمرة من اجل الطرب والفساد وترك الدين والأدب . انما أريد ان النفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسي فشربي الخمرة وسكري لهذا السبب .

از آمدن بهار واز رفتن دى اوراق وجود ماهمى كرد دطى
مى خور مخور اندوه كه گفتست حكيم غمهاى جهان جوز هرو ترياكش مى

بين مجيء الربيع وذهابه تنطوي اوراق وجودنا . أشرب الخمرة ولا تتألم فقد قال الحكيم ان آلام الحياة سم ودرياقها الخمر .

وقد ظن بعض الباحثين ان السلافة التي يتغنى بها الخيام في رباعياته هي (سلافة الحب) او (خمرة الحقيقة) او (السكر المقدس) وهي الخمرة الخيالية التي ينشدها شعراء الصوفية في قصائدهم مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومي وغيرهم وفي الحقيقة ان هذا الظن باطل غير صحيح فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانما تغزل بالمشعشعة الحمراء بنت الكروم لابادة الألم الرابض في صدره والرباعيتان اللتان تقدم ذكرهما كافيتان في دحض هذا الزعم .

وقد وصف الخيام المدامة باوصاف دقيقة بديعة تدل على انه كان ممن دارس الخمرة ومارس شربها دهراً طويلاً فهو في وصفه الرائع أشبه بابي نؤاس في وصفه لها حتى لقد سن للسكارى قانوناً في كيفية تعاطيها قال :

گر باده خوري تو باخرد مندان خور يا باصنمى لاله رخى خندان خور
بسيار مخور ورد مكن فاش مساز اندك خور وگه گاه خور وپنهان خور

اذا شئت شرب الخمرة فاشربها مع العقلاء او مع مليح ضحوك ذي محيا منير ولا تشرب كثيراً ولا تفحش في الكلام اشرب قليلاً وبين آونة وأخرى وفي الخفاء .

اما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه في هذا المعنى وأكثر من ذم الخمرة وقبحها وندد بشاربيها وزعم انها سالبة العقول هاتكة الوقار مفرقة الاحباب وقد أجهز على السلافة في لزومياته فمن ذلك قوله :

وحاذر من الصهباء فهي عدوة من الصهب مشت في مفاصلك السكرا

* * *

البابلية باب كل بلية فتوقين هجوم ذاك الباب
جرّت ملاحاة الصديق وهجره واذى النديم وفرقة الاحباب
ام الحباب وان أميت لهيبها بمزاجها وافت كأم حباب
هتكت حجاب المحصنات وجشمت مهن العبيد تهضم الارباب
وتوهم الشيب المدالف انهم لبسوا على كبر برود شباب
واذا تأملت الحوادث ألفيت صهب الدنان اعادي الالباب

* * *

دبيب نمال من عقار تخالها بجسمك شر من دبيب العقارب
ولو انها كالماء طلق لأوجبت قلاها اصيلات النهى والتجارب

* * *

تجرع موت لا تجرع لذة من الخمر في كاساتهم والاباريق

قلنا غير مرة ان الخيام والمعري كانا يريان الحياة خطبًا وشرًا يجب التخلص منها . اما الخيام فقد رأى ان احسن وسيلة تنجيه منها هي (الخمرة) واما المعري فقد ذمها وكان يرى ان الموت هو الدواء الشافي وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقد تمناها في كثير من شعره فمن قوله :

اما حياتي فمالي عندها فرج فليت شعري عن موتي اذا قدما
صحبت عيشًا أعانيه ويغلبني مثل الوليد يقود المصعب السدما
وقد مللت زمانًا شمره لهب اذا دنا خبو عاد فاختدما
من باعني بحياتي ميتة سرحًا بايعته واهان الله من ندما

* * *

رب متى ارحل عن هذه الـ — دنيا فاني قد أطلت المقام
لم ادر ما يجمي ولكنه — في النحس مذ كان جرى واستقام
فلا صديقي يترجى يدي — ولا عدوي يتخشى انتقام
والعيش سقم للفتى منصب — والموت يأتي بشفاء السقام
والترب مثواي ومثواهم — وما رأينا احداً منه قام

* * *

مللت عيشي فعوجي يا منية بي — وذقت فنين من بؤس ومن رغد
غدي سيوجد امسي لا ينازعني — في ذاك خلق وامسي لا يصير غدي

« مصير الجسم بعد الموت »

وقد اختلف الحكيمان ايضاً في قضية مصير الجسم بعد موته فكان ابو العلاء تارة يحفل بجسم الانسان بعد موته وتارة لا يرغب في تكريمه ولا يهتم بما يفعل به لانه لا يحس ولا يتألم فمن قوله في تكريم الجسم :

خفف الوطء ما أظن اديم الـ — أرض الا من هذه الاجساد
سر ان اسطعت في الهواء رويداً — لا اختيالاً على رفات العباد

ومن قوله في عدم تكريمه :

تكرم اوصال الفتى بعد موته — وهن اذا طال الزمان هباء

وقد غالى المعري في عدم الاعتناء بالجسد حتى استحسن من عادات الهنود حرق أمواتهم .

فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم — وذاك اروح من طول التباريح
ان احرقوه فما يخشون من ضبع — تسرى اليه ولا خفي وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتنا — غبّاً واذهب للنكراء والريح

وقد خالف الخيام شيخ المعرة في هذا المعنى فكان مبالغاً في تكريم الجسد موصياً الخزاف بالرفق عند جبله الطين قائلاً انها أجسام بشرية يجب ان تعامل بالحسنى .

اى كوزه كران بكوش اكرهشيارى — تاجند كنى بر كل آدم خوارى
انكشت فريدون و كف كيخسرو — بر جرخ نهادهٔ جه مى بندارى

ايها الخزافون اسمعوني ان كنتم منتبهين : حتى م تظلمون طينة ابن آدم ٠ انكم قد وضعتم اصبع فريدون وكف كيخسرو على الدولاب فماذا تظنون ؟

دي كوزه كري بديدم اندر بازار بر باره كلى لكد همى زد بسيار
وآن كل بربان حال باوي ميكفت من همجو تو بوده ام مرا نيكودار

رأيت امس خزافاً في السوق وكان يركل قطعة من الطين وكان لسان حالها يقول للخزاف لقد كنت ياهذا مثلك فعاملني بالحسنى ٠

وقد عاش الشيخان عزبين ولم يتزوجا وكان رأي المعري في المرأة سيئاً وكان يكره النسل ويرى الزواج إثماً وجرماً عظيمين فلم يشأ ان يجني على غيره كما جنى عليه ابوه وفي ذلك يقول :

وارحت اولادي فهم في نعمة الـ ـعدم التي فضلت نعيم العاجل
ولو انهم ظهروا لعانوا شدة ترمي بهم في موبقات الآجل

* * *

فالبث وحيداً لا وصيـ ـفة في ذراك ولا وصيف

ومع ان الخيام عاش بلا ريب اعزب فلم نطلع على رأيه في الزواج والمرأة والنسل ٠ لقد علمتم ايها السادة مما تقدم ذكره ان عمر الخيام لم يأتنا بشيء جديد وانما كرر ما تكلم به قبله شيخ المعرة وترنم بعين النغمة التي كان يترنم بها حكيمنا الجليل ٠ فسلام على الجزيرة وسلام على ربوع الشآم منبت الفحول العظام ٠

احمد حامد الصراف
العراقي



م : ٤

رسالة الكرم

- ٣ -

« اول ماينبت من الحب والغرس »

اول ما ينبت من الحُبّة نسميه الحمّنة مالم نغرسه بايدينا فننزعه ثم نغرسه · فاذا غرسناه سميناه غرساً · هكذا جاء في الكتاب المنسوب للاصمعي ولم أر من ذكر الحمنة بهذا المعنى · والذي في اللسان والتاج ان الحمنة واحدة الحمْن وهو صغار القردان ولا معنى له هنا ولعلها محرفة عن الحبّة · ويؤيد هذا ما جاء في المخصص فقد قال فيه : قال بعض الطائفيين اول ما ينبت من الحُبّة يسمى الحبّة ما لم تنزعه فنغرسه بايدينا فاذا نزعناه ثم غرسناه سميناه غرساً وسيأتي عن التاج ان الحبة كثبة العنب اول ماينبت من الحب مالم يغرس جمعه حبي كهدى ·

وقال في المخصص ايضاً اذا نبتت حبة العنب وهي العجمة والحصرمة والفرصد وهي طائفية · والنواة فهي حبّة ما لم ينزع نباتها من موضعه فيغرس فاذا نزع ثم غرس سمي غُرْسة (هكذا ضبط بالشكل بضم الغين ولم ارها لغيره) وسيأتي تحقيق اسمها في الغراس · الاصمعي عن ابي الخطاب · العنب اول ما يغرس يكون غَرْسة ثم تصرم في قمر قابل اي يقطع من غصونها ما يبس منها اجمع حتى يبقى منها اصلها ثم تخرج لها شكر فاذا علقت الغريسة قطعت من وجه الارض وترك اصلها وعروقها في الارض فاذا قطع رأسها دُمْنت بالدِّمْن اي أُلقي على اصلها الدمن وهو السرجين ·

فاذا نبت اصلها الذي في الارض ثانية فهي نشأة · وقد أنشأت اذا نبتت · وفي القاموس النشيئة والنشأة مانهض من كل نبات ولكنه لم يغلظ بعد ونحوه في اللسان · ويأتي نشأ بمعنى حيي ، وارتفع ، وربا ، وشب ، وبدا ·

ويقال سرى عرق الشجرة في الارض يسري سرياً ، دب تحت الارض ·

وقد تقدم ان عروق كل شيء أطناب تتشعب منه واحدها عِرْق والعِرقاة بالكسر جمع عِرْق وعِرْقة وقال الليث العِرقاة من الشجر أُرومة الأوسط ومنه تتشعب العروق ·

ويقال أنسغ الشجر والكرم اذا نبت بعدما قطع ·

الغرس — عقافيل الكرم ماغرس منه · ولم يذكر لها واحد · قال الشاعر :

نجذ رقاب الاوس من كل جانب كجذ عقافيل الكروم خبيرها

الفَسْل — قضبان الكرم للغرس وهو ما أُخذ من أمهاته ثم غرس والافتسال قطع غصنة الكرم للغرس · واسم الغصن الفسل ·

العَكيس — القضيب من الحبلة يعكس تحت الارض الى موضع آخر · (الاصمعي) العكيسة التي تمس الارض في قضبانها وهي أغلظ من الشكر ·

الشكير كقضيب الكرم يغرس من قضيبه جمعه شُكُر كقُضُب والفعل منه شكِر كفرح وأشكر واشتكر ·

وشُكُر الكرم (قضبانه الطوال) وقيل قضبانه الأعالي ·

وفي المخصص فان غرس الكرم من قضيبه فاسم القضيب الشكير وجمعه شكر وهو ايضاً زرجونة ثم قال والحبلة كالشكير ·

والشكير ماينبت من القضبان الغضة الرخصة بين القضبان العاسية · وما ينبت حول الشجرة من اصلها · او ماينبت في اصلها من الورق ليس بالكبار والشكير ماينبت في اصول الشجر الكبار · والورق الصغار ينبت بعد الكبار وقيل الشكير الشجر الذي ينبت حول الشجر ·

الغريسة شجر العنب اول مايغرس ، والنواة التي تزرع ، والغرس بالفتح الشجر الذي يغرس والجمع أغراس وغراس والغَرْس القضيب الذي ينزع من الحبة ثم يغرس · والإغراس بالكسر زمن الغرس ووقته ومايغرس من الشجر والمغرِس موضع الغرس وجمعه مغارس وغرس الشجر من باب ضرب وأغرسه ايضاً بمعنى أثبته في الارض فالشجر مغروس وغراس وغَرْس كما تقدم ولم نجد غرسة بضم الغين او بفتحها في اللسان والتاج والمصباح ولعل الاولى تحريف والثانية واحدة الغرس فتأمل ·

ويقال نبّت الزرع والشجر تنبيتاً اذا غرسه ، والنابت من كل شيء الطري حين ينبت صغيراً · ويقال استأصلت الشجرة نبتت وثبت أصلها ·

***

« التطعيم »

أطعم الغصن إطعاماً وطعمه تطعيماً اذا وصل به غصناً من غير شجره تطاعيم الغصن اي قبل الوصل .

الغروز بالضم : الاغصان تغرز في قضبان الكرم للوصل واحدها غرز بالفتح والتغاريز ماحول من فسيل النخل وغيره الواحد تغريز سمي بذلك لانه يحول من موضع الى موضع فيغرز وهو التغريز .

وغرز عوداً في الارض وركزه بمعنى واحد ، وكل ما سُمِّر في شيء فقد غُرِز وغُرِّز

« ماء الكرم »

أغطى الكرم اذا جرى فيه الماء وزاد ونما .

التوحيم : ان ينطُف[1] الماء من عود النوامي اذا كسر يقال وَحَمَت الكرمة تُوحِّم .

الدماع كرمان وغراب ما يسيل من الكرم في ايام الربيع . كذا في اللسان والمخصص واقتصر الصاغاني على الاول قال في التاج وفي نسخ الصحاح والاساس بالتخفيف .

النسغ بالضم مالا يخرج من الشجرة اذا قطعت .

وقد تقدم ذكر الطل وهو الندى الذي تخرجه عروق الشجر الى غصونها .

« الأبن والزمع وما شاكلهما »

واذا جرى الماء بعد الحطاب قيل أفطرت شكره ثم يقال ازغبت .

ويقال ازغب الكرم وازغاب كاحمر واحمار اذا صار في أبن (عقد) الاغصان التي تخرج منها العناقيد مثل الزَغب[2] وذلك اذا جرى فيه الماء وبدأ يورق .

الأُبَن جمع أُبنة بالضم وهي العقدة في العود او العصا ويقال لها عين وجمعها عيون وقد تقدم ان قطعات الشجر أبنها التي تخرج منها اذا قطعت الواحدة قطعة .

الزمع محركة أبن تكون في مخارج عناقيد الكرم . وقيل الزمعة الحبة اذا كانت مثل رأس الذرة واحدتها زمعة بالتحريك وتجمع على زمعات . ويقال ازمعت الحبلة اذا عظمت

(١) نطَف الماء ينطِف وينطُف قطر قليلاً قليلاً .

(٢) الزغب اول ما يبدو من شعر الصبي والمهر وريش الفرخ .

زمعتها ودنا خروج الحبة منها. وفي اللسان الزمعة الطلعة في نوامي الكرم بعدما يصوف[1]. وقيل العقدة في مخرج العنقود. وفي الاصمعي اذا رأيت فيه الطلع قلت أزمع وفيه ايضاً العنب اول شيء يخرج منه ان تعظم الزمعة فاذا عظمت جداً سميناها بنبقة ثم يكون حثراً ثم يكون غصناً [2] وذلك اول ما يعقد فلا يزال غصناً حتى يأخذ في النضج و يرى فيه السواد.

فاذا عظمت الزمعة سميت بنيقة كسفينة.

ويقال اكمحت البنيقة [3] اذا ابياضت وخرج عليها مثل القطن.

وفي المخصص والبنائق. هي الكوافير اي الاغطية.

و يقال اكمح الكرم بالحاء المهملة اكماحاً اذا تحرك للايراق. واكمخ بالخاء المعجمة

(١) هكذا ضبط في اللسان في مادة زمع وقد ذكر في مادة: صوف، صوّف الكرم بتشديد الواو وهو الموافق لما في التاج والاصمعي والمخصص.

(٢) هكذا في نسخة الاصمعي وكتب الشارح في ذيلها عند هذه اللفظة اي (غصناً) ومنه أغصن العنقود وغصّن اذا كبر حبه شيئاً. ومن البين ان قوله ثم يكون غصناً وذلك اول ما يعقد الخ ينافي قولهم أغصن العنقود اذا كبر حبه شيئاً ففي العبارتين تباين بين. والظاهر ان في العبارة تحريفاً لم يفطن له الشارح وان اصلها هكذا: ثم يكون غضاً.

وقد وقع في عبارة اللسان في تفسير الغض خطآن: وذلك انه قال والغض الحِبْن من حين يعقد الى ان يسود و يبيض وقيل هو بعد ان يجدُر الى ان ينضج الخ. ولا معنى للحبن ولا ليجدر في هذا المقام والصواب في الاول الحثن وفي الثاني يجدر كما تدل عليه عبارة المخصص فقد جاء فيه: اذا صار حب العنب فوق النفض قيل جدر ثم يكون غضاً. ثم قال والغض من صفات الحثن. ثم قال وقيل هو غض من حين يعقد الى ان يسود او يبيض. وقيل هو بعد ان يجدر الى ان ينضج وقد جاء عن الاصمعي ما يؤيد ذلك فيما نقله عن ابن الخطاب: ثم يجدر اذا كان فويق ذلك. قال يخرج مثل الجدري ثم يكون غضاً ثم يرق حتى يلين و يطيب وسيأتي ذلك مفصلاً في مواضعه.

(٣) في اللسان الزمعة.

بدت زمعانه وذلك حين يتحرك للايراق ·

وفي اللسان حثرة الكرم زمعته بعد الاكماخ وسيأتي الخبر في المنقود ·

« تقطينه »

ويقال قطن الكرم تقطيناً وعطب تعطيباً اذا بدت زمعانه وظهرت · وفي المخصص اذا تحرك للايراق فبدت زمعانه ظهر لها عطب فيقال قد عطب الكرم وقطن واكمخ وفي اللسان العُطُب والعُطْب القطن واحدته عطبة ·

« تجبيبه وتفقيحه »

جدر الكرم كفرح اذا حبب وهم بالايراق · وفي اللسان جدر النبت يجدُر وجدُر جدارة وجدّر وأجدر طلعت رؤوسه في اول الربيع وذلك يكون عشراً اونصف شهر ·

الأصمعي صوّف الكرم بدت عيونه · وفي المخصص فاذا بدت عيون النوامي بعدما تصرم قلت صوّف · وفي اللسان والتاج : صوف الكرم بدت نواميه بعد الصرام يقال صرم النخل والشجر والزرع اي جزه · والصرام بالفتح ويكسر أوان ادراكه · والصرْم القطع البائن للحبل والعذق ونحو ذلك الصرام ·

ويقال بصّص الشجر اذا تفتح للايراق · وبصّصت البراعيم اذا تفتحت اكمّة الرياض وبصصت الارض ظهر منها اول ما يظهر من نبتها كبصبصت وأبصت وأوبصت ·

وجصّص العنب والشجر وهو اول مايرى منه شيءٌ قدخرج مثل بصص مأخوذ من تجصيص الجرو اذا هم ان يفتح عينيه · وجصص العنقود هم بالخروج ·

الخَضْب مايظهر في الشجر من خضرة عندابتداء الايراق وجمعه خضوب وخضَب الشجر يخضب خضوبا · وخَضِب وخُضِب واخضوضب كله بمعنى اخضر وخضبت الارض خضباً طلع نباتها واخضر ·

« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي

سليم الجندي

—•••—

آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع
« من كتاب نهاية الأرب »
- ٣ -

(١٥) — وجاء في ص ٢٠٥ س١٥ يصف العدو الذي استسلم : فأبصر بالخدمة موضع رشده اه . ذكر الاستاذ ان الصواب : « فأبصر بالحذق » بدل الخدمة وقال : (لان الحذق سبب ابصاره رشده اما الخدمة فانما تصح ارادتها على استكراه وتكلف) اه ونقول : ان الباء في قوله بالخدمة ليست بمعنى السببية كما فهم الاستاذ وبنى على ذلك انتقاده وانما هي بمعنى (في) الظرفية والمراد ان هذا العدو قد أبصر رشده في رجوعه الى الطاعة وملازمته للخدمة ويدلــ على ذلك قول الكاتب قبل هذه العبارة (وكان الملك فلان ممن يريد طرق النجاة فلم ير اليها بسوى الطاعة سبيلاً ويأمل اسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الانتماء دليلاً اه) . وإذن فلا موجب لتغيير لفظ الخدمة بالحذق مادام المعنى صحيحاً لااستكراه فيه ولا تكلف .

(١٦) — وجاء في ص٢١٤ س١٥ يصف الرسالة التي يقال ان سيدنا ابابكر ارسلها الى سيدنا علي « ومخبآت الصنادق » اعترض الاستاذ على قوله : «الصنادق» (بان صوابه الصناديق بالياء لمكان الواو في مفرده وهو صندوق) . ونقول : أجاز علماء الكوفة حذف الياء من مماثل مفاعيل كما أجازوا زيادة تلك الياء في مماثل مفاعل فنقول في جعافر جمع جعفر : جعافير كما نقول في عصافير جمع عصفور : عصافر ، ومن الاول قوله تعالى : (ولو ألقى معاذيره) والاصل معاذره بدون ياء جمع معذرة . ومن الثاني وهو حذف الياء قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب) والاصل مفاتيح بالياء جمع مفتاح ، واذ كان ذلك مذهباً لبعض علماء الصرف مستشهدين على صحته بالتنزيل العزيز وهو حجة لاتجحد لم نشأ والحالة هذه ان نغير ماجاء في الاصل فنزيد ياء في قوله : «صنادق » لجواز ان يكون صاحب هذا الكلام جارياً على مذهب الكوفيين في ذلك .

(١٧) — وجاء في ص٢١٧ س٥ (والتعريض سجال الفتنة اه) . والسجال جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة ، يريد بهذه العبارة ان التعريض بالكلام وهو التلميح به الى عيوب الخصوم يحمل الشر والفتنة في ثناياه كما تحمل الدلو الماء . وإذن فعبارة الاصل مستقيمة لاخطأ فيها ، وقد وردت هذه العبارة ايضاً في صبح الأعشى وقد قال الاستاذ ان الصواب (شجار) بدل (سجال) كما في نسخته المخطوطة لمحاضرة الأبرار ، وقال في تفسير الشجار انه من شجر الطبيب فم المريض اذا فتحه بواسطة عود ثم صب فيه الدواء والعود المذكور هو الشجار ، ومعنى كون التعريض شجار الفتنة ان التورية في الكلام والتلميح به الى عيوب الخصوم تثير الحفائظ وتهيج الأحقاد ويكون ذلك كالشجار يفتح به فم الفتنة) الخ كلام الاستاذ . ونقول : « ان المعنى متى استقام على الرواية الاولى فلا موجب لطرحها ووضع غيرها مكانها على ان القارئ المدقق اذا وازن بين الروايتين ونظر بذوقه ليعرف اي المعنيين أقرب الى الأذهان واي الكلمتين أشبه بالاساليب العربية في مثل هذا الغرض الذي نحن بصدده لتبين له واضحاً ان المعنى في الرواية الاولى أشد تبادراً الى الذهن وأقل تكلفاً في توجيهه من الرواية الثانية التي نقلها الاستاذ عن محاضرة الأبرار كما يظهر له ان التعبير بسجال اقرب الى الأساليب العربية في مثل هذا المعنى من التعبير بشجار وانك اذا راجعت كلام العرب وجدتهم اذا ذكروا الفتن والحروب شبهوهما بالاشياء المظروفة كالماء ونحوه وليس أدل على ذلك من قولهم : (الحرب بيننا سجال) قال في اللسان في تفسير هذه الكلمة مانصه : معناه (انها تدال علينا مرة ويدال علينا أخرى وذلك لان المستقيين بسجلين من البئر يكون لكل واحد منهما سجل اي دلو ملأى ماء) اه . فأنت ترى من هذا ان المساجلة في الحروب اصله من السجل وهو الدلو على التشبيه .

(١٨) — وجاء في ص٢١٨ س٧ من كلام ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى علي قال: (ماهذا الذي تسوّل لك نفسك ...) الى ان قال : (ويسري فيه ظعنك) اه يريد بقوله : (ويسري فيه ظعنك) إظهار العجب والدهشة من هذه الخطة التي اتبعها عليٌّ رضي الله تعالى عنه معه حين ابى عليه البيعة فقال : (ماهذا الذي يسري فيه ظعنك ، اي ماهذه السبيل المظلمة التي تسلكها ويسري فيها ركبك على غير هدى متبعاً بسلوكها

غير سبيل المؤمنين كأنه يقول : ان هذا خلاف ما نعرفه منك ، ونعهده فيك) . وقد ذكر الاستاذ « ان في نسخة المخطوطة لمحاضرة الابرار : (وبمنشري فيه ضغنك) ورأى تفضيل هذه الرواية على الاولى » ونقول : اننا لم نتبين وجهاً لتفضيل احدى الروايتين على صاحبتها ونرى انها مستويتان في ظهور المراد وتأدية الغرض والتشابهها مع ماقبلها من الكلام على انه ان كان هناك وجه للتفضيل فان الرواية الاولى أليق باخلاق ابي بكر وأنسب بآدابه دون الثانية لما فيها من شتم علي رضي الله تعالى عنه ونسبة الضغن والحقد الى صدره المأهول بالتقوى المعمور بآداب الكتاب والسنة .

(١٩) — وجاء في ص ٢١٨ س ١٠ من كلام ابي بكر ايضاً الى علي رضي الله عنهما (أومثلك ينقبض عليه الفضاء) الخ المعنى أو مثلك في ذكائه وفطنته يضيق عليه المتسع من الامور ، وتلتوي عليه سبل الرشد مع ظهورها ، وتخفى عليه طرق الهداية مع وضوحها واستبانتها . وقال الاستاذ : « لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى اي نسخة محاضرة الأبرار : (يقَصُّ عليه الفضاء) مكان (ينقبض) اي يضيق عليه الفضاء » واقول : ان الانقباض ايضاً يؤدي هذا المعنى فانه ضد الاتساع والانبساط وما دام المعنى واحداً في كلتا الروايتين فلا وجه لتفضيل احداهما على الأخرى .

(٢٠) — وجاء في ص ٢١٩ س ٩ في كلام ابي بكر ايضاً : « ولا نبلغ مراداً الى شيء الا بعد جرع العذاب معه » الخ . قال الاستاذ : (ان الصواب إسقاط احدى الكلمتين إما كلمة (مراداً) او كلمة (الى شيء) فتكون العبارة هكذا : ولا نبلغ الى شيء الا بعد الخ او (ولا نبلغ مراداً الا بعد) الخ كلام الاستاذ . ونقول : ان تخطئ الاستاذ لعبارة الاصل وتصويبه حذف احدى الكلمتين انما مر بالية من انه فهم ان قوله : (الى شيء) متعلق (بنبلغ) وليس كما فهم ولكنه متعلق بقوله (مراداً) وفعل الارادة يتعدى بالى اذا ضمنته معنى الحاجة والاضطرار ومنه قول الشاعر :

اذا ما المرء كان ابوه عبساً   فحسبك ماتريد الى الكلام

قال في لسان العرب بعد ذكر هذا البيت (انما عداه بالى لان فيه معنى الذي يحوجك او يجيئك الى الكلام) اهـ فقوله هنا مراداً الى شيء اي حاجة الى شيء .

(٢١) — وجاء في ص ٢٢٠ س ٢ من كلام ابي بكر ايضاً : (وانهض الخير لك)

المعنى يدّمره لك ، وقربه منك ، وجعله في متناول يدك ، فاستعار الانهاض لهذا المعنى كما يستعار الانهاض في الحظ ايضاً فيقال : أنهض الله حظك ، اي أقاله من كبوته . وقال الاستاذ : « لعل الأصوب ما في نسختنا المخطوطة اي نسخة محاضرة الابرار (وأرهص الخير) الخ يقال : أرهص الشيء اذا أثبته وأسسه » . ونقول : ان المعنى الذي يبناه للرواية الاولى ظاهر لاتكلف فيه فلانرى مايوجب طرحها ووضع الرواية الثانية مكانها ولسنا في حاجة الى ان نبين هنا ان اكثر الكلام العربي من نظم ونثر قد اختلفت فيه الروايات الى اكثر من ثنتين وشرّاح دواوين العرب تثبت جميع هذه الروايات ولاتثبت رواية مع اطراح الباقي مادام لكل رواية صحيحاً معنىً تسكن اليه النفس و يطمئن له القلب .

(٢٢) — وجاء في ص ٢٢١ س ٨ : (وخصه بمزية وأفرده بحالة) الخ يريد : وأفرده بصفة من صفات الخير اي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك واحداً من أصحابه رضي الله تعالى عنهم الا أثنى عليه وذكره بصفة يحمدها . وقال الاستاذ : « لعل الاصوب (بجلالة) مكان (حالة) واحتج لذلك بان الحال تشمل الحسن والقبيح من الصفات بخلاف (الجلالة) » . ونقول : ان سياق الكلام يعين ان المراد بالحالة احدى صفات الخير دون غيرها من الصفات فانه يقول قبل هذا : « اما تعلم انه لم يدع — اي النبي صلى الله عليه وسلم — أحداً من أصحابه وأقاربه وسجرائه الا أبانه بفضيلة ، وخصه بمزية » الخ . على ان قوله (بمزية) عام ايضاً لاتخصيص فيه اذ لفظ المزية كلفظ الحالة في اشتراكهما بين صفات الخير والشر فكان مقتضى احتجاج الاستاذ تغيير قوله (بمزية) ايضاً .

(٢٣) — وجاء في ص ٢٢٣ س ٥ من كلام ابي عبيدة بن الجراح (لحقني اي عمر — بوجه يبدي تهللا) الخ . ومعنى قوله : (يبدي تهللا) ان أمارات السرور والبشر بادية على محياه ظاهرة لا خفاء بها . واما قول الاستاذ : (ان قوله يبدي تهللا) ليس من جنس كلام العرب فذلك ما نتوقف في قبوله اذ لايمكننا الحكم به الا بعد الإحاطة بكلام العرب نظماً ونثراً على ان مثل ذلك التعبير شائع في الشعر قال الشاعر :

يبدون في رهج الوقائع بشرهم والشمس كالحة الإهاب قطوب

واما الرواية الثانية التي استصوبها الاستاذ وهي قوله : (ينديّ) بالنون مكان (يبدي)

فهي رواية جيدة ايضاً لاخلاف في ذلك وانما الخلاف في تخطيء الاستاذ للرواية الاولى وقد ظهر صوابها بما بينا ٠

(٢٤) — وجاء في ص ٢٢٥ س ١١ في كلام عمر بن الخطاب يريد به علياً رضي الله تعالى عنهما (حين لا راد لقولك الا من كان منك ، ولا تابع لك الا من كان طامعاً فيك ، يمص إهابك و يعرك اديمك) الخ ٠ يريد بقوله : (يمص إهابك) ان أتباعك من الطامعين فيك لا ينقطع طمعهم حتى اذا استنفدوا كل مالديك واستخلصوا كل ما في يدك ولم يبق الا إهابك اي جلدك امتصوه كما يمتص العلق الدماء رجاء ان يجدوا فيه مايسد مطمعهم ٠ وقد كنى عمر رضي الله تعالى عنه بهذه العبارة عن ان الطامع لا يترك في يد المطموع فيه حقيراً ولا جليلاً الا تبعته عينه وامتد اليه طمعه هذا الذي فهمناه من هذه العبارة عند تصحيحنا لها وإذن فلا وجب ان نستبدل قوله (يمص) بالصاد المهملة بقوله : (يمض) بالضاد المعجمة كما رآه الاستاذ ومضه من مضه الامر اي أحرقه وأوجعه بل اننا نرى ان في الرواية الاولى من المبالغة في وصف تكالب الطامعين وحرصهم ما لا يخفى على ذي بصر بكلام العرب ٠

« للبحث صلة »

مصححه

احمد الزين



مطبوعات حديثة

دمية القصر

«وعصرة اهل العصر»

لابي الحسن علي بن الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ويليه ملتقطات من ديوانه . طبعه وصححه الشيخ محمد راغب الطباخ بحلب ص ٣١٦ والملتقط من شعره ص ٥٤ . الطبعة الاولى سنة ١٣٤٩ — ١٩٣٠

هذا ماذيل به الباخرزي على يتيمة الدهر للثعالبي ، ونسج في ذيله على منوال الاصل ، ذكر فيه تراجم من كانوا على الأغلب بعد عصر الثعالبي من شعراء البدو والحجاز والشام وديار بكر وآذربيجان والجزيرة والعراق وبلاد المغرب والري والجبال وجرجان واستراباذ ودهستان وقومس وخوارزم وماوراء النهر وخراسان وقهستان وسجستان وغزنة وغيرهم . والتزم المؤلف التنويه بهم بالسجع وبعضه الجيد ، واكثره متكلف بعدُ دون طبقة الثعالبي ، كما ان من ترجم لهم هم في ادبهم دون رجال اليتيمة ، والضعف باد على منثورهم ومنظومهم ، وان كال المؤلف لهم وامثاله ولابيه المديح كيلاً على عادة الفرس في مبالغاتهم .

والباخرزي نسبة الى باخرز (بفتح الباء الموحدة وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة ثم راء ساكنة وبعدها زاي) ناحية من نواحي نيسابور . و باخرز بين نيسابور وهراة . وحقيقة ان هذا النمط من التراجم المختصرة لا يبقي في ذهن القارئ اقل صورة حقيقية عن المترجم له ولا عن عصره وشعره ونثره . وقليل من المؤلفين من وفقوا في هذه السبيل توفيق ابن بسام في الذخيرة والثعالبي في اليتيمة ولسان الدين في الإحاطة والفتح بن خاقان في القلائد . وقليل فيمن جمعوا التراجم وكتبوا الطبقات من دانوا الصولي في كتاب الأرزاق وياقوت في معجم الادباء وابن خلكان في الوفيات والصفدي في الوافي بالوفيات وابن سعد في طبقاته والجمحي في طبقات الشعراء والاصفهاني في الاغاني والجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب والقفطي في اخبار الحكماء وابن ابي أصيبعة في طبقات الأطباء والصابي في تاريخ الوزراء .

و يخيل اليك وانت تقرأ دمية القصر انك في القرن العاشر او الحادي عشر كأنك تتلو ريحانة الخفاجي او سلافة ابن معصوم لا في القرن الخامس الذي كان على جانب من الأدب متين . وقد اعتمد الناشر على احياء هذا الكتاب على نسخة في المدرسة الاحمدية بحلب وعلى أخرى في المكتبة المارونية في حلب ايضاً والثالثة نسخت له من الموصل ولم يزد في التعليق على ماراًه شيئاً في حين ترى الحاجة ماسة الى الشرح والتعليق وبقي في نفسه من تصحيح هذا السفر اشياء كما قال عن نفسه . وقد احسن باثبات مايرى بعضهم اليوم حذفه من المجون لان المقصد الانتفاع بما كتبه المؤلف غثاً كان او سميناً لا التعديل في أشياء يستنكرها بعضهم اليوم وكانت أمس مما لا شأن له .

م . ك



ديوان التحقيق
« والمحاكمات الكبرى »

تأليف محمد عبد الله عنان بك طبع في دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٣٤٨ — ١٩٣٠) بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ٥٤٤

هذا كتاب كأكثر مانشره المؤلف حتى الآن جامع بين أفكار الغرب ومايتنفع به هذا الشرق ، جوّد تأليفه على الأسلوب الحديث واخذه من اوثق المصادر الافرنجية وبعض المصادر العربية وقد قسمه قسمين الاول في تاريخ ديوان التحقيق (الانكيزيسيون) ولاسيما الاسباني وما آل اليه من جلاء العرب وتنصيرهم في الاندلس وعرض في القسم الثاني للمحاكمات الكبري في التاريخ الغربي . وكلها تدل على ظلم الانسان للانسان ، وان دعوى الشفقة والمرحمة قلّ ان وجدت في الامم الحديثة والقديمة . نعسى ان يقع المطالع العربي في هذا المجلد على امور تفيده في قيام مجتمعه الحديث فلا يرتكب من الخطايا ماوقع فيه اخوه الانسان في سالف الازمان ، وعسى ان تصح عزيمة المؤلف البحاثة على وضع كتاب فيما وقع للعرب من هذا القبيل . م . ك



قلب الطفل

« تأليف ادمون دوآميتشي تعريب السيد عز الدين التنوخي طبع بالمطبعة »
« الحديثة بدمشق (١٣٤٩—١٩٣٠) ص ١٨٧ الجزء الاول »

مؤلف اصل هذا الكتاب من علماء التربية في ايطاليا ، جعله دروساً للأطفال يتلقون فيها حقائق تنير العقل وتكوّن الخلق وتبث العلم ، وقد ترجم الى كثير من اللغات الاوربية . وما نظنه الا كان في الاصل بلغة ساذجة يفهمها الطفل الذي كتبت له . اما الترجمة العربية فمع حسنها لا تكاد تخلو من المهدة ، لان المترجم وهو يعربها عن ترجمة افرنسية توخى ان يصور الاصل فما استطاع احياناً الا ان يأتي بشيء بعد من عويص اللغة عند الطلبة المبتدئين ، وان كان من المألوف عند جمهور المتأدبين ، فاذا أضيف الى هذا العويص كونه لم يفسر ولم يشكل ضاعت فائدة الكتاب على من يراد استنارتهم بقبس العلم ، وتلقينهم الفضائل العملية ، وانحصر النفع فيمن يتلون فيفهمون وقليل ماهم . وقديماً قالوا ان البلاغة ان يعطى كل موضوع الكلمات التي تليق به فلا يخاطب العالم خطاب الجاهل ولا الكبير كما يخاطب الصغير . م . ك

افريقية الغربية البريطانية

« تأليف السيد عمر رضا كحالة طبع بمطبعة الفيحاء في دمشق ص ١٣٢ »

هذا باحث مفكر من اهل النشأة الحديثة في دمشق ، رحل الى افريقية الغربية وأقام فيها مدة وكتب في تاريخها وحاضرها واهلها وحيوانها ونباتها وعاداتها وخيراتها الخ صفحات قليلة أظهر بها ما كان العربي في معزل عن معرفته واذا احتاج الى شيء منه فلا يقع عليه الا في كتب الافرنج ، وعسى ان ينظر الكاتب في لغة كتابه في الطبعة الثانية ويحذف بعض المكررات من افكاره وتعليقاته النافعة .

م . ك

كتاب قواعد الأفعال السامية

« وصيغها لزمانية »

للاستاذ مارسل كوهن طبع في باريز سنة ١٩٢٤ في ٣١٧

Marcel Cohen - Le Systeme Verbal Simitique et l'Expression du temps .

وضع هذا الكتاب بالافرنسية وهو يتضمن ابحاثاً لغوية سامية خاصة بالافعال ودلالتها الزمانية في مختلف اللغات السامية من قديمها وحديثها ولطالما عابوا عليها عدم الوضوح التام في بيان حدوث الفعل في الماضي والحاضر والاستقبال كما هو الحال في اللغات الهندية الاوربية . و بالرغم من صعوبة هذا البحث فقد عالجه المؤلف من جميع انحائه وتوسع فيه بصورة دلت على طول باعه واحاطته بجميع تفرعاته ، وقد استفاد المؤلف من الوثائق القديمة فبين جمود اللغات السامية الفصحى وعدم تطورها مستشهداً باللغة الآكادية التي لم يطرأ عليها التطور خلال ثلاث آلاف سنة ومثلها العربية لم تخط خطوة في هذا السبيل منذ تدوينها ، كما انه ذكر شواهد على تشابه اللغات السامية وقلة الفروق بين تراكيبها ، فالكنعانية القديمة مثلاً تشبه العربية من اوجه كثيرة . كما ان المؤلف بحث في تطور بعض اللهجات السامية العامية منذ القرن الثالث حتى القرن العاشر بعد الميلاد وتباعدها عن قواعد اللغة الفصحى ، وقد أورد المؤلف نصوصاً كثيرة أثبتها باحرف لاتينية تتطلب من المطالع احياناً جهوداً لقراءتها . ولهذا الكتاب قيمة علمية عظيمة ومكانة مؤلفه وشهرته لا تحتاجان الى تعريف .

جعفر الحسني



دليل الاصطياف والسياحة

« في سورية سنة ١٩٣٠ »

لواضعه السيد اسكندر بارد عدد صفحاته ١٩٤ طبع بمطبعة ودیع ابو فاضل بمصر

من يطالع هذا الدليل يدرك مقدار مابذله واضعه من العناية في وصف مايهم السائح والمصطاف معرفته من الاماكن الأثرية في سورية وقرى الاصطياف فيها وعلى ايجازه تراه شاملاً لمايفيد ، واف بالغرض الذي وضع من اجله • وقد اعتمد واضعه على اوثق المصادر لمعرفة مختصر تاريخ الشام ووصف أقاليمها وزينه برسوم عديدة • وقد وجدت فيه طائفة من الاسماء محرفة مشوهة واغلاطه المطبعية وافرة ، فالأمل ان يعتني واضعه بتصحيحها في طبعته الثانية لتتم بذلك الفائدة المرغوبة • جعفر الحسني

هدايا كتب

أشهر شروح المجلة الشرح الذي وضعه علامة الترك العثمانيين علي حيدر وسماه (درر الحكام شرح مجلة الأحكام) وقد اخذ الاستاذ فهمي الحسيني المحامي ينشر ترجمة الشرح المذكور الى العربية • وقد أهدي الينا امس ترجمة الكتاب الثامن من الكتب الستة عشر التي تنقسم اليها المجلة • وهو يتضمن مبحثي الغصب والاتلاف ويشتمل على مقدمة وبابين وربما لا يجد الشاكي شكوى من هذا الشرح النفيس سوى انه غير متقن الطبع فنلفت اليه الفقهاء والمحامين •

واهدى الينا المجمع العلمي في موسكو مجموعة تتضمن نموذجات من الخطوط الشرقية ، كالخط الهندي والصيني والياباني والهيروغليفي والعربي والمغولي الخ وهو في ٧٣ صفحة حسنة الطبع جميلة الوضع • المغربي

الجزء ١ · المجلد ١

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين اول سنة ١٩٣٠ م الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٩ هـ

مجموع نادر

في خزانة كتب احمد باشا الجزار بمدرسته المسماة « نور احمدية » في مسجده المعروف بمدينة عكا مجموع قديم كُتب باول صفحة منه بخطٍ غير خط ناسخه (تخريجات ابن ابي الدنيا . »

وتحت ذلك عبارة نصها « مجموع ما في هذا المجلد الشريف » ثم اسماء الرسائل الآتية :

١ — تخريجات اهل الحديث تأليف ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن ابي الدنيا وهو من ورقة ١ الى ١٠

٢ — وكتاب الاحاديث الاربعين له ايضاً وهو من ورقة ١١ الى ١٨

٣ — وكتاب فضائل الشام وفضل دمشق لابي الحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي المالكي وهو من ورقة ١٩ الى ٣٦

٤ — وكتاب فضائل البيت المقدس للامام ابي بكر محمد بن احمد الواسطي وهو من ورقة ٣٧ الى ٧١

٥ — وكتاب اخبار مصر لابي عمرو يوسف بن يعقوب الكندي المصري جمعه باسم كافور الاخشيدي وهو من ورقة ٧٢ الى ٧٩

٦ — وكتاب قضاء الحوائج من تخريجات ابن ابي الدنيا وهو من ورقة ٨٠ — ٩٢

٧ — وكتاب من عاش بعد الموت له ايضاً وهو من ورقة ٩٣ — ١١٦

٨ — وكتاب الأولياء له 〃 〃 ١١٧ — ١٣٤

٩ — وكتاب الغيبة والنميمة . له وهو من ورقة ١٣٥ = ١٤٦
١٠ — « حسن الظن بالله . له « « ١٤٧ = ١٦٤
١١ — « المنام له « « ١٦٥ = ٢٠٤
١٢ — « التوكل على الله له « « ٢٠٥ = ٢١٢
١٣ — « مكارم الأخلاق له « « ٢١٣ = ٢٦٤
وكتاب الحلم له وهو من ورقة ٢٦٥ الى ٢٧٦ وهي آخر الكتاب

وفي آخر الرسالة الاولى سماع جاء فيه :

سمع جميع الجزء على الشيخ الامام الثقة ابي الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري بحق سماعه من الشيخ ابي البركات هبة الله بن محمد بن علي البخاري رحمه الله — الشيخ تقي الدين ابو الحسين احمد بن حمزة بن علي الشافعي والفقيه عبد السلام بن ابي بكر بن احمد الشافعي والفقيه بدل بن ابي المعمر التبريزي والشيخ عبد الرحمن بن طالب بقراءة مثبت السماع الحسين ابن موسى بن الحسين الخوبي في كلاسة جامع دمشق حماها الله تعالى يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة والله اعلم . »

وتحت ذلك إجازة هذه عبارتها :

صحيح ذلك وقد أجزت لم جميع مسموعاتي وأحاديثي على الشرائط المعتبرة عند اهل الحديث رضي الله عنهم . وكتب اسميل بن علي بن ابراهيم الجبرري في التاريخ المذكور . « والجبرري هنا بزيادة راء عما في الرواية المذكورة في اول الرسالة وفي السماع المحرر اعلاه وكذلك في السماع المحرر أدناه .

ويأتي بعد ذلك إجازة أخرى وهي :

سمع مني ولدي الأعز ابو المعالي محمد نفعه الله بالعلم ورفعه بالحلم هذه الأحاديث التي قرأتها على الشيخ الاجل ابي الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبرري في المسجد الجامع بدمشق المكتوبة قبل خطي بقراءتي عليه وأذنت له ان يرويهاعني بشرطه وذلك يوم الاحد سابع ذي القعدة سنة احدى وستمائة وكتب والده الفقير الى رحمة الله غفرانه الحسين بن موسى بن الحسين الخوبي بخطه .

وفي الصحفة التي تلي تلك الاجازة ثبت شيوخ يغلب على الظن انه لصاحب الكتاب وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . حدثني الشيخ الامام عبدالقادر بن عبد الله الرهاوي بمدينة حران بمسجد الصخر في منتصف شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو اول حديث سمعته منه قال حدثني الشيخ الامام الحافظ ابوطاهر احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم السلفي في منزله بثغر الاسكندرية وهو اول حديث سمعته منه . قال حدثنا ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج اللغوي ببغداذ وهو اول حديث سمعته منه قال حدثني ابونصر عبد الله بن سعد بن حاتم السجزي الحافظ بمكة وهو اول حديث سمعته منه قال اخبرنا ابو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي بنيسابور وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا ابوحامد احمد بن محمد بن يحيى وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا سفيان بن عيينة وهو اول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن ابي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو ابن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الراحمون يرحمهم الله « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء . »

قال الشيخ عبد القادر قال شيخنا الحافظ السلفي قال لي ابن السراج لما دخلت مصر حضرت مجلس ابي اسحق الحبال فأخرج لي هذا الحديث وكان يرويه عن ابي نصر فقلت هو سماعي منه فقال اقرؤه[1] فتسمعه انت مني واسمعه انا منك فقرأه .

وجاء في آخر رسائل فضائل الشام سماع هذه عبارته :

سمع جميع فضائل الشام على الشيخ الامام العالم الحافظ الثقة بهاء الدين صدر الحفاظ ناصر[2] محدث الشام جمال الاسلام ابي محمد القاسم ولد[3] الامام العالم الحافظ ثقة الدين شيخ الاسلام ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي رضي الله

(١) في الاصل اقراوه (٢) لعلها سقطت كلمة الدين بعد ناصر . (٣) في الاصل والد وهو سبق قلم فالقاسم هو ابن علي بن الحسين وهو المشهور بابن عساكر والظاهر انهما لم يكونا يضعان هذه النسبة في تواقيعهما او انهما لم يعرفا بها الا بعد موتهما .

عنه. وقدس روح والده بحق سماعه من الشيخ ابي الفضائل ناصر بن محمود بقراءة صاحب النسخة وكاتبها الشيخ الفقيه الامام ابي المحاسن الحسين بن موسى بن الحسين الخوئي — الشيخ الامام ابوجعفر احمد بن علي بن ابي بكر بن اسماعيل القرطبي وابنه ابوالحسن محمد والفقيه ابوالحسن علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري المالقي والامام ابوالفرج ابراهيم بن يوسف ابن محمد المعافري البوني والفقيهان ابو علي الحسن بن علي بن عبد الوارث وابو بكر بن حرز الله بن حجاج التونسيان وابو القاسم محمود بن محمد والشيخ ابو الفضل احمد بن محمد ابن علي بن ابي عقيل وزكريا بن عثمان بن خالويه الموقاني وابوعبدالله محمد بن عبدالوهاب ابن سان (هكذا) وابراهيم وبركات بن ابراهيم الحسوعي (لعله الخشوعي) وابو العساكر المطهر بن محمد بن المطهر وابو . . العباس بن احمد بن ابراهيم بن ابي العلاء الأزدي واحمد ابن محمد بن احمد الكناني ومحمود بن احمد بن دارا ومحمد بن ميمون بن مالك وعمر بن احمد ابن محمد وابو يعلى حمزة بن ابي الفضل بن ابي الفوارس وعمر بن محمد بن ابي الفضل العربي . . . . ابن يوسف ومثبت الاسماء بدل بن ابي المعمر بن اسماعيل بن ابي خضر التبريزي وآخرون . . . وذلك في مجلسين آخرهما يوم الاثنين الرابع والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

وتحت ذلك إجازة الشيخ المسمع وهي :
هذا صحيح وكتب القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي [1] .

---

(١) ترجم محمد بن طولون الحنفي الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ ١٥٤٦ م لقاسم المذكور في كتاب ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر وهو من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة . ولم يفرد له ترجمة خاصة بل ذكره استطراداً في ترجمة محمد بن نافع بن عبدالله العقيبي الشافعي لان المترجم كان سأله عن تراجم بني عساكر فكتب له تراجم احد عشر شيخاً منهم ثم ساق هذه التراجم في تلك الترجمة بهذه المناسبة فقال عن القاسم ما نصه : « ومنهم البهاء بن عساكر وهو القاسم بن الحافظ الاكبر ابي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الدمشقي الشافعي الحافظ بهاءالدين ابومحمد بن عساكر كان قد شارك اباه في اكثر شيوخه سماعاً وإجازة وصنف عدة مصنفات وخلف اباه

وجاء في الصفحة الاولى من رسالة فضائل البيت المقدس :

« ولي اجازة لفضائل البيت المقدس عن الامام الحافظ بهاء الدين ثقة الاسلام ابي محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الشافعي الدمشقي رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ الامام ابو القاسم نصر بن احمد بن مقاتل بن مطكود (؟) السوسي قراءة عليه في الثامن والعشرين من رجب سنة احدى واربعين وخمسمائة قال أخبرنا الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن يونس المصري سنة ثنتين وثمانين واربعمائة قال اخبرنا الشيخ ابومحمد عبدالعزيز بن احمد بن عمر النصيبيني عن الخطيب ابي بكر محمد بن احمد الواسطي المصنف رحمهم الله[1] .

وجاء في آخر كتاب المنام ما يلي :

سمع مني ولدي الأعز ابوالمعالي محمد أعزه الله وطوّل عمره كتاب المنام لابن ابي الدنيا بقراءتي عليه وأجزت له روايته عني بشرطه وكتب والده الراجي عفو ربه

في القيام بهذا الشأن بدمشق واظهار كتب ابيه واسماعها بالجامع ودار الحديث النورية وبيّض تاريخ والده لدمشق بخطه في ثمانين مجلداً ورحل الى مصر وأسمع بها وكانت وفاته يوم الخميس ثامن صفر سنة ستمائة ودُفن بعد العصر على ابيه بمقبرة باب الصغير خارج الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين من جهة الشرق قال ابوشامة ولي منه اجازة وقد اقتصر تاريخ دمشق في أصغر واكبر وكلاهما تام فالاول في خمسة عشر مجلداً والاصغر في خمسة مجلدات اه . قلنا وللقاسم المذكور كتاب الجامع المستقصى في فضل المسجد الاقصى ومنه الجزء ١٢ و١٣ و١٤ و١٥ في الخزانة التيمورية بالقاهرة وعندي نسخة منقولة عنها بالتصوير الشمسي تفضل باهدائها لي صاحبها العلامة احمد تيمور باشا .

(١) نظن ان هذه الرسالة هي الوحيدة من نوعها فاننا لم نقرأ عن وجودها في دار من دور الكتب العامة . وقد رأينا القاسم بن عساكر ينقل في جامعه المستقصى عن ابي القاسم السوسي عن ابراهيم بن يونس عن عبد العزيز النصيبيني عن ابي بكر الواسطي المذكور الذي لم نطلع له على ترجمة .

أمالي الحسين بن موسى بن الحسين الخويي في الخامس من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستمائة .

« صاحب الرسائل »

وقد علمنا من إجازة القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ان صاحب هذه الرسالة وناسخها هو الحسين بن موسى بن الحسين الخويي .

وتمتاز هذه الرسائل عن الكتب الأخرى بالدقة والتثبت ذلك لان ناسخها لم ينقلها عن الكتب وانما نقلها من أفواه الثقات من شيوخه واليك مثالاً من طريقته قال في مطلع الرسالة الاولى : بسم الله الرحمن الرحيم . حدثنا الامام الثقة الامين ابو الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري الدمشقي بها في كلاسة الجامع قراءة عليه يوم الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قال أخبرنا الشيخ ابو البركات هبة الله ابن محمد بن علي البخاري في ربيع الآخر سنة ست عشرة وخمسمائة قال اخبرنا القاضي ابو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري قراءة عليه وانا اسمع في يوم السبت رابع شعبان من سنة سبع واربعين واربعمائة قال اخبرنا ابو احمد محمد بن احمد بن الغطريف بجرجان في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قال اخبرنا الامام ابو العباس احمد بن عثمان بن شريح ، اخبرنا ابو يحيى الضرير بن محمد بن سويد بن عمر العطار اخبرنا عبيدة بن حميد خبرنا الأعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذه الرسالة الاولى التي قيل عنها انها لابن ابي الدنيا والرسالة الثانية المسماة «الاحاديث الاربعين » والتي يبتدئ سندها بالشيخ الامام مجد الدين ابي الفرج يحيى بن ابي الرجاء محمود بن سعد بن احمد بن محمود بن احمد بن محمود الثقفي الاصفهاني في سنة ٥٨٣ بدمشق وينتهي الى عبد الله بن مسعود لاذكر فيها لابن ابي الدنيا حتى ننسبها اليه .

ولهذه الرسائل امتياز آخر وهي انها كتبت في سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٣ م والحروب الصليبية مستعرة النيران في ديار الشام بل في بلاد الاسلام وحملات الغربيين تقض المضاجع من الشرقيين .

فانصراف العلماء الى الدرس والأخذ في مسجد بني أمية بدمشق وفي غيرها من

المدن والأمصار يدلنا على ان المسلمين كانوا يعملون لدينهم ودنياهم وسط تلك الخطوب والنكبات التي كانت تكتنفهم عن أيمانهم وشمائلهم ولم يكن كل ذلك ليصرفهم عن طلب العلم وبحث الحقائق ·

واذا كان في هذا الأمر ما يؤسف له فهو إهمال المؤرخين ترجمة العلماء الأعلام المعاصرين الذين جاء ذكرهم في السماعات المتقدمة · ولعل ذلك نشأ عن الحالة الحربية التي كانت البلاد تتخبط في ديجورها وتعاني آلامها وشرورها ·

عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي العربي



المحاضرة التاسعة عشرة

احساس المتنبي (١)

- ١١ -

عرفنا ناحيةً من اخلاق المتنبي، فلنجتهد في معرفة ناحية من نواحي إحساسه وعواطفه، والإحساس (٢) انما هو القوة التي تميزنا من بين غيرنا من الناس، وتطبعنا بطابعنا الخاص، فهو الذي تحدد خصائصه طبيعة دخيلتنا اي طبيعة شخصيتنا ودرجة هذه الشخصية، فالمدارك العقلية لا يختلف بعضها عن بعض الا قليلاً، واختلافها هذا لايكون الا من حيث الدرجة فقط، اي من حيث قوة نفوذها وضعف هذا النفوذ، أو من حيث سرعة تغلغلها في بواطن الامور، وابطاؤها في هذا التغلغل، ولكن هذه المدارك كلها قادرة من حيث تركيب جواهرها على فهم الحقائق، من اجل هذا اننا لانجد الا علماً واحداً في الهندسة او في الطبيعيات مثلاً، وكذلك ارادتنا فانها لايختلف بعضها عن بعض الا من حيث قوتها او ضعفها، اما حواسنا وعواطفنا فانها على خلاف مداركنا وعلى خلاف ارادتنا، فهي يختلف بعضها عن بعض من حيث طبائعها فلا لذّاتنا ولا آلامنا واحدة في كل رجل منا، فالامور التي نلاقي فيها لذتنا قد لا يلاقي فيها غيرنا الا الألم، وما أصدق ما قاله المتنبي في هذا المعنى:

سبحان خالق نفسي كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم

وما أصدقه في هذا البيت:

ما ذا لقيت من الدنيا وأعجبه اني بما انا شاكٍ منه محسود

فقد يحسدنا الناس على امور يظنونها برداً وسلاماً، ونحن لا نجدها الا عنتاً وتعباً، فالأذواق تختلف باختلاف الناس، هذا الامر يبكينا وهو نفسه يضحك غيرنا، وذاك

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة.

(٢) رأي الاستاذ برونتير.

ينفعنا وهو ذاته يضر سوانا ، وقد يكون لون من الألوان زاهياً في نظرنا وكامداً في نظر غيرنا ، وقد يستطيب الأنف رائحة من الروائح و يستكرهها أنف آخر .

فالذي يستنبط من هذا الكلام ان ما يميز بعضنا عن بعض انما هو الإحساس ، فالحس في الشعر هو القوة المميزة ، فلا بد للشاعر من ان تهيجه الهوائج ، ولا بد له من ان يجد لهذه الهوائج صوراً مناسبة لها ، فالشاعر يختلف عن الشاعر من حيث طبيعة الحس والخيال ، فقد تأخذ العيون مشاهد شتى فيها كثير من الألوان والأصوات والروائح اي فيها كثير مما يهيج الحواس ويثير العواطف ، فيعجز احدنا عن تصوير شيء من هذه المشاهد كلها لان حواسه لاتنبسط الى لون من ألوانها او الى صوت من أصواتها او الى رائحة من روائحها ، ولان نفسه لايستفزها مشهد منها ، فاذا الشاعر لم يكن له روح يعمل فيها مختلف المشاهد ، ويترك في باطنها آثاراً ورسوماً ، ولم يكن له خيال يخلع على هذه الرسوم والآثار مايناسبها من ضروب الخلع ، فعبثاً يتطاول الشعر ، وعبثاً يجهد قريحته ، ولذلك قالوا : يولد المرء شاعراً ، اي يولد قوي الحس او ضعيفه ، غليظه او رقيقه ، وعلى حسب طبيعة هذا الحس يكون تبريزه في ميدان الشعر ، وتحليقه في سمائه التي لا تطاولها سماء .

هل كان المتنبي قوي الإحساس ، هل كانت المشاهد تفعل فيه فعلتها ، هل كان عصبي المزاج يحركه أقل شيء وما هي طبيعة إحساسه وعاطفته ؟

لنبحث عن إحساس المتنبي في بعض مواطن من المواطن التي تظهر فيها آثار الإحساس والعاطفة ، لنبحث عن شيء من هذا في مقامات النسيب والغضب والحزن .

هل عشق المتنبي في حياته او هل كان صادق العشق في نسيبه ، اننا نجد في شعره كثيراً من الغزل ، فلا نكاد قصيدة من قصائده تخلو من هذا الغزل ، ولكن الذي أراه ان النسيب كان مذهباً من مذاهب الشعراء ، يصدّرون به مطالع قصائدهم وصولاً الى مدح الممدوح ، فلست أرى في أضعاف هذا النسيب آثار نفس ذللها الهوى .

اذا كان مدح فالنسيب المقدّم أكلُّ فصيح قال شعراً متيَّم .

ولست أرى في هذه الأضعاف هائجة من هوائج النفس ، وانما هذا النسيب عبارة عن تشبيهات او صفات ضاع رونقها لكثرة تكرارها ، فاذا لم يعشق الشاعر حقيقة كان

نسيبه مضجراً مقلقاً ، ومامثله في ذلك الا كمثل النوّاحات اللواتي ينحن على ميت بشيء من المال يأخذنه على نواحهن ، فان اغماءة لام التي تفقد طفلها لا يكاد يوازنها كل الدموع الكاذبة التي تذرفها النواحات ، وكذلك العشق فان صفرة لون العاشق أبلغ من التشبيهات والصفات الرائعة التي يلجأ اليها غير العاشق في شعره ·

فالمتنبيء عمد الى النسيب في شعره ولكني لا أُبالغ اذا قلت ان في هذا النسيب اثر ضعة لاتدل على شيء من حقيقة الهوى ، ولكنه لا يعترف بهذا فهو يقول :

وما أنا الا عاشق كل عاشق أعق خليليه الصفيين لائمه

ثم يرجع فيقول :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق

فلننظر في هذا كله ، ففي احدى قصائده في سيف الدولة واولها :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي

وصف ابو الطيب بكاءه فقال :

وبين الرضى والسخط والقرب والنوى مجال لدمع المقلة المترقرق

وا كد هذا البكاء :

عشية يعدونا عن النظر البكا وعن لذة التوديع خوف التفرق

ثم انصرف بعد البكاء الى التوديع فقال :

نودعهم والبين فينا كأنه قنا ابن ابي الهيجاء في قلب فيلق

وانا لنجده يبكي خوف التفرق ، وانا لنجده يودع اذ ينصرف فجأة الى قنا ابن ابي الهيجاء ، اي الى الممدوح نفسه وهو سيف الدولة ، فنى مسح دموعه ، ونسي حبيبه ، فلم يخطر بباله الا سيف الدولة ، قد يكون في هذا كله براعة في الذي يسمونه حسن التخلص ، وقد يكون شيء من البلاغة في هذا التخلص الحسن ، ولكني لا أجد في هذا النسيب شيئاً من الحقيقة ، فلست أرى خيال روح يذللها الهوى ، وانما ارى فناً يستخدمه صاحبه في تمهيد السبيل الى المدح ، والهوى الصحيح لا كلفة فيه فاذا ظهرت الكلفة عليه ذهب أثره ·

والأمثلة من هذا الشكل كثيرة في شعره واليكم مثلاً آخر :

في قصيدته في سيف الدولة التي يقول في اولها :

ليالي بعد الظاعنين شكول   طوال وليل العاشقين طويل

وصف احتماله للنائبات من بُعد أحبته وطلب الى النسيم ان يحمل اليه روائح هؤلاء الأحبة :

اذا كان شم الرَوْح ادنى اليكم   فلا برحتني روضة وقبول

وخاطب الحبيب فقال :

لقيت بدرب القلة الفجر لقية   شفت كبدي والليل فيه قتيل

ويوماً كأن الحسن فيه علامة   بعثت بها والشمس منك رسول

وانه ليسترسل الى هذا كله اذ يذكر في الحال ان سيف الدولة ينتظر مدحه فيفتش عن البيت الذي يصل به الى سيف الدولة :

وما قبل سيف الدولة اثّار عاشق   ولا طلبت عند الظلام ذحول

ثم الأمثلة من هذا القبيل كثيرة فلست أعتقد ان نسيب المتنبي في مطالع قصائده يفصح عن عشق حقيقي ، وماهذا الغزل الا ضرب من التقليد ، فقد كان هذا هو أسلوب الشعراء في أماديحهم ، يتغزلون ثم يتخلصون من التغزل الى المديح ، والنفس العاشقة تنصرف عن كل شيء في جوانبها ، ولاتفكر الا في الذي تحبه ، فلا سيف الدولة يصرفها عنه ، ولاغير سيف الدولة ، فالعاطفة في هذا النسيب بعيدة عن ان تكون صادقة فضلاً عن انه قد يميل في تصوير بعض نحوله الى شيء من المبالغة التي لايحمد أثرها :

ولو قلم القيتُ في شق رأسه   من السقم ماغيَّرت من خط كاتب

هذا هو نسيب المتنبيُّ ، فالتقليد ظاهرة آثاره عليه ، وقد يخرج في هذا النسيب من المقدار :

كأن الجفون على مقلتي   ثياب شققن على ثاكل

كل هذا لايخلو من شيء من المبالغة والعاطفة لايحسن تأثيرها الا اذا كانت طبيعية .
على انه لايخلو في بعض الاحيان من الاعتدال المقبول :

واني لأعشق من أجلكم   نحولي وكل امريء ناحل

ولو زلتم ثم لم ابككم   بكيت على حبي الزائل

هذا هو شيء من طبيعة حسه وعاطفته في النسيب ، ولكن المواطن التي تظهر فيها شدة هذا الحس انما هي مواطن الغضب ، سواء أكان غضبه على الأقدار ام كان غضبه على الذين يشمتون بموت جدته ، وسواء أغضب على الذين مدحهم ولم يعطوه ما تستحقه امداحه أم غضب على الذين اساؤا اليه ، وكذبوا عليه .

اذا غضب المتنبي على احد من الناس اهتزت أعصابه كل الاهتزاز فلا يكاد يستطيع ان يسكنها ، ولا يجد اشباهاً للرجال الذين يحنق عليهم الا الحيوانات :

وانما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق تخطي اذا جئت في استفهامها بمن

ولا يبالي بعد هذا التعميم بان يخصص الحيوانات التي يشبههم بها :

فقر الجهول الى قلب بلا ادب فقر الحمار بلا رأس الى رسن

على ان هذا الهياج الذي هاجه في هذا المقام قد لا يكون شيئاً قياساً الى الثورة التي ثارها في هجاء كافور ، فقد كان مضطرباً كل الاضطراب ، مغتاظاً كل الاغتياظ ، فتارة كان غضبه ممزوجاً بشيء من الهزء :

فان كنت لا خيراً أفدت فانني أفدت بلحظي مشفريك الملاهيا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحداد البواكيا

ومرة كان مختلطاً بشيء من الشتم :

لا تشتر العبد الا والعصا معه ان العبيد لأنجاس منا كيد

وحيناً كان يلجأ في غضبه الى شيء من الايلام :

جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود

ومنه قوله :

من اية الطرق يأتي نحوك الكرم اين المحاجم يا كافور والجلم

واذا قابلنا بين اهاجيه في كافور وبين تعريضه بسيف الدولة وجدنا ان ابا الطيب على شدة اهتزاز اعصابه في ساعات الغيظ يستطيع في بعض الأحوال ان يضبط نفسه ، فلم يغضب على سيف الدولة غضبه على كافور ، وانما ملك من حركته وضبط من نفسه فجعل لكل مقام من الغضب مقالا ، فهو لا يشبه هؤلاء الشتامين الطعانين الذين اذا نقموا على احد

من خاصة الناس نقموا عليه نقمتهم على احد من عامة القوم ، واذا شتموا كبير قوم شتموه كما يشتمون صغير القوم حتى يضيع اثر كلامهم فلا تبقى له قيمة .

فالمتنبيُّ كان في غضبه يشتم ، ولكنه كان يجعل لكل مقام من مقامات الغضب مقالاً فما رمى سيف الدولة بمثل مارمى به كافوراً ، لقد كان في تعريضه به شيءٌ من الايلام ولم يكن فيه شيءٌ من الهزء اوالشتم اوالفحش .

فلننظر الى طبيعة عاطفته في مراثيه ، فان المراثي تظهر فيها عاطفة الشاعر اكثر من غيرها من الشعر ، لان الشاعر يقولها وعينه تدمع ، وقلبه يحزن ، قال الاصمعي لاعرابي : مابال المراثي أشرف اشعاركم ، فقال : لانا نقولها وقلوبنا محترقة ، لقد صدق الاعرابيُّ في كلامه ، فالمراثي هي الشعر الذي تظهر عليه آثار حرقة القلوب . وما أبرد هذه المراثي التي يقولها اصحابها فلا تجد فيها اثراً لهذه الحرقة ، وانما نرى فيها صوراً اذا انتزعناها من اماكنها والصقناها بمرثي آخر فلا نكاد نجد فرقاً بين الرجلين المرثيين ، فما أشبه هذه الطبقة من الشعراء بالنوّاحات اللواتي يبكين ولا جرح في قلوبهن ، اننا لانرى في أمثال هذه المراثي الا استنطاع الخطب ، والنقمة على الأقدار وما شابه هذه الأساليب المتكررة ، فالرجل المرثي ينبغي ان تكون له صورة في المرثية تليق به ولا تليق بغيره من الموتى ، واما اذا كانت هذه الصورة تصلح لكل واحد يموت ، ولكل واحد يبكى عليه ، فلا قيمة لها ولا قيمة لقائلها ، فلننظر الى المتنبيُّ في مراثيه ، هل نجد فيها عاطفة تختلف عن عاطفته في النسيب .

أقرب الذين رثاهم اليه جدته ، فقد كان شعره في مرثيته في جدته شعر الألم الحقيقي الذي يشتمل على الحزن من كل وجوهه ، لقد بكى على جدته بكاءً شديداً فقد كانت من النساء الصالحات ، فلا نكاد نقرأ بيتاً من هذه القصيدة الا ونجد فيه اثراً لعاطفة المتنبيُّ الصادقة في محبة جدته التي كانت تحبه حباً جماً :

لكِ الله من مفجوعة بحبيبها   قتيلة شوقٍ غير ملحقها وصما

فكان من الطبيعي ان يبادلها المتنبيُّ في هذا الحب الشريف :

أحنّ الى الكأس التي شربت بها   واهوى لمثواها التراب وما ضمّا

فليس في عاطفته هذه شيءٌ من الصنعة والكلفة ، انه أحبَّ جدته حباً شديداً

فظهرت حرقة قلبه ولوعة كبده ومهما حاول ان يتجلد :

ألا لا أري الأحداث مدحاً ولا ذماً فما بطشهـا جهلاً ولا كفها حلما

ومهما حاول ان يتعزى بشيء من الفلسفة :

الى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى يعود كما أبدي ويُكري كما أرمي

فقد أبى قلبه الا ان يفيض حزناً بعد هذا التجلد وهذا العزاء :

حرام على قلبي السرور فانني أعد الذي ماتت به بعدها سما

وان جدة تموت سروراً بكتاب اتاها من حفيدها :

أتاها كتابي بعد يأس وترحة فماتت سروراً بي فمت بها غما

لا يكثر على المتنبي ان يكون بعد موتها كالاعمى لانه لا يراها :

وما انسدت الدنيا عليَّ لضيقها ولكن طرفاً لا أراك به أعمى

ولا يكثر عليه ان يأسف على غيبته عند وفاتها :

فوا أسفاً ألاّ اكبّ مقبّـلا لرأسك والصدر اللذي مُلئا حزما

ولا يكثر عليه ان يغضب على الذين شمتوا بيومها :

لئن لذّ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما

نعم كل هذا غير كثير ، فالعاطفة في هذا الشعر صادقة ، شريفة كريمة ، ولا عجب اذا غضب المتنبي على الذين شمتوا بموت جدته ، واذا أبرق وأرعد في هذا الغضب :

كأن بنيهم عالمون بانني جلوب اليهم من معادنه اليتما

ولو قابلنا بين عاطفته في هذه المرثية وبين عاطفته في غيرها من المراثي ، كالمرثية التي قالها في محمد بن اسحق التنوخي :

خرجوا به ولكل باك خلفـه صعقات موسى يوم دك الطور

والشمس في كبد السماء مريضة والأرض واجفـة تكاد تمور

لتبين لنا الصدق من الكذب في العواطف ، فلا الشمس تمرض من موت رجل من الرجال ، ولا الأرض تمور ، فيكاد ابو الطيب في هذه المرثية يكون في زمرة هذه الطبقة من الشعراء التي تشبه النوّاحات في البكاء .

على اننا نجد في مراثيه في أم سيف الدولة :

مشى الأمراء حوليهـا حفاة ... كأن المرو من زف الرئال
وأبرزت الخدور مخبآت ... يضعن النقس امكنة الغوالي
أتتهن المصيبة غافلات ... فدمع الحزن في دمع الدلال

وفي أخته :

يظن ان فؤادي غير ملتهب ... وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية ... لحرمة المجد والقصاد والادب

وفي عبده يماك :

لأبقى يماك في حشاي صبابة ... الى كل تركي النجار جليب

وفي مراثيه في ابي شجاع فاتك :

برّد حشاي ان استطعت بلفظة ... فلقد تضرّ اذا تشاء وتنفع

شيئاً من العواطف الصادقة ولكنها لا تشبه عاطفته في بكائه على جدته ، فان قلبه في مرثيته في جدته هو الذي يملي عليه فيكتب ٠

هذا هو اليسير من الكلام على طبائع احساس المتنبي وعاطفته ، فالمتنبي صاحب إحساس شديد ، ولا يخلو هذا الاحساس في بعض المواطن من شيء من القسوة ، واي قلب اقسى من القلب الذي يأنس بالدم ومشاهده ، فلقد ذكر ابو الطيب الدم في كثير من شعره ، ولا يبعد ان يكون الرجل ميالاً الى الفتك ، ماذا أذكر من أبياته التي فاضت دماً ، أأذكر قوله :

فقد بردت فوق اللقان دماؤهم ... ونحن أناس نُتبع البارد السخنا

أم أذكر قوله :

ما زال طرفك يجري في دمائهم ... حتى مشى بك مشي الشارب الثمل

أم أذكر هذا البيت :

ألقت اليك دماء الروم طاعتها ... فلو دعوت بلا ضرب أجاب دم

والابيات من هذا النحو مستفيضة في ديوانه ، ان حواسه لتنبسط الى رؤية الدم ، فلا يختلف عن صناديد القوّاد الذين ألفوا الدم في حروبهم ، فلا يستفظعونه ، فما اصدق ماقاله فيه الشريف الرضي : واما ابو الطيب المتنبي فقائد عسكر ٠

دمشق : في ٢٦ نيسان سنة ٩٣٠ ٠

اسامة بن منقذ

– ٢ –

أتقن أسامة الفن القصصي وأبدع في ايراد نكته كل الابداع . ولو عاش اليوم لتأهل لمركز أستاذ في احدى مدارس الصحافة التي تلقن طلبتها دروساً في كيفية معالجة الوقائع وسرد الحوادث . خذ مثالاً الكيفية التي روى فيها قصة الطبيب الافرنجي بازاء الطبيب العربي [1] او قصة جزاء الامانة [2] فان الفن الحديث يكاد يعجز عن الاتيان باحسن منها .

لأسامة المؤلف لا أقل من ثلاثة عشر كتاباً اتصلت بنا اسماؤها . وضع معظمها في أخريات حياته وهو مبعد في حصن كيفا حيث اتسع له المجال للدرس والتأليف . ولقد ذكر بعضها حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١) « كتاب البديع في البديع » . (٢) « تاريخ القلاع والحصون [3] » . (٣) « أزهار الأنهار » . (٤) « التاريخ البلدي » . (٥) « نصيحة الرعاة » . (٦) « التجائر المربحة والمساعي المنجحة [4] » . (٧) « اخبار النساء [5] » . (٨) « كتاب العصا [6] » . (٩) « ديوان أسامة [6] » . (١٠) « كتاب النوم والاحلام [7] » . (١١) « كتاب المنازل والأديار [8] » . (١٢) « كتاب لباب الآداب [9] » . (١٣) « كتاب الاعتبار » وهو الذي نحن في صدده .

---

(١) كتاب الاعتبار ص ٩٧ – ٩٨ . (٢) ايضاً ١٣١ . (٣) صالح بن يحيى ص ٣٦ يقول ان « عز الدين أسامة المذكور هو الذي بنى قلعة عجلون » ويلوح لنا ان صالحاً خلط بين أسامتنا وغيره . (٤) راجع وصف درنبورغ لهذه المخطوطات في (Vie d,ousama) ٣٣٠ – ٣٣٨ . (٥) أشار اليه أسامة في « كتاب العصا » .
(٦) نشر درنبورغ منتخبات منه في باريز ١٨٩٣ . (٧) أشار اليه أسامة في « كتاب الاعتبار » ١٣٧ . (٨) مخطوطة في المتحف الاسيوي في لنينغرد ذكرها الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي في « مجلة المجمع العلمي العربي » تموز سنة ١٩٢٥ ص ٣٣٥ .
(٩) مخطوطة كتب لي عنها مالكها الدكتور يعقوب صروف بتاريخ ٣٠ ايار سنة ١٩٢٧ وعليها بخط ابن أسامة مرهف ان والده اهداها اليه سنة ٥٨٢ راجع « المقتطف » كانون اول سنة ١٩٠٧ ونيسان سنة ١٩٠٨ . وربما كانت بخط المؤلف نفسه . وفي رسالة

بعد ان تجاوز أسامة التسعين استدعاه صلاح الدين يوسف بن ايوب من حصن كيفا وأسكنه داراً بدمشق ، وذلك بمساعي ابن أسامة المحبوب مرهف الذي كان من المقرّبين لدى السلطان[1] . وارجع له صلاح الدين اقطاعاً كان في الاصل على مايظهر لأسامة ، فعاد خمرُ الحياة يجري في عروق الشيخ بعد ان كان استحال خلاًّ ، وتنعم صديقنا بشيء من الرفه والهناء قبيل وفاته . فأخذ يلقي المحاضرات في البديع ، ويدرّس في المدرسة الحنفية . ولكن لأسباب نجهلها انقلب عليه ظهيره صلاح الدين ، وربما كانت اقامة أسامة في مصر ولّدت فيه ميلاً للتشيع لحظهُ صلاح الدين[2] « محيي دولة امير المؤمنين[3] » و « سنة الخلفاء الراشدين[4] » . ولا نعلم كم طال هذا الجفاء . على ان صالح بن يحيى[5] ذكر ان صلاح الدين ولّى بيروت عز الدين أسامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ وكان من المعظمين عند السلطان حتى لم يكن يقدّم عليه احداً في المشورة والرأي . وعاد فروى (ص ٣٨) ان عز الدين أسامة بن منقذ لما كان والياً على بيروت وبلغه خبر استيلاء الافرنج على صيداء خرج من المدينة بجماعته واهله ، فهجاه احدهم بقوله لصاحب حصن تبنين :

سلّم الحصن ما عليك ملامهْ لا يلام الذي يروم السلامهْ

خصوصية من الشيخ خليل الخالدي بالقدس تاريخها ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٧ انه رأى وهو بقونية باحدى خزائنها نسخة من « كتاب الغريبين » غريب القرآن وغريب الحديث لشارحه ابي عبيد احمد بن محمد بن ابي عبيد العبيدي الهروي على آخر الجزء الثاني ماصورته « وكان الفراغ منه يوم الاثنين ثالث وعشرين شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة بمدينة حمص . كتبه لنفسه منقذ بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني المالكي »

(١) ومن الذين امتازوا من آل منقذ شمس الدولة ابن اخي أسامة ، اوفده صلاح الدين الى احد السلاطين الموحدين بمراكش للمخابرة بشأن استخدام الاسطول لقطع سبل الاتصال البحري بين الافرنج وبين بلادهم . وكان لأسامة عم مقرّب من الخليفة الفاطمي « كتاب الاعتبار » ص ١٥٤ .

(٢) الذهبي ملحق (Vie d'ousama) ٦٠٢ . (٣) « كتاب الاعتبار » ١٢٣ .

(٤) ايضاً ٣٢٤ . (٥) « تاريخ بيروت » ٣٥ — ٣٦ .

فعطاء الحصون من غير حرب   سنةٌ سنّها ببيروت أسامهْ

ويظهر من هذا ومن ابن الاثير[1] انه كان يومئذ ببيروت حاكم يعرف باسامة ولكنه هو غير ابن منقذ فالافرنج فتحوا بيروت عام ١١٩٧ وابن منقذ توفي عام ١١٨٨[2] .

* * *

بعد ان توقّل أسامة « ذروة التسعين[3] » وهو في دمشق يتفيأ في ظلال نعمة مولاه صلاح الدين ، اخذ يطلّ من ذاك العلو الشاهق على سابق اختباراته ويدوّنهـا — او يلقنهـا — بانشـاء ساذج عادي لا تصنع فيه ولا تعمل[4] — تلك هي المذكرات الخالدة الموسومة بـ« كتاب الاعتبار » . أملاها أسامة وهو يردّد :

اذا كتبتُ فخطّي جدّ مضطربٍ   كخط مرتعش الكفّين مرتعدِ
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً   من بعد حطم القنا في لبّة الأسد
وان مشيتُ وفي كفي العصا ثقلتْ   رجلي كأني أخوض الوحل في الجلد[5]

ولسان حاله :

قد كنتُ مسعرَ حربٍ كلما خمدتْ   أذكيتُها بافتداح البيض في القُلل

اما الآن :

فصرتُ كالغادة المكسال مضجعُها   على الحشايا وراء السجف والكللِ
قد كدتُ أعفنُ من طول الثواء كما   يصدي المهندَ طولُ اللبث في الخللِ
أروحُ بعد دروع الحرب في حُلل   من الدبيقي فبؤساً لي وللحُلل[6]

بين كتب الادب العربي سيرٌ عددها غير قليل : منها ما كُتب في عصر أسامة بالذات : كسيرة صلاح الدين الموسومة « بالفتح القسي في الفتح القدسي » بقلم عماد الدين

(١) في « Recueil » مجلد ٢ جزء ١ ص ٨٥ . (٢) لم ينتبه لهذا الخلط بين الأسامتين الأب شيخو محرر صالح بن يحيى فانه في حاشية ٢ ص ٣٥ جعل الاثنين واحداً .
(٣) « كتاب الاعتبار » ١١٩ . (٤) الشاذ الوحيد عن هذه القاعدة وصف أسامة لشيخوخته ولعطف صلاح الدين عليه ص ١١٩ — ١٢٤ . (٥) ص ١٢٢ .
(٦) ص ١٢٠ .

الكاتب الاصبهاني ، بأختها الموسومة « بالنوادر السلطانية » بقلم بهاء الدين ، وكسيرتي نور الدين وصلاح الدين المعنونتين « بكتاب الروضتين في أخبار الدولتين » تأليف ابي شامة . ولكنها كلها تتضاءل أمام سيرة أسامة بقلم نفسه « كتاب الاعتبار » هو اول سيرة في الآداب العربية — على ما نعلم — المترجم والمترجَم له فيها واحد .

رمى المؤلف من وراء كتابه الى تعليم أمثولة ادبية ، لذلك سماه « كتاب الاعتبار » وأورد مواد يرجى منهـا ان يعتبر القارئ بما حلّ بغيره و يستفيد لنفسه[1] . اما العظة التي اراد ان ينقشها على ذهن القارئ بحيث لا تمحى فهي « ان ركوب اخطار الحروب لا ينقص أجل المكتوب . فانني رأيت ... معتبراً بوضح للشجاع العاقل ، والجبان الجاهل ، ان العمر موقت مقدّر ، لا يتقدم اجله ولا يتأخر[2] ، وان الله مقدّر الأقدار وموقت الآجال والأعمار[3] » وانه يجب ان لا يظنّ ظانٌّ ان الموت يقدّمه ركوب الخطر ، ولا تؤخره شدة الحذر[3] ، وان « النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى ، لا بترتيب وتدبير ، ولا بكثرة نفير ولا نصير[4] » .

ولإثبات قضيته أتى أسامة بالقصة تلو القصة « التشابه والمشاركة ، واحياناً التناقض والمخالفة » كان السلك الذي قاده من رواية الى رواية . ولكن الكثير من المادة جاء دون تنظيم منطقي وفي أماكن غير خاصة به . هنا وهناك يشعر القارئ ان الراوي قد رشّ شيئًا من (البهار) على القصة لتحسينها ، او مطّ الواقع قليلاً في الحادث لإشباع داعي الغرض . أخبار كرامات الاولياء ومناقبهم (الباب الثاني ص ١٢٥ — ١٣٨) كلها ازدردها أسامة ، ولم يتسام فوق المستوى الذي عاش فيه جيله . كذلك الاحلام آمن بها ووضع فيهما كتاباً[5] . بيد ان ذلك كله لا يعني ان مقياس الصدق لم يكن بالاجمال عاليًا .

من أمتع فصول الكتاب وأطلاها فصل حلّل فيه أسامة الأثر الذي أثره في نفسه — وهو المسلم المحافظ — الافرنج الصليبيون . ملاحظات ابن جبير واقوال ابن الاثير لها

(١) ص ١٢٠ — ١٢١ . (٢) ١٢٠ . (٣) ١٢١ . (٤) ١٠٩ .

(٥) تجد اشارة الى « كتاب النوم والاحلام » في « كتاب الاعتبار » ١٣٧ .

منزلتها ، ولكنها لا توازي منزلة هذا الفصل المبني على اختبارات شخصية عديدة . الافرنج في نظر أسامة ، لم شجاعتهم ولكنهم خالون من «الغيرة» الجنسية[1] . طبهم ساذج جاهل بالمقابلة مع الطب العربي على ما مثّله ثابت[2] وابن بطلان[3] النصرانيسان . محاكماتهم غبية غريبة[4] . « من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية أجفى أخلاقاً من الذين قد تبلدوا وعاشروا المسلمين[5] » . المؤلف لم يبخل عليهم بلقب « شياطين[6] » و « كافرين[7] » ، ولم يتردد في استنزال « لعنة الله عليهم[8] » عملاً بمصطلح كتاب ذلك اليوم ، وفي الدعاء الى الله تعالى ان « يطهّر الدنيا منهم[9] » . لذلك يلذ لنا ان نسمع صديقاً افرنجياً يدعو أسامة « ياأخي[9] » و يرجوه ان يسمح لابنه مرهف ان يرافقه الى بلاد الافرنج ، وان نرى أسامة يسمي الفرسان الداوية (Templars) «أصدقائي[10]» ونرى هؤلاء يخلون له في المسجد الاقصى مسجداً صغيراً يصلي فيه اذا زار البيت المقدس .

وفي الكتاب ، فضلاً عن ذلك ، اشارات وفيرة تنير لنا أحوال البلاد الشامية لذلك العهد في الزراعة والاجتماع ، وتعرض أمام أبصارنا صوراً شتى من صور الحياة السورية العربية . فقد علمنا ان القطن كان من غلة كفرطاب[11] ، وان غابات شمالي البلاد الكثيفة كانت غنية بالأسود والنمور والغزلان وحمر الوحش[12] ، وان جلاء العروس[13] — على ماهو متبع الى اليوم في لبنان — كان عادة في القرن الثاني عشر ، وان استئجار ندّابات تندب في المآتم[14] كان معروفاً يومئذ كما هو معروف اليوم .

و يتناول آخر فصول الكتاب (ص١٣٩ فما بعد) مسألة الصيد على ما مارسه ابناء ذلك الزمان بالبازي والصقر وبمعونة الكلاب ، وذلك على شواطئ دجلة والفرات والعاصي والنيل . حتى صيد السمك بالطرق العتيقة الساذجة لم تفت أسامة فانه وصفها[15] كأنك ترى العملية بعينيك .

* * *

(١) « كتاب الاعتبار » ١٠٠ . (٢) ٩٨ . (٣) ١٣٥ — ١٣٨ .
(٤) ١٠٣ . (٥) ٩٩ . (٦) ٨٧و٩٥ . (٧) ١٠٠و٩٥ . (٨) ١٠٣ الخ .
(٩) ٩٧ (١٠) ٩٩ (١١) ١٢ ؛ س٨ (١٢) ٨٠ — ٨٢ — ١٤١ .
(١٣) ١٣٣ س٨ (١٤) ٨٥ (١٥) ١٦١ .

مخطوطة كتاب الاعتبار هي وحيدة لا أخت لها ، على ما نعلم ، محفوظة في مكتبة الاسكوريال في اسبانيا . وهي ٦٧ ورقة ومخرومة الاول فقد منها ٢١ ورقة ، فيكون اصلها ٨٨ ورقة . والمخطوطة مكتوبة بالحبر الاسود وبالخط الشامي الذي يرتقي الى القرن الثالث عشر . فهي إذن من أقدم المخطوطات العربية التي اتصلت بنا .

وفي خاتمة المخطوطة ما نصه :

« وكان في آخر الكتاب مامثاله :

قرأت هذا الكتاب من اوله الى آخره في عدة مجالس على مولاي جدي الامير الأجل العالم الفاضل الصدر الكامل عضد الدين ، جليس الملوك والسلاطين ، حجة العرب خالصة امير المؤمنين ، أدام الله سعادته . وسألته ان يجيزني روايته عنه . فأجابني الى ذلك . وسطّر خطه الكريم به . وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة عشر[1] وستمائة صحيح ذلك . وكتب جده مرهف بن أسامة بن منقذ حامداً ومصلياً » .

والتاريخ اعلاه ١٣ صفر ٦١٠ (٤ تموز سنة ١٢١٣) ، ليس هو تاريخ مخطوطتنا هذه — كما وهم درنبورغ[2] — بل تاريخ الام التي نسخت عنها . فنسختنا إذن غير مؤرخة ، ولكنها منقولة عن مخطوط كُتب بعد وفاة المؤلف (أسامة) بست وعشرين سنة قريبة وعليه اجازة من مرهف بن أسامة المحبوب موقعة بامضائه .

وهذه المخطوطة نشرها الاستاذ هارتوغ درنبورغ بالطبع (ليدن ١٨٨٤) . وهي التي نمدّها الآن للطبع في مطبعة برنستون العربية وذلك نقلاً عن الصورة الفوتغرافية التي حصلنا عليها من الاسكوريال بمساعي السفارة الاميركية في مدريد .

وقد حفلت مخطوطتنا بالاغلاط النحوية الصرفية التي لا يتأتى ان يرتكبها مؤلفها — واضع كتاب في «البديع» وصاحب «ديوان» — وهي ايضاً غنية بالعبارات العامية مما يدل على ان المؤلف وهو شيخ ضعيف أملى كتابه شفاهاً وان ايدي النساخ عبثت به .

واليك امثلة من آثار عدم عناية الناسخ اوالنساخ : (دشقي) (دشن)[3] (موز)

(١) «عسره» في الاصل . (٢) في المقدمة الافرنسية ص ١٠ التي قدمها مطبوعته « كتاب الاعتبار » . (٣) ص ٣٨ .

(موزا)[1] ، (الرحا) (الرحى)[2] ، (فاسم) (قسيم)[3] ، الى آخر ماهنالك من الكلمات التي جاءت بصورتين او اكثر في سطر واحد او صفحة واحدة .

اما استعمال العبارات العامية فهو فضلاً عن دلالته على سلامة ذوق أسامة في الانشاء اذ كم من حقيقة بعيدة الغور في طبيعة الانسان اواختباره — لا يسهل التعبير عنها في الأدب العالي ومعظمه اصطناعي بل في النسق الساذج (الدارج) الأقرب اتصالاً بمصادر الحياة ومناحيها — فأمره يهمنا من وجهة أخرى . مقابلة هذه الألفاظ والاصطلاحات مع ما يماثلها في لغتنا العامية اليوم فيه درس مهم في تطوّر اللغة العربية المحكية . وهاك امثلة من أسامة :

(أ) « أيش (اي شيء) انتم ؟ » (ص٨) — « ايش (اي شيء) كان من خبر الصبية ؟ » (ص ١٢٩) — « مافي (لا يقدر) هذا يسرق رغيف خبز » (ص ٣٣) — « تموا (مازالوا) يطردونهم » (ص٣٧) — « خفت لا (لئلا) يكون لهم » (ص٤٧) — « دار حول الصخرة وطلّع (تطلّع) تحتها » (ص ١٥٩) — « حمدت الله سبحانه الذي (اللي — في العامية) مانالك ضرر » (ص ٤٧) الخ .

(ب) استعمال صيغة الجمع العاقل لما لا يعقل : — « الكلاب نطعمهم (نطعمها) من عيشنا » (ص ٩) .

(ج) استعمال المثنى المنصوب في حالة الرفع : — « ديواني كل شهر دينارين (ديناران) » (ص٥٦) — « وفيه خرنقين (خرنقان) » (ص١٤٣) .

(د) ارجاع ضمير الجمع او المفرد لاسم مثنى : — اطرحوهم (اطرحوهما) » (ص١٤٣) « يبست رجلاي ودقت (دقتا) » (ص ١٣١) — نخرج فارسان ... فصادفوا (فصادفا) رجلاً ... فأخذوه (فأخذاه) » (ص٤٧) .

(هـ) لغة اكلوني البراغيث : — « فاقتطعوهم (فاقتطعهم) الروم » (ص٦٩) .

(و) الميل لاهمال الهمزة او تحويلها ياء : — « الحيط (الحائط) » (ص ٥٥) — « خبّيته (خبّأته) » (ص٣٤) « غار (أغار) » (ص ٤٣) — « إسل (إسأل) » (ص٦٥) .

(١) ص ٥٣ . (٢) ص ٧٨ . (٣) ص ١٢٥ .

(ز) إبدال ثاني الحرفين المدغمين ياء : = « دأيت (دللت) الحرامية » (ص ١٠٢) — « شقيته (شققته) » (ص ١٠٨) .

(ح) الاشباع : = « روحْ (رُحْ) » (ص ٩١) .

وفي نسق الكاتب ظاهرة غريبة : وهي ميله الى استعمال صيغة المؤنث : = « غار معلّقة » (ص ٥٢ س ١١) — « عقرب صغيرة » (ص ٨١ س ٨) — « حجر ثانيـة » (ص ٨٤ س ١٤) — « الأرنب دخلت » (ص ١٤١ س ١) — « سكيناً صغيرة » (ص ٧٦ س ٢٣) - « طارت الحجل » (ص ١٤٦ س ١٥) .

وللمخطوطة من حيث الخط ميزات منها انها انتهت الينا خلواً من حركات الاعراب ، ومن علامات الوقف ، ومن اكثر نقط الحروف ، بحيث يصعب احياناً التمييز بين الفاعل والمفعول ، وبين المعلوم والمجهول وبين نهاية الجملة الواحدة وبداية الأخرى . خذ مثالاً لذلك لفظة (عدل) التي وردت في قصة تمر جاء به احد الحلبيين الى صاحب القدموس . فان درنبورغ على مايظهر قرأها (عَدْل) (ص٨٣) وترجمها [1] (La séance) ، وهي في الحقيقة (عِدْل) بمعنى كيس . ولقد ورد في قصة بعض قطاعي الطرق كلمة (يسبقهم) فقرأها درنبورغ (تسبقهم) (ص٥١) ، وقرأها لاندبرغ [2] (تستبقيهم) ، وقرأها كاتب هذه الاسطر (يشنقهم) . بين (السبق) (والشنق) بالتهجئة فرق متضمن في بعض نقط ، ولكنه بالفعل فرق عظيم . في صفحة ٩١ ورد اسم علم هذه صورته (حرار) فهو جرّار ، جزّار ، جزّاز ، حرّار ، حَرّاز ، حَراز ، خَراز ، خرّاز ، خزّار ، خَزّاز — عشر قراءات فقط لاغير و كلها واردة في اسماء اعلام الذهبي (المشتبه) [3] ، فاختر لك منها ما يحلو .

ولقد يؤدي عدم وجود احرف هجاء كبيرة لتمييز العلم عن النكرة ، كما هي الحال في

(١) « Autobiographie d, Ousàma » (Paris ١٨٩٥) ص ١١٠ .

(٢) Landberg « Crtica arabica »N° 2 (Leiden ١٨٦٦) ص ٢٦ .

(٣) (ليدن ١٨٦٣) ٩٧ — ١٠٠ .

اللغات الاوربية احياناً — الى الاشتباه في اللغة العربية · ففي صفحة ٣٧ سطر ١٧ وصفحة ١٥٢ سطر ٧ وردت (العلاة) وهي اسم بلدة في سورية الشمالية فحسبها درنبورغ نكرة وترجمها (La ville hause) [(١)] · اما « قرية خربة » (ص ٦٠) فحسبها علماً [(٢)] ·

ان إرجاع الضمير من معضلات العربية · ولمكان الاشكال فيه جعل درنبورغ يحسب مرة ان المطعون طار من السرج الى رقبة الحصان ، والحال انه الطاعن (ص ٤٦) [(٣)] ، وأخرى ان الجرائحي نشر ساق المريض (ص ١٠٧) [(٤)] ، والظاهر ان المريض هو الذي نشر ساق نفسه ، وثالثة ان الجريح غشي عليه [(٤)] ، والحال ان الغلام الشاهد هو الذي غشي عليه (ص ١٠٧) ·

وليس في المصطلحات العربية علامات للاقتباس تتضمن الجمل الحكائية · وهذا ما جعل درنبورغ [(٥)] يعتبر الجملة الاخيرة من خطاب أسامة لرجالة عسقلان غير داخلة في ذلك الخطاب ، مع انها جزء منه (ص ١١) · ولما مثل أسامة بين يدي الملك الافرنجي فأذاك وأعرب له هذا عن فرحه به لانه فارس عظيم أجاب أسامة « انا فارس من جنسي وقومي » وورد على اثر ذلك في الاصل « واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان أعجب لهم » · فدرنبورغ [(٦)] ضمّن العبارة الثانية في الاقتباس وجعل أسامة دقيقاً طويلاً بالاستنتاج · والذي يلوح لي ان العبارة الثانية غير داخلة في الاقتباس والضمير فيها يعود للافرنج ، فيكون أسامة سميناً قصيراً ·

لم يكن أسامة يحسن غير اللغة العربية · ففي صفحة ٤٩ يقول عن الافرنج « انهم لا يتكلمون الا بالافرنجي ماندري ما يقولون » · وفي مكان آخر يشير الى امرأة افرنجية « تبربر بلسانهم وانا لا أدري ماتقول » (ص ١٠٤) ، ويذكر ان رفيقه الغرسياني « التفت الى غلام له كله بالتركي ولا أدري مايقول » (ص ٧٥) · وفي غير موضع يقول « وهم يتكلمون بالتركي ولا أدري مايقولون » (ص ١١٢) · على ان ذلك كله لم يمنعه من استعمال

(١) (Autobiographie) ص ٥٠ (٢) ايضاً ص ٨١ ·
(٣) قابل (Autobiographie) ص ٦٣ (٤) ايضاً ١٤٢ ·
(٥) ايضاً ١٤ (٦) ايضاً ٤٧ ·

كلمات افرنجية كـ: «سرجندي» (ص٥٦) و« سرجند » (ص٤٩) (sergeant) = «تركبولي» (ص٣٧) (Turcopole) = « برجاسي» (ص١٠٤) (bourgeoisie) «البسكند» (ص١٠٢) (viscount) = « الداما » (ص١٠٠) (madame) = «البرونس» (ص٨٧) (prince) ·

والذي يهمنا اكثر من ذلك استعمال طائفة من الكلمات الفارسية والتركية واليونانية التي كانت صقلتها ألسن العرب وألفتها آذانهم · ومما يجب ملاحظته ان معظم أسماء آلات الحرب انما هي فارسية ، وذلك لان العرب نقلوا الاساليب الحربية عن جيرانهم الفرس · واليك بعض الأمثلة من الألفاظ الفارسية المعرّبة :

(سندروس) (ص٨س١٣) (سندروس ، معدن شبيه بالكهرباء — سمرفسار) (ص٩س٣٠) (سمرأفسار ، راس العنان — كزاغند) (ص٣٤س٣٧) (كژاگند · كزاغند ، سترة تقوم مقام الدرع — (دركاه) (ص٣٦س١٩) (دركاه ، بلاط الملك = (دشني) (ص٣٨س١٦) دشنه ، خنجر = (خشت) (ص٣٨س٢٠) خشت ، حربه = (موزا) (ص٥٣س٢٣) = موزه ، خف = (اوزبه) (صفحة٥٤س١٠) = اوزبك ، اميرالجيش = (بشت) (صفحة٨٦س٢٤) = پشت ، عباءة = (تركش) (صفحة١٥٨ س٨) = تركش ، جعبة = (ديدب) (صفحة ٩٤ س١٠) = ديدهبان ، راقب ·

وهنالك لفظتان فارسيتان اشتبه امرهما على درنبورغ فحسبهما عربيتين : (برجم) (صفحة١١٨س٩) = پرچم ، شعر ذنب عجل البحر · فظنها درنبورغ (براجم) العربية وترجمها (Articulatoins de doigts) [1] · و(نشاف) (صفحة٩٨س١) وهي في الراجح (نشاف) الفارسية = بلاء · وترجمها درنبورغ [2] (Consomption) ·

واليك مثالاً من الالفاظ التركية الواردة في الكتاب : (يرق) (صفحة٧٦س٦) يراق ، سلاح = (جوبان) (صفحة٧٨س١٣) = چوبان ، راع [3] ·

(١) (Autobiographie) ١٥٦ · (٢) ايضاً ١٢٩ · (٣) اما درنبورغ (صفحة١٠٥) فحسبها علماً وكتبها (Djaubân al-khail) ·

ومن الألفاظ اليونانية : (سقلاطون) (صفحة٧س ٢١) = ثياب موشية = (قنطارية) (صفحة٤٢س ٢١)= الرمح او قناته = (زُرْبول) (صفحة ٨١س٧) = حذاء .

ولا بد لي هنا من الاعتراف ان الاستاذ درنبورغ جاهد قبلي جهاد العلماء الابطال في حل ألغاز المخطوطة العربية وكشف معمياتها ، واني مدين له بالشيء الكثير من حيث قراءة الاصل وفهم المراد .

على اثر ظهور ترجمة درنبورغ الافرنسية لـ « كتاب الاعتبار » ظهرت ترجمة المانية بقلم جورج شومان (Georg Schumann) عنوانها : [1] (Usama Ibn munkidh memoiren) اعتمد فيها الكاتب على الترجمة الافرنسية مع تصريحه في مقدمة الكتاب بانه ترجمه عن الاصل العربي . وهذه بعض الشواهد على ذلك : درنبورغ اغفل سهواً في ترجمته [2] اسم خطيب إسعرد الاول وهو (سراج الدين) مع انه مثبت في الاصل (صفحة١٢٥) ، وكذلك فعل شومان [3] . اقحم درنبورغ في مكانين من ترجمته [4] كلمة (نصر) بعد (ناصرالدين) وهي غير واردة في الاصل (صفحة ٢٠س٢و١٢) ، وشومان اتبع اثره [5] . في موضع آخر اشتبهت كلمة (ثمان) (صفحة٧٧س١٩) على درنبورغ فحسبها (ثمن) وجعل غلة الطاحون مائة دينار (Cent dinars) [6] بدلاً من ثمانمائة دينار كما هي في الاصل العربي ، وشومان اقتفى خطواته (على العمياني) وترجم [7] hundert denaren

ولقد نشرت في العام الفائت عن المخطوطة الاصلية المحفوظة بالاسكوريال (كتاب الاعتبار) هذا مترجماً للانكليزية بعنوان: (An Arab-syrian gentlema nauel warrior ui the period of the Cruisades) (New york) .

وهي المخطوطة التي نحن بصدد نشرها . وفي العام نفسه ظهر في لندن طبعة أخرى انكليزية [8] لاقيمة علمية لها ولاجديد فيها لانهـا مبنية على الترجمة الافرنسية السابقة .

(١) طبع (Innsbruck) سنة ١٩٠٥ . (٢) (Autobiographie) ١٦٥.
(٣) (Memoiren) ٢٢٩ . (٤) (Autobiographie) ٢٦س١٤ وس٣٧ وس٣٨ .
(٥) (memoiren) ٥٠ و٥١ . (٦) (Autobiographie) ١٠٤ س ١٩
(٧) (Memoiren) ١٥٤ س١٥ ـ ١٦ و٢٤ .
(٨) « Autobiography of Ousama ibn Mounkidh »

فيكون الكتاب قد ترجم للافرنسية والالمانية والانكليزية .

في يوم الاثنين الواقع في ٢٣ رمضان من سنة ٥٨٤ هـ (١٦ تشرين الثاني سنة ١١٨٨) وهي السنة التالية للسنة التي استرجع فيها صلاح الدين بيت المقدس من يد الافرنج ، توفي أسامة في دمشق عن ٩٦ سنة قمرية (٩٣ شمسية) ، ودُفن ثاني يوم وفاته في سفح جبل قاسيون الجبل الذي نعته ياقوت [1] بانه (مُعظَّم مُقدَّس) . ولقد دُرِس قبره مع مادرس من الآثار في ذلك الجانب من الجبل وقامت على أنقاضها الدور الحديثة [2] . ولكن المترجم الدمشقي الشهير بابن خلكان زار تربة أسامة بعيد وفاته حيث قال « ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأتُ عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه » [3] .

جامعة برنستون : فيليب حتي

عضو المجمع العلمي العربي



(١) « معجم البلدان » ٤ : ١٣ .

(٢) هذه خلاصة تقرير تكرم به بتاريخ ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨ الاستاذ « المغربي » احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وكنت كلفته امر التنقيب عن قبر أسامة . (٣) ١ : ١١٢ .

جامع التواريخ

« نشوار المحاضرة »

او اخبار المذاكرة



حدثني «١» ابو العباس احمد بن عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن البحري «٢» القاضي الداوودي «٣» وهو شيخ من خلفاء قضاء القضاة مشهور بمدينة السلام بالعلم والتصرف في الحكم. قال حدثني ابو الحسين عبد الله ابن احمد بن محمد بن المفلس الداودي قال كان ابو بكر محمد بن داود وابو العباس بن سريج اذا حضرا مجلس القاضي ابي عمر لم يجر بين اثنين فيما يتفاوضانه احسن مما يجري بينهما وكان ابن سريج رضي الله عنه كثيراً ما يتقدم ابا بكر في الحضور الى المجلس فتقدمه في الحضور ابو بكر يوماً فسأله خلق «٤» من الشافعية عن العود الموجب للكفارة «٥» ما هو قال

«١» طبقات الشافعية للسبكي ٢ : ٨٩ .

«٢» عند السبكي : البختري .

«٣» م ، ع ، في طبقات السبكي الداوردي هنا وفيما يلي .

«٤» م ، ع ، في الطبقات فسأله حدث .

«٥» م ، ع ، في طبقات السبكي للكفارة في الظهار .

انه اعادة القول ثانياً وهو مذهبه (١) وحضر ابن سريج فاستشرحهم ماجرى فشرحوه فقال ابن سريج لابن داود ولا ياابا بكر اعزك الله هذا قول من (؟)من المسلمين تقدمكم(٢)فاستشاط ابو بكر من ذلك وقال أتقدر ان من اعتقدت ان قولهم اجماع في هذه المسألة اجماع عندي احسن احوالهم ان اعده (٣) خلافاً وهيهات ان يكونوا كذلك فغضب ابن سريج وقال له انت ياابا بكر بكتاب الزهرة (٤) امهر منك في هذه الطريقة فقال ابوبكر بكتاب الزهرة تعيرني والله ماتحسن تستتم قراءته قراءة من يفهم وانه لمن احدى المناقب اذ كنت اقول فيه :

اكرر في روض المحاسن مقلتي وامنع نفسي ان تنال محرما
وينطق سري عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم فما ان أرى حباً صحيحاً مسلما

فقال القاضي ابو العباس بن سريج أعلي تفتخر بهذا القول وانا الذي اقول :

ومساهر بالغنج من لحظاته قد بت امنعه لذيذ سباته (٥)
صبا بحسن حديثه وعتابه واكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ماالصبح لاح عموده ولي بخاتم ربه وبراته (٦)

«١» عند السبكي : ومذهب داود. «٢» م. ع. في الطبقات تقدمكم فيه. «٣» عند السبكي : اعدهم. «٤» يعني كتاب ادب الفه ابو بكر «٥» م.ع. في الطبقات سناته. جمع سنة اي النعاس . «٦» بالاصل وفراته ،الصواب عندالسبكي.

فقال ابن داود لابي عمر ايد الله القاضي قد اقر بالمبيت على الحال التي ذكرها وادعى البراءة مما يوجبه فعليه اقامة البينة فقال ابن سريج من مذهبي ان المقر اذا اقر اقراراً وناطه بصفة كان اقراره موكولا الى صفته فقال ابن داود للشافعي في هذه المسألة قولان قال ابن سريج فهذا القول اختياري الساعة

حدثني مبشر مولى ابي قال قدمت سوق الاهواز من غيبة كان مولاي غائبها فكتب من المشرعة الى ابي ايوب داود بن علي بن ابي الجعد الكاتب وكان بينهما أنسة ومودة وعرفه قدومه فالتمس منه ان ينفذ اليه مركوبا ليركبه من المشرعة الى داره فانفذ اليه ابو ايوب المركوب وكتب اليه :

عبدك داود به علة تمنعه ان يتلقاكا
والبغلة الشهباء قد اسرجت فاركب فديناك فديناكا
عيني الى الباب واذني الى مبشري قد جاء مولاكا

حدثني ابو علي محمد بن محمد بن ابي بكر بن ابي حامد صاحب بيت المال وكان ابوه المكنى بابي حامد قد تقلد القضاء وابو علي هذا قد خلف عدة قضاة على غير بلد قال حدثني ابن حجا الاصفهاني قال قيل لابي مسلم محمد بن بحر لما دخل اصبهان واليا وصارفا لابن رستم ان ابن رستم قد اخذ طالعاً في دخولك وهو يذكر أنه غير جيد فقال ان كان قد اخذ طالعي فقد أخذت غاربه

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال كان (١) ابو الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة الاولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخاصة من قبل علي بن عيسى واليه اذ ذاك الديوان فقلد ابو الحسن سليمان الديوان باسره فأقام يتقلده نحو سنتين فقام يصلي المغرب فسقطت من كمه رقعة بخطه نسخة سعاية بابن الفرات واسبابه وسعى لابن عبد الحميد كاتب السيدة بالوزارة (٢) واخذها بعض اسبابه وتقرب بها الى ابن الفرات فقبض عليه للوقت فانفذه الى واسط في زورق مطبق وصودر وعذب بواسط ثم رجع له ابن الفرات لما وقف من كتاب صاحب الخبر (على) ان ام سليمان ماتت ببغداد ولم يحضرها ولا رآه قبل موتها فاغتم لذلك وبدا (٣) فكتب اليه بخطه كتابا اقرأنيه سليمان بعد ذلك فحفظته ونسخته: ميزت اكرمك الله بين حقك وجرمك فوجدت الحق يوفي على الجرم وتفكرت في سالف خدمتك في المنازل التي فيها ربيت وبين اهلها غذيت فثناني اليك وعطفني عليك واعادني الى افضل ماعهدت واجمل ماالفت فثق اكرمك الله بذلك واسكن اليه وعول في صلاح مااختل من امرك عليه واعلم انني أراعي فيك حقوق ابيك التي تقوم بتوكيد السبب مقام اللحمة والنسب وتسهل ماعظم من جنايتك وتقلل ما كثر من اساءتك ولن ادع

«١» تجارب الامم ١:١٥ وكتاب الوزراء لهلال ص : ١٠٢ . «٢» م.ع. : في كتاب الوزراء فوقعت في يد احد الحواشي فحملها الى ابن الفرات ولما وقف عليها قبض عليه الخ «٣» م.ع. : لعل الاصل بداله

مراعاتها والمحافظة عليها ان شاء الله وقد قلدتك اعمال دستميسان(١) لسنة ٢٩٨ وبقايا ماقبلها وكتبت الى احمد بن حبش بحمل عشرة الآف درهم اليك فتقلد هذه الاعمال وأظهر فيها اثراً حميداً ينبيء عن كفايتك ويوءدي الى ما احبه من زيادتك ان شاء الله

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن العباس الترمذي قال حدثنا عمر عن اليزيدي الاكبر موءدب المأمون قال دخل ابو العباس الفضل بن الربيع على ابي علي يحيى بن خالد البرمكي وهو جالس للحوائج وابنه جعفر يوقع بين يديه فعرض عليه رقعة فقال هذا لايمكن واخرى فقال هذا مما قد حظره امير الموءمنين واخرى فقال هذا يفسد به الاولياء (واخرى) فقال هذا يثلم الارتفاع الى ان عرض عليه عشر رقاع واعتل فيها بعلل مختلفة ولم يوقع له بشيء فجمعها الفضل وقال ارجعن خائبات ونهض وهو يقول:

عسى وعسى يثني الزمان عنانه بتصريف حال والزمان عثور
فتقضي لبانات وتشفي حسائك(٢) ويحدث من بعد الامور امور

فسمعها يحيى فقال عزمت عليك ياابا العباس مارجعت فرجع فوقع له في الرقاع كلها

«١» م.ع.: قال ياقوت دستميسان كورة بين واسط والبصرة والاهواز وهي الى الاهواز اقرب. وقيل هي كورة قصبتها الابلة فتكون البصرة من هذه الكورة.

«٢» م.ع. جمع حسيكة او حساكة وهي العداوة والحقد.

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الحسن علي بن عيسى قال حدثنا ابي قال حدثنا ابو داود بن الجراح قال قال لي الفضل بن مروان كنت اعمل في ديوان ضياع الرشيد مجلس الحساب فنظمت في الحساب السنة التي نكب فيها البرامكة ووجدت قد ثبت فيه ثمن هدية دفعتين من مال ضياع الرشيد واهداها الى جعفر بن يحيى بضعة عشر الف دينار وفيه بمدشهور من هذه الهدية قد ثبت في الحساب لثمن نفط وحب قطن ابتيع وحرق به جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر قيراطاً ذهباً .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله نفطويه قال حدثنا ابو العباس ابن الفرات قال قال لي ابو عبد الله ابن سليمان قال قال لي ابي سمعت ابا الحسن عبيد الله بن يحيي بن خاقان قال سمعت ابا جعفر احمد بن يوسف يقول وهو اذ ذاك وزير المأمون لما قال الشاعر بعد قتل ابي سلمة وزير السفاح:

ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشناك كان وزيرا

كذبت الوزراء من يشناك فلا يدخل في هذا الامر الا منحوس.

حدثني ابو علي بن ابي حامد قال سمعت خلقاً بحلب يحكون ان ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبيء بها اذ ذاك كان في بادية السماوه ونواحيها الى ان اخرج اليه لؤلؤ من حمص من قبل الاخشيدية فقاتله واسره وشرد من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلا فاعتل وكاد ان يتلف حتى سئل في امره فاستتابه

وكتب عليه وثيقة اشهد عليه فيها ببطلان ماادعاه ورجوعه الى الاسلام وانه تائب منه ولا يعاود مثله واطلقه قال وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر انه قرآن نزل عليه وكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة فضاعت وبقي اولها (في) حفظي وهو:

والنجم السيار. والفلك الدوار. والليل والنهار. ان الكافر لفي اخطار. امض على سبيلك. واقف اثر من كان قبلك من المسلمين (١) فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيله.

قال وهي طويلة ولم يبق في حفظي منها غير هذا قال وكان المتنبيء اذا استوعب (٢) في مجلس سيف الدولة ونحن اذ ذاك بحلب يذكر له هذا القرآن وامثاله مما كان يحكى عنه فينكره ويجحده. قال وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة لولا ان الآخر جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبي لان متنبي معناه كاذب ومن رضي لنفسه ان يدعى بالكذب فهو جاهل فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغض مني ولست اقدر على الامتناع. فاما انا فاني سألته بالاهواز في سنة ٣٥٤ عند اجتيازه بها الى فارس في حديث طويل حدث بيننا — عن معنى المتنبي لاني اردت ان اسمع منه هل تنبأ ام لا فأجابني بجواب مغالط لي وهو ان قال: هذا شيء كان في الحداثة اوجبته الصورة فاستحييت ان ان استقصي عليه وامسكت. وقال لي ابو علي بن ابي حامد قال لي ابي ونحن

«١» م.ع. في طبقات ابن الانباري من المرسلين. «٢» م.ع. كذا في الاصل.

بحلب وقد سمع قوماً يحكون عن ابي الطيب المتنبيء هذه السورة التي قدمنا ذكرها لولا جهله. أين قوله امض على سبيلك الى آخر الكلام ـ من قول الله عز وجل (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين) الى آخر القصة وهي(١) تتقارب الفصاحة بينهما او يشتبه الكلامان .

حدثنا ابو الحسن محمد بن شجاع المتكلم البغدادي قال : حدثنا ابو سلمة العسكري احد غلمان ابي علي الجبائي قال كنت بحضرته يوماً وهو يصلي ونحن جلوس نتحدث فقال رجل منا اليوم كنت عند صديق لي فأطعمني معقود العسل ودهن اللوز فقالوا...... (٢) ليس بها من يكون هذا عنده الا العامل ولست ممن يأكل طعام العمال (٣) فمن الرجل يشوش الكلام وسلم ابو علي من صلاته فقال لنا لا يهوسكم(٤) لعله كان اليوم عند الصيدلاني وتناول (٥) اطريفلك (٦) فقال الرجل هكذا كان.

وحدثنا ابو الحسين ايضاً قال حدثنا ابو محمد الحسن بن عمرو قال(٧) كنت بالاندلس فقيل لي ان بها تلميذاً لابي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن زيدويكنا (٨)

«١» م.ع. في طبقات ابن الانباري وهل. «٢» بياض بالاصل. «٣» م.ع. لعله فمر الرجل يشوش او وتشوش الكلام اي اختلط. «٤» كذا في الاصل ولعله لايهولنكم. «٥»م.ع. كذا في الاصل ولعله تناول اطريفلا وسماه ابن البيطار في مفرداته طريفلن وقال هو اسم يوناني ومعناه ذو ثلاثة الاوراق وشرح له فوائد طبية كثيرة الى ان قال : (وقد يقع اصل هذا النبات في اخلاط الادوية المعجونة) فليراجع. «٦» لعله كطريفلك.
«٧» معجم الادباء ـ ٦ : ٧٤ ـ «٨» م.ع. كذا في الاصل والصواب يكنى.

ابا خلف فأتيته فرأيت شيخاً همّاً فسألته عن سبب اجتماعه مع ابي عثمان ولم يقع ابو عثمان الى الاندلس فقال كان طالب العلم (١) يشرف عند ملوكنا فوقع الينا كتاب التربيع والتدوير له فاشاروا اليه ثم اردفه عندنا كتاب البيان والتبيين فبلغ الرجل الصكاك (٢) بكتابة هذين الكتابين قال فخرجت لا اعرج على شيءٍ حتى قصدت بغداد فسألت عنه فقيل هو بسر من رأى فأصعدت اليها فقيل قد انحدر الى البصرة فانحدرت اليه وسألته (٣) عن منزله فأرشدت فدخلت اليه واذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو لحية غيره قال فدهشت فقلت ايكم ابو عثمان فرفع يده الي وحركها في وجهي وقال من اين. فقلت من الاندلس قال طينة حمقاء. فما الاسم؟ قلت سلام قال اسم كلب القراد. ابن من؟ قلت ابن يزيد (٤) قال بحق ماصرت (٥) ابو من؟ قلت ابو خلف قال كنية قرد زبيدة. ماجئت تطلب؟ قلت العلم قال ارجع بوقت فانك لا تفلح قلت له ما انصفتني فقد اشتملت على خصائل (٦) اربع: جفاء البلدية (٧) وبعد الشقة وغرة الحداثة ودهشة الداخل. قال فترى حولي عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيري. ما كان يجب

«١» م.ع. في ياقوت طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء ابي عثمان «٢» م.ع. الصواب اسقاط لفظة بكتابة كما في ياقوت والصكاك كغراب لغة في السكاك وهو الهواء الملاقي عنان السماء. اي بلغ غاية الرفعة الخ «٣» م.ع. كذا في الاصل والظاهر. اليها. وسألته. «٤» كذا في خطنا وعند ياقوت وسبق انّ اسم ابيه زيد. «٥» لعله صرف «٦» م.ع. كذا في الاصل ولم نجد خصائل بهذا المعنى فالظاهر خصال كما في ياقوت «٧» م.ع. الظاهر البادية.

ان تعرفني بها قال فأقمت عليه عشرين سنة قال وكان سلام هذا يحسن العلم قال وبلغني عن ابي بكر بن مجاهد انه قال: الناس اربعة مليح يتبغض لملاحته. وبغيض يتملح فذاك الحمى والداء الذي لا دواء له. وبغيض يتبغض فيعذر لانه طبيعة .ومليح يتملح فتلك الحياة الطيبة

حدثنا ابو الحسين قال كنت بتامه(١) من بلاد الهند فسمعتهم يتحدثون ان ملوك الهند يغالون في الافيلة (٢) الحربية على قدر عظم بطشها فربما بلغ الفيل الفاره المنقطع النظير مائة الف دينار ودائماً يبلغ الفيل الواحد منها عشرة آلاف دينـار قال فاذا بلغ الملك ان فيلا قد يعرف وله بطش عظيم وانه يصلح للحرب امر بصيده قالوا وليس له حيلة فى صيده الا بان يخرج قوم من الفيالين ومعهم فيلة انثى اهلية معلمة فيهافضل خبث(٣) وتأنيث والافيلة فيها من الفطنة امر عظيم قال فيخرج الفيـالون وهي معهم الى حيث قد بلغتهم موضعاً يتغرب الفيل فيه فيقاربون الموضع ويلجأون الى موضع يختبئون فيه:(في) (٤) شجرة (٥) عظيمة لا يمكن الفيل فيها حيلة او شيء يحفرونه ويغطونه ويدعون الفيلة الانثى ترعى .فحين يشم الفيل رائحتها يقصدها وتقصده فتلاعبه وتطاعمه (٦) بخرطومها وتوانسه ولا يبرح من حيث هي

«١» لعلها تانه التي ذكرها حمد الله المستوفي في نزهة القلوب(ص ٢٦٢) والدمشقي (ص ١٧٣) قيل انها بومباي. «٢» م.ع. جمع الفيل أفيال وفيول وفيلة ولا يقال افيلة. «٣» م.ع. الظاهر خنث. «٤» بالاصل ما. «٥» م.ع. الظاهر. ان الاصل اماشجرة الخ. «٦» م.ع.الاظهر تطاعمه من تطاعمت الحمامتان اذا ادخلا فماً في فم.

ويرعيان في موضع فيالها (١) والفيالون مختبون شهراً لا يفرقون بينهما فاذا كان بعد شهر اقل (٢) او اكثر على حسب علمهم باستحكام الالفة استدعوا الفيلة في وقت تشاغل الفيل عنهم فيه فتجيئهم فيركبوها (٣) فحين يراهم الفيل ويراها يتبعهم فيروم ان يودي (٤) الفيالين فتضع هي خرطومها عليه وتلاعبه وتسرع ويسرع خلفها فاذا رأوه قد ولى ردوها اليه فتلاعبه فيرجع معها فلا يزالون يمشون به خلفها يومين او ثلاثة الى ان يروا منه ضجراً او شدة في اذيتهم فيقفون ليلة في موضع ويهاربون عن ظهرها الى موضع يختبئون فيه فلا يقصدهم الفيل لتشاغله بها ويحرزون انفسهم في المختبأ ويدعونه معها دون تلك المدة ثم يسيرون بها على ذلك الوجه فيتبعها الفيل فيسيرون بها يومين او ثلاثة او حسب ما يمكن الى ان يبدو ضجره فينزلون على رسمهم فلا يزالون كذلك حتى يقربوه من البلد في مدة على حسب بعد المسافة او قربها فاذا بلغوا المدينة اخرج ملكها جميع اهل البلد او اكثرهم وجمعهم وصعد عامتهم على السطوح النساء والصبيان مزينين. فحين يرى الفيل اجتماعهم يستوحش وينفر ويولي ويطلب الصحراء فيرجع فاذا رأى الناس بعر (٥) فيرجع اليه فيرده فلا يزال كذلك معه حتى يدخله بين الناس ويقربه منهم ويقيمونه (٦) الفيالون اياما كذلك حتى يألف الناس فاذا الفهم امر الملك بجمع

« ١ » لعله وفيالها. « ٢ » م.ع. لعله او اقل. « ٣ » م.ع. الصواب فيركبونها.
« ٤ » م.ع. لعله يؤذي او يردي. « ٥ » كذا بالاصل والجملة محرفة.
« ٦ » م.ع. الظاهر ويقيم

اصحاب الدبادب والطبول والصنوج فحين يسمع ينفر نفوراً شديداً اشد من ذلك ويهرب فتمضي الفيلة خلفه فحين يراها وقد بعد عن الصوت قليلاً يقف لها فتداعبه وترده وتداريه فحين يقرب من الصوت يهرب ثم يرجع معها هذا دأبه معها يفعل به ذلك اياماً متتابعات الى ان يألف الصوت فاذا الف المناظر والاصوات ادخل الفيالون الفيلة الى البلد ويتبعهم الفيل فيجيئون بها الى ساحة كبيرة معدة لها فيها اربعة اوتاد ساج اثقل مايكون واعظمه متقاربة منصوبة على اساسات شديدة (١) فتدخل الفيلة من بين تلك الاوتاد وتقف فيدخل وراءها ويقف معها فينزل الفيالون وفي اصول تلك الاوتاد حلق عظام وثيقة في كل دقل(٢) حلقة وفيه قيد عظيم ثقيل فيضعون القيد في قائمة من قوائم الفيل فيحصل مقيداً مضبوطاً بين تلك الاوتاد ولا يمكنه قلعها ولا ان يطرح ثقله على شيء ليساوي احرانه (٣) في التقييد اليها فلا يزال على ذلك اياماً والفيلة الى جانبه فاذا مسه الجوع جاءه الفيالون بالارز والسمن المطبوخ فاطمعوه اياه بان يرموا اليه من بعد فللجوع (ما) يا كله ولا يزالون يدارونه ويتقربون منه على تدريج حتى يأكله من ايديهم بعد مدة فاذا اكل من ايديهم فهي العلامة في استئناسه فحين يأكل من ايديهم مراراً كثيرة ويستمر على هذا يركبونه ويضعون الحديد في رأسه

«١» بالاصل اسسات شديد . «٢» م.ع. الدقل ساري السفينة والمراد هنا الوتد المذكور. «٣» كذا بالاصل والجملة محرفة . م ع . الظاهر اجرامه جمع جرم بمعنى الجسم وجمع كأنه صير كل جزء جرماً .

اياماً ويعرونها عليه حتى يألفها ويعلمونه ويكلمونه فاذا مضت ايام على هذا حلوا قيوده وهم فوقه فيمشي ويصرفونه(١) بحسب مايصرفونه عليه ويصير في حكم الاهلي. قال وسمعت ان ملك الصنف (٢) وهو البلد الذي يجيء منه العود الصنفي له الف فيل اذا اخرجت تمتد نحو فرسخ قال وسمعت ان الملك اذا اراد قتل انسان سلمه الى الفيل فيكلمه الفيال في ان يقتله قال فيقتله بالوان من القتل منها انه ربما لف خرطومه على رجل الرجل ويضع احدى يديه على ساق الرجل الاخرى ثم يعتمد عليه فاذا هو قد خرق الرجل بنصفين من اوله الى آخره وربما ترك الرجل واستعرضه بالعرض ثم وضع يده على بطنه فيسحقه قلت انا رأيت بالبصرة في سنة ٣٣٩ فيلاً لطيفاً حمله صاحب عمان الى معز الدولة فاجتاز بالبصرة وحمل الى دارنا فأدخل الى صحننا فرأيناه وسمعت عدداً كثيراً من اهل البصرة يخبرون اذ ذاك ان هذا الفيل اجتاز في سوق الجامع فقرب منه صبي دون البالغ فصاح به الفيالون ليتنحى عن طريق الفيل فدهش الصبي وادركه الفيل فلف خرطومه عليه وشاله فرفعه الى الفيالين فأخذوه منه فصاح الصبي فطار عقله فما انزلوه الا بدراهم وانهم اجتازوا بعد ذلك بايام فادركت الفيل صخرة فقبض على صبي فشاله بخرطومه ورقاه في الهواء ثم استقبله بنابه فادخله في جسمه فقتله.

حدثني ابو الحسين (٣) قال حدثنا الفضل بن باهماد (٤) اني السيرتها وكان

«١» م ع. كذا في الاصل. «٢» م ع. الصنف موضع في بلاد الهند او الصين. «٣» الفرج بعد الشدة ٢: ١٢٩. «٤» في الفرج هامان.

مشهوراً بملوك أقاصي بلدان البحر قال قال لي رجل من بعض مياسير (١) بلاد الهند والبيسير هو المولود على ملة الاسلام في بلاد الهند (٢) انه كان في بلد من بلاد الهند وكان فيه الملك حسن السيرة وكان لا يأخذ مواجهة ولا يعطي مواجهة انما يقلب بيده الى وراء ظهره فيأخذ ويعطي بها اعظاما للملك وسنة لهم هناك وانه توفي فوثب رجل على ملكه فاحتوى عليه وهرب ابن كان له يصلح للملك خوفاً على نفسه من المتغلب. ورسوم ملوك الهند ان الرجل اذا قام من مجلسه لاي حاجة عرضت له كان عليه صدرة قد جمع فيها كل نفيس فاخر من اليواقيت والجواهر مضربا بالابريسم في الصدرة ويكون قيمة ذلك ما ان اراد ان يقيم به ملكا قامه . قال ويقولون ليس بملك من قام من مجلسه وليس معه ما ان حدثت عليه حادثة فهرب به امكنه اقامة ملك عظيم منه فلما حدث على الملك تلك الحادثة اخذ ابنه صدرته وهرب بها فحكى عن نفسه انه مشى ثلاثة ايام قال ولم اطعم طعاماً ولم يكن معي فضة ولا ذهب فابتاع به مأكولا وانفت ان استطعم ولم اقدر على اظهار ما معي قال فجلست على قارعة الطريق واذ برجل هندي مقبل على كتفه كارة فحطها وجلس حذائي فقلت اين تريد ؟ فقال الجدام الفلاني ومعنى الجدام

---

(١) في الفرج بياسرة...والبيسر.والارجح ان الكلمة محرفة اصلها مسلمان وكتبها بعض سياحي الافرنج بسرمان. (٢) م ٠ ع ٠ الظاهر انه البياسرة قال في التاج البياسرة جيل بالسند « او بالهند » تستأجرهم النواخذة وهم اهل السفن لمحاربة العدو والواحد بيسري

الرستاق فقلت له هذا الجدام الفلاني اريد فنصطحب قال نعم فطمعت في ان يعرض علي شيئاً من مأكوله قال فحمل الكارة وأكل وانا اراه ولم يعرض علي وانفت ان ابتدئه بالسوءال وقام يمشي وقد شدها فمشيت معه وتبعته طمعاً في ان تحمله الانسانية والموانسة والمرض (١) فعمل بالليل معي كما عمل بالنهار قال واصبحنا من غد ومشينا فعاملني بمثل ذلك على هذا سبعة ايام لم اذق شيئاً فاصبحت في اليوم الثامن ضعيفاً لاقدرة لي على الحركة فرأيت جداما في حاشية الطريق وقوما يبنون وقيما عليهم يأمرهم قال ففارقت الرجل وعدلت الى الوكيل فقلت استعملني باجرة تعطنيها عشياً مثل هوءلاء فقال نعم ناولهم الطين قال فكنت آخذ الطين فلمادة الملك اقلب يدي الى ظهري واعطيهم الطين فكما (٢) أذكر ان ذلك خطأ علي (٣) وسفك دمي اباد رتلافي ذلك فارد يدي بسرعة قبل ان يفطنوا بي قال فلمحتني امرأة قائمة فاخبرت سيدها بخبري وقالت لابد ان يكون هذا من اولاد الملوك قال فتقدم عليها (٤) بحبسي عن المضي مع الصناع فحبستني وانصرف الصناع فجاءني بالدهن والعروق لاغتسل بهما وهذه مقدمة اكرامهم وسنة لاعظامهم فتغسلت بذلك فجاءوني بالارز والسمك فطعمت فعرضت المرأة نفسها علي التزويج فعقدت عليها ودخلت بها من ليلتي واقمت معها اربع سنين أربا حالها وكانت لها نعمة فانا يوماً جالس على باب دارها فاذا انا برجل من بلدي فاستدعيته فجاءني

«١» لعله على العرض. «٢» لعله كلما. «٣» م ع. لعل الاصل خطأ مني وسبب لسفك دمي او خطر علي. «٤» لعله تقدم اليها اي امرها.

فقلت له من اين انت؟ قال انا من بلد كذا وكذا وذكر بلدي فقلت ماتصنع ها هنا فقال كان فينا ملك حسن السيرة فمات ووثب على ملكه رجل ليس من اهل بيت الملك وكان للملك الاول ابن يصلح للملك فخاف على نفسه فهرب وان المتغلب اساء عشرة رعيته فوثبوا عليه فقتلوه وانبثثنا في البلدان نطلب ابن ذلك المتوفي لنجلسه مكان ابيه فما نعرف له خبراً قال فقلت له : تعرفني؟ قال لا فقلت انا طلبتكم قال واعطيته العلامات فعلم صحة ماقلت له فكفّر لي قلت اكتم امرنا الى ان ندخل الى الناحية فقال افعل قال فدخلت الى المرأة واخبرتها بالخبر وحدثتها بالصورة وبامري كله واعطيتها الصدرة وقلت فيها كذا ومن حالها كذا وانا ماض مع الرجل فان كان ماذكره صحيحاً فالعلامة ان يجيئك رسولي فيذكرك الصدرة فانهضي معه وان كانت مكيدة كانت الصدرة لك قال ومضى مع الرجل وكان الامر صحيحاً فلما قرب من البلد استقبلوه بالتكفير واجلسوه في الملك وانفذ الى الزوجة من حملها وجاءت فحين اجتمع شمله واستقام ملكه امر فبنيت له دار عظيمة وامر ان لايجتاز في عمله مجتاز الا حمل اليها ويضاف ثلاثة ايام ويزود لثلاثة ايام اخر وكان يفعل ذلك وهو يراعي الرجل الذي استصحبه في سفره ويقدر ان يقع في يده واراد ان يبني الدار شكراً لله تعالى على الخلاص مما كان فيه وان يكافي الناس المؤونة التي كانت لحقته (فلما كان) بعد حول استعرض الناس قال وقد كان يستعرضهم كل شهر فلا يرى الرجل فيصرفهم فلما كان ذلك اليوم رأى الرجل بينهم فحين وقعت

عليه عينه اعطاه ورقة تانبول (١) وهذه علامة غاية الاكرام ونهاية رتبة الاعظام اذا فعله الملك بانسان من رعيته . قال فحين فعل الملك بالرجل ذلك كفر له وقبل الارض فامره الملك بالنهوض ونظر اليه فاذا هو ليس يعرف الملك فامر بتغيير حاله واحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال له اتعرفني قال وكيف لا اعرف الملك وهو من حاله وعظم شانه وعلو سلطانه (بحيث هو) قال لم ارد هذا أتعرفني من قبل هذه الحال قال لا قال فاذكره الملك الحديث والقصة في منعه الطعام سبعة ايام في السفر قال فبهت الرجل وقال ردوه الى الدار ونسوه (٢) وزاد في اكرامه وحضر الطعام فاطعم الرجل فلما اراد النوم قال الملك لامرأته امضي فغمزيه (٣) حتى ينام قال فجاءت المرأة ولم تزل تغمزه الى ان نام فجاءت الى الملك وقالت قد نام فقال ليس هذا نوما حركوه فانه ميت (٤) قال فقالت له المرأة ايش هذا قال فساق اليها حديثه معه وقال وقع في يدي فتناهيت في اكرامه والهند لهم كبود عظام وتوهمهم هو المعروف المتعالم عنهم فدخل عليه حسرة عظيمة اذ لم يحسن الي ذلك الوقت فقتلته الحسرة وقد كنت أتوقع موته قبل هذا مما تتوهمه واستشعره من العلة في نفسه والحسرة والاسف فقتلته

« للبحث صلة »

«١» م.ع.التانبول يقال له التامول وهو نبت طيب الريح ينبت نبات اللوبياء طعمه طعم القرنفل يمضغ فيطيب النكهة . «٢» م . ع الظاهر وآنسوه «٣» م.ع الصواب فاغمزيه «٤» في الفرج : فحركوه واذا هو ميت

رسالة الكرم

— ٣ —

ويقال أفصد الشجر وانفصد : انشقت عيون ورقه وبدت أطرافه ·

وفي اللسان السَفير ماسقط من ورق الشجر وتحاتّ وما سقط من ورق العشب ·

وقال الخطيب : ويقال قد حبب عقد قضبانه في مطلع العناقيد فاذا استدار قيل فلك فاذا طلع قيل نجم ثم يقال قد اورق واعنم ·

« ورق الكرم وتوريقه »

الورق[1] من الشجر كل ما تبسط تبسطاً وكانت له عَيْر[2] في وسطه تنتشر عنه حاشيتاه · واحدته ورقة والجمع اوراق ·

أورق الشجر ايراقاً وورق يرق كوعد يعد وورق توريقاً خرج ورقه وقال ابو حنيفة ظهر ورقه تاماً واورق بالألف اكثر ·

وفي اللسان · ورقت الشجرة توريقاً وأورقت ايراقاً أخرجت ورقها واورق اي خرج ورقه · والوِراق بالكسر ككتاب · الوقت الذي يورق فيه الشجر · والوَراق بالفتح كسحاب خضرة الارض من الحشيش وليس من الورق اي ورق الارض · وقال ابو حنيفة هو ان تطرد الخضرة لعينك قال أوس بن حجر وقيل ابن زهير يصف جيشاً بالكثرة :

كأن جيادهن برعن زُمّ ... جراد قد اطاع له الوَراق

وشجرة وارقة وورِيقة وورقة[3] كثيرة الورق او خضراء حسنة الورق · و يقال ورَقت الشجرة ورقاً · ألقت ورقها · وورَق الشجرة يرِقُها وَرْقاً أخذ ورقها فهي مورقة · وفرع وريق كثير الورق ·

ويقال في القوس ورقة اي عيب وهو مخرج الغصن اذا كان خفياً فاذا زادت فهي الأبنة فاذازادت فهي السخبة هكذا في التاج وفي اللسان فهي السحسه هكذا بغير نقط ولم نجد للسخبة معنىً ملائماً ولعلها محرفة عن الشجنة وهي الشعبة من كل شيء · وفي المخصص فان

(١) في اللسان الرِقّ ورق الشجر · (٢) عير الورقة الخط الناتئ في وسطها كأنه جُدَيّر وكل ناتئ في وسط مستوٍ فهو «عير» · (٣) على النسب لانه لا فعل له ·

كانت اخفى من الأبنة فهي أُرْفة . وفي التاج الأرفة العقدة .

الخاْب . ورق الكرم العريض ونحوه وهو بكسر الخاء على ماتقتضيه عبارة القاموس والتاج وقد ضبط بالشكل بضم الخاء في عبارة اللسان والمخصص . ومبادي اللغة للاسكافي وضبط بالشكل في اللسان في مادة (غلفق) بضم الخاء وتشديد اللام .

الغلفق كجعفر ورق الكرم مادام على شجره .

الجَفْنة ورق الكرم عن ابن سيده .

الغار ورق الكرم و به فسر بعضهم قول الاخطل :

آلت الى النصف من كلفاء أتأقها[1] علج ولثمها بالجفن والغار

ويقال أغلى الكرمَ خفف من ورقه ليجود و يرتفع . وكل ماارتفع فقد غلا وتغالى .

والقَمْل ان يخت عنب الكرم فيخففوا من ورقه فيلتقطوه وفي المخصص القمل ان يُخَفَّف حمل الكرم .

« قضبان الكرم »

القضيب . الغصن . وكل نبت من الاغصان يقضب والجمع قُضُب وقُضْب وقُضبان و قضبان الأخيرة اسم للجمع .

اليَسْرُوع بالفتح و بكسر قضيب الكرم الغض لسنته والجمع سُرُوع وهي تسرُع سرُوعاً ومن سوارع والواحدة سارعة . وفي المخصص وهي السوارع ما دامت عيونها تقودها وفي التهذيب والسرْع اسم القضيب من ذلك خاصة .

السَرَعْرَع . القضيب مادام رطباً غضاً طرياً لسنته والانثى سَرَعْرَعة . قال في اللسان : وكل قضيب رطب سَرْع وسرعرع .

والأساريع شكر تخرج في اصل الحبلة . والأساريع[2] التي يتعلق بها العنب

---

(١) هكذا رواه صاحبا اللسان والتاج ولم نجد معنى لاثاف ولا ذكرا فيها ولعلها أتاقها اي ملأها من قولهم أتأقت السقاء اي ملأته . والكلفاء الخمر سميت بذلك للونها وهي التي تشتد حمرتها حتى تضرب الى السواد

(٢) هكذا في اللسان وفي التاج وهي التي يتعلق الخ . وفي الأصمعي والذي يتعلق به العنب

وربما أكلت وهي رطبة حامضة . الواحد أُسْرُوع .

السَّرْغ . قضيب الكرم الرطب جمعه سُرُوغ قال الازهري والسرغ بالغين المعجمة لغة في السرع بمعنى القضيب الرطب . وسَرِغ الرجل كفرح اذا أكل القطوف من العنب باصولها . ورواه الليث بالعين المهملة .

النَّغْض قضبان الكرم بعدما ينفر ورقه وقبل ان تتعلق حوالقه(١) وهو أغض مايكون وارخصه وقد انتفض الكرم عند ذلك . واحدته نَفْضة . ونَفَضُ الشجرة حين تنتفض ثمرتها .

والنَّفَض ماتساقط من غير نَفْض في اصول الشجر من انواع الثمر . وفي اللسان والنَّفَض اغض مايكون من قضبان الكرم .

وفيه ايضاً والنَّفَض بالتحريك ماتساقط من الورق والثمر وهو فَعَل بمعنى مفعول . والنُّفاضة والنُّفاض بالضم (٢) ماسقط من الشيء اذا نفضته اي حركته . والمِنْفض وعاء ينفض فيه الثمر .

والنِفاض بساط يحت عليه ورق الثمر وغيره وذلك ان يبسط له ثوب ثم يخبط بالعصا فذلك الثوب نفاض والجمع نفض بضمتين وما انتفض عليه من الورق يقال له نِفاض وانفوضة والجمع انافيض . الزمخشري الانافيض ماتساقط من الثمر في اصول الشجر .

العُسْلُج والعُسْلوج مالان واخضر من قضبان الشجر والكرم اول ماينبت و يقال العساليج عروق الشجر وهي نجومها التي تنجم من سنتها . ابن سيده : العُسْلُج والعُسْلوج والعِسْلاج الغصن لسنته وقيل هو كل قضيب حديث وقيل العسلاج الغصن اذا يبس وذهبت طراوته . وعسلجت الشجرة اخرجت العسلوج .

الناميه من الكرم القضيب الذي عليه العناقيد . وقيل هو عين الكرم الذي يتشقق

بالشجر يسمى الاساريع . واساريع العنب شكر تخرج في اصل الحبلة وربما اكلت رطبة حامضة . وفي المخصص الاساريع معاليق العنب في الكرم وربما اكلت الخ .

(١) في مبادي اللغة خوالقه والصواب ماذكرنا .

(٢) في التاج ان النفاض يجوز فيه الكسر .

عن ورقه وحبه وقد أنمى الكرم . قال المفضل يقال للكرمة انها لكثيرة النوامي وهي الاغصان واحدتها نامية واذا كانت الكرمة كثيرة النوامي فهي عاطبة (١) . الأصمعي فاذا صارت لها قضبان قيل انمى . ويقال ما احسن نواميه . وقال الحجنة والنامية شعب الشكير . وفي المخصص اذا نبت الشكير ثم شعب فتلك الشعب النوامي . وانمى الكرم صار له قضبان .

ويقال استظل الكرم اذا التفت نواميه ونظلل مثله .

الحَالِق من الكرم ونحوه ماالتوى منه وتعلق بالقضبان . وفي المخصص ويقال لخيوطه الكرم التي تتعلق بها من الشجر الحالق وكذلك الحالق وفي اللسان والحالق والحاليق ماتعلق بالقضبان من تعاريش الكرم . قال الازهري كل ذلك مأخوذ من استدارته كالحلقة (٢)

الإِطار ككتاب : قضبان الكرم تلوى للتعريش .

العَقْش (٣) : أطراف قضبان الكرم .

العنَم : محركة خيوط يتعلق بها الكرم في تعاريشه واحدتها عنمة محركة .

العَرْدم والعِرْدام : العذق الذي فيه الشماريخ واصله في النخلة كذا في اللسان . وفي التاج العود الذي فيه الشماريخ نقله الجوهري عن ابي عبيد .

الأُظفور بالضم : الدقيق الذي يلتوي على قضيب الكرم . وقال ابو حيان جمع خيوط تلتوي على قضبان الكرم .

العرجون : اصل عود العنقود وهو من العنب عرجون صغير وفي المخصص ويقال لاصل عود العنقود العرجون كما يقال في الكباسة .

---

(١) هكذا رواية اللسان والتاج وهي خطأ والصواب غاطبة من قولهم غطت الشجرة اذا طالت أغصانها وانبسطت على الارض فألبست ما حولها .

(٢) والحَالِق شجر ينبت نبات الكرم ويرتقي في الشجر وله ورق شبيه بورق العنب حامض يطبخ به اللحم وله عناقيد صغار كعناقيد العنب البري الذي يخضر ثم يسود فيكون مراً ويؤخذ ورقه ويطبخ ويجعل ماؤه في العصفر فيكون أجود له من حب الرمان واحدته حالقة . (٣) وفي التاج والقمش والعقش أطراف الخ .

العرجود كزنبور اصل العذق من التمر والعنب حتى يقطفا . الاصمعي العرجود اصل العذق وهو الاهان . وهو من العنب عرجود صغير فلا يزال عرجوداً حتى يقطع عنبه وفي اللسان والعرجود العرجون وهو من العنب عرجون صغير قال ابن الاعرابي هو العُرجُدُ والعُرْجُدُ والعرجود لعرجون النخل .

الإهان عرجون الثمرة والجمع آهِنَة وأُهُن وعن الليث هو العرجون يعني مافوق الشماريخ و يجمع أهُناً والعدد ثلاثة آهنة . وفي اللسان العُرْهون والعرجون والعُرْجُد كله الاهان .

الحجَن : القضبان القصار التي فيها العنب واحدتها حَجَنَة .

العِطفة بالكسر : أطراف الكرم المتعلقة منه . والعطفة بالكسر والفتح شجرة تتعلق الحبلة بها ويقال لها العَصْبة والعَصَبة محركة و بالضم والجمع عَصْب وعَصَب وعُصَب وهي اللبلاب .

وقال الأصمعي وتلك التي تعلق بها الحبلة بالشجر تسمى العِطْفة وقال ونحن نسميها عَطَفة ونقل في اللسان عن النضر انها عَطَف واحدتها عَطَفة .

وفي المخصص ويقال لخيوطة الكرم التي تتعلق بها من الشجر الحالق صاحب العين وكذلك الحالق . ابوحنيفة والعِطْفة مثله وهو كذلك من كل ماأشبه الكرم .

الرُّعْل : الأطراف الغضة من الكرم الواحدة رُعْلة وقد رعّل الكرم .

الغصن : ماتشعب عن ساق الشجرة دقاقها وغلاظها والجمع أغصان وغصون وغصَنَة والغُصْنة الشعبة الصغيرة منه وجمعها غُصَن . وغصَن الغصن يَغْصِنه قطعه وأخذه .

وفي اللسان القَطيع الغصن تقطعه من الشجرة والجمع أقطِعة وقُطُع وقُطُعات وأقاطيع كحديث وأحاديث والقِطْع من الشجر كالقطيع والجمع أقطاع . وأقطعته قضباناً من الكرم اي اذنت له في قطعها .

الشعبة : الغصن ومن الشجر مانفرق من أغصانها والجمع شُعَب . وشعب الغصن أطرافه . وقيل مابين كل غصنين شعبة والشعبة الطائفة من الشيء ويقال شعب من العنقود شعبة اي قطعها منه . وفي يده شعبة من مال اي قطعة وطائفة منه .

ويقال أغلى الكرمُ . اذا التف ورقه وكثرت نواميه وطالت وفي المخصص واذا التف

م : ٨

ورق الكرم وكثرت نواميه وطالت قالوا قد أغلي وغلا واغلولى وأغطى وغطى وكذلك غيره من الشجر والنبات . وفي اللسان غطت الشجرة وأغطت طالت أغصانها وانبسطت على الارض فألبست ماحولها وقوله أنشده ابن قتيبة .

ومن تعاجيب[1] خلق الله غاطية يعصر منهـا ملاحي وغربيب

انما عني به الدالية لسموها وبسوقهـا وانتشارها والباسها . المفضل يقال للكرمة الكثيرة النوامي غاطية .

عقان الكرم والنخيل ما يخرج من اصولها واذا لم تقطع العقـان فسدت الاصول وقد أعقت النخلة والكرمة أخرجت عقانها .

القذرد كزبرج الغثاء اليابس في اصل الكرم . وفي قعر العين .

« للبحث صلة » عضو المجمع العلمي

سليم الجندي

(١) التعاجيب العجائب لا واحد لها من لفظها .

آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع
« من كتاب نهاية الأرب »
— ٣ —

(٢٥) — وجاء في ص ٢٢٥ س ١٤ من كلام عمر ايضاً الى علي رضي الله عنهما (فتود لو ان سقيت بالكأس التي أبيتها ورددت الى حالتك التي استغويتها) الخ . يقول الاستاذ : (انه لامعنى للاستغواء هنا) ونقول : ان المعنى ظاهر لاخفاء فيه فان عمر يريد بهذا الكلام ان يقول لعلي رضي الله عنهما : اذا صار الامر اليك وتبينت الطمع من أتباعك والغش في النصيحة من بطانتك ندمت على مخالفتك لابي بكر وتمنيت ان لو رجعت الى الحالة التي استغويتها اي التي كنت تعدها قبل ذلك ضلالاً وغياً وهي الدخول فيما دخل فيه المسلمون من بيعة ابي بكر ، هذا ما فهمناه من كلام عمر رضي الله تعالى عنه ومن قوله : « استغويتها » وإذن فلا موجب لتغييره برواية أخرى من الروايات .

(٢٦) — وجاء في ص ٢٤٠ س ١١ من كلام لأحنف بن قيس لعمر رضي الله تعالى عنهما حين وفد عليه في وفد العراق : (فان كل امرئ انما يجمع في وعائه الاالأقل ممن عسى ان تقتحمه الأعين فلا يوفد اليك) الخ . يريد بهذه العبارة ان كل امرئ انما يدخر لنفسه ويجمع المال في خزائنه لخاصته الاالأقل ، اي الاالأصغر في المكانة والمنزلة من الذين تقتحمهم الأعين اي تحتقرهم لصغرشأنهم فلا يوفدون اليك لترفع مايثقلهم من المظالم وتجبر بالاحسان اليهم مالحقهم من فقر وخصاصة . هذا مافهمناه من كلام الأحنف ويرى الأستاذ ان « الا » في قوله : « الا الأقل » زائدة يجب إسقاطها وجعل العبارة انما يجمع وعائه الأقل وقد ظهر مما بيناه ان لهذه الكلمة فائدة في الجملة بل لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢٧) — وجاء في ص ٢٤١ س٣ من كلام أم الخير لمعاوية حين سألها عن خطبتها في جيش علي بن ابي طالب يوم صفين قالت لم اكن والله زورته قبل ولا روبته بعد وانما

كانت كلمات تنثهن لساني حين الصدمة) الخ · يقال : زوّر الخطبة اذا هيأها في نفسه قبل إلقائها وتريد بقولها : (ولا رويته بعد) انهـا لم تحفظ هذا الكلام بعد الانتهاء منه وهذا هو الجواب الذي يطابق سؤال معاوية حين قال لها : (كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر) ويقول الاستاذ ان الاصوب ان تضبط الواو بالتشديد في قولها «روّيته» - وذلك لان الاستاذ يرى ان قولها (ولا رويته) ليس من الرواية وهي الحفظ وانما هو من قولهم روّأ نه مهموزاً يقال : (روّأ في الامر وروّى فيه بتشديد الواو اذا نظر فيه وتأمل ومنه الروية) الخ · ونقول : انه يمنع من حمل الكلام على هذا المعنى قولها : (بعد) فان البعدية تقتضي حمل قولها : « ولا رويته » على معنى الرواية ، اي الحفظ واما التروّي في الكلام انما يكون قبله لا بعده على ان قولها فيما سبق : « لم أكن زوّرته » كاف في هذا المعنى فلا موجب إذن لتكرير المعنى بالعبارة الثانية وإذن فلا مندوحة من حمل قولها : « رويته » على معنى الرواية ·

(٢٨) — وجاء في ص ٢٥٤ س ٣ : (فما الذي يبرد غليلك و يشفي إجاج صدرك) اه وقد كتبنا على كلمة (إجاج) في حاشية الكتاب انه جمع إجة بمعنى شدة الحر وتوهجه اه · و يقول الاستاذ اعتراضاً على هذا التفسير (ان استعمالها مجازاً في معنى حرارة الصدر غيظاً قليل الورود في كلام البلغاء ، واستدل على ذلك بان الزمخشري في أساس البلاغة لم يشر اليه) اه · ونقول : ان الزمخشري لم يحط في كتابه اساس البلاغة بجميع الألفاظ المجازية المستعملة في كلام العرب بل نقول : ان أمهات اللغة لم تحط بذلك · و يدل على ذلك ايضاً قول الزمخشري عند ذكر المجازات في كل مادة (ومن المجاز) بمن التي تدل على التبعيض وان ما يذكره انما هو بعض المجازات لا كلها على ان علماء الوضع قد ذكروا في كتبهم ان الفاظ المجاز موضوعة بالوضع النوعي وهو الوضع العام وليست موضوعة بالوضع الشخصي وهو الوضع الخاص اي وضع كل كلمة على حدتهـا للمعنى المجـازي الا على رأي القليل منهم ·

(٢٩) — وجاء في ص ٢٦٠ س ٥ : (من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على انسان) الخ · يقول الاستاذ : صوابه بانسان ، لان (أوصى) يتعدى بالباء لا بعلى) اه · ونقول : ان هذا الخاطر قد عرض لنا عند تصحيحنا لهذه العبارة غير اننا

وجدنا انه من المستبعد جداً ان يغلط الناسخ في الباء فيحرفها الى قوله : (على) للفرق البعيد بين الكلمتين وإذن نقول (على انسان) من كلام المؤلف لا من غلط الناسخ وهذا التعبير شائع في كلام المتأخرين فيقولون (أوصيت عليه) ولهذا التعبير وجه حسن لا تنكره اللغة فانهم يريدون أوصيت عليه بكذا فتعدي أوصى محذوف للعلم به ولفظ (على) في هذه العبارة معناه التعليل ، اي أوصيت لاجله وليس للتعدية كما فهم الاستاذ ومنه قول احد الشعراء في خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني :

رجوت ابا صالح للندا   فلم يغن عني رجائي بشي
ولم استفد بعد طول الرجا   سوى وعده ان سيوصي علي

والحق انه كان ينبغي ان ننبه الى ذلك في حاشية الكتاب كما نبهنا الى غيره .

(٣٠) = وجاء في صفحة ٢٦٦ س ١٠ من كلام ابن العميد : (في ظل ظليل ونسيم عليل وريح بليل وهواء نديّ) الخ . قال الاستاذ لعل صوابه (وهواء عذي) بالعين المهملة والذال المعجمة والياء المخففة وتشدد اي طيب . وقال : واكثر استعماله في المكان يقال (ارض عذية كما نقول نحن طيبة المناخ) اه . ونقول ان وصف الهواء بانه نديّ بتشديد الياء أقرب الى أسلوب ابن العميد وأشباهه من الكتّاب واكثر ملاءمة لسياق الرسالة لسهولة لفظها وقرب معناها وانسجامها مع بقية ألفاظ هذه الرسالة وانها مألوفة في الاستعمال ووصف الهواء بها بخلاف كلمة (عذي) فانه لفظ غريب لم يعهد استعماله في رسائل الكتّاب امثال ابن العميد كما انه لم يعرف ان احداً وصف الهواء به .

(٣١) = وجاء في صفحة ٢٦٧ س ١٣ من كلام الصاحب ابن عباد يمدح شخصاً : (أم من يرغب عن مكاثرة بمن ينسب الربيع الى خلقه) اه . وقد استصوب الاستاذ حذف الباء من قوله (بمن) وقال (ان فعل كاثر يتعدى بنفسه) فصواب العبارة إذن (عن مكاثرة من) الخ ماقال . ونقول ان معنى المكاثرة هنا المغالبة والمفاخرة بالكثرة ولا ينبغي حملها على غير هذا المعنى في مثل هذا التركيب الا على ضرب من التكلف البعيد ولا مراء بان المكاثرة بهذا المعنى تتعدى الى المفعول بنفسها لا بالباء غير ان الباء في هذه العبارة ليست للتعدية كما فهم الاستاذ ولكنها للظرفية على حد معناها في قولهم (فاخر فلان

فلاناً بعلمه) وطاوله بمجده ، اي في علمه وفي مجده مثلاً وإذن فمفعول المكاثرة محذوف للعلم به ، والاصل عن مكاثرة المنافسين بمن ينسب الخ فلو حذفت الباء وجعلت (من) في موضع المفعول لكان الكلام ذمّاً لا مدحاً كأن الكاتب يريد ان يفاخر المكتوب اليه ويغالبه كما هو ظاهر مع انه يريد ان يقول : من ذا الذي لا يودّ ان يكاثر خصومه ويفاخرهم بصحبة شخص تنسب نضارة الربيع ومحاسنه الى محاسن خلاله وطيب شيمه ، كأن الكاتب يقول ان هذا الممدوح وان كان واحداً في نفسه الا انه كثير في نفعه وغنائه حتى ان من صاحبه اذا كاثر الخصوم بصحبته غلبهم في الكثرة وإذن فلا مندوحة من اثبات الباء في قوله (بمن) الخ .

(٣٢) — وجاء في صفحة ٢٨٠ س٦ قوله في رسالة ابن زيدون (وأظهر وأضمر ، وابتدأ وأخبر ، واستفهم وأهمل وقيد ، وأرسل وأسند) اه . يقول الاستاذ : الصواب اسقاط لفظ (واستفهم) واحتج لذلك بطول السجعة به وان ذلك مخالف لاصول السجع اه . ونقول ان مجرد طول السجعة عما قبلها اوما بعدها لا يسوّغ لنا مجال اسقاط كلمة من الاصل فقد قدمنا ان اسقاط كلمة من الاصل امر خطير لا ينبغي للمصحح الامين ان يرتكبه الا عند الضرورة الشديدة كفساد المعنى بها ، او تأكد زيادتها في الجملة ، اوغيرذلك من الضرورات ولسنا نرى ان طول السجعة عن سابقتها اولاحقتها من الضرورات الموجبة لتقصيرها بحذف بعض كلماتها ما دام المعنى صحيحاً والغرض مستقيماً .

(٣٣) — وجاء في صفحة ٢٨١ س٩ (فكدت غير مكدم ونفخت في غير فحم) الخ . وقوله (في غير فحم) اي في غير نار فأطلق الفحم هنا وأراد النار اطلاقاً مجازياً لان النار تحل في الفحم وتشتعل به والقرينة هنا تعين ذلك وهذا كما يقال (عذبه بالتنور) اي بالنار التي فيه وإذن فلا مقتضى لتغيير كلمة (فحم) بـ (ضرم) كما رآه الاستاذ ونقله عن نسخته (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) ما دامت الرواية ظاهرة الصحة كما بينا ، ولا سيما اذا عرفنا ان البعد عظيم بين الكلمتين في رسم الحروف بحيث لا يمكننا ان نحكم بان احداهما محرفة عن الاخرى ، وليكن ما في سرح العيون رواية ثانية في العبارة اذ لا مانع من تعدد الروايات . واما قول الاستاذ (ان النفخ في الفحم لا يوري ناراً بخلاف النفخ في الضرم فهذا انما يصح اذا أريد بالفحم معناه الحقيقي قبل اشتعال النار

فيـه اما وقد ظهر انـ المراد به النار المشتعلة فيه كما تعينه القرينة فلا مجال لاحتجاج الاستاذ بما احتج به ٠

(٣٤) — وجاء في صفحة ٢٨٧ س٦ من كلام ابن زيدون ايضاً (وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت لقميصك عن بعض قوتك) اه ٠ قال الأستاذ (قوله : «لقميصك» يجب اسقاطها لعدم الحاجة اليها ولظهور حشوها وهي غير موجودة في سرح العيون المطبوع في المطبعة الميمنية) اه ٠ ونقول : قوله (لقميصك) يجب اثباتها لا اسقاطها لظهور فائدتها في الجملة ولعدم استقامة العبارة بدونها فان مراد ابن زيدون بهذا الكلام ان يتهكم بهذا الرجل الذي يخاطبه فهو يقول له : انك توفر من قوتك الذي به قوام حياتك ، وتتجافى عن بعضه لتحسن ملبسك بما توفره ، وتجمّل ثيابك بما تقتطعه من قوتك لتخدع الناس بجمال منظرك ، ولا يدرون ان تحت ذلك الحسن الظاهري الجوع والطوى وهذا نهاية في التهكم والسخرية ٠

(٣٥) = وجاء في ص ٢٨٨ س ١ من كلام ابن زيدون ايضاً : (وقلدك عمرو بالصمصامة) الخ ٠ يقول الاستاذ صوابه (وقلّدك عمرو الصمصامة) باسقاط الباء واحتج لذلك (بان فعل قلّد يتعدى بنفسه لا بالباء) اه ٠ واقول رأيت في عبارة بعض اللغويين مايفيد ان فعل قلد يتعدى بالباء كما يتعدى بنفسه فقد جاء في اللسان ج٤ ص٣٦٨ في تفسير حديث « قلدوا الخيل ولا تقلدوها الأوتار » ما نصه : (انما نهاهم عنها لانهم كانوا يعتقدون ان تقليد الخيل بالأوتار يدفع عنها العين والاذى) اه ٠ ففي هذه العبارة مايفيد ان تعدية (قلّد) بالباء جائزة فانه قال (بالأوتار) باثبات الباء ٠

(٣٦) — وجاء في ص٣١٨ س٦ من كلام ابي حفص عمر بن برد الاصغر الاندلسي يعاتب بعض اخوانه (فإما ان تبهرني بحجة فأتنصل عندك ، واما ان تفي بحقيقة فأستديم خلتك ، واما ان تأزم على يأسك فأقطع حبلي منك) اه ٠ فأنت ترى من هذه العبارة ان الكاتب قد خير صاحبه بين ثلاثة امور : اولها يقول له : اما ان تأتيني ببرهان على خطئي فاعتذر اليك ، وهذا معنى قوله (فاما ان تبهرني بحجة فأتنصّل عندك) ، ثانيها يقول له واما ان تكون وفياً بحق فأستديم إخاءك ، وهذا معنى قوله (واما ان تفي بحقيقة فأستديم خلتك) ، ثالثهـا يقول له (واما ان تأزم على يأسك) اي واما ان تواظب وتدأب على

اليأس الذي عندك وقطع الرجاء في مراجعة ما سلف من عهد الأخوة فأيأس انا منك وأقطع حبل المواصلة بيني وبينك ، وإذن فالتقسيم ظاهر مستقيم لا خفاء فيه ولا موجب لتغيير لفظ (بأسك) بكلمة (فأسك) بالفاء كما رآه الاستاذ ، واما قوله (ان هذا ليس من جنس كلام البلغاء) فاننا لم نتبين وجهاً لذلك مع استقامة المعنى وظهور الغرض .

مصححه

احمد الزين

تصحيح قصة

الحكاية التي نقلها الاستاذ الشيخ كامل الغزي عن لسان الامير أسامة بن منقذ التي تفيد اجتماعه بابي العلاء المعري وهو صبي في انطاكية وامتحانه لقوة ذاكرته — نسبتها الى الامير المومااليه ليست بصواب واعتراض الدكتور فيليب حتي (مجلة المجمع ج٥ ص ٣١٧) بان بينهما قرناً كاملاً والواحد منهما لم يعاصر الآخر هو في محله .

وقد ذكر القصة على الصواب المؤرخ الكبير ابن العديم في كتابه (الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري) الذي نشرته على نقص فيه في تاريخي الكبير (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج٤ ص٧٨) والقصة مذكورة في ص١٣٥ ونصها: وقفت على كتاب سيرة بعض الرؤساء بحلب وضعه الشريف ابو علي المظفر بن الفضل بن يحيى العلوي الاسحاقي الحسيني نزيل بغداد وهو من ولد الشريف ابي ابراهيم العلوي الحراني واصله من حلب وكان ابوه حاجب الباب ببغداد ورد هذا الشريف علينا حلب زائراً اهله بها فذكر فيه قال حدثني والدي رضي الله عنه وارضاه يرفعه الى ابن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب الخ .

وبعد ان ذكر القصة استبعد ان تكون واقعة في انطاكية لاسباب ذكرها (ثم قال) ويحتمل عندي ان يكون هذا بكفرطاب فقد كانت كفرطاب مشحونة باهل العلم وكان بها من يقرأ الادب ويشتغل به قبل ان يهاجمها الافرنج في سنة ثنتين وتسعين واربعمائة وكانت لابي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ في ايام ابي العلاء فلعله تصحف كفرطاب بانطاكية

وتصحيفها غير مستبعد فان كان كذلك فابن منقذ الحاكي لهذه الحكاية هو ابوالمتوج مقلد ابن نصر بن منقذ وابوه نصر وكفرطاب قريبة من معرة النعمان ويحتمل ان ذلك كان بحلب فان اباالعلاء دخل حلب وهو صبي واجتمع بمحمد بن عبدالله بن سعدالنحوي ورد عليه خطأه في شعر المتنبي على ماذكرناه في ذكر شيوخه الذين اخذ عنهم فيحتمل ان هذه الحكاية التي حكاها ابن منقذ كان بحلب وابو المتوج بن منقذ كان بحلب وله بها دار ومنزل وكان بها خزانة كتب في الشرفية التي بجامع حلب في موضع خزانة الكتب اليوم الخ ·

وابوالمتوج مقلد بن نصر له ترجمة في تاريخي في هذا الجزء (ص ١٨٠) نقلتها عن تاريخ ابن خلكان ووفاته سنة ٤٥٠ بحلب وحمل الى كفرطاب فتكون وفاته بعد وفاة ابي العلاء بسنة فاجتماعه به محقق ولعل الاستاذ الغزي علق ذلك من ذاكرته فكتب في المقالة أسامة بن منقذ بدل ابي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ فوقع بهذا الخطأ وجل من لا يسهو ·

عضو المجمع العلمي العربي
محمد راغب الطباخ

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »
— ٣ —

نظم الدرر في تناسب الآيات والسوَر — المشهور بمناسبات البقاعي : لبرهان الدين ابي اسحاق بن عمر البقاعي الدمشقي المولود سنة ٨٠٩ والمتوفى بدمشق في شهر رجب سنة ٨٨٥ · اوله الحمد لله الذي أنزل الكتاب متناسباً سوره وآياته ، متشابهاً فواصله وغاياته ·

قال صاحب كشف الظنون : وهو كتاب لم يسبقه اليه احد جمع فيه من أسرار القرآن ماتتحير فيه العقول وذكر في آخره انه فرغ منه في سابع شعبان سنة ٨٨٥ وكان ابتداؤه في شهر شعبان سنة ٨٦١ فمكث في تأليفه اربعاً وعشرين سنة ثم قال مؤلفه في تفسيره

هذا . اني بعدما توغلت فيه واستقامت لي مبانيه ووصلت الى قريب من نصفه فبالغ الفضلاء في وصفه بحسن سبكه وغزارة معانيه واحكام وصفه ، دب داء الحسد في جماعة اولي نكد ومكر فنصبوا من سهام الشرور والأباطيل وأنواع الزور ما كثر بسببه الوقائع وطال الامر في ذلك سنين وعم الكرب ، وصنفت بسبب ذلك كتابي (مصاعد النظر في الاشراف على مقاصد السوَر) ثم صنفت (الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة) وثبت الله تعالى ورزق الصبر والاناة حتى كمل هذا الكتاب اه منه نسخة كاملة في خمس مجلدات وفي المجلد الاول خط المؤلف أجازلكاتبه وناسخه خليل الذهبي المقري فرغ من نسخه سنة ٨٨٥ (رقم ١٣٩ — ١٤٥ التفسير) .

اللباب في علوم الكتاب — تأليف ابي حفص عمر بن عادل الحنبلي الدمشقي من علماء القرن التاسع الهجري : وهو تفسير جليل وطريقته فيه ان يقول عند ذكر الآية قوله تعالى كذا ، ثم يشرع في تفسير الآية مبيناً سبب النزول والنسخ واوجه الاعراب وغير ذلك ، وهو في ست مجلدات كبار كل مجلد نحو (١٠٠٠) صحيفة كتب سنة ١٠٦٥ هـ بخط نفيس (رقم ١٨ — ٢٣ التفسير) .

حسني الكسم



مطبوعات حديثة

المتنبي

« تأليف السيد شفيق جبري ص ٢١٠ طبع بمطبعة ابن زيدون في دمشق »
« سنة ١٣٤٩ — ١٩٣٠ »

عرف قراء هذه المجلة مبلغ الاجادة في كلام الاستاذ جبري على المتنبي بما نشر فيها من المحاضرات التي القاها في كلية الآداب بدمشق في السنة الدرسية المنصرمة . ووقعوا ولا شك في أسلوبه الدقيق وعنايته في التحقيق على شيء من التجدد الجميل مما لم يكد يجري به غير عدد قليل من أقلام الباحثين من المعاصرين في أدبنا العربي .

واستفاد محاضروه من مجالسه في الكلية اموراً في الأدب كان عنها الباحثون من القدماء بمعزل . هذا ان صح ان نحكم عليهم حكماً مسمطاً بالنظر الى جملة ماانتهى الينا من اسفارهم واخبارهم . وماهيأت الاجادة للاستاذ الباحث الا لمعاناته الادب الافرنسي كما عانى الأدب العربي فرأى بنفسه ماينقص هذا من صور البحث ليكون ادب العرب على سعته وجماله زائداً في الامتاع والافادة و يخرج عما يرميه به خصومه ممن تذوقوا الادب الافرنجي فقط من وصمه بانه ادب جامد لاروح فيه ولا حياة ، وأداة مختلة التركيب قلما ينتفع بها في التأثير بالعقول والمجتمعات . ولقد رأينا المؤلف في دروسه الطريقة التي جوّد القاءها ايضاً على أساليب البلغاء يأتي في تحليل شعر المتنبي اوشك معه ان لا يترك بعده خاطراً في النفس ، يصوره لتلاميذه في كل مظاهره تصوير شاعر ماهر . ولاعجب ان كان في كلامه على المتنبي شاعراً فهو شاعر محسن . والثوب لايلمح جودة نسجه غير النساج الحاذق . والمتنبي (مالئ الدنيا وشاغل الناس) كما قال فيه احد واصفيه لم يرزق شاعر من الحظوة مارزقه ، ولاخدم العلماء والادباء ديواناً من دواوين العرب بمثل ماخدم به ديوانه . ومن تمام حظ المتنبي الذي اثر في الناس بشعره منذ الف سنة ان يقوم اليوم من المعاصرين من ينظر في كلامه نظراً أوسع وأتم مما نظر فيه الأسلاف . وحبذا لو حذا الباحثون في تحليل حياة عظمائنا في الأدب والعلم هذه الطريقة التي لا يرضى الدارسين بعد اليوم غيرها .

م . ك

تأثيرات سياحة

« تأليف السيد موسى كريم طبعت في سان باولو في برازيل ص ٥٩٢ »

هذا وصف رحلة ارتحلها وطننا وصديقنا المؤلف من ٢٣ حزيران عام ١٩٢٧ الى ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ وصف فيها ما شاهده في البورتقال واسبانيا وفرنسا وسورية ولبنان وفلسطين ومصر وصفاً شفافاً جميلاً استعمل فيه الاستاذ حرية الفكر وبعد النظر ورمى الى أغراض وطنية شريفة ومنازع قومية يحمد عليها و يستغرب نقيضها من رجل باحث يعرف الغرب معرفة جيدة و يعرف الاثر الناتج من نزع التعصبات المذهبية والجنسية . وقد أهدى كتابه الى أم المدن المقدسة دمشق والى النهضة الوطنية في الشرق الخ فدل على تعلقه ببلاده وسروره فيها بعد غيبته عنها سنين طويلة بما شاهده من نهضتها الحديثة . وقد ذكر احاديث وقعت له مع رجالات الشام ومصر تكشف القناع عن محيا حقائق العصر وربما لا يرضى بعضهم عما أفضوا به اليه لان منهم من يعيش في تقية ممقوتة بل لا يعيش بغيرها . والكتاب يلذك باسلوبه تقرأوه كل الطبقات فتستفيد منه فوائد ممتعة وقد زينه بصور المشهورين من رجال العلم والسياسة في هذا الشرق القريب و برسوم معاهد أخرى في البلاد التي ساح فيها . فاستحق بعمله ثناء الآداب وخلد له بما كتب ذكراً عطراً أثبت فيه كيف يكون اثر التربية العالية في النفوس فينزع صاحبها يده من التقاليد الممقوتة و ينظر في العالم الى الحقائق المجردة .

م . ك

الجاحظ

« بقلم الاستاذ خليل مردم بك »

أنشأ الاستاذ خليل مردم بك رسالة وجيزة في الجاحظ تكلم فيها على شيء من حياة الجاحظ وصفته ومذهبه وأشار الى سعة علمه وجلالة قدره ولمح الى دعابته وفكاهته وحسن محاضرته ، وذكر كتبه المطبوعة و كتبه المخطوطة ، و بحث عن اتهامه في دينه ، وروى طائفة من شعره . وختم رسالته بالكلام على زمن الجاحظ وعلى عوامل نبوغه وعلى مواهبه وقيمة أدبه وأثره وأضاف الى هذا كله طائفة من منتخب كلام الجاحظ .

من خصائص البحث في عصرنا هذا ان الكاتب اذا تكلم على شاعر او على أديب او على عصر من عصورنا الأدبية لزمه ان يصوّر لنا نواحي هذا الشاعر او هذا الأديب او هذا العصر تصويراً متكاملاً حتى اذا وقع نظرنا على الصورة أخذ النظر جملة هذه النواحي ومن خصائص البحث ان يطبع الباحث هذه الصورة بطابعه الخاص واعني بالطابع الخاص ان تظهر على بحثه آثار فكره في الانفراد بالرأي والاستقلال بالتمييز ·

ومن يمن الطالع ان ادباءنا شعروا بهذا كله فنشطوا اليه فكان تجويدهم العمل على قدر مواهبهم واستعدادهم ·

والاستاذ خليل مردم بك حاول في رسالته ان تظهر على كلامه آثار البحث المناسب لروح هذا العصر وليس بضائرنا ونحن في بدء النهضة الأدبية ان نقصر بعض التقصير في مباحثنا الادبية وانما الشأن ان نشعر بخصائص البحث المطابق لاوضاع هذا العصر وقد شعرنا بذلك وهذا شيء ليس بقليل ·

نعم ليس بضائر الاستاذ خليل مردم بك ان تفوته نواحٍ كثيرة من نواحي الجاحظ فان الكلام على الجاحظ يستغرق كتاباً مطولاً فضلاً عن رسالة وجيزة ·

فليس بضائر الاستاذ ان يفوته الكلام على اساليب الجاحظ في تحقيقه العلمي والجاحظ عالم من العلماء سواء أكان علمه موافقاً لحقائق علم هذا العصر ام كان غير موافق فهو لا يختلف في تحقيقه العلمي عن اكابر علماء هذا العصر وفي مقدمتهم « باستور » فكانت أساليبه في التجريب والاختبار والتدقيق مطابقة لاساليبهم

وليس بضائره ان يفوته الكلام على طبائع تهكم الجاحظ فقد كان الجاحظ يتعمد في بعض الاحايين النادرة فكأنه كان يتعمد الإضحاك ·

وليس بضائره ان يفوته الاستقصاء في الكلام على أساليب الجاحظ في النقد الأدبي وعلى مذاهبه الأدبية وعلى خصائص لغته الأدبية والعلمية وعلى طبيعة الانقلاب الأدبي والانقلاب الفكري في عصره وعلى طبائع فلسفته التي جمعت بين معرفة السماع وعلم التجربة وطبائع مذهبه الديني فقد أشرك الجاحظ بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة ·

فقد فات الاستاذ خليل مردم بك الكلام على هذا كله فكأنه وضع رسالته لتلاميذه حتى يمهّد لهم السبيل الى الاستئناس بالدراسة الأدبية ·

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي العربي

تاريخ اللغات السامية

« تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية »

« وهو يقع في ٢٥٠ صفحة »

للجنة التأليف والترجمة والنشر المصرية فضل كبير في سبيل النهضة العلمية العربية بما تنشره من حين الى آخر من نفائس مطبوعاتها العلمية · وتاريخ اللغات السامية من أنفس ما اتحفت به العالم العربي · يحتوي على تاريخ موجز للغات السامية وهو الوحيد من نوعه · فقد سد المؤلف بكتابه هذا ثلمة عظيمة في نهضة اللغة العربية الحديثة فله الفضل العظيم ، اذ انه اول من وضع كتاباً بهذا الموضوع باللغة العربية · وقد الحق المؤلف في نهاية كتابه تعليقات العلامة الاستاذ ليتمان على هذا الكتاب ليتيسر للقارئ الاستفادة منها وهذه الملاحظات ثمينة جداً لمكانة هذا العالم في عالم المشرقيات · فقد نبه المؤلف الى مسائل عديدة ذات شأن · وقد لفت نظري بعض ملاحظات ربما لم ينتبه اليها العلامة ليتمان فوجدت ان انبه المؤلف اليها ليتلافاها في طبعة تالية · واعتمدت في تصحيح بعض الاعلام على مااصطلحنا عليه نحن معشر العرب في كتابتها او كما وردت في نسخة الكتاب المقدس العربية طبعة نيورك: وجاء في (ص٣) قال آل عيلم وعيلم وصوابها آل عيلام وعيلام (عز٢ : ٣١ ونح ٧ : ٣٤) · وجاء في صفحة ٢٠ قال سمارية صوابه السامرة (امل ١٦ : ٢٤) · وصفحة ٤٢ قال الحثية وكررها غير مرة والاظهر ان تكتب الحثية · وصفحة ٥٠ قال عش عصفور (كن) وصوابه وكن او وكنة · وصفحة ٥٦ قال الفريزي وصوابه الفرزي اوالفَرِزيون (تك ١٣ : ٧ و٣٤ : ٣٠) · وصفحة ٥٦ قال جبال وصوابه جبيل · وصفحة ٥٧ قال (أرواد) بنواحي اسكندرونة وصوابه بين طرابلس

واللاذقية . وصفحة ٥٧ قال عشترت والاظهر في كتابتها عشتاروت . وصفحة ٥٨ قال انباعل صوابه اتبعل (امل ١٦ : ٣١) . وفيها قال احاب صوابه اخاب (امل ١٦ : ٢٩) وصفحة ٦٣ قال نقش و يريد بها الكتابة المزبورة على الحجر والاصح ان يقال رقيم فهي اوفى بالمعنى . وصفحة ٦٧ قال (ان كتابة يحوملك ترجع الى القرن الخامس (ق٠م) . وهي من اقدم الكتابات الفينيقية التي اكتشفت في ارض كنعان) مع ان كتابة احيرام التي اكتشفت في جبيل في سنة ١٩٢٤ هي اقدم عهداً و يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر (ق٠م) . وصفحة ٨٤ (كتابة عبرية على ورق نقدي) مع ان هذا النوع من النقد غير معروف في ذاك العصر . وصفحة ٩٠ اسرة المكابيم وصوابه أسرة المكابيين . وصفحة ١٠٠ صادي ترجمتها شبكة الصيد وصوابه حربة الصيد . وصفحة ١١٦ بيت رحوب على ضفاف اليرموك والصواب هي جهات مرجعيون و بانياس . وصفحة ١٣٠ أهمل اسم الشهر في السطر ٢١ . وصفحة ١٤٥ قال (مدينة اودسا) والصواب ادسا لكي لايحصل التباس بينها وبين اودسا من سواحل البحر الاسود . وصفحة ١٥٩ قال (الملوله) والصواب معلولا ثم ان هنالك قريتين اخريين تتكلمان بالسريانية الى اليوم غير قرية معلوله وهما جبعدين و بخعة . وصفحة ١٧٨ قال سنة ١٠٦ وصوابه ١٠٥ . وصفحة ٢٠٦ قوله ان القصائد والأساليب الشعرية لم توضع على الورق بالمداد الا في نهاية القرن الاول وهذا قول مبالغ فيه لان المعروف ان معاوية لما جلب من اليمن عبيد بن شرية الجرهمي وسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم امر معاوية ان يدوّن ذلك فلو لم يكن التدوين موجوداً كيف كان يقول له ذلك . وورد في الصفحة ٢٢٣ قوله في بلاد الشام حيث لاملك عظيم ولامعاهد منجبة بعد ان انقضى العصر الاموي . فهذا القول ينفيه الواقع لان تاريخ انشاء المدارس في بلاد الشام يرجع الى أواخر النصف الاول من القرن الخامس . ايام انشأ بدمشق رشأ بن نظيف بن ماشاء الله ابوالحسن الدمشقي سنة ٤٤٤ مدرسته المعروفة بالرشائية اتخذها داراً للقرآن وكان الحسن بن عمار حاكم طرابلس للفاطميين والمتغلب عليها أقام في طرابلس دار حكمة اوشبه مدرسة جامعة على نحو دار الحكمة التي انشأها الحاكم بامرالله في مصر سنة ٤٠٠ وفضلاً عن مئات المدارس التي أنشئت فيمابعد . وورد في الصفحة ٢٢٤ قوله ان كلمات افرنجيسة وخاصة افرنسية

اندمجت باللهجة الشامية من عهد الحملة الصليبية مسألة فيها نظر لان اللغة الشائعة كانت في الحروب الصليبية هي الايطالية ولا اذكر كلمات شاعت منذ ذاك العهد · وورد في الصفحة ٢٣٤ قال الآلاه بكوس : الآه الخمور والمجون عند اليونان والصواب ان يقال الآله باخوس رب الخمور والمجون عند الرومان · اما عند اليونان فكان يدعى ديونيزوس · وورد في الصفحة ٢٣٥ ستزابو وفي الصفحة التالية استرابو وصوابه استربون ·

جعفر الحسني

هدايا كتب

أهدى الينا السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي أستاذ العربية في كلية عليكرة رسالة لطيفة الحجم والطبع ضمنها ماعثر عليه من قطع الشعر والقصائد من شعر المتنبيء وهي ليست موجودة في ديوانه المتداول بين الناس قال (وهي نيف واربعون قطعة او قصيدة) ·

وأهدت الينا مكتبة العرب بالفجالة في مصر لصاحبها الشيخ يوسف الشيخ توما البستاني الجزءين الاول والثاني من رواية (التائه في بيداء الحياة) وهي اجتماعية اخلاقية فلسفية ·

(الانطاكيات) مقالات في ضروب اجتماعية مختلفة كتبها الاديب بطرس كلش الانطاكي ثم جمعها في كتاب بلغت صفحاته ٣٠٧ على ورق جيد وحرف مشرق · وقد أهدى نسخة منها الى المجمع فنشكر له هديته ·

الجزء ١١ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ م الموافق جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٤٩ هـ

وليمة ابن واسانة

وصف المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي أحوال القرون الاسلامية الماضية وذكر مميزات كل قرن منها . وقال : ان القرن الرابع قد امتاز على بقية القرون بغلبة (خيالات الصوفية) عليه .

وقوله هذا مسلّم بالنسبة الى ماعدا قطرنا الشامي من مجموعة الأقطار الاسلامية . اما هو فأرى ان خيالات الصوفية لم تكن الغالبة عليه وانما الغالب عليه كان اللهو والطرب والتمتع بملذات الحياة على اختلاف ضروبها . ولتنوع أشكالها : فقد كان لسوريا في القرن الرابع حالة سياسية متقلقلة جعلت السوريين يستسلمون للقدر فيما يتعلق بامور الملك والسياسة . ومن طبع الاستسلام للقدر ان يولد في نفس صاحبه فتوراً عن الكد والعمل وميلاً الى الراحة في ظلال النعيم . والتفريج عن القلب باللهو والطرب . وضروب المسليات . ومن هنا يمكن التوفيق بين ماقلناه عن طبيعة القرن الرابع وبين ماقاله الكواكبي : فهو يقول ان خيالات الصوفية كانت الغالبة عليه وقلنا نحن ان الاستسلام للقدر ثم للهو هو الغالب على أهله . ولكن أليس هذا الاستسلام اثراً من آثار خيالات الصوفية ؟ أليست خيالات الصوفية التي تسربت الى أذهاننا من متصوفة الأعاجم هي التي زهدتنا في الملك والسياسة وسهلت علينا الخضوع للعناصر الأعجمية . وجعلتنا نستسلم للقدر . ونهيم بالسوالف

(١) محاضرة للاستاذ المغربي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق بتاريخ ٢ و٩ تشرين الثاني من سنة ١٩٢٨ م .

والطرر . ولهو بشرب الراح وعزف الوتر .

وهذا عمر الخيام الأعجمي ما الذي جمله يعيش معيشته الابيقورية لولا الخيالات الصوفية .

حالة سوريا في القرن الرابع

كانت سوريا كالزورق المستمسك بحبل الخلافة العباسية فلما ضعف شأن هذه الخلافة بتغلب آل بويه الأعاجم عليها في القرن الرابع للهجرة انقطع حبل السفينة فتاهت في عرض البحر . واذ ذاك اخذ أمراء مختلفو الجنسية يتجاذبون تلك السفينة من كل جانب : بعضهم يدعي ولايتها باسم خلافة بغداد العباسية وبعضهم باسم خلافة مصر الفاطمية . ولا تنسوا علوج الروم الذين كانوا في ذلك القرن يتواثبون على سوريا من ثغور آسيا الصغرى . ولا القرامطة بفرق الباطنية . ولا شراذم الأعراب التي كانت تعيث فساداً في الشامات فتروع آمنيها . وتقلق راحة ساكنيها . وقد اتصلت هذه الحالة المزعجة بزمن ابي العلاء المعري فوصفها وأشار الى ان عاطفة حب الوطن هي التي جعلته يألف الشام وحببت اليه الإقامة فيها . فقال مشيراً الى ما كانت تقاسيه البلاد من أذى الأعراب :

(ألفتُ بلاد الشام إلف ولادةٍ تلاقي بها سود الخطوب وحمرها)
(فطوراً نداري من سُبَيْعة ليثها وحيناً نصادي من ربيعة نمرها)

ويظهر ان ابا العلاء في آخر الامر ملَّ مداراة قبيلتي ربيعة وسبيعة ولم يعد يطيق الصبر على أذى ليثها ونمرها . فرحل عن الشام الى بغداد وقال يخاطب ناقته :

(اذا دنوتِ لشامٍ او مررتِ به فنكّبيه وراء الظهر او حيدي)
(قد غيّر الدهر منه كل مبتهج وأثّر السيف فيه بعد توحيد)

ثم عمّ الخطب بلاد الشام : فزحف عليها الصليبيون ونقصوها من أطرافها . واستولوا على معرة النعمان فرحل عنها ساكنوها يحملون معهم البؤس والشقاء . حتى قال قاضيها ابو المجد المعري واصفاً ما كابده في غربته . وما قاساه من بلادة غلامه (شميا) الذي كان في خدمته :

(زمان غاض اهلَ الفضل فيه فسقياً للذنوب به ورعيا)
(أسارى بين أتراك وروم وفقد أحبةٍ ورفاق شميا)

ولكن في ظل هذا الاضطراب السياسي والقلق الاجتماعي الذي استحوذ على بلاد الشام كانت تنمو العلوم والآداب ، وتزدهر فنون الحكمة والطب والفلك : فكان في ذلك العصر أكبر المؤلفين ، وأشهر الفلاسفة والشعراء والمتأدبين ، وقد غصت دور الكتب بالأسفار وآثار العلم الخالدة ، وناهيكم مكتبة آل عمار الشهيرة في طرابلس الشام .

وما أشبه حالة القرن الرابع بعد الاسلام بحالة عرب الجاهلية قبل الاسلام : فقد كانت عرب الجاهلية في أحط الدركات من الوجهة الاجتماعية وان شئت قلت السياسية ايضاً . لكنهم كانوا في مستوى راق من بلاغة القول والنبوغ في الشعر والحكم وضرب الأمثال .

وكما كانت ربوع العلم والعرفان زاهرة في بلاد الشام ، وكانت مجالس رؤسائها أشبه بنوادي أدب وشعر — كذلك كان شأن الحضارة وانفساح العمران وتوفر اسباب الترف والنعيم ورغد العيش .

هكذا كانت البيئة الشامية يومئذ .

ترى من جهة حكاماً أعاجم يسوسون البلاد بالظلم والقهر ، ومن جهة ثانية كنت ترى سوق العلم والأدب والشعر رائجة ، وقد مهّدت الحضارة امام الكافة طرق العيش الهني ، والحياة الرغدة .

بيئة هذا شأنها لابد ان يطرح اهلها عن عوائقهم عبء الاهتمام بالسياسة والشؤون العامة وان يقبلوا على اللهو والطرب ، والاصغاء الى أغزل الشعر وأفكهه ، وعدم التصوّن من سماع أمجن القول وأفحشه .

في مثل هذا الوسط كان يعيش عبدالله بن الحجاج وابن سكّرة والببغاء والحسين بن واسانة صاحب الوليمة ، وأضرابهم ممن كانوا يجتنون ثمار الملذات ، من بين اشواك الفتن والاضطرابات ، و يرشفون كؤوس المسرّات ، ولو تحت مشتجر القنا وظلال المشرفيات .

نرجع القهقرى في عصور التاريخ الى حوالي (سنة ٣٨٥هـ) لنتصور حالة دمشق نفسها : الأمر والنهي فيها يومئذ للعامة والأحداث [1] وجنود المغاربة ، اما الخاصة والأشراف فماذا يكون لهم من التأثير والنفوذ إزاء هذا الجيش المختلط المتذمر .

---

(١) وكأنهم يريدون بالأحداث ما نريده اليوم بكلمة قبضايات وفتوات .

نزور جامع دمشق . ونمر في أسواقها . ونغشى دور عظمائها . ومجالس علمائها . فلا نسمع الا همساً . والا قولهم تباً وتعساً .

نسمع هذا يقول :

ومتى ينظر المولى تعالى الى دمشق فينقذها من ظلم عمال الفاطميين ؟ ها إننا لم نكن نجو من (منجوتكين) و (ابن تميم) حتى جاءنا هذا الجبار (ابن الصمصامة) . حقاً ان ظلم هؤلاء هو الذي جعل بني حمدان امراء حلب يستنجدون بباسيل (باسيليوس) ملك الروم .

فأجابه آخر :

وهل تظن ان الروم أشفق علينا . وأرحم بنا من امراء الفاطميين ؟ أنسيت ما فعله (البرجي) عامل الروم على انطاكية — باهل اللاذقية ؟ بل أنسيت ما كان من (باسيل) نفسه مذ جاء بلاد الشام على اثر استنجاد الحمدانية به . فنزل على أبواب حلب . فرحب به مراؤها آل حمدان . ثم سار الى حمص ففتحها وحاصر طرابلس الشام اكثر من اربعين يوماً ثم عاد الى القسطنطينية . اما والينا الفاطمي (ابو تميم) فلا أتم الله عليه نعمته : جاءنا بعد ان غدر بنا اخوه (علي) فواسانا . وطيب خواطرنا في اول الامر . ثم ظهرلنا من حاله ما لم يكن في الحسبان . وإن انسَ لا انسَ ذلك اليوم الذي جاء فيه الى جامع بني أمية يصلي الجمعة في ذلك الموكب الفخم . وقد ظهر على الناس بزيّ أهل الوقار . وبين يديه القرّاء والحجاب يفرّقون الدراهم على المساكين . وبعد ان صلى عاد الى قصره بظاهر دمشق وجعل ينظر في الظُلامات و يأمر باطلاق من في الحبوس . و بهذه الصورة استمال اليه قلوب العامة فأحبوه . ولكن ماعتّم ان انكشف امره . اذ تبين للناس انه مع سياسته وحسن ادارته كان مستهتَراً باللذات . فنقمت منه العامة والجنود . وهجموا عليه في قصره . ونهبوا خزائنه . وأوقعوا برجاله . وهرب هو فلم يوقف له على أثر . وسادت الفوضى في دمشق . وخلا الجوّ للأحداث والشطار ولرئيسهم (الدُهيقين) الذي تولى قيادتهم . وعرف كيف يستثمر شطارتهم . واستمر الهرج والمرج حتى جاءنا (ابن الصمصامة) مولّى من قبل الفاطمي صاحب مصر . فخاف زعيم الأحداث (الدهيقين) من (ابن الصمصامة) فتسلل هارباً الى مصر طالباً الأمان لنفسه .

ولم يكد صاحب الحديث يتم حديثه حتى ناداه آخر — ويظهر من لهجته انه من اهل الساحل — فقال :

ما أشبه دهيقينكم يااهل دمشق بعلاّقة امير اهل صور . وأظنكم لاتعلمون من امر علاّقتنا هذا شيئاً : هو رجل نوتي . عصى مع اهل صور مارقاً من طاعة ملك مصر . وضرب سكة باسمه وكتب عليها (عزّ بعد فاقة الامير علاّقة) . فأرسل اليه ملك مصر اسطولاً مشحوناً بالمقاتلة . فاستنجد الامير (علاّقة) بالروم كما استنجد بهم قبله الحمدانيون ملوك حلب . فأنفذ ملك الروم الى معونة علاّقة اسطولاً فالتقى الاسطولان ثم كانت الغلبة لمصر بين على الروم . وفي آخر الامر أمسك علاّقة . وعاد الى الذلّ والفاقة . وأرسل الى مصر فسلخ وصلب غير مأسوف عليه .

ثم قال الساحلي يخاطب اهل دمشق : كيف رأيتم : أليس ان دُهيقينكم كان أشد فطانةً من (علاّقة) صور مذ بادر الى مصر وطلب الامان لنفسه ؟

فقال احد الحاضرين : دعونا بالله عليكم من(علاقة) و (دهيقين) وفكّروا في حالتنا الحاضرة : فكّروا في (ابن الصمصامة) الذي عاد من مصر الينا . ونزل نزول البلاء علينا . استقبلناه وهنأنا بالدعاء له وأخلينا له قرية (بيت لهيا) في الغوطة ليكون مقامه فيها مع عسكره . فأظهر لنا في اول الامر العدل . وتخفيف الثقل . و بالغ في الحفاوة : فخلع على رؤساء الأحداث . وحملهم على الخيل والبغال . ووهب لهم الجواريّ والغلمان . وعين بعضهم له حجاباً . ثم لم يلبث ان قلب لهم ظهر المجن فأوقع بهم وزحف بعسكره من (بيت لهيا) على سور دمشق فثلمه . وسمح لجنوده المغاربة ان ينزلوا في منازلنا وجعل يطوف في دمشق للبطش والتنكيل والناس يلوذون به مستغيثين طالبين لرحمته . فكفّ عنهم واستدعى اليه أشراف دمشق فجاؤوه مطمئنين حتى اذا استراحوا اخرج رؤساء الأحداث الذين في سجنه فضرب أعناقهم والأشراف ينظرون اليهم . ثم صلب كل واحد في محلته . وجرّ دعسكراً الى المرج والغوطة وامرهم بوضع السيف في من بها من الأحداث . ثم عاد فقبض على الاشراف ونفاهم الى مصر وصادرهم في اموالهم ونعمهم . ووضع غرامة على اهل البلد بلغت خمسمائة الف دينار . اما الذين قتلوا في هذه الكارثة فقد بلغوا نحو ثلاثة آلاف نفس .

هكذا كانت نار الفتنة تضطرم في دمشق : رقاب تُضرب . وشبان تُصلب . واموال تُنهب . أشراف تُنفى وتغرَّب . وابن واسانة[١] منهمك في إعداد وليمة في قرية (جمرايا) لضيوف قادمين عليه من دمشق .

اليوم صحو . والهواء عليل . وغوطة وادي بردى كحسناء مستلقية في ذلك الوادي . قد نقعت قدميها في مياه النهر وأسندت رأسها المكلل باغصان الحور الى هضبة من هضاب الربوة . واستغرقت في نوم عميق لم يوقظها منه الا أشعة الشمس . وخرير المياه . وزقزقة العصافير . وإلاّ ضوضاء الضيوف المسرعين الى وليمة (ابن واسانة) .

فكنت ترى هؤلاء المدعوين يتراكضون على ظهور عتاق الخيل . وفُره البراذين : هذا يغني . وذاك ينشد الشعر . والآخر يطارح رفيقه النكتة . ولطيف المداعبة . يتخلل ذلك كله صهيل الضوامر . وأصوات وقع الحوافر . وعطعطة الخدم والاتباع . يتبادلون السباب . ويتنابزون حسب عادتهم بالألقاب .

وليمة (ابن واسانة) هذه في قرية (جمرايا) لها دويّ في أعماق كتب الأدب والتراجم : فقد دوّنها الثعالبي في اليتيمة (جزء ١ ص ٢٦٦) وخلد ذكرها ياقوت في معجم الادباء . وها هي قد مضى عليها زهاء الف سنة ومازالت رطبة في الافواه . حلوة الوقع على الاسماع .

إذن يلزمنا ان نعرف (١) من هو ابن واسانة ؟ (٢) اين هي قرية جمرايا ؟ (٣) كيف كانت هذه الوليمة ؟ (٤) ماهي حالة جمرايا اليوم ؟ .

ابن واسانة

هو ابو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني . و يظهر من هذا النسب ان (واسانة) اسم لاحدى جداته او أجداده فنسب اليها اواليه . وسماه (ياقوت) في معجم الادباء (ابن واسان) . وقال صاحب اليتيمة (جزء ١ ص ٢٦١) في ترجمته

(١) الحوادث التاريخية التي سردناها في هذه المحاضرة وقعت حوالى سنة ٣٨٥ هـ ولاريب ان وليمة (ابن واسانة) وقعت ايضاً في ذلك الزمن . لكن لانعلم في اي سنة كانت . اما وفاته هو ففي سنة ٣٩٤ هـ .

(هو اعجوبة الزمان ونادرته . وفريد عصره وباقعته . وهو احد الفضلاء . المجيدين في الهجاء . وكان في زمانه . كابن الرومي في أوانه) هذا ماقاله الثعالبي . ويستنتج من تضاعيف كلامه ومن قصيدة هجوية لابن واسانة هجا بها ابا الفضل يوسف بن علي — ان ابا الفضل هذا كان والياً على ديوان الخراج والضياع في دمشق وكان ابن واسانة كاتباً عنده وكان مَنْشّاً او (مَنَشّي) بن ابراهيم القزّاز اليهودي موظفاً في ديوان الخراج بل ربما كان رئيس كتّاب ذلك الديوان . فحمل الطيش ابن واسانة على نظم قصيدة في هجاء رئيسيه (ابي الفضل ومنشي) وكان هجوه غاية في الاقذاع والفحش . فما كان من ابي الفضل الا ان عزله فبقي من دون عمل طول عمره ثم مات (سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م) .

اما إفحاشه في شعره فربما فاق فيه رصيفه ومعاصره عبد الله بن الحجاج (٣٩١ هـ ١٠٠٠ م) فكان ابن الحجاج زعيم الهجائين في العراق . كما كان ابن واسانة زعيمهم في بلاد الشام .

وكان شعراء ذلك العصر الهجائون يخيفون الرؤساء وكبار رجال الدولة ويحملونهم على إكرامهم وتقليدهم الوظائف والاعمال . لا بالالتماس او ابراز شهادة بل بقوة التهديد والهجو وهتك الاستار عن قبيح الاسرار وهي الطريقة التي يسميها أدباء الافرنج شانتاج (Chantage) فالشاعر البسامي البغدادي المتوفى في زمن الخليفة المقتدر (٣٠٣ هـ ٩١٥ م) هدد رؤساء الدولة ان لم يولّوه عملاً فقال :

(قل للرؤوس ومن تُرجى نوافلهم ومن يُؤمل فيه النفع والعمل)
(ان تشغلوني باعمال أصيّرها شغلاً والا ففي أعراضكم شغل)

ابن واسانة دمشقي او حلبي ؟

في قصيدة (ابن واسانة) الآتية بيت من الشعر وصف نفسه فيه بانه (غريب ناء عن الاوطان) إذن هو غير دمشقي . وفي حلب حمام يسمى (حمام الواساني) فهل ابن واسانة حلبي ؟ جاء في كتاب (نهر الذهب في تاريخ حلب) مانصه : (الحمام الذي يعرف بالواساني ويقال له (الواسانو) قديم جداً : قال صاحب كنوز الذهب : في هذا الحمام جرن اسود يُذكر ان الخليل ابراهيم عليه السلام اغتسل منه ولم يزل هذا الامر مشهوراً حتى

الآن . وهو حمام مبارك يدخله الناس للتبرك بآثار الخليل عليه السلام و يحصل لهم الشفاء من أمراضهم خصوصاً النساء . ولم يزل يزعم من يستأجر الحمام ان الجرن موجود فيه حتى الآن والحمام من أوقاف الحاج موسى الاميري اه .

وكتب اليَّ بعض فضلاء حلب وقد سألته عن الواساني فقال :

« الواساني رجل له حمام بحلب ينسب اليه . والحمام موجود الى اليوم في سويقة حاتم وراء الجامع الكبير تابع لوقف الاميري ويسميه العامة (حمام الويسيني) بالإمالة . قال الرضيّ الحنبلي في كتابه (الزُبْد والضَرَب) الواساني هو الذي ينسب اليه الحمام بحلب واسمه الحسن وكان شاعراً هجاءً وان كانت العوام يعتقدونه اليوم من الاولياء وار باب المزارات اه .

ومن هذا يفهم ان باني الحمام في حلب هو ابن واسانة صاحب الوليمة في قرية جُمرايا بدليل ماوصفه به من انه كان شاعراً هجاءً . غير انه سماه الحسن وصوابه الحسين كما في يتيمة الدهر . فهل يصح لنا الحكم بانه حلبي ؟ كلا : فان الشبهة في نسبته الى حلب مازالت موجودة بدليل ان في كتاب (يتيمة الدهر) قصيدة هجوية لابن واسانة ومطلعها :

(ياساكني حلب العواصم جادها صوب الغمامة)

(انا في مدينتكم غريب لست من اهل الإقامة)

فالله يعلم اين كان مسقط رأس ابن واسانة قبل انه يسكن (حلب) و (دمشق) اولعله يريد بقوله (انا في مدينتكم غريب) انه كالغريب في عدم وجود اصدقاء له او في سهولة رحيله عنها فهو لايهاب من يهجوهم ولايخشى بطشهم على حد قولهم (لا نعاند من اذا هدّ رحل) فيكون حلبياً وأقام في دمشق طويلاً .

قرية جمرايا

هذه القرية من قرى دمشق وقد كان لها يوم أقيمت فيها وليمة ابن واسانة منذ الف سنة شأن عظيم . ثم انحطت في عمرانها حتى أصبحت مزرعة صغيرة واخذ اسمها (جمرايا) يتضاءل و يتلاشى من الالسنة شيئاً فشيئاً اللهم الا من ألسنة أكّاريها القليلين الخاملين . ومما زاد في غموض امرها وضياع اسمها ان جيمها كانت تُصحف في كتب الأدب واللغة :

في (اليتيمة) اسمها (حمرايا) بالحاء المهملة . وكذا في تاج العروس : فقد روى مؤلفه بيتي احمد بن منير هكذا :

(بالنيربين فمقرّى فالسريرِ فخمـ ـ رايا فجوّ حواشي جسر جسرين)
(فالقصر فالمرج فالميدان فالشرف الأعلى فسطرا فجرمانا فقلتين)

وذُكرت (جمرايا) في معجم الادباء باسم (خمرايا) بالخاء المعجمة . اما في (معجم البلدان) فذكرت مرتين مرة باسم (حمرايا) بالمهملة ومرة باسمها الصحيح (جُمرايا) بالجيم المعجمة وذلك بمناسبة الكلام على نهر بردى فقد قال : ان عيوناً تظهر على مقربة من الزبداني فتصب في قرية الفيجة وتنضم اليها عين أخرى . ثم يخرج الجميع الى قرية تعرف بجمرايا (وقد ضبطها بالشكل بضم الجيم) فيفترق الماء حينئذ فيصير اكثره في بردى ويحمل الباقي نهر يزيد » اهـ .

هكذا تصحف اسم هذه القرية وكادت هي نفسها تنطمس ايضاً حتى اني سألت الادباء المعمرين من اهل دمشق عنها فلم يعرفوها لا باسمها الحقيقي ولا باسمها المصحّف . وأجدر الناس بالحيرة هم أدباء دمشق وعلماؤها الذين كانوا يقرأون حكاية وليمة ابن واسانة في كتاب اليتيمة المطبوع في بلدهم ويتمنون لو يعرفون اين هي قرية جُمرايا التي أقيمت فيها الوليمة وكان أشدهم حيرةً المرحوم الشيخ طاهر الجزائري فقد مات وبقيت في قلبه حسرة من (جمرايا) كما مات الاصمعي وفي قلبه حسرة من (حتى) .

ولما طالعت (اليتيمة) في شهر مايس سنة ١٩٢٦ وقرأت وصف الوليمة الواسانية شاركت الاخوان في حيرتهم وأخذت أتساءل عن قرية (جمرايا) وأراجع عنها في المظانّ وكنت كلما أوغلت في المراجعة ارتطمت في الشبه والشكوك .

ثم اتفق في اثناء الحرب العامة ان الاستاذ الشيخ عبد القادر الخطيب احد خطباء الجامع الأموي ملك قطعة ارض في مزرعة (جمرايا) فعلم من اكّاريها ان اسم مزرعتهم (جمرايا) بالجيم وبالطبع كان اسمها كذلك في اوراق التمليك الرسمية التي بيده . وقد بنى الاستاذ ثمة داراً حسنة وجعل يحدّث اخوانه عن (جمرايا) وجمال موقعها وطيب هوائها . ويدعوهم الى زيارته وبهذه الصورة نشرت قرية (جمرايا) من مطمورة العدم وعادت

فولدت من جديد باسمها الحقيقي . ظهر ان محلها وادي بردى على قيد غلوة من قرية الهامة متنزه اهل دمشق المشهور .

وقال بعض الفضلاء « ان قرية جمرايا كانت موقوفة على احدى مدارس دمشق » وإذن لا بد ان يكون لها ذكر في كتاب (الدارس في المدارس) فلعلنا نظفر به ونحن نصحح هذا الكتاب اليوم ونعده للطبع والنشر .

وسمعت فاضلاً آخر يقول : ذكر ياقوت في معجم البلدان (ان قرية يقال لها جمرايا واقعة بين الهامة والأشرفية كانت قديماً مصيفاً لملوك دمشق) ولم أعثر على هذا النص في المعجم .

وليمة ابن واسانة

عرفنا ترجمة (ابن واسانة) وشيئاً عن قرية (جمرايا) بقي علينا ان نعرف ماهي الظروف التي جعلت ابن واسانة يقيم هذه الوليمة في جمرايا ؟ .

لم توصف هذه الوليمة نثراً في كتب الأدب وانما وصفها صاحبها ابن واسانة شعراً بقصيدة قالها فيها : والقصيدة نحو مائتي بيت ذكرها الثعالبي في (اليتيمة) ثم قال مانصه :

« قد أحسن في هذه القصيدة غاية الاحسان . وأبان فيها عن مغزاه احسن بيان . وتصرف فيها واطال . وامكنه القول فقال . واذا تخلص الشاعر عند الإطالة والوصف هذا التخلص . سلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا يدرك غوره . ولا يخاض بحره اه .

يمكننا ان نستخرج اسباب هذه الوليمة من القصيدة نفسها التي قيلت فيها : فقد كان يوجد في دمشق في ذلك العهد رجل من الاشراف يكنى (اباالقاسم) وله اخ اسمه (الفضل) ويظهر انهما كانا صديقين للشاعر ابن واسانة وانهما من أصحاب الجاه والظهور والخول والأتباع . فكلفا ابن واسانة ان يصنع لهما وليمة في قصره في قرية (جمرايا) وكان معهما جمع من الأصدقاء والأدباء . منهم رجل اسمه (الشمولي) ولعل الشمولي هذا هو (بدر الشمولي) الذي تقلد ولاية دمشق سنة ٣٦٣ ﻫ وان لم يكن هو فواحد من ذريته . وكان في جملة المدعوين (بنو ابي صفوان) ورجل اسمه (ابن المبشر) وصديقان لابن واسانة لم يصرح باسمها : احدهما أديب والآخر كاتب . ويفهم من القصيدة ايضاً ان لابن واسانة ولداً صغيراً يحبه اسمه

(ميمون) وذكر في القصيدة ان الخروج الى الوليمة كان ليلة الخميس المصادفة لليلة عيد المرافع . ولم يعين في أية سنة كانت الوليمة . وأشار الى ان قرية (جمرايا) تبعد عن دمشق تسعة أميال . وقد مر ان جمرايا على غلوة من الهامة والهامة تبعد عن دمشق ١٣ كيلومتراً . وفيما عدا ذلك استوعبت القصيدة اسماء المآكل والمشارب ونتفاً من أحوال ذلك الزمن الأخلاقية والاجتماعية مما يحرص عليه كل من يهمه الوقوف على تاريخ دمشق وأخلاق اهلها وحالة عمرانها منذ الف سنة .

ولعمري ان في هذه القصيدة الخالدة اكبر دليل على درجة الترف والرغد الذي كان يتمتع به اهل دمشق في ذلك العهد . ولا نطيل في وصف القصيدة وما يستخرج منها من الفوائد اللغوية والأدبية والتاريخية بل ندع ذلك لها ولقائلها (ابن واسانه) فهما أفصح لساناً . وأروع بياناً .

تعلمون ايها السادة ان الإلفة وارتفاع الكلفة اذا استحكما بين شخص وبين من يدعوهم الى ضيافته فكثيراً ما يأخذ هؤلاء الضيوف يعيبون الطعام تارةً . ويستقلونه طوراً . ويكلفون صاحبهم احياناً ان يحضر لهم ألواناً أخرى من الطعام وأطايبه . بل يقومون فيفتشون عنها في زوايا البيت ومخابئه . فيأخذ صاحب الدعوة اذ ذاك في الصراخ والعويل والتبرم بالقوم ورفع الصوت في الدعاء عليهم . بل يحلف انهم خربوا داره . وأفقروا اهله وصغاره .

يقع هذا بين الأصدقاء في هذه الايام . وعلى هذا الاساس بنى ابن واسانة قصيدته التي قالها منذ الف عام : فهو يصف المدعوين بالشَّرَه والنهم وانهم كالجراد المنتشر لم يَدَعوا في قريته أخضر ولا يابساً الا التهموه . ولا متاعاً او إناءً الا حطموه . وقد سلك في الوصف مسلك الغلو والتهويل . زيادةً في الإحماض والمداعبة واظهار المقدرة في نظم الشعر وحسن التصرف في أفانين القول وابتكار المعاني . حتى قال ياقوت في كتابه (معجم الادباء) : « انه احسن في هذه القصيدة كل الإحسان . وابان عن مقاصده احسن بيان » . وموعدنا بالقصيدة العدد الآتي .

« المغربي »

المحاضرة العشرون

روح المتنبي (١)

- ١٢ -

لكل شاعر روح تفيض على جنبات شعره ، ومهما حاول ان يخفي هذه الروح فلا بدّ لها من الظهور ، لكل شاعر روح ، هذا تعبس الدنيا في نظره فنرى في أضعاف شعره ظلمة الدنيا وعبوسها ، وهذا تبتسم الايام في وجهه فنجد في اثناء شعره ضياء الايام وابتسامها ، هذا يسترسل الى جد الحياة فلا نقع في شعره على شيء من هزلها ، وهذا ينبسط الى هزل العيش فلا نشعر في فيض قريحته بشيء من جدّه ، شاعر ضياء الامل مستفيض في شعره ، وشاعر ظلمة اليأس شائعة في قريضه ، لكل شاعر روح ، ما هي روح المتنبي ، ما هي هذه الوثبات التي وثبها في كل مذهب من مذاهب شعره ، في نسيبه ورثائه ، وفي أماديحه واهاجيه ، ماهي هذه النزعات التي نزعها في فقره وغناه ، وفي صبوته القلقة ، واكتهاله المضطرب .

نشعر ونحن نقرأ شعر ابي الطيب بان الحياة مظلمة الجوانب في عينيه ، كامدة الالوان في نظره ، فلسنا نجد في هذا الشعر اثراً من آثار بشاشة الدنيا وابتسام الزمان ، ان في روح المتنبي شيئاً من الانقباض ، ليس معنى هذا ان اباالطيب لم يعرف قيمة الحياة ، ولم يقدرها حق قدرها ، فان الذي يقول :

أنعم ولذّ فللأمور اواخر ابداً اذا كانت لهن أوائل
مادمت من أرب الحسان فانما روق الشباب عليك ظل زائل
للهو آونة تمرّ كأنها قُبَلٌ يزوّدها حبيب راحل

لعارف بموارد الحياة ومصادرها ، وبمداخلها ومخارجها .

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

وان الذي يقول :

ولذيذ الحياة أنفس في النفس   وأشهى من ان يُملّ واحلى
واذا الشيخ قال اف فما ملّ   حياةً وانما الضعف ملاّ
آلة العيش صحة وشباب   فاذا وليا عن المرء ولّى

لا يغفل عن اسرار انبساط النفس وانشراح الصدر ، وربما أحاط من هذه الاسرار بما لم يحط به أعرف الناس بمقدار الحياة ، وما هذه الأسرار الا الصحة والا الشباب ، واذا المرء لم يرفل من الصحة في برد قشيب ، ولم يتفيأ من الشباب وارف الظلال ، لم يجد للحياة لذّة ، نعم لم يجهل ابو الطيب قيمة الحياة وهو حريص عليها لانها شهية :

المرء يأمل والحياة شهية   والشيب أوقر والشبيبة انزق

ولقد بكى على شبابه :

ولقد بكيت على الشباب ولمّتي   مسودّة ولماء وجهي رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه   حتى لكدت بماء جفني أشرق

وفي هذه الدموع دليل على حبه الحياة ، وحرصه عليها ، وربما اشتدّ هذا الحرص حتى أخرجه في صباه من شيء من الشجاعة ، وأقحمه في شيء من ذل الجبن في بعض الحالات ، فمن قوله في مدح الحسين بن اسحق التنوخي وكان قوم قد هجوه ونحلوا الهجاء الى ابي الطيب :

وما أربت على العشرين سني   فكيف مللت من طول البقاء

ومنه قوله للوالي وهو في الاعتقال :

دعوتك عند انقطاع الرجاء   والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلاء   وأوهن رجليّ ثقل الحديد

كل هذا حجة على رغبة المتنبي في الحياة ، وتمسكه بها . ومع هذا فاننا لا نجد في شعره اثراً لصفاء الحياة وبشاشتها ، فكأن الرجل قد حرم حظه من لذتها ، او كأنه لم يكن له من نضارة شبابه وكمال صحته آلة يستعين بها على ذوق هذه اللذّة ، أفكان المتنبي يشتكي صحته ، فكثيراً ما اشار في شعره الى نحوله ، ومن هذه الاشارات :

روح تردّد في مثل الخيال اذا   اطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كفى بجسمي نحولاً انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

ومنها :

جمعت بين جسم احمد والسـ ـقم وبين الجفون والتسهيد

ومنها :

ولا وقفت بجسم مُسْيَ ثالثةٍ ذي أرسم دُرُسٍ في الارسم الدرس

أفكان مصاباً بشيء من الماليخوليا التي نجد آثارها في شعره ، فقد اسودت الدنيا في عينيه ، وقلّ سروره فيها ، وضاع عمره :

وقت يضيع وعمر ليت مدته في غير أمتنا من سالف الأمم

اتى الزمان بنوه في شبيبته فسرّهم واتيناه على الهرم

واستخفّ بامر الحياة فلم يبال أطال العمر ام قصر :

كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وباقي عيشه مثل ذاهب

وافضى به هذا الاستخفاف الى شيء من القسوة في مواطن البكاء :

أبكي لموتا على غير رغبة تفوت من الدنيا ولا موهب جزل

وما الدهر اهل ان تؤمّل عنده حياة وان يشتاق فيه الى النسل

نعم لم ينظر الى الدنيا من وجهها الجذل ، وانما نظر اليها من أفقها الكئيب ، ففاض شعره كآبة ، فهو يتصور الموت في كل حالة من حالاته ، في صحته واعتلاله :

وان اسلم فما ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام

ومن كان هذا نظره في الدنيا فلا عجب اذا هاجت به الماليخوليا في بعض الاحيان فطلب الموت ، لان الموت هو الذي يشفيه مما يكابده من الم النفس ، وايُّ الم اشدُّ من رؤية الحساد ، ولا سيما اذا كان المحسود مثل ابي الطيب ، يعادونه على فضله الذي يستوجب محبته ، وينام عنهم ولا ينامون عنه :

أعادى على ما يوجب الحب للفتى وأهدأ والافكار فيّ تجول

لا عجب اذا طلب المتنبي الموت ، ولقد طلبه لانه فتش عن صديق مخلص له فلم يجده ، وعن عدوٍ مداجٍ فأعياه ، فالحياة التي ليس فيها صديق مخلص ولا عدو مداج لا يكثر

على رجل مثل المتنبي ان يطلب فيها الموت ، وهو من هو في شدة احساسه واهتزاز اعصابه وسرعة حركة نفسه :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا
تمنيتها لما تمنيت ان ترى صديقاً فأعيا او عدواً مداجيا

لا عجب اذا كانت المنايا من اماني المتنبي ، لانه بين ظهراني رجال ودهم خداع وذيهم نفاق :

فلم ار ودّهم الا خداعا ولم ار دينهم الا نفاقا

ان رجلاً هذا هو نظره في الحياة ، ان رجلاً يستوي عنده قصر الحياة وطولها لانه يرى ان الحياة مصيرها الى الزوال لبعيد عن التفرغ لمغالبة الايام ، والسعي في الحصول على شيء من عظمة الدنيا ، سواء أكانت هذه العظمة في المال ام في الجاه ، نعم ان رجلاً هذا مذهبه من عادته ان يقضي في ظلال الهدوء وراحة البال هذه الايام القليلة التي يعيشها مستهزئاً بكل عظمة ، ساخراً من كل جاه ، لان الحياة في نظره احقر من ان يزاحم عليها ، ان رجلاً من امانيه المنايا لانه لم ير صديقاً مخلصاً له ولا شبه صديق ، ليغلب اليأس عادةً على قلبه ، فلا يضرب في مناكب الارض ابتغاء لشيء من عظمة الدنيا ، ولكن المتنبي بعيد عن هذا كله ، وهذا موطن من مواطن تناقضه في أخلاقه فقد كانت حياته تجمع بين الفأل والشؤم ، وتؤلف بين اليأس والرجاء ، وانه ليرى ظلمة الدنيا الى جانبه اذ يسعى الى ضيائها من جانب آخر ، وانه ليهزأ بطول الحياة وقصرها اذ يستنفد وسعه في الوصول الى شيء من ظواهر العظمة في هذه الحياة ، ماأقلق اباالطيب ، ما اشد اضطرابه :

كريشة في مهب الريح ساقطة لاتستقر على حال من القلق

فكان يغضب على الحياة و يرضى عنها ، بحسب حالات نفسه ، وعلى قدر هياج اعصابه وهدوءها ، لقد غضب على الحياة من الناحية التي رآها مسوّدة ، ولكنه سعى في الوصول الى الذي خالج قلبه في هذه الحياة سعياً تقصّر دونه سوابق الاقدام ، وربما كان ينحط في بعض سعيه الى طبقات المستعطين فترة كان استعطاؤه صريحاً :

أمطر عليّ سحاب جودك ثرّة وانظر اليّ برحمة لا أغرق .

ومرة كان امريضاً :

فما بفقير شـام برقك فاقة ولا في بلاد انت صيبها محل

وحيناً كان الاستعطاء مشتملاً على شيء من التفنن :

فان تقل : ها فعادات عرفت بها او : لا ، فانك لاتسخو بلا فاكا

نعم سعى في هذا كله ما كلّت عزائمه ولا فترت هممه ولا وجد اليأس الى قلبه سبيلاً ، فقد عمل لدنياه كأنه يعيش ابداً ، وكان مذهبه في عمله : الدنيا لمن غلب ، حاول ان يغلب فما قصّر سخر من كل نائبة نابتـه ، وذلل كل عقبة اعترضته ، فلو تجسم العزم لكان ابو الطيب جسمه ، ولو تصوّر العمل لكان صورته الناطقة ، انشعره ليفيض رجولية ، ان شعره انما هو شعر الرجل القوي على متاعب الحياة ، يتطاول له عدوه المبين فلا يخضد من شوكته ، ولا يضعف من عزمه ، واذا نبـا به مكان انتجع مكاناً غيره ، سواء أكان منتجعه بعيداً ام كان قريباً ، ما اعظم المتنبيّ في هـذا الجلد على التمرس بالآفات ، والمطاعنة للايام فيكاد يكون المثل الأعلى في النزاع والمغالبة ، اوتي من العزم ماصغّر اليه كل عظيم من عظائم الدنيا ، حتى نشأت له من هذا كله قوة منيعة استعان بها كل حياته ، يحبس الرجل في سبيل امر من الامور ، فيخرج من حبسه ، ويضرب في الارض لا مطية له الا النعل والاالخف ، فيمدح من يمدح ، ومن ممدوحيه من لا يعطيه على قصائده الا ديناراً ، فيصبر ولا يقطع امله من الحياة ، ويتصل بسيف الدولة فيغرق في نعمه ، فيكيد له من يكيد ، ويحسدونه ، فيترك سيف الدولة ويرجع الى ديدنه في السعي والجهد ، فيأتيه وعد السودان فيجو من شرهم ، ويقصد حضرة كافور الاخشيدي فلا يكرمه اكرام سيف الدولة ، ولا يسمح له بالجلوس في مجلسه ، ويبث عليه العيون والأرصاد ، ويضمر قتله ، فينفلت منه ويعود الى سعيه ، فيتآمر عليه عبيده فيجز على احدهم ، ويغلب على امرهم ، ويعود الى العراق فيثور عليه شعراء العراق ، فيهرب من بغداد ويصل الى بلاد فارس ، ثم يستأذن عضد الدولة في العودة الى وطنه فيحذرونه من الموت فلا يعبأ بالموت ويهجم عليه فيموت . اظن ان في هذه الامور كلها سلسلة حياة تكاد تكون منقطعة النظير في الصبر على الشدائد ، والاستعداد لمطاعنة الدهر ، واظن ان الرجال الذين يصبرون بعد الصدمة الاولى من صدمات الحياة قليل عددهم ، ان كثيراً

من الناس تضعف عزائمهم في اول ضربة من ضربات الزمان ، فالمتنبي من هؤلاء الرجال الذين مارسوا الايام ومارستهم ، وصارعوها وصارعتهم ، فما استسلموا ولا انقادوا ، بباغتهم الدهر من ناحية فيستمدون له من ناحية ثانية حتى تمل الايام طوال نزالهم ، فتلقي اليهم سلاحها وتنطوي دون عزائمهم ، فلو صوّر العراك والغلاب والمراس لكان المتنبي صورة هذه الامور كلها ، فكأنه جعل مذهبه في سيرته ما جرى على لسانه في بعض شعره :

فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

هنا تظهر رجولية المتنبي ، هنا يكون ابو الطيب القدوة لمن يريد ان يقتدي به من الاعاظم الذين لا يكاد يظهر فضلهم حتى تتضافر عليهم المكايد ، وتتواطأ عليهم الغوائل فاذا جبنوا واستسلموا اطفأ الحساد من نورهم ، واذا شجعوا ومضوا في سبيلهم ملّ هؤلاء الحساد حسن ثباتهم وماتوا من سخرية الذين يحسدونهم فلا يجدون الى اطفاء النور سبيلا .

في شعر ابي الطيب رجولية تفيض في كل جنبة من جنبات هذا الشعر المنيم ، وما هذه الرجولية الا صورة روحه ، ولقد ابت هذا الروح الا الظهور في كل مذهب من مذاهب شعره ، فسواء عليه أمدح أم هجا ، وسواء عليه أتغزل أم بكى ، ان روحه لتغلب عليه في أماديحه واهاجيه ، وفي غزله وبكائه . ان هذه الروح ابت الا الوضوح في كل حال من حالاته ، وفي كل طور من اطواره ، سواء أكان فقيراً أم كان غنياً . انكم لتجدونه يبكي شقوته ويضجر من رقة حاله وخشونة عيشه ، ومع هذا فان روحه لا تغفل عن التغني بالتكرم ، وعن التنديد بالذل .

فبعد ان يقول :

الى اي حين انت في زي محرم وحتى متى في شقوة والى كم

لا يلبث ان يقول :

والا تمت تحت السيوف مكرّما تمت وتقاس الذلّ غير مكرّم

فثب واثقاً بالله وثبة ماجد يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

وما كان المتنبي الا صادقاً في قوله ، ولقد امتلأ شعره من هذه النزعات السامية والوثبات الكريمة فما خلت قصيدة من قصائده من هذه الروح العالية ، وبينا نجده يقول :

م : ٢

ضاق صدري وطال في طلب الر ــ زق قيامي وقلّ عنه قعودي

اذ نجده يقول :

عش عزيزاً او مت وانت كريم   بين طعن القنا وخفق البنود

فاطلب العزّ في لظى ودع الذل   ولو كان في جنان الخلود

فالعز والمجد والعلياء وكرم النفس الفاظ جرت على لسان ابي الطيب المتنبيّ في كل شعره فكانت تفصح عن حقائق روحه وبواطن نفسه ، ولقد ادّى به تغنيه بهذا العز وبهذا المجد وبهذه العلياء الى مواطن الموت ، مثّلوا له الموت وحذّروه منه فما حذره ولا تمانه هجم على الموت خوفاً من ان يقال فيه انه جبان ، فما أبعد اباالطيب عن احتمال الأذى ورؤية جانيه :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه   غذاء تضوى به الاجسام

ذلّ من يغبط الذليل بعيش   ربّ عيش أخفّ منه الحِمام

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت ايلام

ما أبعد اباالطيب عن احتمال الأذى ، لقد غرق في نعيم سيف الدولة وفي مكارمه ومع هذا كله لما عبث به سيف الدولة واحسّ المتنبيّ بالانقباض عنه مالبث ان عاف هذا النعيم وهذه المكارم :

ومامنزل اللذّات عندي بمنزل   اذا لم أبجّل عنده وأكرّم

سجيّة نفس ما تزال مليحة   من الضيم مرمياً بها كل مخرم

نعم يأبى ابوالطيب الا ان يُبجّل والاّ ان يكرّم واذا سكت في حضرة كافور عن شيء من هذا التبجيل والتكريم فما معنى هذا ان الرجل هانت عليه نفسه ، وانما طمع وهو في حضرة كافور في شيء من الملك شغل باله طول حياته ، فصانع كافوراً ارادة الوصول الى هذه الولاية التي أملها ولما احسّ بالشر وبالاذى ولّى عن كافور .

أبت هذه الروح العالية الا ان تظهر على شعره في كل مذهب من مذاهب هذا الشعر ، لقد ظهرت في أماديحه ، فاذا مدح أعرب عن روحه قبل ان يصوّر روح الممدوح وربما جعل للافصاح عن روحه في اماديحه النصيب الاوفى :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة   فماالمجد الاالسيف والفتكةالبكر

ونضرب اعناق الملوك وان ترى   لك الهبوات السود والعسكر المجر
ونتركك في الدنيا دوياً كأنما   تداول سمع المرء انمله العشر

نعم لم يغفل عن اظهار روحه في اماديحه حتى في اماديحه في سيف الدولة :

وانا لنلقى الحادثات بانفس   كثير الرزايا عندهن قليل
يهون علينا ان تصاب جسومنا   وتسلم اعراض لنا وعقول

ولقد ظهرت روحه في مراثيه اي في المواطن التي يذهل فيها الانسان عن كل عظمة وعن كل عز ، ففي رثائه لجدته وقلبه ملتهب ، ودمعه منسكب لم يغفل عن روحه :

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني   ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

روحه غالبة عليه فأنتم تعلمون مقدار محبته لجدته ومقدار اسفه على وفاتها ومع هذا فلم تنسه وفاتها روحه فكأن في باطنه شيئاً يخزه حتى يظهر وما هذا الشيء الذي يحركه الا روحه ، وكذلك حاله في غزله :

وقد طرقت فتاة الحي مرتديا   بصاحب غير عزهاة ولا غزل
لا اكسب الذكر الا من مضاربه   أو من سنان أصم الكعب معتدل

وكذلك شأنه في أهاجيه :

ويلمها خطة ويلم قابلها   لمثلها خلق المهرية القود
وعندها لذ طعم الموت شاربه   ان المنية عند الذل قنديد

ما اعظم روح ابي الطيب ! ما اظهرها على شعره !

دمشق : ٣ ايار سنة ١٩٣٠



المحاضرة الحادية والعشرون

فلسفة المتنبي

- ١٣ -

علمنا بطائفة من اخبار المتنبي وأحطنا بشيء من جملة اخلاقه وروحه وطبيعة حسه وعاطفته ، بقي ان نعرف درجة عبقريته وخصائص هذه العبقرية ، هل يخلد شعر المتنبي ما هو السر في خلوده . وقبل ان أتفرغ لهذا كله ارى ان الواجب عليّ ان انظر في فلسفة المتنبي .

اشار القاضي الجرجاني والثعالبي الى ان اباالطيب خرج عن رسم الشعر الى طريق الفلسفة واضاف الثعالبي الى هذا الكلام ان المتنبي امتثل الفاظ المتصوفة واستعمل كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلقة فمنه قوله :

نحنُ من ضايق الزمان له فيك وخانته قربك الايام

حتى قال الصاحب « ولو وقع هذا القول في عبارات الجنيد والشبلي لتنازعه المتصوفة دهراً طويلاً »

ومنه قوله :

يا ايها الملك المصفى جوهراً من ذات ذي الملكوت اسمى من سما
نور تظاهر فيك لاهوتيه فتكاد تعلم علم ما لن يعلما

ومنه قوله :

ولقد رمت بالسعادة بعضاً من نفوس العدى فادركت كلا

فالجوهر المصفى واللاهوت والبعض والكل من الفاظ رجال الفلسفة والمنطق .
ولمّح الى طائفة من اسماء اطباء اليونانيين وحكمائهم امثال جالينوس وبقراط ورسطاليس وبطليموس .

وجرى في شعره ذكر بعض المذاهب الفلسفية .

من هذه المذاهب :

وكم لظلام الليل عندك من يد   تخبر ان المانوية تكذب

ومنها :

الا فتى يورد الهندي هامته   كيما تزول شكوك الناس والتهم
فانه حجة يؤذي القلوب بها   من دينه الدهر والتعطيل والقدم

ومنها :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم   الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة   وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته   أقامه الفكر بين العجز والتعب

واظن ان شيوخ ابن خلدون لم يعيبوا شعر المتنبي بمخالفته الاساليب العربية الا بسبب لجوئه الى هذه المصطلحات الفلسفية واشباهها لان الشعر كما قلت في « سحر العبقرية » غرضه ان يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحامى التجريدات وعبارات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة ولكنكم ستجدون في فصل الكلام على شعر المتنبي ان ابا الطيب اذا خلد فان خلوده سيكون من الناحية التي عابه بها شيوخ ابن خلدون، فاذا خلد المتنبي فان الذي يخلده انما هي تلك الحكم الرائعة التي استفاضت في شعره فاستشهد الناس بها بحسب ما يقتضيه مقام الاستشهاد فكأن ابا الطيب لسان حال البشر باجمعهم . فقد يقذف المتنبي في بيت او في بيتين مذهباً فلسفياً او علمياً يشتغل به المفكرون كل حياتهم من هذه المذاهب قوله :

فقل ما يلؤم في ثوبه   الا الذي يلؤم في غرسه
من وجد المذهب عن قدره   لم يجد المذهب عن قنسه

ومنها :

راعتك رائعة البياض بمفرقي   ولو انها الاولى لراع الاسحم

ومعنى هذا البيت : راعتك الشعرة البيضاء التي ظهرت في رأسي ولو ان الشعر يكون أبيض في اول امره ثم يسود لراعك الشعر الاسود ، فكأنما ابو الطيب أراد ان يمثل للناس على نحو (بيرون) في القديم ان آراء الخلق سريعة التبدل والتغير مما يدل على شك

الناس في حقائق الامور ، اعتاد البشر ان يروا الحسن في الشعر الاسود والقبح في الشعر الابيض ولو تعودوا ان يروا المحاسن في الشعرة البيضاء والمساوئ في الشعرة السوداء لما كان لاشتعال الرأس شيباً اثر شنيع في العيون فكأنما لا حقائق مطلقة في العالم وانما الحقائق نسبية للامر الواحد كما قال « اناتول فرانس » مشاهد متفاوتة ومظاهر متباينة ، انظر الى هرم منفيس في طلوع الشمس ثم انظر اليه في غروبها فانك تجده في الصباح مخروط الشكل ينبسط عليه ضياء وردي ، وتجده في المساء مثلثاً اسود اللون ومن الذي ينفذ فكره الى مادة هذا الهرم فالعادة والمصطلح هما سبب كل عمل في هذه الدنيا .

قد تكثر هذه النظرات الفلسفية في شعر المتنبي ولكني أمرّ بها كما مر بها ابو الطيب نفسه لانها لاتؤلف الفلسفة التي أريد الكلام عليها ، اي لا تؤلف فلسفة المتنبي ، وانما هي خطرات قد يجوز ان يكون اقتبسها من الكتب المترجمة او دلّه عليها عقله الكبير فلم يتوسع فيها وانما الذي توسع فيه النظر في الحياة واخلاق اصحاب هذه الحياة فلننظر في صورة الحياة التي يريدها ابو الطيب .

صوّر ابو الطيب المتنبي الحياة في شعره في اشرف صورها وعرضها في اكرم معارضها فهو يريدها سالمة من كل ضيم ، بعيدة عن كل ذل فلا تجدون في شعره الا الفاظ العز والمجد والكرامة وماتقتضيه هذه الالفاظ من تعب الاجسام وسفك الدماء ، فالمعالي لاتكون رخيصة فلابد من ابر النحل دون الشهد ، ولابد من مرارة الزمان دون حلاوته ، لبس الفقر ان تغتث المآكل انما الفقر ان تغث الكرامة ، فلا تكاد عيشة العز تفارق صورها شعره ، وان كان هذا العز في جهنم وان كان الذل في جنات الخلود ، علامَ تخاف الموت فقد يقتل العاجز وهو آمن في سربه ، وقد يوقّى الشجاع وهو غارق في الدماء ، علامَ تخاف الموت والموت لابد منه وسواء أأفرط الرجل في سلمه ام أفرط في حربه ، ان غايته الموت فاذا كان الموت غاية كل واحد فلمَ تخفق الافئدة من الرعب فالحتف في العز محبوب والذل في طول العمر بغيض .

صوّر الحياة في اكمل صورها ، ينبغي للناس ان يهون عليهم رزء جسومهم اذا سلمت في هذا الرزء عقولهم واعراضهم لاتحتمل الاذى ، لا تغبط الذليل ، لا تهن . هذه هي الوصايا التي لم يخل منها شعره ، دع نفسك تأخذ مايمكنها اخذه من هذه الدنيا ، ولكن

لاتحسبن هذا الاخذ في زق اوقينة ، فما المجد الا السيف والفتكة البكر ، ما المجد الا ضرب أعناق الملوك وترك دوي في الدنيا ، اسع الى المجد ما استطعت اليه سبيلاً ، اطلب المال في المجد ، اطلب المجد في المال ، خلف ذكراً طيباً فالذكر عمر ثان ، اكسب هذا المجد من مضارب السيف ومن سنان الرمح ، قاتل في سبيل العلى ، قاتل في سبيل السلم ، السعادة في سفك الدماء ، ابن المال على الاسل ، سلّم شرفك من الاذى باراقة الدم على جوانبه ، اطلب حقك بالطعن بالضرب ، الدنيا نزاع ، والدنيا لمن غلب ومن استطاع ان يلتمس الاشياء اغتصاباً لم يلتمسها سؤالاً ، اذا غامرت في شرف فلا تقنع بما دون النجوم فالموت واحد في عظائم الامور وفي صغائرها ، لا تتعلل بالآمال ، لا تقنع بالافلال ، لا تسكر فما طاة الصفائح والعوالي الذّ من المدام ، الموت في الوغى عيش ، لا تداج ، لا تقصر في امرك ، لا تعجز ، لا تتكل على احد ، اياك والنقص اذا كنت قادراً على التمام ، جالس كتبك فان الكتاب خير جليس ، اكرم الكريم فتملكه ، لا تكرم اللئيم فيتمرد ، احرص على الحياة فان الحياة شهية واحرص على اللذات ، لتكن في حرصك على هذه الحياة وعلى هذه اللذات مبجلاً مكرما ، اياك والغواني فانهن ضياء في بواطنه ظلام ، لا عهد لهن ، يحقدن فلا يبقى في قلبهن رضى و يرضين فلا يبقى في قلبهن حقد . هذه هي الحياة التي يريدها المتنبي ، انها الحياة سامية ولكنها ممزوجة بالدم ، بعيدة عن الهدوء والسكينة ، مملوءة بالقلق والاضطراب ، كلها نزاع ، وكلها غلاب ، وهل الدنيا الا غلاب . ان الحياة التي يريدها ابو الطيب انما هي حياة القوة وهل يكون عزيز الجانب غير القوي ، قاتل ، غالب ، هذا هو الهدف الاعلى الذي يرمي اليه المتنبي ، وقد قاتل وغالب كل حياته ، فما كانت فلسفته الا بنت خلقه وطبعه ، جمعت هذه الفلسفة بين سلطان المادة وكرامة الادب ، فلا خير في المال اذا لم يزينه المجد ولا خير في المجد اذا لم يؤيده المال وهل نكسب هذا المجد الا بعد ازعاج البدن واقلاق الروح وهل نصل الى هذا المال الا بعد ذوق مرارة الموت ولكن حلاوة هذا المجد وهذا الموت تنسينا مرارة الايام التي انقضت في كسب المجد والمال .

هذه هي الحياة التي يريدها ابو الطيب ومن كان نظره في الحياة مثل نظر ابي الطيب فأخلق به ان يكون متشائماً لان المجد والعز والكرامة كل هذا يقتضي مكارم الاخلاق واين مكارم الأخلاق في زمن لا صديق فيه مخلص ولا عدو مداج اين مكارم الاخلاق

في زمن ودّ الناس فيه خداع ودينهم نفاق عالمهم فدم وحازمهم وغد وبصيرهم اعمى وشجاعهم قرد بلي المتنبي بهم بلاء الورد بانوف لا يصلح لها الخشاش ليس من العجب ان يكون المتنبي متشائماً اذا كان في زمن وقته فيه ضائع. ليس من العجب ان يحذر الناس انهم لا يرحمون فلا ترحمهم روّ رمحك من دمائهم اقتلهم ولا اثم عليك ليس من العجب ان يرى ابو الطيب الدهر غير اهل ان تؤمل عنده حياة وان يشتاق فيه الى النسل ·

من مزاجه السوداوي ومن شبابه المضطرب ، واكتهاله القلق ، ومن فرط حسه وعصبيته ، ومن الذي لاقاه في زمنه من الحسد تولد شيء من التشاؤم في خلق المتنبي ، والتشاؤم كما قال فيه الاستاذ «فاكه» مرض خلقي لا يحرم صاحبه العبقرية على شرط ان يكون المصاب به حاصلاً على النصف الآخر من هذه العبقرية وهو الخيال المديد ·

ماهو التشاؤم ؟ ان هو الا ادراك الحياة من أوسع جوانبها ، ومن اشد نواحيها ظلمة ، واذا لم يكن هذا التشاؤم صادقاً كان ضرباً من السخرية ، واذا كان صادقاً ولم يكن لصاحبه عقل كبير كان نوعاً من الهزء ، لانه قد يفضي بالمبتلي به الى الشكوى من آلام حقيرة يقاسيها كل الناس ، ولكن تشاؤم رجل مثل ابي الطيب صاحب عقل كبير وخيال مديد ليس فيه شيء من المهزلة ·

وعن هذا التشاؤم وعن هذا الالم الذي قاساه المتنبي كل حياته صدرت افكار سامية من جملة هذه الافكار : العبقرية تجعل صاحبها في شقاوة :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ما أصدق هذه الحكمة ! لنبحث عنها قليلا :

مَلِك السيارات في هذا العصر (فورد) ذهب اسم سيارته في آفاق العالم كله : يكاد فورد يستصفي ثروة الدنيا فهو يلعب بالذهب لعباً ، انه ليستطيع ان يدرك امانيه كلها بالمال فلا يشك احد في عظم سلطانه ، فقد اذعنت له الدنيا بحذافيرها · ومَلِك العلم في هذا العصر (اديسون) لقد أدهش العالم كله بمخترعاته ، فقد ضبط أصوات البشر وقرّب بين متباعد المسافات بعد ان قاوم الطبيعة فهو يجد في معمله اكبر لذة يجدها عالم في اكتشاف شيء ، يعترف بسلطانه الملأ بمجامعهم · لاريب في ان (فورد) و(اديسون) من ذوي العقول الذين أشار اليهم المتنبي في شعره ، فهل شقيا في نعيمهما كما قال المتنبي ، ام هما نعما على

خلاف رأي ابي الطيب ، لننظر الى رأي كل منهما في سعادة الآخر .

يقول (اديسون) في سعادة (فورد) :

رأيت حديثاً كيف ركبت آلات آخر سيارة من سيارات (فورد) لقد رمى بسيارته هذه الى انحاء العالم ، وقد وفق في مخترعه توفيقاً عظيماً ، فكان يجب على فورد ان يكون سعيداً كل ايامه بسبب توفيقه هذا ، ومن موجب الأسف ليس له شيء من هذه السعادة ان (فورد) سيكون سعيداً زمناً قليلاً لانه من هؤلاء الرجال الذين لا يدوم سرورهم طويلاً ان عقله ليعذبه في كل حين لان هذا العقل تشغله امور حديثة لاحد لها ، فاذا تم له امر منها فرح به ، ثم فكر في امر آخر وعلى هذا فانه يجري من ارب الى ارب من غير ان يكون راضياً .

فاذا لم يستطع الرجال ان يحددوا مطامعهم فانهم لا يستطيعون ان يكونوا سعداء فالذي يجدر بنا ان نحسدهم في هذه الحياة انما هم الرجال الذين أبعد همهم ان يقبضوا على فراشة ، أسعد الناس انما هو العبد الذي يعيش وليس في قلبه مطمع من المطامع .

يظن بعضهم ان المستر (كولديج) كان سعيداً وهذا خطأ فقد قضيت عنده بضعة أيام فكان كل همه ان يتولى رئاسة الجمهورية فلما ألقيت اليه مقاليد هذه الرئاسة كان كل همه ان يخرج منها وان يغادر القصر الابيض خوفاً من تبعاته .

اما انا فقد كان أعذب ايامي تلك الايام التي كان عمري فيها اثني عشر عاماً فلم يكن لي فيها مطمع او هم ولكني لما كبرت أضعت السعادة فاذا رميت بنظري الى الاثنين والثمانين عاماً التي عشتها وجدت فيها اياماً كنت أستطيع ان اكون في خلالها سعيداً كل السعيد غير اني كنت فيها أشقى الأشقياء .

و يقول (فورد) في سعادة (اديسون) :

أرى (اديسون) بعد عدة السعادة الكاملة لانه غارق في مشاغله فليس به حاجة الى ان يجهل الشغل واسطة العيش وهذا السعادة كلها على خلاف ما كان يذكره العالم الكبير من انه لا سعادة في هذه الدنيا ، كان سعيداً في طفولته وشبيبته فقد كان عاملاً في البرق والصحافة وصار عالماً في شبابه ، صاحب مكتشفات عظيمة ، حصلت له اسباب العمل في كل حين ، فقد أراد ان يجعل الليل نهاراً فكتب له التوفيق ، وشاء ان يردد اصداء

الصوت البشري فتمت مشيئته ، لقد وجد لذته كلها في هذا الجهد العظيم ، لان الرجل الذي يعمل من اجل غايات شريفة ، ان الرجل الذي يعمل من اجل العمل نفسه ، انما هو سعيد كل السعيد ٠

فاذا كان (فورد) يغبط اديسون بطراز حياته ، وهو من هو في الثروة ، واذا لم يكن (اديسون) سعيداً في ايامه وهو من هو في العلم ، فما أصدق ماقاله المتنبيّ من ان صاحب العقل يشقى بسبب عقله في النعيم ، وان اخا الجهالة ينعم في شقاوته ٠

وانكم لتجدون في شعر المتنبيّ كثيراً من أشباه هذه الحكمة الرائعة استنبطها من الحياة نفسها ، فكأن الحياة قد عرضت عليه صورها المختلفة وأشكالها المتباينة فاستنبط من خيرها وشرها ومن حلاوتها ومرارتها ومن كرمها ولؤمها امثالاً قذفها في أبيات وانصاف أبيات ، فالرجل قد جرّب كثيراً حتى احكته التجاريب وتغلغل في بواطن القلوب فأعطته مقاليد أسرارها ، فلا يكاد يحدث حادث في هذه الحياة الا ونجد في شعر ابي الطيب ما يمثل هذا الحـادث ، فما أقرب الحكمة من طرف لسانه ، وما أجراها على شق قلمه ، والحكمة اذا كانت بنت التجاريب كانت أعلق بالأذهان ، وأسير في الايام ، والمتنبي ابن التجاريب :

اذا ما الناس جربهم لبيب فاني قد أكلتهم وذاقا

دمشق : ١٧ أيار سنة ١٩٣٠



عبقرية المتنبي (١)

- ١٤ -

أحفظ من تسع عشرة سنة بيتاً من الشعر قاله الشاعر الفرنسي « بوالو Boileau » في الشاعر « مالرب Malherbe » وهذا هو صدر البيت : حتى جاء مالرب ... واذكر انا كنا ندرس في مدرستنا تاريخ الأدب الفرنسي الذي وضعه الاستاذ « دوميك Doumic » صاحب سر الاكادمية . وقد افضى بنا الدرس الى الفصل الذي عقده «دوميك» في الكلام على «مالرب» فالاستاذ «دوميك» يقول في تاريخه ان «حتى» هذه تنقص من مقادير من تقدم « مالرب » من الشعراء .

ولما وقفت على كلمة ابن رشيق الشائعة : (٢) ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس خطرت ببالي في الحال كلمة «بوالو» : حتى جاء مالرب ... فقلت في نفسي أفيجوز لي ان أقول في «ثم» هذا ما قاله «دوميك» في «حتى» تلك . أفيجوز لي ان اقول ان كلمة ابن رشيق تنقص من مقادير من تقدم المتنبي من الشعراء . أفيريد ابن رشيق ان يقول ان المتنبي عفّى على آثار من سبقه .

الصحيح ان اباالطيب المتنبي كان مشغلة للناس متعبة لهم . ولكن هل كانت عبقريته وحدها السبب في شغله الناس . أفلم يكن لحوادثه تأثير في هذا الشغل . أفلم يكن لاتصاله بسيف الدولة وبكافور الاخشيدي و بابن العميد وبعضد الدولة اثر في هذه الشهرة الشائعة . أفلم يكن في تزاحم الملوك والامراء والوزراء عليه وتنافسهم فيه عامل من عوامل هذه الشهرة . وعلى الخصوص فان في جملة هؤلاء المتزاحمين رجالاً علت منازلهم في الادب كابن العميد مثلاً . او كالصاحب ابن عبّاد الذي لم يكن نصيب من أماديح المتنبي . أفلم يكن في

(١) هذا الفصل والذي يتلوه لم أحاضر بهما في كلية الآداب وانما كتبتهما في اثناء طبع المحاضرات اي بعد عطلة الكلية تتمياً للكلام على المتنبي .

(٢) العمدة — الصفحة ٦٤ .

تضافر اكابر رجال اللغة على شرح ديوان المتنبي وفي مقدمتهم ابن جني عامل من عوامل شهرة ابي الطيب ان شاعراً يقول فيه الثعالبي[1] : فليس اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر ابي الطيب من مجالس الانس ولا اقلام كتّاب الرسائل أجرى به من السن الخطباء في المحافل ولا لحون المغنين والقوّالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين وقد الفت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعويصه وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وعونه وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح عنه والتعصب له وعليه ... » وان شاعراً يقول فيه القيرواني[2] : قد شغلت به الالسن وسهرت في اشعاره الاعين وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره والغائص في بحره والمفتش عن جمانه ودره وقد طال به الخلف وكثر عنه الكشف وله شيعة تغلو في مدحه وعليه خوارج تتغايا في جرحه ... » ان شاعراً هذا هو شأنه في الادب وهذا هو شأن الادباء فيه لا بد له من ان يملأ الدنيا ويشغل الناس .

ولكن هل ينبغي لنا ونحن ندرس شعر ابي الطيب المتنبي ان نتقيد بما تقيد به المتقدمون افلا يليق بنا ان ننسلخ عن عوامل الشيعة التي غلت في مدحه والخوارج التي أفرطت في جرحه حتى يكون نظرنا في شعره صحيحاً أفلا يليق بنا ان ننظر الى هذا الشعر من وجه الشفّاف حتى يتبين لنا ماوراءه وسواء عليّ أكنت من المعجبين بابي الطيب العابدين له ام كنت من الذين يستوي عندهم ابو الطيب وكثير من الشعراء . لا استطيع ان امر بفلتات عبقريته دون الاشارة اليها او ان امرّ بسحر هذه العبقرية دون التنبيه عليه .

فلا بد لنا اذا نظرنا في طبائع عبقرية المتنبي وفي خصائصها ونقبنا عن محاسنها ومساوئها من النظر في آفاقها والسماء التي حلّقت في عليائها حتى ينكشف لنا كل أفق على حدة فنرى ألوان هذا الأفق سواءٌ أكانت هذه الألوان كامدة ام كانت زاهية نضرة لابدّ لنا من النظر في مذاهب ابي الطيب كلها : في غزله وفي بكائه وفي أهاجيه

(١) يتيمة الدهر : الجزء الاول ص ٧٨ .

(٢) اعلام الكلام : ص ٢٥ .

وفي أماديحه وفي وصفه على اختلاف اشكاله وفي حكمه ومن جملة هذه المذاهب تتبين لنا طبائع شعر المتنبيّ ٠

اول ما أتعرض له من مذاهب المتنبيّ انما هو الغزل — هذا الغزل الذي صدّر به معظم قصائده اتباعاً لاصول بنى عليها الشعراء من قبله فلم يخرم القياس ولا خرج عن الاساس على انه لم يؤثر عنه انه عشق وقد عرضنا حوادثه كلها من ميلاده الى مقتله فما وجدنا فيه ميلاً الى شيء من العشق فعلامَ هذا النسيب في صدور قصائده يقول الاستاذ «فاكه» في معرض كلامه على «هوغو» : اذا لم تكن أبيات الغزل أبيات شاعر عاشق كانت مقلقة مضجرة وقد تكون هذه الابيات حسنة فلمّ عرض المتنبيّ غزله للاضجار والاقلاق وان كان في غزله شيءٌ من الحسن ٠

لم أجد في كثير من نسيب المتنبيّ الا ماأجده عادة في الشعراء المتغزلين الذين جاؤوا قبله ما خلا الشعراء العشاق الذين قال فيهم القيرواني[1] : قد استحوذت الصبابة على أفكارهم واستغرقت دواعي الحب معاني أشعارهم فكل مشغول بهواه لا يتعداه الى سواه» لم اجد للمتنبيّ في غزله الا الصور التي صورها كثير من الشعراء قبله كمناجاة الديار وكاستيقاف الصحب عليها او كالضجر من نيران القلب ومن الشيب وماشا كل ذلك فهذه صور مألوفة ومذاهب معروفة لم يكن للمتنبيّ فيها ابداع ولا اختراع وانما مشى فيها على آثار غيره ٠

فني فؤاد المحب نار جوى أحرّ نار الجحيم أبردها
شاب من الهجر فرق لمته فصار مثل الدمقس أسودها

قرأت مرة رواية وأظنها : رغائب يوحنا سرفيان وهي من روايات «اناتول فرانس» اذكر ان يوحنا هذا وهو بطل الرواية احب فتاة رومانية ممثلة وقد ملك عليه حبه عقله فكانت الدنيا في نظره صورة والحاناً اي كانت الدنيا في نظره صورة الممثلة التي شهد تمثيلها وألحانها التي سمعها فكان يهيم على وجهه في جنبات الليل البهيم فلا يزال هائماً حتى يصل الى دار حبيبته فيتأمل في أطرافها المظلمة ويقبّل بابها وربما أغمي عليه فلا يفيق

(١) اعلام الكلام ص ٢١ ٠

الا على صوت هذه الممثلة فالعاشق كل العاشق من نظر الى حبيبه نظرة « يوحنا » هذا الى فتاته أفيشتمل غزل المتنبي على صور مثل هذه الصورة أفكان المتنبي في غزله مثل اولئك العشاق الذين نعرض لهم الطبيعة مشاهد كثيرة فلا يحفلون الا بالمشهد الذي استولى على فكرهم وتسمعهم اصواتاً متباينة فلا يطربهم الا صوت حبيبهم اظن انه يصعب على الباحث ان يجد في غزل المتنبي شيئاً من هذا كله ·

نعم لم أجد في كثير من غزل ابي الطيب الا ما أجده في غزل كثير من الشعراء فاذا شبه القوام شبهه بالغصن و ذا شبه الوجه شبهه بالشمس اوالقمر واذا شبه الشعر شبهه بظلام الليل فمن هذا الشكل قوله :

غصن على نقوي فلاة نابت   شمس النهار تقلّ ليلاً مظلما

فالألوان في غزل المتنبي مرددة والأصوات مكررة فالصور التي صورها انما هي صور عتيقة بالنسبة الى عصرنا هذا وبالنسبة الى عصر المتنبي نفسه فأي ابداع في تشبيه الخد بالورد وتشبيه العين بعيون المهى او بالسيوف :

كم قتيل كما قتلت شهيد   لبياض الطلى وورد الخدود
وعيون المهي ولا كعيون   فتكت بالمتيم المعمود

ومن هذا القبيل قوله :

من طاعني ثغر الرجال جآذر   ومن السلاح دمالج وخلاخل
ولذا اسم اغطية العيون جفونها   من انها عمل السيوف عوامل

فلم يتحام ابو الطيب المورد العام الذي ازدحم عليه كثير من الشعراء المتغزلين ولا ارتفع عن السماء التي حلّق فيها هؤلاء الشعراء فلم يخل معظم غزله من الاضجار والاقلاق لان هذا الشعر لم يصدر عن قلب تيمه الحب فالصور التي صورها انما هي صور بالية لا تهز المخيلة فما مثلها الا كمثل الرماد الذي يبقى من النار الهامدة · وعلى الرغم من قوله في بعض شعره :

جهد الصبابة ان تكون كما أرى   عين مسهدة وقلب يخفق

لم أجد في شعره اثراً لسهد عينه وخفقان قلبه ·

لولا ظباء عدي ما شغفت بهم   ولا بربر بهم لولا جآذره

من كل احور في انيابه شنب خمر يخامرها مسك تخامره
نعج محاجره دعج نواظره حمر غفائره سود غدائره

فهذه نغمات كثيراً ما رددها الشعراء قبل المتنبي وربما كان لهم في الاجادة فيها نصيب اوفى من نصيب ابي الطيب فقد سلك المتنبي في غزله طريقاً كثر من سلكه حتى شاركه فيه غيره من الشعراء فلم يتجاوز مذهبهم .

وقد تعوزه رقة العاطفة في بعض غزله فهو لا يشبه اولئك العشاق المتيمين الذين يفنون في عبادة من يعشقونهم ولكنه من هؤلاء العشاق اصحاب القلوب القاسية الذين اذا رقد احبابهم وسهروا هم في التفكر فيهم أسفوا على لياليهم التي نفضت في هذا التفكر :

بئس الليالي سهدت من طرب شوقاً الى من يبيت يرقدها

فان الضنى الذي يضناه في الهوى انما هو مثل السم في الشهد واللذة التي يجدها في هذا الضنى انما هي لذة جهل :

ضنى في الهوى كالسم في الشهد كامناً لذذت به جهلاً وفي اللذة الحتف

فهنا العقل يملي عليه ولا اثر في هذه الامالي للعاطفة الرقيقة على ان له من الابيات ما يدل على فنائه في حبيبه :

زيدي اذى مهجتي ازدك هوى فأجهل الناس عاشق حاقد

ينظر المتنبي في بعض غزله الى الحب نظر الفيلسوف المحيط بدقائق هذا الحب فلا يكاد يخفى عليه امر من اموره ينظر اليه نظر الفيلسوف الذي يعلم ان المرء يعشق عرضاً من دون ان يدري لماذا يعشق ولكنه اذا عشق رحل عقله :

وما هي الا لحظة بعد لحظة اذا نزلت في قلبه رحل العقل

ومنه قوله :

الى مَ طاعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل

ومنه قوله :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت اني أسلم

فعقله في غزله اكثر من عاطفته والحب لا عمل فيه للعقل وانما هو ابن العاطفة على انه يعلم ان الحب هو الذي يغلب على اللسان حتى لا يقدر على وصف ما في قلب صاحبه :

الحب ما منع الكلام الالسنا　　　والذ شكوى عاشق ما اعلنا

نعم هذه هي حقيقة الحب فانه يغلب على صاحبه فلا يدري ما يقول ولكن المتنبيء لم يغلب عليه هذا الحب وانما مثله كمثل الفيلسوف الذي يريد ان يظهر اخلاق المرأة في الشعر لا كمثل العاشق الذي يحب ان يظهر دقائق العاطفة في شعره :

اذا غدرت حسناء وفت بعهدها　　　فمن عهدها ان لا يدوم لها عهد
وان عشقت كانت اشد صبابة　　　وان فركت فاذهب فما فركها قصد
وان حقدت لم يبق في قلبها رضى　　　وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك اخلاق النساء وربما　　　يضل بها الهادي و يخفى بها الرشد

فالمتنبيء لم يضل باخلاق النساء .

على انه قد وردت في طائفة من غزله ابيات نكاد نلمس فيها اثر العاطفة ولست أعني بهذه الابيات قصيدته المشهورة :

من الجآذر في زي الأعاريب　　　حمر الحلي والمطايا والجلابيب

التي قال فيها الثعالبي : وناهيك بهذه الابيات جزالة وحلاوة وحسن معان كلا ولست اعني بها البيتين المشهورين :

لبسن الوشي لا متجملات　　　ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن　　　ولكن خفن في الشعر الضلالا

اللذين قال فيهما الثعالبي : وهذا من احسانه المشهور الذي لا يشق غباره فيه او البيتين التاليين :

حسان التثني ينقش الوشي مثله　　　اذا مسن في اجسادهن النواعم
ويبسمن عن درّ تقلدن مثله　　　كأن التراقي وشحت بالمباسم

او غير هذه الابيات كلها من ابيات المتنبيء الحسنة في الغزل كلا اني لا اشير الى هذا كله لان هذا الشعر كله لا يخلو من اثر الصنعة فهو حسن بلا شك ولكنه قليل النصيب من العاطفة وانما أريد بالابيات التي تشتمل على العاطفة قوله :

أحبه والهوى وأدؤره　　　وكل حب صبابة ووله

هذه هي روح العشاق وهؤلاء هم الشعراء الذين يعرفون مقدار الحب فالعاشق

يحب كل شيء من اجل حبيبه ، فهو يحب حبيبه ويحب الهوى ويحب دار الحبيب ويقسم بالهوى وبدار الحبيب لان الحب ان هو الا ذهاب العقل ومن هذا الشكل قوله :

واني لأعشق من اجلكم نحولي وكل امرئ ناحل

ومنه قوله :

وكيف التذاذي بالاصائل والضحى اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبّا

ومنه :

اذا كان شم الروح ادنى اليكم فلا برحتني روضة وقبول

ومنه :

فليتها لا تزال آوية وليته لا يزال مأواها

نعم هذه هي روح العشاق وهذا هو رمز العاطفة ولكن أمثال هذه الابيات قليلة في شعر المتنبي ، فلم يكن ابوالطيب من اصحاب النسيب الخالد .

فاذا لم يخلد نسيب المتنبي ، أفخلدت مراثيه ، أفكان ابوالطيب في هذه المراثي شجرة الاختراع وثمرة الابداع ، فلننظر في هذا كله .

ما اظن المراثي الا هذا الضرب من الشعر الذي يقرأه القاريء فيتبين له في تضاعيفه اثر اللوعة والحرقة ، اوكرامة الميت ومبلغ تأثير موته في اهله وقومه الى غير ذلك من الكلام على أخلاقه وخصائصه ، فأقبح المراثي هذه القصائد التي لا نرى فيها الا صوراً عامة تصلح لكل رجل يبكى عليه ، ومن هذا الشكل كثير من مراثي المتقدمين التي تشتمل على الغلو في كل شيء حتى اصبحت مدعاة الى الضحك بدلاً من ان تكون مجلبة للدمع ، فما هي خصائص مراثي المتنبي ؟

رثى ابو الطيب محمد بن اسحق التنوخي ورثى جدته التي كانت يحبها حباً جماً ورثى والدة سيف الدولة وابنه ابا الهيجاء عبد الله وعبده يماك واخته الصغرى واخته الكبرى وابا وائل تغلب بن داود حمدان واباشجاع فاتكاً وعمة عضد الدولة .

تختلف المراثي في عظم شأنها وحقارته على اختلاف موضوعاتها فاذا كان المرثي جليلاً استطاع الشاعر ان يجعل رثاءه جليلاً وتختلف العواطف فيها على قدر اتصال

م : ٣

الشاعر بالمرثي ، ولقد رثى ابوالطيب جماعة من أصحاب الشأن الجليل في عصرهم ورثى من يتصل بها محكم الاتصال وهي جدته فلننظر الى دموعه في هذه المراثي .

أرخى ابوالطيب في طائفة من مراثيه زمام الخيال فجمح به هذا الخيال حتى بلغ به أفقاً مشتركاً يسرح فيه كثير من الشعراء وكان هذا الامر في مقتبل عمره اي في الوقت الذي لم يثقف فيه خياله كل التثقيف وهذه حالة كثير من الشعراء فانهم ينزعون في فاتحة الامر الى التقليد ولكنهم اذا كانوا من اصحاب العبقرية لا يلبثون ان يخرجوا من هذا التقليد الى الابداع وهكذا كان المتنبيء في اول رثائه كرثائه للتنوخي :

ما كنت احسب قبل دفنك في الثرى ان الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك ان ارى رضوى على ايدي الرجال تسير
خرجوا به ولكل باك خلفه صعقات موسى يوم دك الطور
والشمس في كبد السماء مريضة والارض واجفة تكاد تمور
وحفيف أجنحة الملائكة حوله وعيون اهل اللاذقية صور

لجأ الى الغلو في وصف الخطب وهذا مذهب كثر من لجأ اليه من الشعراء فلم يكن لابي الطيب فيه اجادة او احسان ففي استطاعة الشاعر ان يقول هذه الأبيات في كل رجل يموت فليس لها طابع خاص ودواوين العرب مشتملة على كثير من اشباه هذه المعاني العامة .

ولئن لم يكن لمرثية ابي الطيب في التنوخي طابع خاص فان في مرثيته في جدته طابعاً ظاهراً وقد اشرت الى هذه المرثية في كلامي على احساس المتنبيء فلست أجد حاجة الى الدلالة على موطن من مواطن العاطفة فيها فالقصيدة كلها مبلولة بدموع ابي الطيب فلم ينزع المتنبي فيها الى هذه الرسوم العامة التي تكون مشتركة .

ولكن جلالة الشعر تجلت في قصيدته في أم سيف الدولة فقد وجد المتنبيء مجال القول ذا سعة ، ووجد لساناً قائلاً فقال :

أطاب النفس انك مت موتاً تمنته البواقي والخوالي
رواق العز فوقك مسبطر وملك علي ابنك في كمال

اي نعش اكرم من نعش يمشي الامراء فيه حفاة :

مشى الامراء حوليها حفاة كأن المروَ من زف الرئال
وابرزت الخدور مخبآت يضعن النقس امكنة الغوالي
اتتهن المصيبة غافلات فدمع الحزن في دمع الدلال

لقد استنزل ابو الطيب جلالة وحيه من جلالة الميت فظهرت آثار العظمة على شعره ·

وكذلك فقد استطاع ان يطبع بكاءه على ابن سيف الدولة بطابع خاص :

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل . وهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي
كأنك أبصرت الذي بي وخفته اذا عشت فاخترت الحمام على الثكل
تركت خدود الغانيات وفوقها دموع تذيب الحسن في الاعين النجل
تبل الثرى سوداً من المسك وحده وقد قطرت حمراً على الشعر الجثل
فان تك في قبر فانك في الحشا وان تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكى على قدر سنه ولكن على قدر المخيلة والاصل

ولما بكى المتنبي على اخت سيف الدولة الصغرى كان عقله قد اختمر فنظر الى الحياة نظراً صحيحاً ومزج الفلسفة بالشعر فجاءت نظراته صادقة فيها تجربة الفيلسوف وقالب الشاعر :

ولذيذ الحياة أنفس في النفس وأشهى من ان يمل واحلى
واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولى
ابداً تسترد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا
فكفت كون فرحة تورث الغم وخل يغادر الوجد خلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهداً ولا تتم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها وبفك اليدين عنها تخلى
شيم الغانيات فيها فما أدري لذا أنث الناس اسمها ام لا

ولم يكن بكاؤه على أخت سيف الدولة الكبرى باقل من بكائه على أخته الصغرى ففي هذه المرثية أجرى قلمه في وصف المصيبة فكادت المصيبة تتكلم :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
تعثرت به في الأفواه ألسنها والبرد في الطرق والاقلام في الكتب

ثم أفاض في الكلام على أخلاق أخت سيف الدولة وألف بين هذا الكلام وبين صدق عاطفته وحسن وفائه وكرم مودته وقد انقطع عن سيف الدولة ولم يبق له طمع في العودة اليه :

ارى العراق طويل الليل مذ نعيت فكيف ليل فتى الفتيات في حلب
يظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والأدب
ومن مضت غير موروث خلائقها وان مضت يدها موروثة النشب
وهمها في العلى والمجد ناشئة وهم اترابها في اللهو واللعب
يعلمن حين تحيا حسن مبسمها وليس يعلم الا الله بالشنب

هذا هو الرثاء لا تلك الصور الجامدة التي صوّرها في رثاء التنوخي فان مراثيه من بعد مرثية التنوخي طبعت بفرط الحس وكرم العاطفة وطيب القول وصدق النظر في الحياة وقد لجأ الى النظرات الفلسفية في رثائه فمرة كان يختصرها :

تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
اين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن اصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

ومرة كان يتوسع فيها :

لا بد للانسان من ضجعة لا تقلب المضجع عن جنبه
ينسى بها ما كان من عجبه وما أذاق الموت من كربه
نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه
تبخل ايدينا بارواحنا على زمان هي من كسبه
فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تربه

لو فكر العاشق في منتهى　حسن الذي يسبيه لم يسبه
لم ير قرن الشمس في شرقه　فشككت الانفس في غربه
يموت راعي الضان في جهله　ميتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره　وزاد في الامن على سربه
وغاية المفرط في سلمه　كغاية المفرط في حربه
فلا قضى حاجته طالب　فؤاده يخفق من رعبه

هذه جملة القول في مراثيه فاذا كان لها طابع خاص فما هذا الطابع الا جلالة الشأن ولئن قلّد ابو الطيب في نسيبه ومشى فيه على آثار غيره فقد ابدع في مراثيه .

« للبحث صلة »



جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

٩

حدثنا ابو الحسن قال حدثني ابي قال رأيت بالهند قوماً يقال لهم الجبارية يأكلون الميتة ويقذرهم جميع الهند عندهم انهم اذا ماسوهم نجسوا قال فهم يمشون وفي اعناقهم طبول يطبلون بها ليسمع اصواتهم فيتنحون عن طريقهم فاذا لم يتنح الرجل عند سماع الطبل فلا شيء على الجباري وان لم يضرب الجباري الطبل حتى يلاصق جسده جسد غيره قتله الذي يلتصق جسده به ولا يعدى عليه لان هذا من شرطهم وسنتهم .قال ولا يشرب احد من ماء هؤلاء الجبارية ولا يأكل من طعامهم ولا يخالطهم فهم ينزلون في ظاهر البلد ناحية .قال وهم ارمى الناس ومعاشهم من الصيد .قال وهناك قوم يقال لهم البابوانية يجرون مجرى المستقفين هاهنا والسلطان يطلبهم فاذا وقعوا في يده وظفر بهم فعل بهم كما يفعل باللصوص والعيارين قال وهم يصطادون الناس لايعرضون لغير ذلك قال والواحد منهم يتبع التجار الذين يطرأون اليهم من المسلمين والذمة فاذا رأى الواحد من التجار في طريق خال قبض عليه فحين يقبض عليه قد علم التاجر بامره فيسكت لانه ان استغاث اونطق قتله الهندي وقتل نفسه في الحال لا يتألم لذلك لاعتقادهم المشهور في القتل قال ويراهم الناس وقد اصطادوا الرجل فلا يعرضون لخلاصه لئلا يقتله ويقول

لهم الرجل الله الله ان عارضتموه فلا يمكن سلطاناً ولا غيره انتزاعه من يده في تلك الحال لئلا يعجل بقتله قال فاخبرني رجل من الهند ان رجلا من البابوانية قبض في طريق سفر على رجل لقيه منفرداً من التجار فقال له اشتر نفسك فتوافقا على ان يشتري نفسه منه بالف درهم فقال له التاجر تعلم اني خرجت ولا شيء معي ومالي في البلد فتصير معي الى داري في البلد لاؤدي ذلك اليك قال فأجابه وقبض على يده و لم يزل يمشي معه حتى اجتازا في طريقهما بقرية الجبارية طريقهما في سكة منها فسلكاها فحين حصلا فيها وظن التاجر الحيلة في الخلاص وقد كان عرف مذهب الهندي في الجبارية فلم يزل يمشي معه حتى رأى باباً مفتوحاً من دور الجبارية فجذب يده بحمية شديدة من يد البابواني وسعى فدخل دار الجباري فقال له مالك قال انا مستجير بك من يد بابواني اصطادني وتعريت منه قال لا بأس عليك فاجلس فصاح البابواني ياجباري ياجباري اخرج اليّ قال وهم لا يدخلون دور الجبارية لاستقذارهم اياهم قال فخرج ووقف وبينهما عرض الطريق لانه لا يجوز لاحدهما ان يدنو من صاحبه فقال له البابواني اعطني صاحبي قال قد استجار بي فهبه لي قال لا افعل هذا رزقي فان لم تعطنيه لم ندع جبارياً حتى قتلناه قال فطال الكلام بينهما الى ان قال الجباري اسلمه اليك في الصحراء فامض براً تسبقه الى الموضع الفلاني قال فمضى ودخل الرجل عليّ وقال لي اخرج لا بأس عليك فخرج معه واخذ الجباري قوسه وخمسين نشابة قال وسهامهم من القصب قال فعلق المسلم بكم الجباري ولصق به علماً منه بأن البابواني

لا يدنو منه فلما صار الى الصحراء قال له الجباري نهبه واجتهد به فلم يفعل قال فاني لا اسلمه او لا يبقى معي سلاح قال شأنك قال وهم لا يخطئون البتة في الرمي ففوق نحوه سهمه فحين اطلقه تلقاه البابواني بشيء كان معه فاعترض السهم باثنين (١) فقطعه باثنين وسلم منه فتحير الجباري قال فلم يزل يرميه بنشابة نشابة ويفعل بها البابواني مثل ذلك الى ان ذهب النشاب ولم يبق منه الا نشابتان فضعفت نفس التاجر وايقن بالهلاك وقال للجباري الله الله في دمي قال فقال له البابواني لا يقع لك انك قد افلت ثم اخذ سهماً فقال له الجباري لا تقدر على ذلك وسأريك من رمي (٢) ما تحدث به ابداً انظر الى هذا الطائر الذي يطير في السماء فاني أرميه فأصرعه على رأسك ثم أرميك فلا اخطئك قال فشال البابواني رأسه ينظر الى الطير فرماه الجباري فاصاب فؤاده فخر صريعاً يضطرب ومات وقال للتاجر ارجع الآن آمناً فرجع الى داره واقام عندهم الى ان اجتاز بهم صحبة رحل معها الى مأمنه.

حدثنا ابو الحسن (٣) قال حدثني رجل من اهل دار الزبير بالبصرة دقاق قال اورد عليّ رجل غريب سفتجة باجل فكان يتردد الى ان حلت ثم قال ادعها عندك وآخذها متفرقة فكان يجيء في كل يوم فيأخذ بقدر نفقته الى ان نفدت وصارت بيننا معرفة والف الجلوس عندي وانست به وكان يراني اخرج كيسي من صندوق لي فاعطي منه النفقات التي تحل عليّ فقال لي

«١» م . ع كذا في الاصل ولعله فاعترض السهم بالشيء فقطعه اثنين. «٢» بالاصل ذمي «٣» الفرج بعد الشدة ٢ : ١١٠ . كتاب الاذكياء.

يوماً ان قفل الرجل صاحبه في سفره وامينه في حضره وخليفته على حفظ ماله والذي ينفي الظنة عنده عن عياله فان لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل عليه واری قفلك هذا وثيقاً فقل لي ممن ابتعته لا بتاع مثله لنفسي فقلت من فلان القفال في خانات (١) الصفارين قال فما شعرت الا وقد جئت وطلبت صندوقي لاخرج منه شيئاً من الدراهم فحمل الي ففتحته فاذا ليس فيه شيء من الدراهم فقلت لغلامي وكان غير متهم عندي هل انكرت من الدرابات شيئاً فقال لا فقلت ففتش هل ترى في لدكان نقباً ففتش فقال لا فقلت فمن السقف حيلة فقال لا فقلت اعلم ان دراهمي قد ذهبت فقلق الغلام فسكت واقمت في دكاني لا أدري ما اعمل فتأخر عني الرجل فلما تأخر لتهمته وتذكرت مسألته لي عن القفل فقلت للغلام اخبرني كيف تفتح لدكان وتغلقه فقال رسمي اذا اغلقت الدكان اغلقه درابتين درابتين والدرابات في المسجد احملها دفعات اثنتين وثلاثاً في كل دفعة فاشرجها ثم اقفل وكذا افتحها فقلت البارحة واليوم كذا فعلت فقال نعم فقلت فاذا مضيت لترد الدرابات او تحضرها على من تدع الدكان قال خالياً فقلت فمن هاهنا وقع الشر ذهبت فمضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت له جاءك انسان منذ ايام اشترى منك مثل هذا القفل قال نعم وحكى عن صفته كيت وكيت فاعطاني صفة صاحبي فعلمت انه جاء واختبأ للغلام (٢) وقت المساء حتى إذا انصرفت انا ومضى وهو يحمل

«١» بالاصل حونات. «٢» عبارة الفرج اوضح : احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت انا وذهب الغلام يحمل الدرابات

الدوابات دخل الدكان فاختبأ فيه ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه الذي يقع على قفلي وانه أخذ الدراهم وجلس طول الليلة خلف الدرابات فلما جاء الغلام وفتح درابتين او ثلاث وحملها ليدفعها خرج هو وانه مافعل ذلك الا وقد خرج الى بغداد قال فسلمت دكاني الى الغلام وقلت له من سأل عني فعرفه اني خرجت الى ضيعتي قال وخرجت ومعي قفلي ومفتاحه فقلت ابتدئ بطلب الرجل بواسط فلما صعدت من السميرية (١) طلبت خاناً في الجسر (٢) انزله فارشدت اليه فصعدت واذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله فقال رجل قدم من البصرة اول امس فقلت اي شيء صفته فوصف صفة صاحبي فلم اشك انه هو وان الدراهم في بيته فاكتريت بيتاً الى جنبه ورصدت البيت حتى انصرف القيم وقمت ففتحت القفل بمفتاحي فحين دخلت البيت وجدت كيسي بعينه ملقىً فيه فاخذته وخرجت وقفلت البيت وتركته ونزلت الى السفينة التي جئت فيها وارغبت الملاح في زيادة أخرى (٣) حتى حماني وانحدرت في الحال وما اقمت بواسط الا ساعتين من النهار ورجعت الى البصرة بمالي .

حدثنا ابو الحسين حدثني رجل من اهل بغداد ان بعض من تاب من اللصوصية حدثه قال كان في الناحية الفلانية صيرفي كثير المال يطلبه اللصوص فلا يتم عليه حيلة ولا يقدرون عليه قال فتواطأ عليه جماعة لصوص كنت احدهم فقالوا كيف نعمل في دخول داره فقلت اما الدخول فعليّ لكم واما ما بعد

«١» م . ع السميرية ضرب من السفن . «٢» في الفرج : في الكتبين . «٣» لعله : اجرته

ذلك فلا اضمنه فقالوا فما نريد الا الدخول قال فجئت وهم معي عشاء فقلت لواحد منهم (١) فتصدق فاذا خرجت الجارية اليك بشيء فتباعد وتمام عليها لتجيء اليك تعطيك الصدقة وكن على خطا من الباب لادخل انا وهي متشاغلة معك قد بعدت عن الباب فلا تراني الى ان ادخل فاختبيء قال ففعل ذلك وحصلت مختبئاً في مستراح في الدهليز فلما عادت الجارية قال لها (سيدها) قد احتبست قالت (٢) حتى اعطيت السائل الصدقة قال ليس هذا قدر دفعك اليه قالت لم يكن على الباب فلحقته في الطريق واعطيته فقال وكم خطوة مشيت من الباب قالت خطا كثيرة قال لعنك الله اخطأت عليّ قد حصل معي في الدار لص لاشك فيه قال فحين سمعت هذا قامت قيامتي وتحيرت فقال لها هات القفل فجاءته به فجاء الى باب دهليز الدار والصحن بعد (٣) باب الدار فقفله من عنده ثم قال لها ادعي اللص الآن يعمل مايشاء قال فلما انتصف الليل جاء اصحابي فصفروا على الباب ففتحت لهم باب الدار فدخلوا الدهليز واخبرتهم بالخبر فقالوا ننقب العتبة ونخرج الى الصحن ونقبوا فلما فرغوا قالوا ادخل معنا فقلت نفسي قد نبت عن هذا الرجل واحسست بشر وما ادخل البتة فاجتهدوا بي فقالوا لا نعطيك شيئاً فقلت قد رضيت فدخلوا فحين حصلوا في الصحن وانا في الدهليز اتسمع عليهم مشوا فيه فاذا للمولى زبية في اكثر الصحن محيطة به يعرفها هو وعياله فيتقون المشي عليها ليلا ونهاراً وهي منصوبة للحفظ من هذا وشبهه وعليها بارية من فوق خشب رقيق جداً فحين

«١» لعله سقط : دق الباب. «٢» بالاصل قال. «٣» لعله سقط : قفل.

حصلوا عليها سقطوا اليها فاذا هي عميقة جداً لايمكن الصعود منها فسمع المولى صوت سقوطهم فصاح وقع هو'لاء وقام هو وجاريته يصفقون ويرقصون وتناولوا حجارة معدة لهم فازالوا يشدخون روْسهم وابدانهم بها واصحابي يصيحون وانا احمد الله على السلامة الى ان اتلفهم (١) وهربت انا من الدهليز ولم اعرف لاصحابي خبراً كيف دفنوا او كيف اخرجوا فكان ذلك سبب توبتي من اللصوصية.

حدثني ابو الحسين قال حدثني رجل من البغداديين قال كنت انا حدثاً حسن الوجه فلما اتصلت لحيتي وهي طرية بعد (٢) طلبت التصرف فكتب لي الى ابي احمد النعمان ابن عبيد الله فلقيته في عمله فاكرمني وبالغ في بري وامرني بالجلوس فجلست وكلما اردت القيام احتبسني الى ان لم يبق عنده احد الا خواصه ثم احضر المائدة فاكلنا فلما فرغنا قمت لاغسل يدي فحلف ان لا اغسلها الا بحضرته فغسلتها وقمت فقال الى اين فقلت الى منزلي فقال انت هاهنا غريب ولعلك في خان فقلت هو كذلك فقال وموضعنا اطيب وهو خير وخيشنا بارد فاقم عندنا فقلت السمع والطاعة ولم اعرف ما في نفسه فدخلت الخيش فلما حصلت عنده فيه جعل يستدنيني ولا اعلم غرضه الى ان صرت بقربه فضرب بيده يولع بي فعلمت ان شرطه في اللواط اصحاب اللحي الطرية فصعب علي ماتم من ذلك وقلت كيف اصنع ليس الا التطايب قال فقلت له ياسيدي اي شيء تريد قال اريد ان افعل كذا وكذا

«١» الصواب: اتلفاهم. «٢» بالاصل بعيد.

فقلت ياسيدي براءتي مني وقبضت على لحيتي قال لاتفعل هذه براءة مزورة قلت كيف؟ قال لاني ماوقعت فيها بقلمي

انشدني ابو طاهر المعروف بسيدوك الواسطي لنفسه:

هات اسقنيها بجوح البرق مامزجت

الا لتسيير سقلاطونها فينا

اذا لواعب اذرءوا بها غلبت

بجلنار سناها زهر (١) نسرينا

اريدني الناس ذر الشمس (٢) اذ رقصت

والماء يعرف في نار كما شينا

وانشدني لنفسه من ابيات:

ما اكثر الشعراء مذ قتل الندى

والشعر اعوز من دموع الارقم

وانشدني لنفسه قصيدة يمدح بها ابا الحسن عمران ابن شاهين امير البطيحة وفيها (ذكر) الهدري (٣) الذي يقاتل به هو واصحابه وهو شبيه الحراب يقول:

يسبي النفوس حراب ما ادرت بها

كاس المنية الا رحت ذا طرب

تظل من فضة حتى اذا وردت اصدرتها من دم الابطال من ذهب

«١» بالاصل : هر. «٢» لعله : ادير في النار. «٣» لعله : المدرى.

من كل مقلية(١) الجنبين ماضية قدت من الشمس اوقدت من اللهب

انشدني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار قال انشدني ابو اسحاق ابراهيم بن هليل (٢) الصابئ الكاتب لنفسه :

تورد دمعي فاستوى ومدامتي وفي(٣) مثل ما في الكاس عيني تسكب

فوالله ما ادري أبالخمر أسكبت (٤) جفوني ام من دمع عيني أشرب

وانشدني قال انشدني لنفسه(٥) :

مازلت في سكري المع كفها وذراعها بالقرص والآبار (٦)

حتى تركت اديمها وكأنما غرس البنفسج منه في الجمّار

قال وانشدني لنفسه (٧) :

فديت من شارفني لحظها (٨) من خيفة الناس بتسليمته

لما رأت بدر الدجى زاهياً (٩) وغاظها ذلك من شيمته

سرت له البرقع عن وجهها فردت البدر الى قيمته

وانشدني قال قرأت على ظهر دفتر:

كنا نزوركم والدار دانية في كل وقت فلما شطت الدار

صرنا نقدر وقتاً في زيارتكم وليس للشوق في الاحشاء مقدار

«١» م . ع لعلها مجلية لغة في مجلوة . «٢» م . ع المشهور هلال . «٣» م . ع المعروف فمن مثل ما في . «٤» م . ع المعروف : اسبلت. «٥» معجم الادباء ١ : ٣٥٦ «٦» م . ع في معجم الادباء والآثار . «٧» معجم الادباء ١ : ٣٤٨ . «٨» م . ع كذا في الاصل ولعل صوابه سارقني لحظها . وفي معجم الادباء لاحظني طرفها . «٩» م . ع في معجم الادباء تائهاً .

حدثني ابو الحسن محمد بن غسان الطبيب قال كان عندنا بالبصرة في البيمارستان رجل موسوس يعرف بالحسن بن عون من اولاد الكتاب حبس في البيمارستان للعلاج في سنة ٣٤٢ وكان حبسه سنين ثم صلح فاستخدم في البيمارستان الى ان تكامل صلاحه وكنت اختلف الى البيمارستان لتعلم الطب فكنت اشاهده كثيراً فاول يوم علمت انه يقول الشعر سمعته وهو يقول :

ادافع همي بالتعلل والصبر وامنع نفسي بالحديث عن الفكر
وارجو غداً حتى اذا ماغد اتى تزايداني همي فيسلمني صبري
فلا الهم يفنيني ولا العمر ينقضي ولا فرج يأتي سوى ادمع تجري
الى الله اشكو ما اقاسي فانه عليم باني قد تحيرت في امري

وعرفت حاله في ادبه بانشاده اياي كل يوم من قطعة شعره يعملها بحضرتي وشاهد عمل الجلنجبين(١) في البيمارستان .

فقال وانشدنيه لنفسه:

انظر الى الورد في أكفهم يطيع(٢) للقاطفين من ورقه
كالقلب نار الهوى تحرقه والقلب يهوى الهوى على حرقه

وحملت اليه شيئاً من المأكول اشتهاه عليّ فكتب الى جانب حائط :

حضرت من طرف مابعثت به(٣) وقلت ياسيدي ومولاي

«١» م.ع الجلنجبين معجون يعمل من الورد والعسل فارسي مركب من «كل » اي ورد و«انجبين» اي عسل«٢» لعله يضيع بمعنى يضوع . م.ع اطاع يطيع اي لم يمتنع على قاطفه ولم نجد مايستأنس به لمجيء يضيع بمعنى يضوع الا تضيع بمعنى تضوع .«٣»م.ع لعل اصله حصرت من ظرف ما بعثت به . اي عييت وعجزت عن الثناء بسبب ظرافته وحسن ما بعثت به.

لو ان اعضاء شاكر نطقت   بالشكر اثنت عليك اعضاي

ما نفثت للكرام كلهم   و يا صباحي كمثل ممساي

لو ان مابي ببعض اعدائي   بكيت مما ارى باعداي

حدثنا القاضي ابو القاسم عمر بن حسان بن الحسين انه بلغه عن رجل قليل المشيرة(١) ردي الدين كان يجمع بين زوجته وبين اهل الفساد في منزله قال عشق امرأته رجل وكان مفتناً(٢) عليها في منزله واحلفها بحضرته انها لا تطاوع زوجها على الجماع قال وكانا ليلة على شأنهما في اسفل الدار التي للزوج فصعدت المرأة الى السطح هناك واحتبست فلما جاءت خاصمها العشيق وقال لعله فعل بك زوجك كذا فقالت وحلفت انه ماجرى من ذلك شيء وسمع الزوج الكلام فقام يصلي في السطح ويصيح الله اكبر ليسمع العشيق ويعلمه انه لم يكن يصلي وهو جنب حتى يصلح بينه وبين المرأة بذلك.

وهذا ضد ما حدثني به ابو الحسن احمد بن يوسف بن البهلول التنوخي ان امرأة من اهلهم بالانبار كانت قد جازت الاربعين سنة وخرجت من بيتها الى بغداد في محنة عرضت لها فلما حصلت في الطريق رأت جملا يدير دولاباً فقالت ماهذا ؟ فقيل لها دولاب الجمل فحلفت بالله انها ما رأت جملا قط.

حدثنا ابو الحسين احمد بن محمد بن طريف المعروف باحمد الطويل قال كتب الي ابو محمد عبد العزيز المافروخي وانا اتقلد حصن مهدي والغرض

(١) م . ع الصواب قليل الغيرة . (٢) م . ع الظاهر ان اصلهما ينفق عليها وهو اقرب الى الاصل .

والاعمال التي كنت أتقلدها مع ذلك وهو يتقلد البصرة يسألني اطلاق تمر له اجتاز عليّ ويعرض بان مكافأة ذلك لا تذهب عليه فأطلقت له التمر بلا ضريبة ولا موءنة وكتبت اليه اعاتبه على هذه اللفظة فكتب اليّ كتابا يعتذر حفظت منه قوله :

ووصل كتابك الذي أبان الله به فضلك وسهل الى سبل المكارم سبقك وفهمته فهم معجب به ومتعجب منه وسرني صدره لا لقدر الحاجة في نفسي ولا في نفسك ولكن لما انفذه من بصيرتي فيك وقواه من معرفتي بك ووجدتك وقد اضطربت من لفظة ذكرت أني ضمنتها كتابي وهي الايضاح والتلويح بالمكافاة والتعويض ومعاذ الله ان ينطق بذلك لساني او تجري به يدي لان مثله لايجري الا عن ذي عطن ضيق الى ذي باع في المحامد قصير ولا هذه صورتك ولا صورتي واذا كانت الانفس واحدة والاموال مشتركة فأي فائدة لي في ان اتناولك ببعض مالك او ارد اليك ماهو لك فان تكن الصورة كما يخيل لي فانت أيدك الله المليم دوني وان كنت بحمد الله ومنه من كلما يقع عليه اللوم بعيداً وان تكن الاخرى وهبت زلتي لمعذرتي فاني بشر غير معصوم والخطأ والنسيان جاريان عليّ .

انشدني ابو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال انشدنا ابو محمد المهلبي في وزارته وعمله بين ايدينا وقد نصبت له في داره بالاهواز كلة قصب وحركتها الريح فاستحسن ذلك وقال :

رأيت من الهوا فشمت بها اختلاس لحظ وخلت فيها وجيب قلب(١)

وحدثني ابو الفضل قال حدثني رجل من شيوخ المتصرفين ببلدنا يقال له عباد بن الحريش قال لما كتب علي بن المرزبان عم أبيك (٢) لعمرو بن الليث ورقت حاله بعده (٣) حتى قلده عمالة شيراز صادر المتصرفين على اموال الزمهم اياها وكنت ممن أخذ خطه عن العمل الذي كان يليه بثمانين الف درهم قال فأديت منها أربعين الف درهم ونفدت حيلتي وحالي ولم يبق لي في الدنيا الا داري التي اسكنها ولا قدر لثمنها فيما بقي عليّ فلم ادر ما اعمل وفكرت فوجدت علي بن المرزبان رجلاً سليم الصدر فعملت رؤيا واجمعت رأيي على ان القاه بها واجعلها سبباً لشكوى حالي والتوصل الى الخلاص قال فجلست وعملت الرؤيا وحفظتها واحتلت خمسين درهماً وبكرت من الغد قبل طلوع الفجر فدققت بابه ....(٤) كان له يجري مجرى حاجب من خلف الباب من انت فقلت عباد بن الحريش قال في هذا الوقت قلت نعم ففتح لي فدخلت وشكوت حالي وقلت هذه خمسون درهماً لا املك غيرها فخذها وادخلني اليه قبل تكاثر الناس عليه فان فرج الله عني فعلت بك وصنعت قال فدخل واستأذن لي وتلطف حتى ادخلني اليه وهو يستاك فقال ماجاء بك في هذا الوقت فدعوت له وقلت بشارة رأيتها في النوم البارحة فقال وما هي فقلت رايتك كأنك تجيء الى شيراز من حضرة الامير وتحتك فرس اشهب عظيم لم ير قط احسن منه وعليك السواد وقلنسوة الامير على رأسك وفي

«١» كذا بالاصل . «٢» الاصح: عمك . «٣» لعله عنده . «٤» يظهر انه قد سقط شيء .

بيدك خاتمه وحواليك مائة الف انسان من فارس وراجل وقد تلقاك امير البلد فترجل لك وانت تجتاز وطريقك كله اخضر منور مزهر والناس يقولون ان الامير قد استخلف (١) على جميع امره قال وقصصت الرؤيا وهذا معناها فقال خيراً رأيت وخيراً يكون انشاء الله فما تريد ؟ قال فشكوت حالي وذكرت امري فقال أنظر الك بعشرين الف درهم وتؤدي عشرين الف درهم قال فحلفت بالطلاق انه لم يبق لي الا مسكني وبكيت وقبلت يده واضطربت بحضرته فرحمني وكتب لي الى الديوان باسقاط ذلك عني وانصرفت ولم يمض الا شهور حتى كتب عمرو بن الليث الى علي بن المرزبان يستدعيه ويامره بحمل ما اجتمع له من الاموال وكان قد جمع له مالم يسمع قط باجتماع مثله في وقت واحد من اموال فارس فانه جمع له ستين الف الف درهم قال فحملها الى سابور (٢) وخرج وتلقاه عمرو بن الليث بجميع قواده واهل عسكره وهاله عظم ذلك المال فاستخلفه على فارس واعمالها حرباً وخراجاً وفوض اليه الامور كلها واذن اليه في الحل والعقد بغير استئمار وخلع عليه سواداً له وحمله على فرس اشهب عظيم الخلقة كان يعظمه عمرو ويكثر ركوبه ودفع اليه خاتمه ورده الى فارس قال فوافاني في زمن الربيع ولم يحل الحول على قصتي معه فخرج امير البلد وقد صار من قبله ليستقبله وخرج الناس فتلقوه على ثلاثين فرسخاً واكثر وخرجت فتلقيته في مضيق على العطفة التي في طريق

(١) م . ع الظاهر استخلفه
(٢) م . ع سابور كورة بفارس

خراسان وقد ذكرها (١) وبينها وبين البلد نصف فرسخ قال فوافى وهو على الصفة التي ذكرتها له في المنام الموضوع والدنيا على الحقيقة خضراء بآثار الربيع وزهره وحوله اكثر من مائة الف انسان وعليه قلنسوة عمرو بن الليث وفي يده خاتمه وعليه السواد وتحته الفرس الاشهب وقد تلقاه امير البلد فترجل له . قال فحين رأيته ترجلت ودعوت له فلما رآني تبسم واخذ بيدي وادنى (٢) السواد بي ثم تفرق الجيش بين يديه فلحقته الى البلد فلم استطع القرب منه لازدحام الدواب فانصرفت وباكرته من غد في مثل ذلك الوقت الذي كنت جئته ليلة الرؤيا فقال لي الحاجب من انت فقلت عباد فقال ادخل واستأذن فدخلت وهو يسائل فضحك الي وقال قد صحت رؤياك يا عباد الحمد لله فقال لا تبرح من الدار حتى انظر في امرك قال وكان باهله باراً ورسمه اذا ولي عملا ان لا ينظر في شيء من امر نفسه حتى ينظر في امر اهله فيصرف من يصلح منهم للتصرف او يبره واذا فرغ منهم عدل الى الاخص فالاخص من حاشيته فاذا فرغ من ذلك نظر في امر نفسه قال فجلست في الدار الى قرب العصر وهو ينظر في امر اهله والتوقيعات تخرج بالصلات والارزاق وكتب التقليدات الى ان صاح الحاجب عباد بن الحريش فقمت اليه فقال اني ما نظرت في امر احد غير امر اهلي فلما فرغت

«١» م . ع قوله وقد ذكرها . مقدم وموضعه بعد قوله الآتي في المنام الموضوع .

«٢» م . ع الظاهر ان اصلها وادنى سوادي . من قولهم وادنى سواده من سواده اي قرب شخصه من شخصه .

منهم بدأت بك قبل الناس كلهم فاحتكم ما تريد .فقلت يرد عليّ المال الذي اديته وتقلدني العمل الذي صرفتني عنه قال فوقع لي برد المال وتقليد العمل وقال امض فقد اوعز لك بالعمل فخذ ارتفاعه كله. قال وكان يستدعيني في كل مديدة ويحاسبني ولا يأخذ مني شيئاً انما يكتب لي روزات (١) من مال العمل ويصلح حسبانات ويقبلها ويخلدها (٢) الديوان وارجع الى العمل وكنت كذلك الى ان زالت ايامه فرجعت الى شيراز وقد اجتمع لي مال عظيم صودرت منه على شيء يسير وجلست في بيتي وعقدت «٣» نعمة بالمال ولم اطلب تصرفاً الى الآن .

حدثني ابو الفضل قال حدثني ابو الحسن ثابت بن سنان الحراني الطبيب انه رأى رقعة يتواردونها (٤) بخط جبريل بن بختيشوع المتطبب فيها ثبت ما وصل اليه من يحيي بن خالد البرمكي وبيته وجواريه واولاده من ضيعة وعقار ومال وغير ذلك يحتوي على سبعين الف الف درهم وتفصيل ذلك شيئاً شيئاً وانهم يحفظونها للعجب والاعتبار قال فاستهولت ذلك وانصرفت فحدثت بذلك بعض الرؤساء ببغداد وكان بحضرته ابو الحسن

«١» م . ع يقال رازه روزاً اذا اختبره وجرب ما عنده والظاهر انه مأخوذ من كلمة روزي ومعناها بالفارسية يومي او يومية ثم نقلها الفرس انفسهم الى معنى الرزق والمعاش والمعنى على هذا انه كان يكتب لى عطاء من مال عملى . «٢» م . ع الظاهر ان الاصل يخلدها في الديوان او يدخلها الديوان . «٣» م . ع ولعل الاصل واعتقدت عقدة بالمال والعقدة كل مال يتأثل كالضيعة والعقار . واعتقده اشتراه . «٤» م . ع يقال وازده الماء وتوارده اذا ورده معه وبين الشاعرين توارد على معنى واحد ولعلها يتوارثونها .

علي بن هارون المنجم فقال وأي شيء تتعجب من هذا .

حدثني ابي عن ابيه قال (١) كنت بحضرة المتوكل في يوم مهرجان او نيروز وهو جالس والهدايا تحمل اليه من كل شيء عظيم ظريف مليح الى ان ضربت دبادب (٢) الظهر وهم بالقيام فدخل بختيشوع الطبيب وهو ابن جبريل بن بختيشوع الاكبر فحين رآه المتوكل استدناه جيداً حتى صار مع سريره واخذ يمازحه ويلاعبه ويقول ان هدية اليوم فقال له بختيشوع يا امير المؤمنين انا رجل نصراني لا اعرف هذا اليوم فاهدي فيه فقال دع هذا عنك ما تأخرت الى الآن الا انك اردت ان تكون هديتك أخير الهدايا فيورى (٣) فضلها على الهدايا فقال ما فكرت في هذا ولا حملت شيئاً فقال له بحياتي عليك . فضرب بيده الى كمه فاخرج منه مثل الدواة معمولاً من عود هندي لم ير قط مثله كالابنوس سواداً وعليه حلية ذهب محرّق (٤) لم ير قط احسن منها عملاً ولا من الدواة قال فقدر المتوكل ان الهدية هي الدواة فاستحسنها فقال لا تعجل يا مولاي حتى ترى ما فيها ففتحها واخرج من داخلها ملعقة كبيرة محرق من ياقوت احمر قال فخطفت ابصارنا ودهشنا وتحيرنا فبهت المتوكل وابلس «٥» وسكت ساعة متعجباً مفكراً ثم قال يابختيشوع والله ما رأيت لنفسي ولا في خزانتي ولا في خزائن

«١» راجع عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٤٣ «٢» م . ع الدبادب حكاية صوت دب دب والدبداب الطبل ودبدب ضرب به ويحتمل ان يكون جمع دبداب. «٣» يريد فيرى وهي لغة العامة . م . ع : الظاهر فيدري فضلها . «٤» يقال حرقه بالمبرد اذا برده وحك بعضه ببعض كحرقه. «٥» م . ع ابلس تحير ودهش وسكت غماً .

اباثي ولا سمعت ولا بلغني انه كان للملوك من بني امية ولا لملوك العجم مثلها فمن اين لك هذه ؟ فقال الناس لا يطالبون بمثل هذا وقد اهديت اليك ما قد اعترفت بانك لم تر ولم تسمع بمثله حسناً فليس لك مسألتي عن غيره .قال بحياتي اخبرني فامتنع . الى ان كرر عليه احلافه بحياته دفعات وهو يمتنع فقال ويحك احلفك بحياتي دفعات ان تحدثني حديثاً فتمتنع وقد بذلت لي ما هو اجل من كل شيء قال فقال له نعم يامولاي كنت حدثاً اصحب ابي جبريل بن بختيشوع الى دور البرامكة وهو اذ ذاك طبيبهم لا يعرفون خدمة طبيب غيره ولا يثقون برأي غيره ويدخل الى حرمهم ولا يستتر اكثرهم عنه .قال فصحبته يوماً وقد دخل الى يحي بن خالد فلما خرج من عنده عدل به الخادم الى حجرة دنانير جاريته فدخلت معه وافضينا الى ستارة منصوبة في صدر مجلس عظيم وخلفها الجارية فشكت اليه شيئاً وجدته فاشار عليه بالفصد وكان لا يفصد بيده وانما يحمل معه من يفصد من تلامذته ورسم الفصد عليهم خمسمائة دينار قال فندبني ذلك اليوم للفصد واخرجت يدها من وراء الستارة ففصدتها وحملت اليّ في الحال خمسمائة دينار عيناً واخذتها وجلس ابي الى ان يحمل اليها شراب تشربه بحضرته ورمان اشار عليها باستعماله قال فحمل ذلك في صينية عظيمة مغطاة وتناولت منه ما ارادت وخرج الظرف مكشوفاً فرآه ابي فقال للخادم قدمه اليّ فقدمه اليه فكان في جملته جامة فيها رمان وفيها هذه الملعقة فحين راها ابي قال والله ما رأيت مثل هذه الملعقة ولا الجامة قال فقالت له دنانير بحياتي عليك ياجبريل خذها

قال فمل وقام ينصرف فقالت له تمضي فبي اي شيء تدع هذه الملعقة قال لا ادري قالت أهدي اليك غلافها فقال ان تفضل «١» فقالت هاتم «٢» تلك الدواة فجاءوا بهذه الدواة فوضع ابي فيها الملعقة وحملها والجامة في كمه وانصرفنا . فقال له المتوكل جامة تكون هذه ملعقتها يجب ان تكون عظيمة القدر فبحياتي ما كان من الجامة؟ فاضطرب وامتنع امتناعاً عظيما الى ان احلفه مراراً بحياته فقال اعلم اذا قلت اي شيء كانت طالبتني بها فدعني أمضي واجيء بها واتخلص منك دفعة واحدة فقال افعل قال ومضى فلم يهن المتوكل الجلوس ولم يأخذه القرار حتى جاء بختيشوع «٣» وأخرج من كمه جامة على قدر الزبدية او الجامة اللطيفة من ياقوت اصفر فوضعها بين يديه .

«للبحث صلة»

«١» كذا بالاصل يريد تتفضلي . «٢» م . ع : لم نجد هاتم والمعروف هاتوا «٣» كذا بالاصل والمراد جبرئيل

رسالة الكرم

- ٤ -

«مقاربة الأثمار وبواكيره»

في المخصص اذا قارب الشجر ان يثمر فانه يقال له المُلِمّ وفي اللسان في ارض فلان من الشجر الملم كذا وكذا وهو الذي قارب ان يحمل . ويقال أحنط الشجر والعشب وحَنَطَ يحنُط حنوطاً اذا أدرك ثمره .

الأصمعي ونقول انه لحُيل وربما حوّل العنبُ اذا ماأثمر في عام وأحال في الآخر . وفي المخصص واذا لم تحمل الشجرة عاماً بعد ان كانت تحمل قيل اخلفت وحالت تحول حيالاً وهي شجرة حائل في شجر حوائل فاذا حملت عاماً ولم تحمل عاماً فقد عاومت وفي مبادي اللغة وشجر واعد مرجو الثمر . وحائل لم تحمل سنتها .

وعوّم الكرم تعويماً اذا كثر حمله عاماً وقلّ آخر . وعنب معوّم اذا حمل عاماً ولم يحمل عاماً . كذا في اللسان والتاج . وفي الاصمعي . وعنب معوّم اذا ماحمل عاماً وقلّ حمله عاماً وفي مبادي اللغة ويقال شجرة معاومة وكرم معاوم اذا حملت سنة ولم تحمل أخرى .

البِكْر الكرم الذي حمل اول مرة [1] والجمع ابكار قال الفرزدق :

اذا هن ساقطن الحديث كأنه جنى النحل او ابكار كرم تُقَطَّف

أراد الكرم البكر الذي لم يحمل قبل ذلك .

وفي المخصص . واذا عجلت الشجرة بالأثمار وبالينع قيل بكّرت وأبكرت وتبكّرت تبكُر بكوراً وهي بَكُور وجمعها بُكُر واذا كان ذلك عادتها فهي مِبكار والثمرة باكورة ثم قال واذا أخّرت فهي مِئخار . والباكورة اول ما يدرك من الثمر . وفي المصباح باكورة الفاكهة اول مايدرك منها وابتكرت الفاكهة اكلت باكورتها . قال ابو حاتم : الباكورة من كل فاكهة ماعجل الاخراج والجمع البواكير والباكورات . وفي اللسان

---

(١) وفي اللسان الذي حمل اول حمله .

والباكور من كل شيء المعجّل المجيء والادراك والانثى باكورة . وابتكر الرجل اكل باكورة الفاكهة . واول كل شيء باكورته . وفي اللسان وتسرّع الكرم بسوقه غُمْزُه وغُرَّة الكرم مسرعة بسوقه . وغرة النبات رأسه وغرة كل شيء اوله واكرمه .

المِعْلاق والمُعْلوق . ماعلق من عنب ولحم وغيره كذا في اللسان . وفي التاج وفي بيته معاليق الثمر والعنب جمع معلاق وفيه ايضاً وكل ماعلق به شيء فهو معلاقه . ويقال أَثْلَثَ الكرم . فضل ثلثه واُكل ثلثاه .

« حب العنب وثمره »

الحب اسم جنس للحنطة وغيرها مما يكون في السنبل والاكمام جمعه حبوب كفلس وفلوس وواحدته حبة وتجمع على حبات على لفظها وعلى حباب ككلابة وكلاب . وفي اللسان والحب الزرع صغيراً كان او كبيراً واحدته حبة والحب معروف مستعمل في اشياء جمة . حبة من بر . وحبة من شعير حتى يقولوا حبة من عنب والحبة من الشعير والبر ونحوهما والجمع أحبات وحب وحُبُوب وحُبّان والاخيرة نادرة . وفيه ايضاً والحِبَّة بزور البقل والرياحين و بزر كل نبات ينبت وحده من غير ان يبذر . وفي التاج الحبة بالضم عجم العنب وقد يخفف فيقال الحبة كثبة وسيأتي .

وفيه ايضاً والحبة كثبة حبة العنب وقيل هي العنب اول ماينبت من الحب ما لم يغرس جمعه حبى كهدى .

الأصمعي اول مايخرج من العنب نسميه ثمراً . وفي القاموس الثمر محركة حمل الشجر ثم قال والواحدة ثَمَرة و ثَمُرة كسَمُرَة(١) . وفي المصباح الثمر بفتحتين والثمرة مثله فالاول مذكر ويجمع على ثمار مثل جبل وجبال ثم يجمع الثمار على ثُمُر(٢) مثل كتاب وكتب ثم يجمع على أثمار مثل عنق وأعناق . والثاني مؤنث والجمع ثمرات مثل قصبة وقصبات . والثمر هو الحمل الذي تخرجه الشجرة سواء أكل او لا فيقال ثمر الاراك وثمر العوسج وثمر الدوم وهو المقل كما يقال ثمر النخل وثمر العنب . قال الازهري وأثمر الشجر

(١) جمعها ثَمُر كسَمُر ولا تكسر لقلة فَعُلة في كلامهم .

(٢) في اللسان وقد يجوز ان يكون الثُمُر جمع ثَمَرة كخَشَبة وخُشُب .

أطلع ثمره اول مايخرجه فهو مثمر . وفي اللسان والتيمار كالثمر . وفيه وثمر الشجر وأثمر صار فيه الثمر وقيل الثامر الذي بلغ أوان ان يثمر والمثمر الذي فيه ثمر . وشجر ثامر اذا أدرك ثمره وشجرة ثمراء ذات ثمر .

وثمّر النبات نفض نوره وعقد حبه . وقال ابن الاعرابي أثمر الشجر اذا طلع ثمره قبل ان ينضج فهو مثمر .

الحَمْل ثمر الشجرة والكسر لغة فيه . وقيل الحمل بالكسر ما ظهر من ثمر الشجر والحمل بالفتح مابطن منه كأنه ذهب به الى ما تحمله المرأة في البطن . وحملت المرأة والشجرة علقت . وشجر حامل . وفي التاج شجرة حاملة ذات حمل . وفي المخصص الحامل منها المطعم . وفي المصباح حملت الشجرة حملاً أخرجت ثمرتها فالثمرة حمل تسمية بالمصدر وهي حامل وحاملة .

وأطعمت الشجرة أثمرت وأطعمت الثمرة أدركت اي صارت ذات طعم وأطعمت الشجرة أدرك ثمرها[1] وشجر مُطعِم مثمر يؤكل ثمره والطعم بالفتح الأكل وما يؤديه الذوق من حلاوة وحموضة ونحوهما . وما يشتهى من الطعام .

والطعم بالضم الطعام . والحب الذي يلقى للطير .

الأكل الثمر يقال أكل بستانك دائم وكل مايؤكل فهو أكل وآكلت الشجرة أطعمت وآكل النخل والزرع وكل شيء اذا أطعم وأُكُل الشجرة جناها .

« العنب وحبه »

العِنَب والعِنَباء[2] بالمد ثمر الكرم واحدته عنبة . وقال الجوهري فان جمعته في ادنى العدد جمعته بالتاء فقلت عنبات وفي الكثير عنب وأعناب . وقد عنب الكرم

(١) واطّعمت الشجرة على افتعلت أدركت ثمرتها يعني اخذت طعماً وطابت .

(٢) قال الشاعر :

أُطعمن أحياناً وحيناً تسقين العنباء المنقى والتين
كأنها من ثمر البساتين لا عيب الا انهن يلهين
عن لذة الدنيا وعن بعض الدين

تعنيباً . والعنّاب كشداد بائع العنب ورجل عانب ذوعنب . والعنب الخمر كما ان الخمر العنب في بعض اللغات . قال في المخصص العرب تسمي العنب خمراً والخمر عنباً . قيل ومن الاول قوله تعالى : (اني أراني أعصر خمراً) اي عنباً . ونقل ان رجلاً رأى يمانياً قد حمل عنباً فقال ما تحمل فقال خمراً فسمي العنب خمراً وقيل انها لغة يمانية ومن الثاني قول الراعي :

ينازعني بها نُدمان صدق   شواء الطير والعنب الحقينا[1]

فقد أراد الخمر . ويقال عنب خمري يصلح للخمر .

الجَنى للعنب قال الشاعر : (حب الجنى من شُرَّع نزول)

يريد ما شرع من الكرم في الماء وكل ما يجنى فهو جنى وجناة وجمع الجنى أجْن وقد يجمع على أجناء . واكثر ما يستعمل الجنى فيما كان غضاً . ويقال أجنى العنب وأجنى الكرم اذا خرج جناه وأجنى الثمر أدرك وأجنى الشجرُ صار له جنى يجنى فيؤكل . وثمر جني كغني جني من ساعته وقيل الجَني الثمر المجتنى ما دام طرياً وجنى الثمر ونحوها وتجناها واجتناها تناولها من شجرتها . ويقال علّل الرجل تعليلاً اذا جنى الثمرة مرة بعد أخرى فهو معلل كمحدث وفعله التعليل .

الفِطْر بالكسر والضم العنب[2] اذا بدت رؤوسه لان القضبان تتفطر عنه .

البرم بفتحتين حب العنب اذا كان مثل رؤوس الذر اوفوقة . وقد أبرَم الكرمُ .

العرجود كزنبور اول ما يخرج من العنب كالثآليل .

الحَثَر محركة حب العنب وذلك بعد البرم حين يصير كالجُلجُلال[3] . وفي اللسان والحثر حب العنقود اذا تبين . والحثر من العنب ما لم يونع وهو حامض صلب لم يشكل ولم يموه . وفي الاصمعي فاذا فرغ من نفضه قيل حثر وفصل .

---

(١) هكذا رواه في اللسان والتاج وفي المخصص ونازعني بها الخ والحقين المجمول في الزق . (٢) هكذا في التاج واللسان وفي المخصص اذا بدت رؤوس حب العنب كان فطراً ثم كان زمَعاً اذا كان مثل رؤوس الذر . (٣) هو ثمر الكزبرة وقيل حب السمسم ويقال لما في جوف التين من حب الجلجلان .

النفض [1] . حب العنب حين يأخذ بعضه ببعض . ويقال نفض الكرم اذا تفتحت عناقيده وانتفض الكرم نفض ورقه .

وجدَّر العنب صار حبه فويق النَفَض . وفي اللسان جَدَر [2] النبت والشجر وَجدُرَ [3] جدارة وجدَّر وأجدر طلعت رؤوسه في اول الربيع وذلك يكون عشراً او نصف شهر وكذلك الارض .

ويقال فصَّل الكرمُ . خرج حبه صغيراً أمثال البُلْسن (العدس) فاذا عظم فكان مثل الحمص قالوا أهْبَر اي خرج هبره وفي التاج الهُبْر والهُبْرة . حب العنب .

أعْفى الكرمُ خرجت عيدانه او عِصِيُّه ولم يثمر . قال الأصمعي وهو حين يكون في العيدان مثل حب الخردل . « للبحث صلة »

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي العربي

---

(١) هكذا في اللسان . وفي المخصص النفض حب العنب حين يأخذ بعضه ببعض او ينقبض وفي عبارة الأصمعي ثم يكون نفضاً حتى يأخذ بعضه ببعض او ينتفض . وفي القاموس والنفض بالتحريك ماسقط من الورق والثمر وحب العنب حين يوجد بعضه في بعض وقد زاد الزبيدي شارحه على الجملة الثانية فقال والنفض ايضاً ما تساقط من حب العنب الخ عبارة القاموس وقد تبين ان هذه الزيادة ليست في كلام اللسان والمخصص والأصمعي فلعلها سهو . فتأمل .

(٢) من باب قعد . (٣) ككرم .

مطبوعات حديثة

مختارات المقتطف

« وهي طائفة منتخبة ومبوبة من انباء ارتقاء العلوم في الثلث الاول من »
« القرن العشرين ، عدد صفحاته ٢٨٠ صفحة وفيه عدة أشكال »

نعم الهدية هذا الكتاب من المقتطف الى مشتركيه فلقد حوى من الانباء العلمية التي اعتدنا قراءتها في آخر صفحات المقتطف عدداً وافراً رتبت على ثلاثة اقسام وهي اولاً العلوم الطبيعية والرياضية ومنها النور والحرارة والجاذبية والكهرباء والكيمياء والفلك والجيولوجية . ثانياً علوم الاحياء ومنها العلوم المختصة بالنبات والزراعة والحيوان والانسان . ثالثاً العلوم التطبيقية وأشير بها الى علم الآثار والعاديات وما كشف العلماء منها في اوائل هذا القرن ، ثم تقدم المواصلات في البر والبحر والجو وتقدم المخاطبات بلا أسلاك . الخ .

وأعظم فائدة للكتاب ان القارئ يجد فيه معلومات شتى في تقدم العلوم المذكورة مجموعةً في مجلد واحد لولاه لكان القارئ يحتاج الى مراجعة عدد كبير من اجزاء المقتطف اوالمجلات الاجنبية . ثم انه يتذوّق فيه سلاسة اللغة العلمية لغة العلامة الفقيد يعقوب صروف الذي لم يجاره بها احد في حياته ولم يبلغ مبلغه بعد مماته على ما نعلم ويعلم رفاقنا في المجمع العلمي العربي بدمشق .

ولا شك ان لغة المقتطف العلمية تدنت قليلاً بعد الفقيد وهذا امر لا يستغرب لانه لا يمكن للسيد فؤاد صروف ولا لغيره اياً كانوا ان يجثوا في العلوم الحديثة على كثرتها بلغة يعقوب او يصلحوا مقالات الكتاب كما كان يصلحها ولكنني (وانا قائم على تتبع المصطلحات العلمية الطبيعية والزراعية في المقتطف وغيره) أتوسم بالسيد فوآد انه سيكون خير خلف للفقيد في هذا الباب وهذا مايسر كل الذين يغارون على لغتنا الكريمة .

وكنت فيما مضى قرأت في مجلدات المقتطف معظم الأبحاث الواردة في هذا الكتاب واقتبست كثيراً مما حوته من المصطلحات العلمية وقد عثرت اليوم في الصفحة ١٧٧ على لفظة

« ز بانيين » بمعنى قرنين صغيرين وهـذه اللفظة فصيحـة وهي خير اسم للعضوين اللذين يسميان في علم الحشرات (Antennes) ·

ولا بد لي وانا اكتب في مجلة المجمع من لفت نظر السيد فوآد المحترم الى بعض هفوات منها استعماله في الصفحة (ب) من المقدمة لفظة نوع بدلاً من صنف او ضرب فالانسان لا يستطيع اليوم ان يولد بالوسائل العلمية نوع الورد مثلاً بل يولد أصنافاً من نوع الورد (اوضروباً) · وكنت اود لو استعمل لفظة الجسور بدلاً من الكباري في الصفحة (ح) لان اللفظة التركية الأخيرة لا يفهمها غير المصريين فلذلك يمكن وضعها ضمن هلالين لا الاقتصار عليها · وفي الصفحة نفسها لفظة النسجة وهي شائعة مع انني لم أجدها في الامهات بجمع نسيج نُسُج وجمع نسيجة نسائج · وجاء في الصفحة ٥٠ « نتروجين الصودا أسرع فعلاً من سلفات الامونيا» والصحيح «نترات الصودا أسرع فعلاً من سلفات الامونيا » او « نتروجين نترات الصودا اسرع فعلاً من نتروجين سلفات الأمونيا » ·

وبعد اننا نهنئ اصحاب شيخ المجلات بهذا الكتاب الذي هو يد جديدة تضاف الى ما لهم من الأيادي البيضاء على لغتنا العربية · « الشهابي »

الاسمدة واستعمالها

« تأليف السيد حسني المقدادي ، وهو يحتوي على ١٦٥ صفحة »

« بقطع صغير »

يشتمل هذا الكتاب على أبحاث في النبات وغذائه والتربة وعناصرها والأسمدة وتركيبها واستعمالها في أهم الزروع والأشجار ·

ويظهر ان المؤلف حديث العهد بالتأليف لان رأيه في كثير من الامور لا يزال فطيراً فقد قسم أنواع الأتربة في الصفحة (٤٣) ومايليها تقسيماً ناقصاً ومغلوطاً وجعل الكلس في أهم سهول الشام « اقل من كاف للمزروعات » ولا سيما في الاتربة الطينية الكلسية حيث مقدار الكلس عظيم · وقال ان الآزوت (نتروجين) في اكثر نموذجات الأتربة التي أخذت من انحاء الشام وحللت هو أقل من نصف في الألف مع انني نشرت

الى اليوم نتيجة تحليل اربعين نموذجاً من الأتربة مأخوذة من أهم أصقاع الشام الزراعية وجميعها تحتوي على أكثر من نصف في الألف من الآزوت ·

وسمى الدم والعظم زبلاً (ص٧٢) كما سمى الروث والخثي والبعر بقايا (٧٨) · اما لغة الكتاب فسقيمة ولا تكاد تخلو صفحة من غلطة او غلطات ·

وبعد اننا ننصح للمؤلف وامثاله من الذين درسوا الزراعة في احدى المدارس الاجنبية سواء أحازوا اجازة مدرستهم ام لم يحوزوها ان لا يقدموا على التأليف قبل اتقان لغتهم وقبل فتل الموضوع الذي يؤلفون فيه درساً وتنقيباً · وليقتبسوا من كتب ابناء البلاد الذين سبقوهم الى الدرس والتأليف فان الاقتصار على كتب الأجانب تقصير · والاجنبي لا يعرف أقاليمنا وأتربتنا وزروعنا كما نعرفها نحن ·

« الشهابي »



الجزء ١٢ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٣٠ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٩ هـ

وليمة ابن واسانة

- ٣ -

فأول ما افتتح به ابن واسانة قصيدته وصفه للمصيبة التي نزلت به من جراء هذه الوليمة فقال :

(من لعين تجود بالهملان ولقلب مدلّه حيران)
(يا خليليّ اقصرا عن ملامي وارثيا لي من نكبتي وارحماني)
(من عذيري من دعوة أوهنت عظمي وهدّت بهولها أركاني)

ثم وصف كيف احتشد الناس على اختلاف أجناسهم من اجل الدعوة فقال :

(ضرب البوق في دمشق ونادوا لشقائي في سائر البلدان)
(النفيرَ النفيرَ بالخيل والرَّجْـ ـل الى بيت ذا الفتى الواساني)
(جمعوا لي الجموع من جيل جيلا ن وفرغانة ومن ديلمان)
(ومن الروم والصقالب والتر ك وخلقاً من بلغر والآلان)
(ومن الهند والطماطم والبر بر والكيلجوج والبيلقان)
(لم يخلّوا ممن عددت من الآ فاق من مسلم ولا نصراني)
(والبوادي من الحجاز الى نجـ ـد معدّيّها مع القحطاني)

هذه الأبيات تتضمن درساً في الجغرافيا . و(الكيلجوج) بحثت عنه فلم اهتد الى معرفته فلعل الكلمة محرفة . واما (اللان) فهي كورة بين ارمينية وبحر الخزر . و(البيلقان) بزيادة ياء بعد الباء اسم مدينتين ذكرهما المقدسي في جغرافيته (أحسن التقاسيم) احداهما

في ارمينية والاخرى في آذربيجان . و (بلغار) هي مدينة الصقالبة الواقعة في اقصى الشمال من بلاد الروسية يذكرها فقهاء الاسلام في كتبهم عند ذكر أوقات الصلاة وتحديدها : فان الشمس لا تكاد تغرب في (بلغار) حتى تشرق بعد اقل من ساعة . فهل يصلي مسلموا تلك البلاد صلاة العشاء او هي قد سقطت عنهم بسقوط وقتها — خلاف بين الفقهاء . وربما سميت بلغار البلقان بلغاراً لنزول مهاجرين من بلغار الصقالبة فيها فسموها باسم بلادهم الاصلية .

وبعد ان وصف (ابن واسانة) المدعوين من جهة أجناسهم عاد فوصفهم من جهة عاهاتهم وعيوب خلقتهم فقال :

(كل شكل : فمن طوال ومن حد ب وقصار والحول والعوران)
(وشيوخ مثل الفراخ وشبا ن رحاب الأشداق والمصران)
(معد جوعت ثلاثين يوماً بسلاح الأضراس والأسنان)

ثم وصف زمن رحيلهم وتعجيلهم بالقدوم اليه فقال :

(رحلوا من بيوتهم ليلة المر فع من أجل أكلة عجلان)
(يركضون البريد تسعة أميا ل بنص الوجيف والزملان)

(الوجيف) و (الزملان) نوعان من السير السريع و (البريد) دواب البريد فالضيوف كانوا يشبهونها في السرعة . وقد نبهنا صديقنا الاستاذ فارس بك الخوري الى نكتة لطيفة : ذلك ان الشاعر بذكره (ليلة المرفع) كأنه يتعجب الناس من النصارى الذين تركوا ليلة مرفعهم وهي مقدمة لعيدهم الكبير وأسرعوا الى الوليمة شرهاً او عيثاً في طعام ابن واسانة .

ثم وصف وصولهم وشروعهم في التفتيش عما هيئ لهم ليطمئن قلبهم فقال :

(لست أنسى مصيبتي يوم جاؤو ني وقد غص منهم الواديان)
(أشرفوا لي على زروع واحطا ب وبيت من خبزه ملآن)
(آبن فارس ولحم طري وقدور تغلي على الدكان)
(وشواء من الجداء ومعلو فـ دجاج وفائق الحملان)
(وشراب ألذ من زورة المعـ شوق بعد الصدود والهجران)

قوله (وقدور تغلي على الديكدان) في (اليتيمة) (الدادكان) وفي (معجم البلدان) (الداركان) بالراء وهما خطأ والصواب (الديكدان) كما قلنا وهي كلمة فارسية مركبة من (ديك) بمعنى قدر و (دان) أداة ظرفية مثل (دان) في شمعدان ومعنى (الديكدان) المنصب الحديدي الذي يوضع عليه القدر على النار . وقد لفظها (ابن واسانة) باصلها الفارسي (ديكدان) بالكاف ومثله المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) الذي ألفه سنة (٣٧٥ هـ) وهو معاصر لابن واسانة فقد قال في ص ٣٦٤ من طبعة اوربا في صفة سد يأجوج ومأجوج : « وفي احد الحصنين آلات البناء التي بني بها السد من قدور الحديد والمغارف على كل ديكدان اربع قدور مثل قدور الصابون » . هكذا لفظها ابن واسانة والمقدسي . اما علماء اللغة فقد كتبوها في معاجمهم بالقاف هكذا : (دقدان) لتكون على وزن من الأوزان العربية (فعلال : شملال) ولا يوجد في اللغة وزن (فيعلال) قال صاحب القاموس (والعُدّة دقدان القدر) اي ان معنى كلمة (العُدّة) عند العرب هو الدقدان الذي توضع عليه القِدْر .

واختلاف الأدباء واللغويين في لفظ (ديكدان) او (دقدان) راجع الى الخلاف بين سيبويه والجوهري : فالأخير اشترط في تعريب الكلمة ان تكون على أوزان العرب وسيبويه أحسن الله اليه لم يشترط هذا الشرط المتعب المُتْعب .

ثم وصف ابن واسانة احد المدعوين الذي سماه الهاشمي وشرهه العجيب فقال :

(يقدم القوم هاشمي هريت الشدق رحب المعى طويل اللسان)
(هو نمس الدجاج والبط والوز وذئب النعاج والخرفان)

و يظهر ان هذا الهاشمي هو غير الشريف ابي القاسم واخيه الفضل اللذين يقول فيهما :

(والشريفان أشرفا في خلال الـ ـخيل في موكب من الحبشان)
(فابو القاسم الكبير على طـ ـرف كميت أقب كالسرحان)
(واخوه الصغير يعترض الخيـ ـل على قارح عريض الأبان)
(وهما يهويان بالسوط والزجـ ـل الى ما يدوه في مسرعان)

وكأن قائلاً يقول له : ولماذا إذن لا تشتمها ؟ فأجاب :

(أي قلب يُطيق شتم بني خيـ ـر البرايا وأكرم النسوان)
(غير اني يوم القيامة اشكو هم الى الحرة الحصان الرزان)
(وأنادي يا بنت خير النبيـ ـين ويا أم أكرم الفتيان)
(اي شيء صنعتُ بابنيك حتى غزواني بالسود والبيضان)

ثم جاء الدور للشمولي فوصفه قائلا :

(والشمولي حلقه حلق ترّا س عريض الاكتاف عبل[1] اليدان)
(لست أنساه جاثياً جاحظ العيـ ـن عبوساً في صورة الغضبان)
(كالعُقاب الغرثان يقتنص اللحـ ـم ويهوي الى طيور الخوان)

ووصف أديباً وآخر كاتباً كانا من جملة الضيوف فقال :

(والأديب الذي كنت اعتدُّ غزرا في للحين فيمن غزاني)
(وكذا الكاتب الذي كان جاري وصديقي ومشتكى أحزاني)
(غيّرته الايام حتى أتاني جائعاً للشقاء مذ سنتان)
(كلما شقّق الفراريج شقّـ ـتْ لغيظي من فعله قمصاني)
(وهو في امره مجدٌّ رخيُّ الـ ـبال لم يعنه الذي قد عناني)
(مُجزَرهِدٌ[2] كالسوس في الصوف في الصيـ ـف بقلب خالٍ من الايمان)

ثم خاطب ابن المبشر فقال :

(قلت قل لي يا ابن المبشر ما شأ نك من بين من غزاني وشاني)
(ليس هذا من شهوة الاكل هذا من لهيب البغضاء والشنآن)

وكان في المدعوين مدعوٌ سماه (الفيلسوف) وهل هو فيلسوف حقاً او انه يتهكم به تهكماً وصفه فقال :

---

(١) قوله عبل اليدان بالالف بدل الياء وارد على لغة من يلزم المثنى الالف كقوله :
(ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها)
(٢) اي مسرع مجد .

(قلت للفيلسوف لما غدا في الأ   كل يغزو كعنتر الشجعان)
(ليت شعري أمن رسائل بقرا ـ طِ تفلست او بني يونان)

ثم حمل حملةً شديدة على احد المدعوين فوصفه باقبح الأوصاف من دون ان يسميه فقال :

(ان من أعظم المصائب يا قو   م بلائي بذلك الطرمذان)

(الطرمذان) هو الذي يقول ولا يفعل ويمدح نفسه بالباطل وهذه الكلمة تصلح ان تقوم مقام كلمة (شارلاتان) الافرنسية . واذا اعترض علينا بان كلمة (الطرمذان) ثقيلة فنقول ان الذي يمدح نفسه بالباطل ثقيل ايضاً والثقيل الممقوت جدير بكلمة ثقيلة مثله .

ثم وصف الشاعر ذلك الطرمذان فقال :

(رجل كالفنيق[1] فدمٌ بلا لـ ـبٍّ طويل في صورة الشيطان)
(بقفا كالعمود يستعذبُ الصّفـ ـعَ ورأس أصمٍّ كالسندان)
(واسع الحلق ناقص العقل والديـ ـن غليظ الطباع كالصوان)
(يبلع المطجنـات بلعاً بلا مضـ ـغٍ ويحسو النبيذ كالثعبان)
(لا تمنني يا ربّ حتى أراه   قد تدلى وعنقه شبران)

هذا دعاء عليه بالشنق لان المشنوق هو الذي يتدلى وتطول عنقه .

و يظهر ان الضيوف صحبوا زامراً ومغنياً لا يحسنان العزف فقال يهجوهما :

(وأتوني بزامرٍ زمره يحكـ ـي حُباقَ العبيد والرعيان)

و (الحباق) له معنى لا يناسب التصريح به فليراجعه طلابنا النجباء في كتب اللغة .

(ومغنٍّ غناؤه يطلق البطـ ـنَ ويأتي بالقيء والغثيان)

ثم ان الشاعر هجا ضيوفه صفقةً واحدةً فقال :

(قصدت هذه الطوائف جمرا   يا لمتكي وذلتي وامتهاني)
(قلتُ ماشأنكم ؟ فقالوا أغثنا   ما طعمنا الطعام منذ ثمان)

---

(١) الفنيق الفحل من الابل والفدم الاحمق البليد .

(وأناخوا بنـا فيا لك من يو   م عبوس عصبصب أرونان)

(عصبصب أرونان) اي صعب شديد . واستعمال (ابن واسانة) لكلمات اللغة يدل على انه راسخ في اللغة العربية خبير بفصيحها وغريبها .

(تركوني يا قوم أجرد من فر   خ وأعرى ظهراً من الأفعوان)

(أكلوا لي من الجداء ثلاثيـ   ـن حنيذاً بالخل والزعفران)

(الحنيذ) الجدي المشوي .

(اكلوا ضعفها شواء وضعفيـ   ـها طبيخاً من سائر الألوان)

(اكلوا لي تبالة تبلت عقـ   ـلي بعشر من الدجاج سمان)

لعل التبالة هي ما نسميه اليوم متبّل .

(اكلوا لي مضيرة ضاعفت ضر   سيه بلحم الدجاج والجديان)

(المضيرة) عند العرب لبن حامض يطبخ باللحم فلعلها ما نسميه اليوم لبنية او اللبنيـة يكون فيها أرز عادة والمضيرة لا أرز فيها فهي إذن الشاكرية .

(اكلوا لي كشكية كشكشت قلـ   ـبي وهاجت لفقدها أشجاني)

والكشكية هي الكشكة نفسها في الراجح .

(اكلوا لي سبعين حوتاً من النهـ   ـر طرياً من أعظم الحيتان)

يظهر ان محصول (بردى) من السمك منذ الف سنة كان اكثر منه الآن .

(اكلوا لي من القريشاء والبر   ني والمعقلي والصرفان)

لعل (القريشاء) هي ما نسميه اليوم قريشة وهي ضرب من الجبن المملّح يكون منفتتاً غير متماسك و (البرني) أجود التمر . اما (المعقلي) و (الصرفان) فلم اعرفهما .

(اكلوا لي من الكوامخ والجو   ز معاً والخلاط والأجبان)

(الكوامخ) المشهيات من الاطعمة و (الخلاط) عند الدماشقة اليوم ضرب من المشهيات ايضاً يتخذ من الشوندر وابازير أخرى .

(ومن البيض والمخلل ما نه   ـجز عن جمعه قرى حوران)

(بذروا لي من السفرجل والتفـ   ـاح والرازقي والرمان)

(والرياحين ما رهنت عليه   جبتي عند احمد الفاكهاني)

(الرازقي) و يسمى الملاحي (بالتخفيف والتشديد) ضرب من العنب ابيض طويل الحب ولعله المسمى اليوم (ز يني) .

وهنا إشكال : وهو ان الوليمة كانت في عيد المرافع وهذا العيد يكون في آخر الشتاء عادة فكيف وجد السفرجل والتفاح والعنب في جرايا في ذلك الوقت . اما الرمان فيمكن خزنه الى ايام الشتاء ، او لعلّ الذي اكلوه معقود التفاح والسفرجل وزبيب العنب لا هي نفسها :

(ذبحوا لي بالرُغم يا معشر النا ... س ثمانين من معيز وضان)
(ما كفاهم تذبحهم غنم القرْ ... بة حتى أنحوا على الثيران)
(ذبحوها والدمع يجري على خـ ... ـدّي انسياباً مثل انسياب الجمان)
(اكلوا كلّ ما حوته يميني ... وشمالي وما حوى جيراني)
(ثم قالوا : هلمّ شيئاً فناديـ ... ـت غلامي : قم ويلك خبّ حصاني)

ولكن هل سكت الضيوف عن مضيفهم الذي سبهم كل هذا السبّ ؟ كلاّ بل كالوا له بالكيل الذي كال لهم وأزيد . وقد وصف ذلك فقال :

(فتمالوا عليّ شتماً ولعناً ... واستباحوا عرضي بكل لساني)
(من له قدرة على الهجو يهجو ... ني ومن كان مفحماً يلحاني)

وبعد ان فرغوا من الطعام والاتهام صدرت عنهم أعمال ممقوتة لا تليق بالكرام وقد وصفها بقوله :

(ثم لما أتوا على كل شيء ... ختموا محنتي بكسر الاواني)
(ثم قاموا الى الجلاهق والبا ... شق والاحابيل والزَربطان)

يعني انهم قاموا الى صيد مافي القرية من الطيور ليأكلوها فوق ما اكلوا .

و (الجلاهق) بندق من طين يرمى به الطير و (الأحابيل) الشباك و (الزَرْبَطان والزربطانة) حرّفها عوام زمانهم عن (زَبَطانة) وهي قناة جوفاء كالقصبة توضع فيها سهام صغار ينفخونها نفخاً في صيد الطيور فلا تكاد تخطئ . ومازالت الزربطانة والجُلاهق في خدمة الانسان حتى خلفتها البندقية .

(فرأيت الحمّام بعضاً على الأرض وبعضاً ملقى على الاغصان)
(ورأيت الدجاج في وسط القر يةِ معنيّ مكسَّر السيقان)

ثم وصف لتنظيفهم لأيديهم من دسم الطعام فقال :

(اكلوا ما ذكرت ثم أضاعوا يا شقائي حملاً من الأشنان)
(ومن الحلب المطيَّب بالبان وماء الكافور سبع برانى)

ذكر الأشنان ولم يذكر الصابون مع انه كان في زمنهم . لكنه ذكر مكانه منظفاً آخر لا عهد لنا به . وهو الحلب المطيَّب بالكافور و بالبان . والبان اسم شجر ورقه كورق الصفصاف فهل هو منظف مطيب يا ترى ؟ او المراد بالبان بخور الحصى لبان ؟ وقد قال انهم استعملوا من هذا الحلب المطيب سبع برانى اي سبع قدور من خزف .

ثم عاد الشاعر فذكر من تخريبهم وعيثهم وعربدتهم مالا يكاد يصدق فقال :

(وأقاموا سوّاسهم والمكاريـن الى ان سمعت صوت الأذان)
(ينقلون الاحطاب من حيث وافو ها : فبالفأس ضاع لي غيضتان)
(جوزةٌ كان حملها أحسن الحمـل وكانت ظليلة الأفنان)
(كان لي في فنائها منزل رحـب أنيق يحفه نهران)
(ورياض مثل البرود علاها الـطلُّ بين البهار والأقحوان)
(وطيور ما بينها تتغنى بجميع اللغات والألحان)
(هي كهفي ومستظلي من الحـر وذخري لنائبات الزمان)
(أحرقوها يا قوم ظلماً فكانوا يرشقون الأحطاب بالنيران)
(كسروا السكر فاختُلطت فقالوا كيف تبقى بغير شاذروان)
(قطعوا اللوز والسفرجل قضبا ناً ومالوا بها على غلماني)
(والنواطيرَ مددوا وعلوهم حنقاً بالعصيّ والقضبان)

ثم ذكر ان ضيوفه أفحشوا في مطالبهم : فقد اقترحوا عليه ان يأتيهم بصبيان القرية ونسائها كي يقوموا بخدمة خصوصية فطار عقل شاعرنا الواساني وصرخ في وجوههم قائلاً ما بقي على جمرايا الا ان نقدم لكم هذه الخدمة المغشوشة ونظم في ذلك أبياتاً رأينا ان نضرب صفحاً عن ذكرها .

ثم عاد القوم الى عربدتهم وإفسادهم في القرية فقال في حكاية ذلك :

(ثم راحوا بعد العَشاء الى دا ري فلم يتركوا سوى الحيطان)

(كان لي مقعدٌ وفرش مليح فوقه مطرح من المَيْساني)

(المطرح) المفرش ونقول اليوم (طراحة) والميساني نوع من الثياب يصنع في ميسان وهي كورة بين البصرة وواسط .

(و بساط من أحسن البسط مذخو رٌ لعرسٍ او دعوةٍ او ختان)

(غرقوه بالبصق والبول والقيـ ـيء فأضحى وسعره بعرتان)

(سرقوا جبتي وسبني وسكيـ ـني وخفي وجوربيَّ وراني)

(الران) شبه الطاقات التي تصان بها الساقان وتكون من جلد غالباً . وقد قرر المجمع العلمي استعمال الران مكان كلمة (الطاقات) التركية في ما قرر من الألفاظ .

(أوقدوا زينتنا جزافاً بلا كيـ ـلٍ يكيلونه ولا ميزان)

(خلتُ داري يالإخوتي الجامع الاعـ ـظم ليلاً بالنصف من رمضان)

وبعد هذا التعب كله أما أخذ القوم لانفسهم راحة ؟ قال :

(ثم لما انتهت بهم شدة البطـ ـنة خرّوا صرعى على الاذقان)

(هوّموا ساعةً كتهويمة الخا ئف في غير ارضه الفزعان)

(الفزعان) الخائف ونحن اليوم نستعمل هذه الكلمة وهي غير قاموسية اي غير موجودة في قواميس اللغة وانما الموجود فيها رجل فَزِع وفازع . فهل يصح لنا ان نستعمل كلمة فزعان استناداً الى استعمال الشاعر الواساني لها ؟ مسألة تحت الدرس في المجمع العلمي .

ثم وصف الشاعر ما كان من ضيوفه بعد ان هبوا من نومهم يطلبون طعام الصبحية فقال :

(ثم قاموا ليلاً وقد طلع النَّسـ ـرُ ومال السماك والفرقدان)

(يصرخون الصَّبوح ياصاحب البيـ ـت فأبكوا عيني وراعوا جناني)

(سحبوني من عُقر داري على وجـ ـهي كأني أدعى الى السلطان)

(بقلوبٍ أشدّ حراً من الجمـ ـر وأقسى من صخرةٍ صوّان)

و يظهر ان صنيعهم هذا أفزع نسوة بيته ولا سيما ابنه الصغير (ميمون) فاستعطفهم عليه قائلاً :

(قلت : رقوا لذلك الطفل ميمـ ـ ـونٍ ولا تبدعوه يا إخواني)
(ما ثني اكلة بقتل غريب ذي عيال ناء عن الاوطان)

ثم ذكر من سوء صنيعهم به ما لا يكاد يصدق فقال :

(علّقوني بفرد رجلٍ الى السقـ ـ ـف وعُذّبت ليلتي بالدخان)
(لو رآني ابي وأمي معكو سًا ورجلاي بالعصا تنقران)
(بكيا رحمةً وفكّا وثاقي من يديهم بكل ما يملكان)

ولما رأى الشاعر ما حاق به من البلاء استغاث بالشريفين فقال :

(قلت للفضل والشريف اغيثا ني · وموتي قد حلّ بي خاصاني)
(واذكرا عشرتي وودّي واخلا صي وحنّا علي واستبقياني)
(أنتما ان قتلتماني وحق الـ ـ ـه من أجل اكلة تندمان)
(أشهد الله ليس عندي مشرو ب ولا في خزانتي لقمتان)
(فاستشاطا غيظاً عليّ وقال الـ فضل قل لي بايّ عين تراني)
(أنا من أحمق البرية ان صد قتُ ما تأتليه من أيمان)

ثم رقّ له الفضل وخلصه من الشنق ولكن على هذه الصورة المزعجة :

(قطع الحبل فانقلبت على رأ سي وظهري واندق لي ضلعان)

وبعد ان يئس المدعوون من طعام الصبوح شفوا قلبهم بنهب التبن فقال واصفاً ذلك :

(ثم لما تمكّن اليأس خلو ني ومالوا ميلاً على الاتبان)
(وأجيري مسخر ينقل الأتـ ـ ـبانَ بالذل عاري الجثمان)
(وهو يبكي · فقلت ويحك إما تصـ ـنع بالتبن بعد موتة الفدان)

وهل اكتفوا بالتبن ؟ كلا بل ·

(سرقوا السُرْج والقناديل والزيـ ـت وأقداحنا وكل القناني)
(لو ترى الفضل وهو يحمل في السرْ ج قميصاً مربط الأردان)

(قد حشاه لحماً وطيراً وسبعيـ ـن رغيفاً من اكبر الرغفان)

كل هذا صنعه ضيوفك بك يا ابن واسانة · ولكن اما كان يوجد فيهم من يرحمك و يعطف عليك ؟ فأجاب ·

(ما رثى لي سوى المبارك من ضُرّ يـ وذاك القُصَيّر الدحدحاني)
(رفْهالي وخففا الثقل عني فهما من ملامتي سالمانـ)

لم أجد في كتب اللغة (الدحدحاني) بمعنى القصير كما استعملها الشاعر هنا · نعم وجدت : الدودح والدحدح والدحدحة والدحداح والدحداحة والدحادح والدحُيدحة — كل ذلك بمعنى القصير · فكلمة (الدحدحاني) مما ولده الشاعر الواساني · او ان كلمة الدحدحاني محرفة عن (الرحرحان) برائين وهو من الاشياء الواسع المنبسط القريب القعر : يقال قدح رحرحان اي قريب القعر مع سعة فيه ·

ثم ان صاحب الوليمة ختم قصيدته بالسؤال من حضراتكم أيها السادة قائلاً :

(هل سمعتم فيما سمعتم بانسا ن عراه في دعوة ماعراني)

كلاّ والله ! فان ضيوفاً يشنقون مضيفهم الى السقف ثم ينقرون رجليه بالعصا — أمر لم نسمع بمثله الا عن ضيوفك ·

جمرايا اليوم

هذا ختام الكلام على وليمة ابن واسانة التي أولمها في قرية جمرايا منذ الف سنة وقد استنتجنا من القصيدة ان جمرايا كانت في ذلك العهد على جانب من العمران وتوفر أسباب الرزق · اما اليوم فهل هي كذلك ؟ كلاّ ! وانما أصبحت مزرعة صغيرة أضيفت معظم أراضيها الى قرية (الهامة) وغطّى اسم الهامة على اسمها · فنسيها اهل دمشق حتى بنى الاستاذ الخطيب داره فيها كما قلنا · فأخذ اسم (جمرايا) من يومئذ يدور على الأفواه وجعل معارف الاستاذ واصدقاؤه يقولون ذهب الشيخ الى جمرايا · وعاد من جمرايا · و بات في جمرايا ·

ثم درى الاستاذ الخطيب اني أهيئ محاضرة في هذا الموضوع أريد القاءها في ردهة المجمع فقال لي :

أما وقد عزمت على إحياء ذكر (جمرايا) فإني انا ايضاً أريد ان أحيي ذكر وليمة ابن واسانة .

ففي ضحى يوم الثلاثاء الواقع في ١٦ تشرين الاول من هذه السنة (١٩٢٨ م) كانت السيارة تجري بي مع صاحبي المعالي وزيري المعارف والمالية الى (الربوة) (فدمر) (فالهامة) ثم عاجت بنا من جهة اليمين نحو جمرايا فتسللت اليها من طريق ضيق متمعّج غير معبّد ولا صالح لسير السيارات ، حتى وصلنا الى نهر بردى واذا عليه جسر جديد بني منذ بضع سنوات .

ثم جرى بنا الاتومبيل صُعُداً في سفح هضبة . واذا دار تلوح لنا من بعيد . واذا بياضها الناصع يتلألأ في خضرة تلك الرياض كقطعة ماس على بساط زبرجد . واذا هي دار الاستاذ الخطيب ، واذا هو يستقبلنا ببشاشته وأُنسه المعهودين ، واذا لديه طائفة من أعيان دمشق ، واذا وليمة ابن واسانة تجددت بعد الف سنة من الزمان (وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون) وهكذا كانت لنا في دار الاستاذ الخطيب . وليمة ذات رفاغية وعيش خصيب . كان الاستاذ ابن واسانها لكن من دون تبرم بالضيوف . وكان ضيوفه ضيوف ابن واسانة ولكن من دون عربدة ولا إفساد ، ولا تكاليف سمجة دونها خرط القتاد .

قرية (جمرايا) اليوم أيها السادة ارض ضيقة يحدها الطرف ، وتقتحمها العين ، قناة الفيجة تسيل من فوقها ، ونهر بردى يجري من تحتها ، معظم أشجارها الزيتون وقد امتازت بمحصولها من الزيت الجيد ، وفيها بضعة بيوت لفلاحيها ، وتجري فيها بعض العيون : منها عين القرية وعين الشاعر . ولقد تجولت في جنباتها مستطلعاً مطالع آثارها القديمة . فدلّوني على قناة محفورة في الصخر في سفح هضبتها . فاذا سعة فم القناة نحو متر . ولم يبق من تلك القناة الا بقية . ومن آثار القرية قساطل خزف كانت يجري فيها الماء كالقساطل المعهودة عندنا . وفوق القساطل على سمك نحو ذراع ارض مبلّطة وبلاطها مرصوف بالفسيفساء وهي أحجار صغيرة كقطع أحجار زهر الطاولة من حيث الحجم والشكل رُصف بعضها الى بعض . ثم على طول الزمان تراكمت الأتربة على الفسيفساء فأصبحت أرضاً زراعية غرست فيها أشجار الزيتون . ويقول فلاحو (جمرايا) نقلاً عن آبائهم ان

القساطل والفسيفساء هما بقية آثار حمام كان مشيداً في هذا المكان . وقالوا ايضاً ان عين الشاعر الموجودة في قريتهم سميت باسم شاعر كان يأوي اليها و يذكرها في أشعاره . هذا كل ما في جرايا من الآثار القديمة . ومن قصص فلاحيها التي يتداولونها نقلاً عن أسلافهم ان قريتهم كانت في القديم ذات عمران عظيم وان احد أمراء الشام الظالمين زارها فأولم له رئيس القرية وليمة جمعت من ألوان الطعام وصنوف الفواكه . فأثار حسد ذلك الامير الجبار ولا سيما مذ عرف ان كل ما قُدّم اليه على المائدة كان من محصول القرية ومستغلاتها . فرجع الى دمشق وأخذ يعمل على مصادرة مالكي جرايا واستصفاء اراضيها . ولو كان في زماننا لقال : انما فعل ذلك (باسم المصلحة العامة) ومن يومئذ اخذت القرية تتدرّج الى هوّة التعاسة والخراب . وجعل أهلها يرحلون عنها الى القرى المجاورة فتعمر وتخرب هي . ثم لم تقم لها منذ ذلك الحين قائمة .

هذا ما يتحدث به فلاحوا جرايا اليوم . و يغلب على الظن ان هذه القصة ليست سوى صدى ما كانوا يسمعونه من أخبار وليمة ابن واسانة المدوّنة في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي . فان القدماء من أدباء دمشق كانوا يزورون جرايا ويتحدثون — على مسمع من فلاحيها — بخبر وليمة ابن واسانة وبقصيدته التي قالها فيها . فعلقت الحادثة في أذهانهم وانتقلت الى أولادهم وأحفادهم على هذا الشكل المحرّف .

اما عين الشاعر فلا يبعد ان يكون المراد بشاعرها التي نسبت اليه هو ابن واسانة نفسه الذي كان له دار وعقار في القرية .

وبعد هذه الجولة في أرجاء جرايا عدتُ عند الغروب الى الهضبة حيث دار الخطيب وأشرفت منها على ذلك المشهد العجيب :

هضاب ورُبى شاخصات للعيان ، شخوص نهود الحسان ، وعلى إحدى هذه الهضبات قرية الهامة ، ويتخلل تلك الهضبات بساتين قرى الهامة والجديدة والأشرفية وغيرها من قرى الوادي . ويتراءى لك من خلال الأشجار قضبان حديد السكة متمعجة تمعج الافعى التي تجدُّ في الهرب وتسعى .

(و بردى كالمُنْصل ، او صفحة السجنجل)

ثم رجعت بي الذكرى الى ماقبل الف سنة وقت ان اجتمع ضيوف الواساني في دار الواساني ·

وما يدر بنا ان تكون الدار حيث الدار · كما ان الهضاب هضاب والأنهار أنهار ؟

بل ان هذه الشمس التي شهدتها في أُفق (جرايا) تهوي للغروب · أليست هي نفسها التي شهدت وليمة (ابن واسانة) كما شهدت وليمة (ابن الخطيب) ؟

هات أيتها الشمس حدثينا عن تلك الوليمة التي كانت منذ الف سنة ، كما ستحدثين أبناءنا بعد الف سنة عن وليمة اليوم ·

قصّي على أحفادنا اخبارنا كما قصصت علينا اخبار اجدادنا · صفي لابنائنا الآتين ما نحن عليه الآن ، من التفرق والخذلان ، و كلَب الزمان ، وتراكم الأحزان ·

قولي لهم ان أجدادكم في القرن العشرين «كانوا [1] في فقر وفاقة ، وتأخر في القوة الحربية والسياسية عن سائر الامم ، وقد فشا فيهم فساد الأخلاق ، فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض وتفرّقت كلمتهم ، وجهلوا احوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وعما ينفعهم وقنعوا بحياة يأكلون فيها و يشربون و ينامون · ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة ، ولكن متى أمكن لاحدهم ان يضرّ اخاه لا يقصّر في إلحاق الضرر به · فجعلوا بأسهم بينهم ، والأمم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد أخرى ، رضوا بكل عارض ، واستعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا الى السكون في زوايا بيوتهم ، يسرحون في مراعيهم ، ثم يعودون الى مأواهم ، والامراء منهم يقطعون ازمنتهم في اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات ، وعليهم فروض وواجبات تستغرق في ادائها أعمارهم ، ولا يؤدون منها شيئًا ، يصرفون اموالهم في مايقطعون به زمانهم إسرافاً وتبذيراً · نفقاتهم واسعة ، ولكن لا يدخل في حسابها شيءٌ يعود على ملتهم بالمنفعة ، يتخاذلون و يتنافرون و ينيطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصية · فرب تنافر بين اميرين يضيع أمةً كاملة · كل منهما يخذل صاحبه · ويستعدي عليه جاره · فيجد الاجنبي فيهما قوةً فانية · وضعفاً قاتلاً · فينال من بلادهما

(١) هذه الجملة من هنا الى قوله (وحفظ الحق من تعدي الاقوياء) مقتبسة من مقال (القضاء والقدر) احدى مقالات جريدة (العروة الوثقى) ·

مالا يكافئه عدداً ولا عدة . شملهم الخوف والذعر . وعمهم الجبن والخور . يفزعون من الهمس . ويألمون من اللمس . قعدوا عن السير الى ما يلحقون به الامم في العزّة والشوكة . وخالفوا في ذلك كله اوامر دينهم مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين كانوا تحت سلطانهم . يتقدمون عليهم . ويفاخرونهم بما يعلمون ويعملون . واذا أصاب قوماً من إخوانهم مصيبة اوعدت عليهم عادية لا يسعون في تخفيف مصابهم . ولا ينبعثون لمناصرتهم . ولا توجد فيهم جمعيات ملية ولا اخلاقية . يكون من مقاصدها إحياء الغيرة . وتنبيه الحمية . ومساعدة الضعفاء . وحفظ الحق من تعدي الأقوياء » .

هكذا أيتها الشمس قولي لأحفادنا عنا . وصفي لهم احوالنا ، حتى اذا رأيتهم قد اكفهرت وجوههم . وتقطعت من الأسى قلوبهم . عودي فارفقي بهم . وكفكفي من دمعهم . وبشريهم ايتها الشمس بنهضتنا الجديدة . التي شيدناها على العلم والاتحاد فكانت سبباً لسعادتكم انتم ايها الاحفاد . والسلام .

« المغربي »



عبقرية المتنبي

- ١٤ -

اما أهاجي المتنبي فتارة كان يهجر فيها ويفحش ، فمن هذا الشكل قوله :

وقد أرى الخنزير اني مدحته ولو علموا قد كان يهجى بما يطري

ومنه قوله :

اباالنتن قد قيدتني بمواعد مخافة نظم للفؤاد مروّع
وقدّرت من فرط الجهالة انني اقيم على كذب رصيف مصنّع
اقيم على عبد خصي منافق لئيم رديّ الفعل للجود مدّع

او كقصيدته في ضبّة ، فلا تخرج هذه الأهاجي عما يتشاتم به عامة القوم فقد كان ابوالطيب يباده بها مبادهة دون ان يغطيها باغطية رقيقة تستر شيئاً من سوء القول ولم ينج من هذه الشتائم حي ولا ميت واذا كان الطعن في الميت لا يعدّ من مكارم الأخلاق فالمتنبي لم يتعفف عن هذا الطعن :

ان مات مات بلا فقد ولا اسف او عاش عاش بلا خَلْق ولا خلق
منه تعلّم عبد شقّ هامته خون الصديق ودس الغدر في الملق
وحلف الف يمين غير صادقة مطرودة ككعوب الرمح في نسق

وتارة كان يتهكم في اهاجيه تهكماً امرّ من القذع والفحش والتهكم في الهجاء اشد إيلاماً من السب والشتم واقتل للخصم ، فمنه قوله في كافور :

من علّم الاسود المخصي مكرمة أقومه البيض ام اباؤه الصيد

ومنه قوله :

من اية الطرق يأتي مثلك الكرم اين المحاجم يا كافور والجلم

ومن هذا الشكل :

ومصر لعمري اهل كل عجيبة ولا مثل ذا المخصي اعجوبة بكرا
يُعدّ اذا عدّ العجائب اوّلا كما يبتدا في العد بالاصبع الصغرى

فلا شك في ان هذا الضرب من الهجاء أعف من كلمات الخنزير والمنافق واللئيم وما شابهها من كلام العامة فهو اشد ايجاعاً وأرفع شأناً .

واذا لم يراع المتنبي حرمة كافور في هجائه اياه فقد راعى هذه الحرمة في تعريضه بسيف الدولة فكأن هذا التعريض اثر نفس ثائرة على من تحبه يتنازعها عاملان : عامل الاغضاء على الاذى وعامل التشفي من الغيظ ولكن التشفي غلب في خاتمة الامر على الاغضاء فمرض المتنبي بتنغيص سيف الدولة وعتبه دون ان يشتمل هذا التعريض على شيء من شتائم السوقة .

واذا انتقلنا من هذه النواحي كلها : نواحي الغزل والبكاء والهجاء الى آفاق المدح والوصف والحكمة تبين لنا ان عبقرية المتنبي ارتفعت في هذه الآفاق الى سماء اعلى وصبغت بصباغ خاص .

اول هذه المذاهب مذهب المدح على ان هذا المذهب لايخلو من بعض المساويء ، من جملتها تكرار المعاني في طائفة من مدائح المتنبي ، والغلو في بعض مدحه ، والجوء الى صفات تكاد تكون عامة ليس عليها شيء من رونق الجدة والطرافة .

اما تكرار المعاني فمثل مدائح ابي الطيب في هذا التكرار كمثل رواسيم يطبع بها الشاعر اي ممدوح شاء حتى لانكاد نجد فرقاً كبيراً بين ممدوحيه .

فمن هذا النوع وصفه لطبيعة كرم بعض ممدوحيه وهو المشطب الذي قال فيه :

يعطي فلا مطلة يكدرها بهـا ولا منّة ينكّدها

فلم تكن هذه الصفة خاصة بالمشطب فقد طبع بها المتنبي سيف الدولة فقال له :

انت الجواد بلا منٍّ ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مذل

ومن هذا التكرار وصفه للشجاعة فقد قال في الكلابي المنبجي :

لما رأوه وخيل النصر مقبلة والحرب غير عوان أسلموا الحللا

وهذا القول او مايقرب منه قاله في سيف الدولة :

فلما رأوه وحده قبل جيشه دروا ان كل العالمين فضول

ومن هذا الشكل قوله في المنبجي :

وضاقت الارض حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

م : ٦

وهذا القول او مايشاكله قاله في سيف الدولة :

فكلما حلمت عذراء عندهم فانما حلمت بالسبي والجمل

والشواهد على وحدة المعاني في بعض مدائح ابي الطيب كثيرة ، فمنها قوله في ابي المنتصر الأزدي :

أمريد مثل محمد في عصرنا لا تبلنا بطلاب ما لا يلحق

لم يخلق الرحمن مثل محمد احداً وظني انه لا يخلق

ولكن الرحمن خلق مثل محمد وهو سيف الدولة الذي قال فيه المتنبي :

ومن علي بن عبد الله معرفتي بحمله من كعبد الله او كعلي

ثم الشواهد على وحدة المعاني كثيرة وآخر ما اذكره منها هذا البيت الذي قاله المتنبي في جعفر بن كيغلغ :

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن اعوذ به مما أحاذره

وهذا الشيء ذاته قاله في الطرسوسي :

يا من نلوذ من الزمان بظله ابداً ونطرد باسمه ابليسا

ولست أحاول الاستقصاء في هذا الباب وانما رغبت في ذكر انماط من اماديح المتنبي استدلالاً بها على وحدة المعاني في طائفة من هذه الاماديح ، فلم يكن للمتنبي في مدح بعض ممدوحيه صور خاصة اي لم يصل ابوالطيب الى اعماق الممدوح حتى يستخرج منها صورة خاصة بهذا الممدوح تناسبه ولا تناسب غيره من الممدوحين .

فلنجاوز هذا العيب الى غيره من عيوب مدائح المتنبي ، من هذه العيوب الغلو في وصف الممدوح :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما اتى الظلمات صرن شموسا

اوكان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى

او كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

او كان للنيران ضوء جبينه عبدت فكان العالمون مجوسا

فهذا ضرب من المدح خارج عن الاعتدال حتى ليكاد يكون مبتذلا ...

ومن هذه العيوب ورود المتنبيء في بعض مدائحه موارد مشتركة يردها ويصدر عنها كثير من الشعراء ، منها قوله :

يفني الكلام ولا يحيط بفضلكم

ومنها :

من كل ابيض وضاح عمامته　　كأنما اشتملت نوراً على قبس

ولكن هذه السيئات قد تشفع لها حسنات المتنبي الكثيرة في مدحه التي انفرد بها فلا يجاريه فيها مجار ، فمنها تصويره لهمة سيف الدولة :

في سبيل العلي قتالك والسلم　　وهذا المقام والاجذام
واذا كانت النفوس كباراً　　تعبت في مرادها الاجسام

ومنها تصويره لرباطة جأشه :

وقفت وما في الموت شك لواقف　　كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة　　ووجهك وضاح وثغرك باسم

ومن هذا النوع قوله :

وفارس الخيل من خفت فوقرها　　في الدرب والدم في اعطافه دفع
فأوحدته وما في قلبه قلق　　واغضبته وما في لفظه قذع
بالجيش تمتنع السادات كلهم　　والجيش بابن ابي الهيجاء يمتنع

ومنه مدحه لكافور :

وما كنت ممن ادرك الملك بالمنى　　ولكن بايام اشبن النواصيا
عداك تراها في البلاد مساعيا　　وانت تراها في السماء مراقيا
لبست لها كدر العجاج كأنما　　ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا
وقدت اليها كل أجرد سابح　　يؤدبك غضباناً ويثنيك راضيا

ومنه مدحه لابي شجاع :

ابو شجاع ابو الشجعان قاطبة　　هول نمته من الهيجاء اهوال
تملّك الحمد حتى ما لمفتخر　　في الحمد حاء ولا ميم ولا دال
عليه منه سرابيل مضاعفة　　وقد كفاه من الماذي سربال

غير ان الحلبة التي جلى فيها ابو الطيب انما هي حلبة الوصف ولست اطلق هذا الوصف اطلاقاً وانما أريد به ناحية من نواحيه وهي ناحية المعارك ، حتى قال ابن الاثير في المثل السائر :

« واما ابوالطيب المتنبي فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما اعطاه ، لكنه حظي في شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع في مواضع القتال ، وانا اقول فيه قولاً لست فيه متأثماً ولا منه متلثماً وذاك انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت اقواله للسامع مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقه في ذلك يضل بسالكه ويقوم بعذر تاركه ولا شك انه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما اداه عيانه » .

نعم ، هذه هي الناحية التي برّز فيها المتنبي فتكاد تمثل معظم عبقريته وربما كان لروحه ولطباعه الاثر الابلغ في تبريزه في وصف الحروب وادواتها فقد كان هذا النوع من الشعر لاصقاً بطبعه ممتزجاً بروحه فكان شعره فيه صورته الناطقة واريد بهذه الصورة شغفه بالحروب و انبساطه الى رؤية الدم والشاعر يبدع في المذهب الذي تأنس به نفسه .

ولقد مثّل ابوالطيب في وصف المعارك جهة من جهات عصر سيف الدولة فكأن شعره في هذا الوصف مرآة مصقولة تعكس تلك الجهة فقد حفظ لنا المتنبي لوحاً ناطقاً يفصح عما رسم عليه من غزوات سيف الدولة وغاراته فلم يغادر امراً من امور تلك الحروب الا وضحه حتى تجلت لنا مهابة سيف الدولة في العيون ومقادير فضله في دفع الروم عن ديار الشام ومهما وصف رجال التاريخ هذه الغزوات والغارات فلا يستطيع وصفهم ان ينطق بما نطق به شعر المتنبي المشتمل على صور شتى ، فاننا لا نشاء ان نعرف شيئاً عن جيش سيف الدولة وعن سفنه وعن مخافة الروم منه وعن شدة غزواته وعن صباغها القومي وصباغها الديني وعن تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم الا عرفناه .

فاذا تكلم على عرض الجيش ذكر تجافيف الخيل ومفاضات الفرسان وترائكهم وذكر الرايات والشعار والسلاح المسم ووصف دربة الخيل فلا يغادر لوناً او شكلاً من الوان الوصف واشكاله ، فكأنما بمحضر جيش متكامل العدة مستتم التعبئة .

ولما عرضت الجيش كان بهاؤه | على الفارس المرخى الذؤابة منهم
حواليه بحر للتجافيف مائل | يسير به طود من الخيل ايهم
تساوت به الاقطار حتى كأنه | يجمع اشتات البلاد وينظم
وكل فتى للحرب فوق جبينه | من الضرب سطر بالأسنة معجم
يمد يديه في المفاضة ضيغم | وعينيه من تحت التريكة ارقم
كأجناسها راياتها وشعارها | وما لبسته والسلاح المسمم
وادبها طول القتال وطرفه | يشير اليها من بعيد فتفهم
تجاوبه فعلاً وما تسمع الوحى | ويسمعها لفظاً وما يتكلم
لها في الوغى زي الفوارس فوقها | فكل حصان دارع متلثم
وما ذاك بخلاً بالنفوس على القنا | ولكن صدم الشر بالشر احزم

فاذا كان لهذا الوصف طبيعة فطبيعته الدقة لان ابا الطيب لم يغفل عن ذكر ما يأخذ بمجامع القلوب في عرض الجيوش ، فالذي يستهوي الطرف في هذا العرض انما هي ملابس الخيل وملابس الفرسان وحركات الخيل والفرسان والمتنبي تكلم على هذا كله فما سها عن صغيرة او عن كبيرة وهذا النوع من الوصف الدقيق يفتقر اليه الشعر العربي .

ولكن كلامه على سفن سيف الدولة لا يعد في طبقة كلامه على الجيش فان ادوات الوصف تنقصه في هذا المذهب حتى اضطر الى استعارة ادوات الخيل فلم يبين لنا الا لوناً من الالوان في وصف السفن :

قاسمتها تل بطريق فكان لها | ابطالها ولك الاطفال والحرم
تلقى بهم زبد التيار مقربة | على جحافلها من نضحه رثم
دهم فوارسها ركاب ابطنها | مكدودة وبقوم لا بها الألم
من الجياد التي كدت العدو بها | وما لها خلق منها ولا شيم

واذا تكلم على هرب الروم هول الامر حتى نكاد نظن ان الروم ينهزمون بمرأى منا زرافات ووحدانا :

سراياك تترى والدمستق هارب | واصحابه قتلى وامواله نهبى
اتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلا | وأدبر اذ أقبلت يستبعد القربا

كذا يترك الاعداء من يكره القنا ويقفل من كانت غنيمته رعبا
وهل رد عنه باللقان وقوفه صدور العوالي والمطهمة القبا
مضى بعد ماالتف الرماحان ساعة كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى وشعث النصارى والقرابين والصلبا

ولقد اكثر من الاشارة الى هرب الروم فكان في كل مرة يشير فيها الى خوفهم يصور الخائفين في صور ناطقة ، فمرة يحلمون بالخوف :

جاز الدروب الى ما خلف خرشنة وزال عنها وذاك الروع لم يزل
فكلما حلمت عذراء عندهم فانما حلمت بالسبي والجمل
ان كنت ترضى بان يعطوا الجزي بذلوا منها رضاك ومن للعور بالحول

ومرة يتخبطهم المس من هذا الخوف :

ومانجا من شفار البيض منفلت نجا ومنهن في احشائه فزع
يباشر الامن دهراً وهو مختبل ويشرب الخمر حولاً وهو ممتقع

هذا هو الوصف الذي انفرد به ابوالطيب فلا تجاريه فيه أقلام النظراء ففي بيتين من الشعر يعرض علينا صورة الجيش :

وجيش يثني كل طود كأنه خريق رياح واجهت غصناً رطبا
كأن نجوم الليل خافت مغاره فمدت عليها من عجاجته حجبا

وفي بيت من الشعر يصف لنا تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم :

تسايرها النيران في كل منزل به القوم صرعى والديار طلول

وفي بيتين من الشعر يصف لنا اضطراب القساطل واختلاط المناهل بدماء الروم :

واني اهتدى هذا الرسول بأرضه وما سكنت مذ سرت فيها القساطل
ومن اي ماء كان يسقي جياده ولم تصف من مزج الدماء المناهل

ومثل هذا السحر كثير في شعر المتنبي في غزوات سيف الدولة وغاراته ولست اظن ان في شعراء العرب شاعراً يعلو ابا الطيب في هذا المذهب ٠

وما هذه الروائع كلها الى جنب قصيدته في بناء الحدث :

هل الحدث الحمراء تعرف لونهـا وتعرف اي الساقيين الغمائم
سقتهـا الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنـا وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بهـا مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فرددتها على الدين بالخطي والدهر راغم
وكيف ترجي الروم والروس هدمها وذا الطعن اساس لها ودعائم
وقد حاكموها والمنـايا حواكم فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
أتوك يجرون الحديد كأنما سروا بجياد ما لهن قوائم
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمّة فما يفهم الحدّاث الا التراجم
فلله وقت ذوّب الغش ناره فلم يبق الا صـارم او ضبارم
تقطّع ما لا يقطع الدرع والقنا وفرّ من الفرسان من لا يصادم
وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطالـ كلمى هزيمة ووجهك وضّاح وثغرك باسم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوافي تحتها والقوادم
بضرب اتى الهامات والنصر غائب وصار الى اللبات والنصر قادم
حقرت الردينيات حتى طرحتها وحتى كأن السيف للرمح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فانما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرتهم فوق الاحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم
تظن فراخ الفتخ انك زرتها بأماتها وهي العتاق الصلادم
اذا زلقت مشّيتها ببطونها كما تتمشى في الصعيد الأراقم

فأبو الطيب شاعر العوالي والسوابق اذا وصف معركة أفاض في الكلام على الدقائق

كالكلام على سير الخيل وسير الجيش وكالكلام على حسن الثبات وقبح الهزيمة ، كالكلام على هيآت الهازم والمهزوم الى غير ذلك من الصفات التي تحتاج الى حواس قوية تعمل فيها مشاهد القتال والى خيال مديد يحيي هذه المشاهد . وقد اجتمع للمتنبي شيء من هذا كله واذا اضفنا ما اجتمع له من قوة الحواس وامتداد الخيال ميله الى الحروب وشهوده اكثر الغزوات والغارات والفتنه للبدو في فاتحة امره لم نعجب من انه برز في هذا الميدان الذي لم يلحقه به لاحق فاذا خلد ابو الطيب فان معظم خلوده يكون من ناحية هذا الوصف فهو وسيف الدولة متلازمان في هذا الخلود فلا يذكر سيف الدولة الا ذكر معه المتنبي ولا يذكر ابو الطيب الا ذكر معه سيف الدولة فلولا وصف المتنبي لمعارك سيف الدولة لما كان لهذه المعارك صور ناطقة ولولا معارك سيف لدولة لما كانت عبقرية المتنبي تخلد الا من ناحية واحدة وهي ناحية الحكمة ولكن خوضه معارك سيف الدولة جعل له حظاً اوفى من الخلود فاذا كان الأدب مرآة المجتمع فشعر المتنبي مرآة غزوات سيف الدولة في بلاد الروم .

واذا كان في وصف المعارك شيء يسير يؤاخذ به المتنبي فما هذا الشيء الا تكرار بعض الصور في هذا الوصف ، فمن هذا التكرار قوله في بعض قصائده وقد أراد ان يصف سرعة الخيل في سيرها :

قاد المقانب أقصى شربها نهل ... على الشكيم وادنى سيرها سرع

وهذا قريب من قوله :

وخيل براها الركض في كل بلدة ... اذا عرّست فيها فليس تقيل

ومن هذا النحو قوله وقد وصف همة سيف الدولة :

ولو كانت الخيل حتى لا تحملها ... تحملته الى اعدائه الهمم

وهذا شبه قوله :

اكلما رمت جيشاً فانثنى هرباً ... تصرّفت بك في آثاره الهمم

ومنه قوله وقد اشار الى تحريق منازل الروم :

عبرت تقدمهم فيه وفي بلد ... سكّانه رمم مسكونها حمم

وهذا مثل قوله :

تسايرها النيران في كل منزل ... به القوم صرعى والديار طلول

لكن وحدة هذه المعاني لاتحط من قدر هذا الوصف الجليل .

ولئن مثل ابوالطيب المتنبيء ناحية من نواحي « فتى الفتيان في حلب » فانه لم يمثل لنا النواحي كلها من عصر ملك حلب ، فلم نجد في شعر المتنبيء مانجده في شعر البحتري من وصف قصور بني العباس ، ونعيم الخلافة وترفها ، أفكان سيف الدولة بعيداً عن مثل هذا النعيم والترف ، ام كان المتنبيء غارقاً في الكلام على الجماجم والغلاصم وعلى القساطل والجحافل ، فشغلته دماء لروم عن الكلام على شيء من المدامة والاوتار والنغم :

ألهى الممالك عن فخر قفلت به   شرب المدامة والاوتار والنغم

فلم يصل الينا شيء من نعيم سيف الدولة الا هذه الصورة التي صورها لنا المتنبيء فارتنا سيف الدولة جالساً في فازة من الديباج :

عليها رياض لم تحكها سحابة   وأغصان دوح لم تغن حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجه   من الدرّ سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحاً به   يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه   تجول مذاكيه وتغضي ضراغمه

ومن هذه الأبيات القليلة يتبين لنا ان المتنبيء لايقصر اذا شاء عن التصاوير المشتملة على ألوان برّاقة ولكنه انصرف عن هذا النوع من الشعر الى مذهب الصق بنفسه واعلق بروحه فلم يهتم بمشاهد الطبيعة على ان ماخلّفه لنا من وصف شعب بوّان يدل على ان عبقريته قد تستهويها الطبيعة في بعض الاوقات فاذا استهوتها الطبيعة اوحت اليها خصائص الالوان فيطبع خياله مشاهدها بطوابع خاصة تليق بها وقد لا تليق بغيرها .

ملاعب جنة لو سار فيها   سليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى   خشيت وان كرمن من الحران

وكيف كان الامر فان ابا الطيب لم يتوسع في هذا المذهب توسع غيره من شعراء الطبيعة وفي مقدمتهم البحتري الا ان الوصف الذي يشتمل عليه بعض شعره انما هو وصف دقيق لايخلو من روح وحياة فلما وصف الحمّى :

وزائرتي كأن بها حياء   فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا   فعافتها وباتت في عظامي

يضيق الجلد عن نفسي وعنها فتوسعه بانواع السقام
كأن الصبح يطردها فتجري مدامعها باربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شر اذا القاك في الكرب العظام

نفخ فيها حياة تجعل الموصوف بمنزلة شخص ناطق ، ولكن الذي وفق فيه التوفيق انما هو وصف الاسد فقد خاض في دقائق الوصف كلها فلم يغفل الاشارة الى مهابة الموصوف :

وقعت على الأردن منه بلية نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنيلا

ولا غفل عن الاشارة الى هيأته :

متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا تحت الدجى نار الفريق حلولا

ولا اهمل ذكر عيشته ومشيته :

في وحدة الرهبان الا انه لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا

ولا قصّر في تصوير استعداده للهجوم على فريسته :

ما زال يجمع نفسه في زوره حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه يبغي الى ما في الحضيض سبيلا

الى غير ذلك من أسرار الوصف التي دلت على ان ابا الطيب يستطيع اذا شاء ان يتغلغل في البواطن والظواهر فيستخرج منها اشكالاً فيها حياة وشعور :

هذا شيء من الكلام اليسير على مذهب المتنبي في الوصف ، فاذا برز ابو الطيب فان بروزه في وصف المعارك واذا خلد فانما يخلد من هذه الناحية ومن ناحية الحكمة فاذا كان المتنبي شاعر الهيجاء فانه شاعر الحكمة والمثل ، فقد بلا أخلاق الناس وامتحن الدنيا وعرض الحياة فاستنبط من هذا كله روائع الحكم وسوائر الأمثال فلا خوف على خلود عبقريته مادمنا نحتاج في كل عصر من العصور الى شكوى الدهر والدنيا والناس والى الموعظة والاعتبار والى ما يجري مجرى هذه الامور واشباهها ، لا خوف على خلود هذه

العبقرية مادامت العربية لغة كثير من الخلق ، ومادام اهل هذه اللغة يتمثلون بالابيات التي تشتمل على صور الحياة بجامعها ، كرمها ولؤمها ، وحلوها ومرها ، وعزها وذلها ، وراحتها وتعبها ، وخيرها وشرها واملها ويأسها ، فلم يخطئ ابو الطيب في قوله :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذ قلت شعراً اصبح الدهر منشدا

لزمنا من بعد هذا كله ان نعرف مصادر عبقرية المتنبي ، من هم الشعراء الذين اثروا في هذه العبقرية ، ومن هم الشعراء والكتاب الذين اثرت فيهم عبقرية ابي الطيب ، وهذا باب لا أحتاج فيه الى التطويل ، فان المتقدمين من الادباء أمثال الثعالبي والجرجاني قد عقدوا الفصول الطوال في الكلام على الشعراء الذين اخذ عنهم وعلى الشعراء الذين اخذوا عنه ، فاما الذين حلوا نظمه واستعانوا بالفاظه ومعانيه هم الصاحب بن عباد وابواسحاق الصابي والاستاذ احمد بن ابراهيم الضبي وابوبكر الخوارزمي وابوالفرج الببغاء والمهلبي الوزير والسري بن احمد وابوالفتح علي بن محمد البستي الكاتب وابو الحسن السلامي وابوالقاسم الزعفراني وغيرهم . واما الذين استعان بهم المتنبي هم ابوتمام وابن الرومي والاعشى وابونواس وعبدالله بن محمد المهلبي وموسى بن جابر الحنفي وعبد الله بن طاهر والعباس بن الأحنف والبحتري واسحاق الموصلي وابوهفان وعلي بن الجهم و يعقوب بن الربيع وبكر بن النطاح وابن المعتز وابوسعيد المخزومي وامرؤ القيس وكثير من أمثالهم فمن كان يهمه ان يعرف شيئاً من هذا الاخذ فليرجع الى الجرجاني والى الثعالبي فقد شفى كل منهما وكفى و بالغ فأوفى ، اما انا فاني على مذهب الذي يقول : إلعق العسل ولا تسل عن نحله ، فسواء عليّ أسرق المتنبي من الشعراء ام سرقوا منه ، ان الذي يعنيني انما هو هذا القالب الذي صب فيه المسروق ، فما أحسن ما قاله الجاحظ في هذا المعنى[1] .

والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في اقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير .

شفيق جبري

(١) الحيوان : الجزء الثالث الصفحة ٤١ .

لغة المتنبي

- ١٥ -

اذا كان الشعر ضرباً من الصبغ وجنساً من التصوير على نحو ما عرّفه الجاحظ فما هو الصباغ الذي كان يصبغ به ابوالطيب المتنبي ، ماهي اللغة التي كان يلجأ اليها في التصوير ، ماهي مصادر هذه اللغة ، ماهي محاسنها ومقابحها ، ولست اعني بلغة المتنبي مجرد الفاظه وانما أريد بها ايضاً جملة فنه وما يشتمل عليه هذا الفن من الغرائب والقلائد .

اظن ان لغة الشاعر انما هي السحر الذي يسحر به والفتنة التي يفتن بها ، فلا يكون الشاعر شاعراً الا اذا احب الالفاظ وعرف كيف ينتخبها ، فلا ريب في ان للغة الشاعر تأثيراً بليغاً في هز العواطف وتحريك القلوب ، فقد قرأت مرة في مجلة فرنسية ان الدكتور «ماردروس Mardrus » ترجم القرآن بعد ان استعد لهذا الامر عشرين سنة ، وقد تكلم على هذه الترجمة احد كتاب الفرنسيس فقال : لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب ثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً اجمع فيه المبشرون على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم ، فاستنتج الدكتور (ماردروس) من ذلك ان الكلمة اذا وضعت مواضعها وانزلت منازلها كانت سحراً حلالاً .

فهل تيسر للمتنبي ان يكون لفظه نوعاً من السحر وهو يسمي شعره شعر اللفظ

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقاق

قبل ان نتبين هذا كله لا بأس ان نعرف قليلاً من مصادر لغته ، من هم الشعراء الذين كان يأخذ عنهم الفاظه ؟ .

استعان ابوالطيب بكثير من الشعراء في اختيار الفاظه ، وقد يطول الكلام على استقصاء اسمائهم فأجتزئ بذكر طائفة منهم كأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابي نواس وكثيّر .

اما ابوتمام فقدكان الضياء الذي يستضيء به فهو كثير الاغتراف من بحره ، لان حبيباً كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها و يعطي المعنى حقه بعد طول النظر والبحث

عن البينة اوكالفقيه الورع يتحرى في كلامه ويتحرج خوفاً على دينه[١] .

فمرة كان يستعين بابي تمام على انتقاء الالفاظ التي يستطيع ان يصوّر بهـا الوان الصبح والليل فالمعروف ان الصبح ابيض وان الليل اسود ولكن ابا تمام قلب هـذا المعنى فوصف اذربيجان فقال :

وكانت وليس الصبح فيها بابيض فأمست وليس الليل فيها باسود

فاستحسن ابوالطيب هذا الكلام فقال في وصف منبج :

فالليل حين قدمت فيها ابيض والصبح مذ رحلت عنها اسود

ومرة كان يستعين به على انتخاب الكلمات التي تفصح عن دمع عيونه ، فقد رثى ابو تمام اسحق بن ابي ربعي فقال :

شق جيوباً من رجال لو استطاعوا لشقوا ما وراء الجيوب

فأعجبت اباالطيب لفظة شق ماوراء الجيوب فعزى بها سيف الدولة في عبده يماك

علينا لك الاسعاد ان كان نافعاً بشق قلوب لا بشق جيوب

وحيناً كان يستظهر بابي تمام على شكوى مشيب الفؤاد ، فابو تمام يقول

شاب رأسي ومارأيت مشيب الرأس الا من فضل شيب الفؤاد

فما أحب المتنبي ان تفلته كلمة شيب الفؤاد فقال

الا يشب فلقد شابت له كبد شيباً اذا خضبته سلوة نصلا

وحيناً كان يستظهر به على شكوى الدهر ، فقد قال ابو تمام لابي سعيد محمد بن يوسف الثغري

كثرت خطايا الدهر فيّ وقديرى بنداك وهو اليّ منها تائب

فأنس المتنبي بتوبة الدهر فقال لعلي بن منصور الحاجب

حال متى علم ابن منصور بهـا جاء الزمان اليّ منها تائبا

وكان ابو الطيب يستنزل وحيه في البكاء على الربوع من أفق ابي تمام فانه لما قال

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت انت وهنّ منك اواهل

---

(١) العمدة : الصفحة ٨٧ .

كان يجعل نصب عينيه بيت ابي تمام

وقفت وأحشائي منازل للاسى به وهو قفر قد نعفت منــازله

ولقد لجأ الى ابي تمام في التفتيش عن الفاظ يصور بها علو الشرف فلم يجد أحسن من قوله

همــة تنطح النجوم وجد آلف للحضيض فهو حضيض

فأسكرته لفظة تنطح النجوم فقال

شرف ينطح النجوم بروقيه وعزٌّ يقلقل الأجبــالا

وعمد له في التفتيش عن الفاظ يجعل بها الممدوح في حفظ الله ، فأبو تمام يقول في المعتصم

لقد خان من يهدي سويداء قلبه لحد سنانٍ في يد الله عامله

فهزته كلمة في يد الله فاستقبل بها سيف الدولة وقال

على عاتق الملك الأغر نجاده وفي يد جبــار السماوات قائمه

ولم يشأ ابو الطيب ان يمر بتفخيم ابي تمام لممدوحه دون الاغارة عليه فلما قال ابو تمام في خالد بن يزيد الشيباني

لبس الشجاعة انها كانت له قدماً نشوغاً في الصبا ولدودا

قال المتنبي لكافور

لبست لهــا كدر العجاج كأنما ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا

ولما قال في اسحق بن ابراهيم

الا ان الندى أضحى اميراً على مالــ الامير ابي الحسين

قال ابو الطيب في بدر بن عمار

امير امير عليــه الندى كأن له منه قلباً حسودا

اما البحتري فقد كان يأخذ عنه المتنبي الفاظ الغزل ووصف الطبيعة لرقة ابي عبادة فلما اراد ابو الطيب ان يجد صفة للعين عرض على خاطره بيت البحتري :

لو كان في جسمي الذي في ناظريك من السقم

فأعجبه هذا السقم فقال :

أعارني سقم جفنيه وحملني من الهوى ثقل ماتحوي مآزره

ولما أراد ان يجعل للاماكن لوناً من الألوان تذكر قول البحتري :

في كل مشرقة حصاها لؤلؤ وترابهـا مسك يشاب بعنبر

فارتاح للعنبر واللؤلؤ فقال في وصف الثوية :

وليلاً توسدنا الثوية تحته كأن ثراها عنبر في المرافق

بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقبنه للمخانق

ولما أراد ان يشبه الماء بشيء لم يجد غير الفضة البيضاء فالبحتري يقول في وصف البركة :

كأنما الفضة البيضـاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها

والمتنبي يقول في وصف دار كافور :

ولو ان الذي يخر من الأمواه فيها من فضة بيضـاء

وربما لجأ ابو الطيب الى البحتري في التنقيب عن الفاظ تسير بهـا الأمثال فلما قال المتنبي :

فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البنـاء على فساد

نظر الى بيت البحتري :

اذا ما الجرح رمّ على فساد تبيّن فيه إفراط الطبيب

واما ابن الرومي فقد كان يأخذ عنه الألفاظ التي تمثل حالة من حالات النفس او صفة من صفات الفكر ، فابن الرومي يقول :

ومن فرحات النفس ما يقتل

فارتاح ابو الطيب لفرح النفس فقال :

فلا تنكرن لهـا صرعة فمن فرح النفس مايقتل

ولما أراد ابو الطيب ان يجد صفة للفكر لم يجد غير الاتقاد فقال :

أشفق عند اتقاد فكرته عليه منها أخاف يشتعل

وهذا الاتقاد اقتبسه عن ابن الرومي :

أخشى عليك اتقاد الفكر لا حذرا

واذا نظرنا الى اخذ المتنبيء عن ابي نواس تبين لنا انه كان يأخذ عنه الألفاظ التي تدل على هيبة الممدوح واتساع مناقبه فلما قال المتنبيء لكافور :

يدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

خطر بباله قول ابي نواس :

كأنما انت شيء حوى جميع المعاني

ولما قال في المغيث بن علي بن بشر العجلي :

اذا بدا حجبت عينيك هيبته وليس يحجبه ستر اذا احتجبا

تذكر قول ابي نواس :

ان العيون حجبن عنك بهيبة فاذا بدوت لهن نكّس ناظر

اما كثيّر فقد كان يأخذ عنه كلمات النسيب ، فمن شعر كثير :

رمتني بسهم ريشه الهدب لم يصب ظواهر جلدي فهو في القلب جارح

وهذا البيت اوحي الى ابي الطيب قوله :

راميات بأسهم ريشها الهدب تشق القلوب قبل الجلود

***

هذه طائفة من المصادر التي كانت تصدر عنها لغة المتنبيء ولا يتسع المقام لاستيعابها وانما ذكرت اليسير منها على سبيل الاستشهاد ، فأبوالطيب كان كثير الأخذ عن ابي تمام ، يمشي على آثاره في الفاظه ، و يصب على قوالبه ، وابو تمام مشهور باسترساله في البديع ، وميله فيه الى الرخصة واخراجه الى التعدي [1] أفكان ابو الطيب يميل الى شيء من البديع تحدياً لابي تمام ، والصحيح ان اباالطيب استرسل في البديع في شعره كثير من الاستعارة

(١) الوساطة : الصفحة ٣٢٠

والتمثيل والتشبيه والتجنيس والترديد والمقابلة والتقسيم والتفسير والاستطراد والتفريع والغلو والاطراد والاتساع والتغاير وما شابه ذلك الا انه ربما انحط به بديعه الى أسفل مراتب الاساءة ·

لا ريب في ان اللجوء الى البديع انما هو من المحاسن واذا كنا نعني بالبديع الجديد من الألفاظ والتراكيب[1] فلا مندوحة للغتنا عن هذا الجديد والسبب في ذلك ان اللغة انما هي بقية صور قديمة كانت في خوالي عصورها تمثل أشكال الحياة على تباينها ثم بليت هذه الصور وعتقت فأصبحت لا ألوان لها فهي ميتة لاتهز المخيلة فاذا أحببنا ان نهز هذه المخيلة وجب علينا ان نبدع اي ان نخلق صوراً لان مثل الصور العتيقة كمثل الرماد الذي يبقى من النار الخامدة فالمجددون في كل عصر انما هم الذين ينفخون في هذا الرماد حتى يتلهب فلننظر في قسم من بديع المتنبي ·

من صور المتنبي ، الترديد :

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا   قلاقل عيش كلهن قلاقل

ومنه قوله :

أسد فرائسها الاسود يقودها   أسد تكون له الاسود ثعالبا

ومن صوره التقسيم :

أقل أنل أقطع أحمل علّ سلّ أعد   زد هشّ بشّ تفضل أدن سرّ صل

ومن هذه الصور الاطراد :

فأنت ابو الهيجا بن حمدان يابنه   تشابه مولود كريم ووالد
وحمدان حمدون وحمدون حارث   وحارث لقمان ولقمان راشد

ومنها الغلو والشواهد على غلوه كثيرة :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه   لما اتى الظلمات صرن شموسا

الى آخر الابيات ·

من هذه الأمثلة القليلة يتبين لنا مقدار الانخفاض الذي انخفضه ابو الطيب في

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ١٧٧ ·

م : ٧

تقليده ابا تمام في النهج الجديد ·

والى جنب هذه المطاعن مطاعن كثيرة نبّه عليها الائمة في القديم وفي طليعتهم الثعالبي فلم يتركوا في هذا التنبيه مجالاً لقائل ولو أعملنا الروية في بعض لغة المتنبي لتحقق عندنا ان جملة مقابحه اللغوية ناشئة عن فساد ذوقه الغنائي سواء أكانت هذه المقابح في بشاعة الابتداآت :

آحاد ام سداس في آحاد لييلتنا المنوطة بالتنادي

ام في تعقد اللفظ وسوء الترتيب :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

ام في الذي ينشأ عن هذا التعقد من اتعاب الفكر :

فتبيت تسئد مسئداً في نيها اسآدها في المهمه الانضاء

ام في استعمال الغريب الوحشي من الالفاظ كالابتشاك والساحي والوطس والكنهور ·

ام في التفاصح بنوافر الالفاظ وشواذ الكلام كالخنش والنوراب ·

ام في الاستكثار من قول : ذا في الشعر ، ام في تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل امثله الف

ام في اللجوء الى المصطلحات الفلسفية المجرّدة من الصور كالجوهر والملكوت واللاهوت واشباه ذلك ·

أظن ان هذه المقابح كلها اصلها فساد مسامع المتنبي فكأن ابا الطيب لا ذوق له في الموسيقى على انه يعلم ان الشعر قائم بالفاظه الموسيقية فقد ذكر عنه ان متشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي اولها :

جللا كما بي فليك التبريح

و يتغنى فاذا توقف بعض التوقف رجع بالانشاد من اول القصيدة الى حيث انتهى منها[1] وفي هذه الرواية دليل على تعبه في الشعر واكثر الذين يتعبون في الشعر

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ١٤١ ·

بمعظم نصيبهم من سلامة الذوق الموسيقي فعلى م كان ابو الطيب يلجأ الى ما يؤيد فساد ذوقه في هذا الوجه ·

شبهوا ابا الطيب بالملك الجبار يأخذ ماحوله قهراً وعنوة ، وشبهوه بالشجاع الجريء يهجم على ما يريده لا يبالي مالقي ولاحيث وقع[1] فمن كانت هذه صفاته فأخلق بشعره ان يكون مطبوعاً بكثرة التفاوت وقلة التناسب وتنافر الأطراف وتخالف الابيات ، فالى جنب هذه المساوئ اللفظية التي أشرت اليها والتي لم أشر بعدُ كعسف اللغة والاعراب ووضع الكلام غير مواضعه وقطع الكلام قبل استيفائه الى غير ذلك مما تعصب له فيه القاضي الجرجاني في وساطته واحتج بحجج تكاد تكون قاطعة ، الى جنب هذه المساوئ كلها قلائد وفرائد يزّ فيها من تقدمه وايأس منها من تأخر عنه ، فما اصح ماقاله الثعالبي في تفاوت شعره :

« يجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط فبينا يصوغ الخر حلي و ينظم أحسن عقد وينسج انفس وشي و يختال في حديقة ورد اذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في ابعاد الاستعارة او تعويص اللفظ او تعقيد المعنى الى المبالغة في التكلف والزيادة في التعمق والخروج الى الافراط والاحالة والسفسفة والركاكة والتبرد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة فمحا تلك المحاسن وكدر صفاءها واعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحككك بالسنة الطاعنين فمن متمثل بقول الشاعر :

انت العروس لها جمال رائق   لكنها في كل يوم تصرع

ومن مشبه اياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ثم يتبعها بطعام وضر وشراب عكر ·

هذا ما قاله الثعالبي في المتنبي ومقاله صحيح من كل وجوهه والظاهر ان التفاوت في الشعر صفة اكابر الشعراء فقليلاً ماتتناسب قصائدهم وقليلاً ما تطرد حسناتهم وبينا ابو الطيب يقول في بعض قصائده :

تمل الحصون الشم طول نزالنا   فتلقي الينا اهلها وتزول

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ٨٧ .

اذ يقول :

أغركم طول الجيوش وعرضها   علي شروب للجيوش اكول

فلست أدري ماالفرق بين قوله : علي شروب .... وبين قول العامة في القوي الذي لا يبالي بالضعيف : يأكله اكلاً ، فقد اثر ابو تمام في المتنبي تأثيراً حمّله فيه كثيراً من سيئاته فان هذه الكلمات : شروب ، اكول اخذها المتنبيء عن ابي تمام نفسه من قصيدة يمدح فيها الثغري :

في مكر للروع كنت اكيلا   للمنايا في ظله وشريبا

وبينا نجده يقول :

اين فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجّل التنكيد

اذ يقول :

لامة فاضة أضاة دلاص   أحكمت نسجها يد داود

فهذا دليل على حرصه على كلامه ومحافظته عليه فهو لا يسمح بحذف شيء من هذا الكلام .

ولكن قلائد ابي الطيب غطت على هذه الهفوات فلم تذكر له سيئة الا ذكرت له حسنات فلئن قبح مطلع في قصائده فلقد حسنت مطالع :

اعلى الممالك ما يبنى على الاسل

ولئن عوص بعض شعره فقد سهل كثير من هذا الشعر

ترفق أيها المولى عليهم   فان الرفق بالجاني عتاب

ولئن استعمل الوحشي من الالفاظ فقد استكثر من استعمال مأنوسها

واذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الأجسام

فلو عرضنا امثاله التي سارت وقوافيه التي شردت لوجدنا لفظه فيها وليد الحضر ، غذيّ المدر ، مما يتمثل به الخاص والعام والكبير والصغير والعالم والجاهل وهذه خصائص لغة الامثال والحكم .

ولئن عمد في بعض شعره لمصطلحات الفلسفة والمنطق التي لا تخلو من شيء من الجفاف فقد عمد لالفاظ كثيرة خالية من هذا الجفاف فيها نغمات موسيقية حلوة على

السمع اذكر منها قوله : مشى عليهــا الدهر - شبيبة الزمان وهرمه — يمج ظلاماً — مكرمات مشت على قدم البر — دمع الحزن — دمع الدلال — دموع تذيب الحسن — نبذوا تحت ربابه — نسج النقع عليها براقع — القت دماء الروم طاعتهــا — الى غير ذلك من آثار اللغة الشعرية ٠

ولئن وفق ابو الطيب في بعض الفاظه فقد وفق في بعض صفاته فجاءت مطابقة للموصوفات كل المطابقة لاتشبه الصفات العامة التي قد تطلق على كل موصوف دون شيء من التمييز فمن هذه الصفات قوله : الحدث الحمراء — الحسب الاغر - الرشأ الربيب — المروج الفيح — لجب الوفود — الارض الواجفة ٠

لكن هذه الالفاظ الموسيقية وهذه الصفات الخاصة قد لا تستفيض في شعره فلا تشبه لغة المتنبيء لغة الشعراء اصحاب الفن الذين أرادوا ان يشعروا ففنوا ، فلا يدخل ابو الطيب في جملة الشعراء الذين يحبون الالفاظ فاذا أردنا ان نوازن بينه وبين البحتري مثلاً من ناحية الالفاظ وجدنا بينهما فرقاً فالمتنبيء لا يسحرنا بالفاظه ولا يفتننا بلغته الشعرية ، ومع هذا فاننا لانبخو من سحره وفتنته فهو كالملك الجبار تهولنا جبرياؤه فيسلبنا مشيئتنا فنذعن لسلطانه سواء أعدل امعسف ، اوكالصورة الحسنة في جملتها القبيحة في بعض ثفار بقها ننظر الى جملة ألوانها فتحسن في نظرنا ونتأمل في بعض ثفار بقها فتغطي متاعة الجملة على شناعة الثفار بق فلا نبالي بالقبح اليسير الذي يصحبه حسن كثير ٠

قد نستطيع ان نعيب لغة المتنبي بامور كثيرة كالامور التي ذكرتها في صدر هذا الفصل او كالامور التي لم أشر اليها ومنها وحدة الاسلوب في بعض شعره مثل قوله

أمعفّر الليث الهزبر بسوطه   لمن ادخرت الصارم المصقولا

وقوله

ابن المعفّر في نجد فوارسها   بسيفه وله كوفانــ والحرم

ومن هذا النوع قوله

قائدو كل شطبة وحصانــ   قد براها الأسراج والالجام

وقوله

وخيل براها الركض في كل بلدة   اذا عرّست فيهــا فليس تقيل

ومن هذا الجنس قوله

لا يجذبنّ ركابي نحوه أحد ما دمت حيّاً وما قلقلن كيرانا

وقوله

وما تقر سيوف في ممالكها حتى تقلقل دهراً قبل في القلل

فالتمغير والبري والقلقلة الفاظ يكررها المتنبي في بعض قصائده وقد يكرر غيرها من الألفاظ وفي هذا التكرير ما فيه من وحدة الألفاظ او وحدة الأسلوب .

قد نستطيع ان نعيب ابا الطيب بمجامع هذه العيوب ولكننا لانستطيع ان نتفلّت من تأثيره ، فقد قلت ان المتنبي انما هو شاعر الهيجاء وشاعر الحكمة والمثل واذا خلد فانما يخلد من هاتين الناحيتين فالألفاظ التي تحتاج اليها الحكمة قد اهتدى اليها ابوالطيب وهي ألفاظ سهلة واي كلام أسهل من هذا الكلام

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوّاً له ما من صداقته بدّ

فلغة المثل والحكمة قليلاً ما تحتاج الى شيء من التزويق وانما تزويقها في حقيقة تعبيرها وسهولته والألفاظ التي تفتقر اليها الحروب قد ألقت الى المتنبي طاعتها وهي الفاظ شديدة واي لفظ أشد من هذا اللفظ

وما تقر سيوف في ممالكها حتى تقلقل دهراً قبل في القلل

فلغة الحرب تحتاج الى صور متقدة تمثل شيئاً من اتقاد الهيجاء ولهيب نارها والمتنبي لم تخف عليه مذاهب هذه اللغة .

هذه خصائص لغة لونت بمختلف الألوان : مرة تسهل فتعجل معانيها الى الذهن قبل الألفاظ ومرة تتوعر فلا يدركها الذهن الا بعد التعب والكد ، وحيناً تملي عليها الحضارة مألوف الكلام ومعتاده فيأنس الطبع بهذا الكلام الانس كله ، وحيناً تلهمها البداوة من وحشي الالفاظ وشاذها الفاظاً تظن ان صاحبها من أجفى الأعراب طبعاً ، هذه خصائص لغة تارة تبرز لنا مجردة من كل صورة معرّاة من كل نقش ، وتارة تختال في حال جمعت ضروب النقش والتلوين لكن هذه الصور تؤذيك رثاثتها في بعض الأحيان و يرضيك رونق جدتها في بعض الأوقات مرة يصورها صاحبها دون شيء من حشد الخاطر وتكلف الصناعة بحسب خلو الجو من التعقب والتهيب ومرة لا تظهر

هذه الصور الا بعد الحمل على القريحة والافراط في التعسف ، هذه خصائص لغة اذا حلقت في سماء فلا تطاولها سماء ، لكنها اذا هبطت من عليائها هبطت الى الدرك الاسفل ، جمع صاحبها مختلف المحاسن والمساوئ فكان هذا الاختلاف عنوان عبقريته وعلامة خلوده ·

قد تهزنا في المتنبي محاسن شتى أذكر منها حسن المطالع وحسن الخروج والتخلص وحسن التقسيم وسياقة الأعداد والابداع في التشبيهات والتمثيلات وافتضاض ابكار المعاني ، وقد تؤذينا في هذا الشعر مقابح متباينة أشرت الى ما تيسر لي منها لكن هذه المقابح لا تعفي على محاسنه ، وهذه المحاسن لا تؤلف جملة عبقريته فان في لغة المتنبي وفي شعره شيئاً لا أدري ما هو ولعل هذا الشيء انما هو صورة روحه فاذا كانت هذه الروح انما هي روح ملك جبار فالصورة التي تستهوينا في شعر المتنبي وفي لغته انما هي صورة الشاعر الجبار ·

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي



جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

— ١٠ —

وحدثني ابو الفضل قال كنت مقيما بسيراف اتصرف واجتاز بها يوسف ابن وجيه يريد البصرة ومحاربة البريدي وضامنها اذ ذاك(١) ابن مكتوم الشيرازي وهو مدبرها حرباً وخراجاً من قبل الامير علي بن بويه فتلقاه (٢) وخدمه خدمة ارتضاها ونزل بظاهر البلد فحمل اليه ابن مكتوم كل شيء من الالطاف والهدايا قال فقال له يوماً والله ما وردت هذا البلد الا وفي نفسي الاجتراء (٣) عليه وتخليف (٤) جيشاً به ثم الخروج الى البصرة ولقد كاتبني جميع وجوه البلد في ذلك واشاروا عليّ بهذا ولكن قد استحييت منك ان افعل فانك بدأتني بالخدمة وانا في اطراف عملي وليس بكثير ان اهب لك هذا البلد قال وقد كان بلغنا ان اهل البلد كاتبوه بذلك ولم نحقق هذا ولما قرب اشار اهل البلد على ابن مكتوم بالانصراف وان لا يحضر وخوفوه أن يقبض عليه وارادوا بذلك ان يتم التدبير لهم في تملك يوسف بن وجيه البلد فلم يجسر ابن مكتوم على ذلك وقال لان يقبض عليّ وليس لي اليه ذنب يقتلني به احب اليّ من ان اصير لنفسي ذنباً عند علي بن بويه فيقتلني

«١» في بعض المواضع جاء ابو مكتوم. «٢» بالاصل فلقاه. «٣» لعله الاحتواء.
«٤» م. ع: كذا في الاصل والاولى وتخليفي جيشاً او تخليف جيش.

به فانه يظن اني واطبت (١) على خروج البلد عن يده لا كسر مال الضمان ويقول لي كان يجب ان تصبر الى ان يدخل فيقبض عليك او تجيئني بعد وقعة يحدس (٢) فيها رجل ولم يبرح واخلد الى خدمته العظيمة ففهمه ذلك وتخلص قال فلما كشف له يوسف ما كان في نفسه دعا له وشكره وتذلل فقال له يوسف وقد كنت عملت على ان لا أشرب الى ان فتح (٣) هذا البلد الذي اقصده ولكن قد اشتقت الى الشرب شهوة لان اشرب معك لما رأيته من ظرفك وفتوتك فنعود العشية الى الشرب ومعك من تأنس به من اصحابك قال فانصرف واختار جماعة من وجوه البلد ووجوه المتصرفين كنت واحداً منهم وجاءنا رسول يوسف بعد الظهر فركب ونحن معه حتى اوصلنا الى حضرته فاجلسنا في فازة (٤) بهنسي (٥) لم أر قبلها مثلها حسناً في صدرها سدة ابنوس مضببة بالذهب ومساميرها ذهب وعليها دست ديباج فاخر جداً وبين يديها بساط جهرمي (٦) فوقه حصير واسع كثير (٧) عظيم طبراني ومخاد وصدر منه وخرج يوسف فجلس وجلسنا معه واحضرت مائدة فضة

«١» لعله : واطأت . «٢» م . ع يقال حدس الشاة اضجعها ليذبحها وحدس بالشاة ذبحها وحدس بالرجل صرعه ويحتمل ان تكون مصحفة عن يخدش . وهي ابلغ .

«٣» م . ع : الظاهر افتتح .

«٤» م . ع : الفازة بناء من خرق وغيرها تبنى في العساكر والجمع فاز وقال الجوهري والفازة مظلة تمد بعمود وفي القاموس بعمودين. «٥» م . ع بهنسى كورة بصعيد مصر . ولعله فازة بهنسية . قال المقدسي يصنع ببهنسة الستور والأنماط . «٦» جهرم مدينة بفارس يعمل فيها بسط فاخرة «ياقوت» .

«٧» م . ع لعله كثيراً او كبير .

زرافين (١) تسع عشرين نفساً فجلسنا عليها ونقل علينا من الطعام مالم ار مثله حسناً في اواني كلها صيني قال وتأملت فاذا خلف كل واحد منا غلام صغير مليح قائم بشرابي ذهب و كوز بلور فيه ماء فاكلنا فلما تم اكلنا نهض يوسف فخرج من وراء الفازة الى موضع وجاءنا فراشون بعددنا بطساس واباريق فضة ومجامع فضة فغسلنا ايدينا دفعة واحدة ومضى اولئك الغلمان الاصاغر وجاء غيرهم بعددنا ومعهم المرايا المجلاة (٢) الثقيلة والمضارب البلور والمداخن (٣) المجلاة الحسنة فتبخرنا دفعة وتركت ساعة في موضعنا ثم استدعينا فادخلنا الى فازة الطف من تلك ديباج وفيها (٤) صندل محلاة بفضة فيها دست ديباج وحصر طبرية مثل تلك الحصر وفيها نحو ثلاثين مطاولة (٥) مسبكة ذهب كلها عليها تماثيل العنبر على هيئة الاترج والبطيخ والدستبو «٦» او غير ذلك قال فدهشنا وتحيرنا واذا في اربع جوانب تلك المطاولات اربع اجاجين بيض كبار عظام كل واحدة كالقدس «٧» الكبير والجميع مملوءة ماء ورد وفيه امر عظيم من تماثيل الكافور وغلمان قيام بعددنا يروحون وغلمان أخر بعددنا بايديهم مناديل الشراب وبين يدي كل

«١» م . ع : الزرافين جمع زرفين وهي الحلقة . «٢» م . ع لعله المحلاة .

«٣» م . ع المجامر والاولى المحلاة .

«٤» لعله سقط : سدة . «٥» لعله طاولة .

«٦» م . ع الدستبوية نوع من البطيخ الاصفر معرب عن دست بوي اي شمامة وهو مركب من دست اي يد ومن بوي اي رائحة . فالدستبو . منها . «٧» م . ع القُدُس والقُدْس قدح يتطهر به والقَدَس السطل ولعله المراد هنا .

واحد صينية ذهب ومغسل ومركب (١) ذهب وخرداذي (٢) بلور وقدح بلور وكوز بلور والجميع فارغ قال فامر يوسف باخراج الانبذة في مدافات (٣) بلور تسمى بالفارسية جاشنكير (٤) فاخرجت عدة انبذة من العنب مما يعمل في جبل عمان لم نظن انه يكون في تلك (٥) بحسنها وطيبها فاختار ابن مكتوم نبيذاً منها فملئت الظروف منه وقام على رأس كل واحد منا غلام يسقيه ويتفقد نقله ويتفرد بخدمته الى ان شربنا اقداحاً ثم اجرى يوسف حديث علي بن بويه فقال لابن مكتوم وقد خرج من حديث الى حديث احب ان تخبرني عن اخي ابي الحسن علي بن بويه اي شيء اعتقد في امارته هذه قال فاخبره أن له الفي غلام اتراك (٦) واربعة آلاف بغل والفي جمل قال واخذ يكثر عليه من هذا فقال له ويحك هذا عيال وسبب خرج لم اسأل عن هذا انما سألت اي شيء ادخر مما يتنافس فيه الملوك قال فقال له وصل من الكنوز العتيقة والاموال التي استخرجها الى تسعين الف الف

«١» م . ع الصواب مركن . وهو اناء كالطست يغسل فيه .

«٢» م . ع الخرداذي الخمر والظاهر ان المراد اناء نسب اليها .

«٣» م . ع دافه خلطه ، والمكان مداف ولعل المراد آنية يداف بها الشراب او هي محرفة عن فراغات جمع فراغ بمعنى الاناء على اننا لم نجد هذا الجمع. «٤» م . ع جاشنكير كلمة فارسية معناها ممسك اللذة وتطلق على الرجل الموكول اليه في قصور العظماء النظر في لذة الاطعمة اي تمييز لذة الطعام والحكم فيه ويطلق على صنف من الجند يقوم بخدمة المائدة في الولائم ويسمون بالعربية الندل من ندل اذا نقل ، ولعلهم اطلقوا هذا اللفظ على نوع من الآنية لانه يمسك الخمر التي هي سبب اللذة . «٥» لعله سقط : النواحي .

«٦» كذا في الاصل ولعله تركي او هو مرفوع على القطع .

درهم قال فقال ولا هذا اردت انما اردت الذخائر والجواهر وما يخف وبالجملة (١) الملوك (٢) معهم محملا لطيفاً اذا احزبهم (٣) امر قال فقال ابن مكتوم لا اعلم الا ما سمعت ان الحبل الذي كان للمقتدر قد وصل اليه فقال وما للحبل قال فص ياقوت احمر فيه خمس مثاقيل الا اني ابتعت له جوهرتين بمائة وعشرين الف درهم فقال قد انست بك واقتضى ان أريك ماصحبني في هذه السفرة من هذا الجنس ان نشطت لذلك قال فشكره ودعا له وقال اي والله انشط لذلك واتشرف به قال فدعا بغلام وقال امض فهات الربعة (٤) الفلانية قال فجاءه بربعة كبيرة قال وكانت بين يديه خرائط (٥) خراسانية مطروحة في المجلس فاستخرج من واحدة منهن مفتاح ذهب وتأمل اولاً ختم الربعة ثم فتحها بالمفتاح واخرج الينا قضيباً عليه خواتيم نحو خمسمائة خاتم بواقيت وفيروزج وعقيق لم نر مثله فاراناه اياه وقال ليس هذا شيئاً فدعوه قال فتركناه ثم اخرج الينا عقداً فيه ثلاث وتسعون حبة جوهر كل واحدة منها على قدر بيض الحية والعصفور فدهشنا من عظمها فقال ان هذا العقد في خزانة خالي احمد بن هليل وخزانتي من بعده منذ كذا وكذا سنة والجوهر الينا يصل اولاً ثم يتفرق من عندنا الى البلاد ونحن مجتهدون في ان نجد سبع

«١» م . ع كذا في الاصل الظاهر ان الاصل . وما يحمله الملوك او محرف عن ما يحمله . «٢» لعله سقط : يحفظون .

«٣» م . ع كذا في الاصل والمعروف حزبه الامر من الثلاثي اي نابه واشتدعليه.

«٤» م . ع : الربعة وعاء مربع الشكل ومنه ربعة المصحف وهو صندوق توضع فيه اجزاؤه . «٥» م . ع الخريطة وعاء من جلد وغيره تشرج على ما فيها .

حبات تشابه هذا فيحصل في العقد مائة حبة فما نقدر على ذلك منذ كذا وكذا سنة قال ثم اخرج الينا فصاً من الماس فلبسه في الحال وادناه من فص عقيق كان في يد ابن مكتوم فجذبه كما يجذب المغناطيس الحديد حتى تكسر فص ابن مكتوم قال ثم استخرج منديلا لطيفاً فحله واخرج قطناً ففرقه بيده واستخرج منه شيئاً خطف ابصارنا واضاء المجلس له حتى دهشنا وسلمه الى ابن مكتوم وقال تأمله قال فتأملناه فاذا هو ياقوت احمر على كبر الكف وقدما(١) في الطول والعرض قال فدهشنا فقال يوسف بن وجيه ابن هذا يابا مكتوم (٢) من الذي وصفته قال فانكسر ابن مكتوم وما زلنا نقلب تلك الكف ونشرب عليها ساعة قال ثم اخرج الينا من الربعة حشائش ذكر انها سموم قاتلة في الحال وحشائش ذكر انها تبرئ من تلك السموم في الحال قال واخرج اشياء هائلة ظريفة لم يعلق بحفظي منها الا ما ذكرته لدهشتي بما رأيت قال فلما جاء المساء جاءنا شموع (٣) عنبر فوضعت تتقد قال وشربنا الى نصف الليل وانصرفنا وشخص يوسف الى البصرة وحاربه البريدي فهزمه وافلت في مركبه واحرقت باقي مراكبه فلم يحب الاجتياز بسيراف فتوه (٤) في البحر وسلك وسطه يريد عمان قال وبلغنا الخبر وانفذ ابو مكتوم (٥) صاحباً له الى عمان يتوجع له ويعرف خبره وكاتبه على يده قال فدخل صاحبنا الى عمان قبله بايام ثم وردها يوسف فلما وقف

«١» م . ع كذا في الاصل . ولعله وقدره في الطول .
«٢» كذا بالاصل والصحيح يا ابن . «٣» م ، ع : لعله بشموع .
«٤» م . ع : يقال توه نفسه حيرها وطوحها . «٥» كذا بالأصل .

على الكتب تذكر عهد ابي مكتوم وذكره بالجميل ووهب لصاحبه خمسة آلاف درهم وانفذ الى ابي مكتوم هدية قيمتها مائة الف درهم تجتمع (١) على طرائف البحار وانفذ الى كل واحد من الجماعة الذين كانوا حضوراً دعوته مع ابي مكتوم — عدة أثواب من صنوف الثياب وافخرها واحسنها وكنت ممن وصل اليه ذلك .

حدثني ابو الفضل قال حدثنا شيخ كان لنا بفارس من اهل قم قال ورد الينا وصيف كأنه اسد على بلدنا فتلقيناه فرأينا من فضله وعقله وجلالة قدره كل عظيم قال فأقبل علينا بخطاب جميل ووعدنا ومنانا وعرفنا رأي السلطان في العدل والاحسان ثم اقبل يسأل عن امور بلدنا مسألة عالم به ويسأل عن شيوخه الى ان انتهى في السوءال الى رجل لم يكن جليلا ولا مشهوراً ولا عرفه منا الا واحد كان في المجلس قال فأقبل يعظم من امره ويسأل عن معيشته واولاده قال فاسترقعناه قال ثم قال لنا احضروني اياه احضاراً جميلا فإني اكره ان انفذ اليه من يستدعيه فاروعه قال فاحضرناه اياه فحين وقعت عينه عليه قام اليه قياماً تاماً وأجلسه في الدست معه قال فسقط عن (٢) اعيننا وقلنا جاهل لامحالة قال ثم أقبل عليه يسأله عن زوجته وبناته وبنيه والشيخ يجيب جواب ضجر باهت معظم لماعمله فقال له احسبك قد أنسيتني وانكرت معرفتي فقال كيف انكر الامير ايده الله مع عظمه وجلالته فقال له (٣) دع

«١» م . ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن تحتوي او مضمنة معناها .

«٢» م . ع : المعروف سقط من اعيننا . «٣» بالاصل : لا دع .

هذا أتعرفني جيداً ؟ قال لا قال فقال انا مملوكك وصيف ثم اقبل علينا فقال يا مشايخ قم : انا رجل من الديلم كنت سبيت في وقت كذا وكذا في الغزاة التي غزاهم فيها فلان الامير وكان سني اذ ذاك عشر سنين او نحوها فحملت الى قزوين فاتفق ان هذا الشيخ كان بها فاشتراني وحملني الى قم واسلمني مع ابنه في أكتاب (١) واجراني مجراه في حسن التربية وفعل بي وصنع وجعل يعدد له بابا (٢) ذكره وانه احسن ملكته حتى انه مايتأذا (٣) منه قط ولا ضربوه ولا شتموه وانهم كانوا يكسونه كما يكسون ابنهم ويطعمونه كما يطعمونه ولم ازل معهم في احسن عشرة الى ان بلغت وكانوا يهبون لي الدراهم لشهواتي ويعطوني اكثر مما يحتاج اليه وكنت مذ كنت صبياً كلما وقع بيدي شيء جمعته عند بقال في المحلة يعرف بفلان قال ثم سأل عنه فقيل هو باق فلما بلغت واشتددت طلبت السلاح وعملت به ومولاي مع هذا يشتري لي كل ما اريده ويكفني (٤) من (٥) شهواتي ويحسن اليّ ولا يعترض في شيء اريده عليّ قال واتفق ان بعض الجند رآني فقال هل لك في ان تخرج معي الى خراسان فاركبك الدواب وأفعل بك واصنع فقلت اصحبك على شرط ان لا اكون مملوكك ولا تملكني ولكن اشتري لنفسي دابة

«١» م . ع الظاهر الى الكتاب . «٢» لعله سقط : بابا م . ع كذا في الاصل ، وجعل يعدد له بابا ذكره . ولعل اصله يعدد ما شاء ذكره او يعدد لهم مآثره .

«٣» م . ع كذا في الاصل والظاهر ما تأذوا .

«٤» لعله ولا يكفني «٥» م.ع : المعروف كفه عن الشيء ويحتمل ان يكون الاصل ويكفيني من شهواتي

وسلاحاً واتبعك غلاماً لك مالكا لنفسي فمتى رأيت منك ما اكره فارقتك ولم يكن لك الاعتراض عليّ فقال افعل قال فجئت الى البقال فحاسبته وكان قد اجتمع لي عنده شيء كثير فاخذته واشتريت منه دابة وسلاحاً واخذت آلتك (١) ومعي دراهم وصحبت الجندي وأبقت من مولاي هذا ومضيت الى خراسان باسرها وتقلبت بي الامور وترقت حالي مع الايام حتى بلغت هذا المبلغ وانا في رق هذا الشيخ وانا اسألكم الآن مسألته ان يبيعني نفسي قال فاكبر الرجل ذلك وقال انا عبد الامير والامير حر لوجه الله والحمد بولائه وافتخر انا وعقبي بذلك قال فقال ياغلام هات ثلاث بدر واحضرت وصب المال وسلمه الى الشيخ ثم استدعى له من الثياب والدواب والبغال والطيب والآلات مايزيدقيمته على قدرالمال ثم استدعى ابنه فاحضروا كرمه وتطاول (٢) له ووهب له عشرة آلاف درهم وثيابا كثيرة ودواب وبغالا واستدعى البقال ووهب له خمسمائة دينار وثيابا كثيرة قال ثم انفذ هدايا الى بنات الشيخ وزوجته وعيال البقال قال ثم قال للشيخ يا فلان انبسط في هذا السلطان الذي قد رزقك الله انبساط من يعلم ان الامير مولاه واعلم بانك لاتحل شيئاً فاعقده ولا تعقد شيئا فاحله قال ثم التفت الينا وقال يامشايخ (قم) انتم سادتي وشيوخي وماعلى الارض اهل بلد أحب الي منكم ولا اوجب حقاً منكم فانبسطوا في حوائجكم انبساط الشريك الذي لا فرق بينه

«١» م ع الظاهر ان الاصل ، واخذت آلتي اي اداتي ومتاعي او : اخذت ألتي اي سلاحي «٢» م ، ع يقال تطاول عليه اي تطول وتفضل وتطاول الرجل تمدد قائماً .

وبيني الا فيما حظرته الديانة وليس بيني وبينكم فرق الا في ثلاث: طاعة السلطان وصيانة الحرم ومخالفتكم في الرفض فاني قد طوفت الآفاق وسلكت الجبال والبحار وبلغت اقاصي المشرق والمغرب فما رأيت على دينكم احداً غيركم ومحال ان يجتمع الناس كلهم على ضلالة وتكونوا انتم من بين اهل الآفاق على حق. قال ثم سأل كل واحد منا عن حوائجه ونظر اليه فيه (١) بطرف ونظر للشيخ بضعف ما نظر به لاجلنا قال فخرجنا من عنده وقد نبل في عيوننا نبلا شديداً وانقلبت المواكب الى باب الشيخ فأقبل الناس اليه في الحوائج والى ابنه فصارا رئيسي البلد ولم يكن وصيف يردهما في شيء يسألانه من قليل ولا كثير الى ان خرج عن قم.

قال وحدثني ابو الهذيل ان وصيفاً لما ولي فارس أقام بشيراز وكان يتواضع للناس تواضعاً شديداً ويحسن السيرة ويتحبب الى العامة جداً حتى كان يعود مرضاهم ويشهد جنائزهم قالوا وما رأينا اميراً اعقل منه ولقد رأيته يوماً قد حضر جنازة رجل من السوق راكباً دابة وعليه دراعة بيضاء وعمامة وليس بين يديه الا ثلاثة من الشاكرية (٢) فوقف في جملة الناس يصلي على الرجل قال وكان عندنا حائك يعرف بفلان يظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال فرأيته وقصد أن جاء فوقف الى جنبه (عند) الصلوة وزاحمه حتى وضع مرفقه في صدر وصيف وزحمه به فجاء بعض من كان معه ينكر ذلك وينحي الرجل فنظر اليه نظراً شزراً جزع معه الغلام وتنحى

«١» لعله: فيها. «٢» م، ع الشاكري الاجير والمستخدم معرب جاكر.

م ٨٠

وتركه والحائك قال فرأيته قد تجمع في مكانه ووسع للحائك حتى قاموا للصلوة .

بلغني من جهة وثقت بها عن أبي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج قال حضرت مجلس ابي القاسم عبيد الله بن سليمان وابو زنبور الكاتب يعذله في افضائه الى ابي العباس بن الفرات وتفويضه الامور اليه ويخاطبه بكل عظيم في ذلك الى ان قال له الناس يقولون أيها الوزير انك يتيم في حجر ابن الفرات فقال عبيد الله انا يتيم في حجر كل كاف

حدثني بعض اخواني الثقات عندي

قال حدثني (١) ابو احمد هارون (بن) الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب قال لما صحبت ابا علي بن مقلة الى بغداد واستكتبني كان يتعمد نفعي بكل شيء ويوصل اليّ أموالا جليلة فلم اكن أحفظها وكانت كلها تخرج عن يدي في القيان والشراب واتلفته قال فهويت جارية في القيان صفراء (٢) واشتهر امري معها وانفدت كل كسبي عليها حتى بلغ ابا علي وكان يعذلني ويوبخني ويمنعني من مفارقة حضرته وان اخل (٣) بها قال فافلت يوماً من حضرته ومضيت الى بيتي وقد حصلها غلامي واعد لي مجلساً بالفاكهة الكثيرة والتجايا (٤) الظراف والشراب الفاخر قال

«١» معجم الادباء٥ : ٤٤٤ «٢» عند ياقوت ان اسمها مهجة . «٣» لعله : اخلو. م . ع الصواب ما في الاصل يقال اخل بالمكان وغيره اذا غاب عنه وتركه. «٤» لعله التحائف م . ع . الظاهر انها محرفة عن التحايا جمع تحية وهي العمارة والعمارة الريحان يزين به مجلس الشراب فاذا دخل داخل رفعوا شيئاً منه بايديهم وحيوه به . ومنه قول

فشربت ليلتي معها وخفت أن اخل بالوزير فحملتني الشهوة للجلوس مع المغنية على ان كتبت الى الوزير رقعة اعتذر فيها من التأخر واقول ان الصفراء تحركت عليّ واضطرب جسمي فلم اقدر على المجيء وابا كر الخدمة في غد واسأل قبول عذري. قال فعاد اليّ الجواب بخط ابي علي بن مقلة في اضعاف السطور باجل خطاب والطف مداعبة وقال فيه ياهذا ظلمت الصفراء انت تحركت على الصفراء ليس هي تحركت عليك وقد علمت مغزاك في التأخر وبحسب ذاك اجبتك وقد بعثت اليك منديلا مختوماً فاستغن (١) عما فيه قال ففتحت المنديل واذا فيه رطل ند وشيء كثير من الكافور والمسك ومائتا دينار عيناً .

وانشدني ابو الحسن علي بن هارون بن المنجم لنفسه في معنى الصفراء بيتين ما سمعت باظرف من معناهما وهما يقاربان قول ابن مقلة وهما:

قال الطبيب وقدتامل سحنتي (٢) هذا الفتى اودت به الصفراء
فعجبت منه اذ اصاب ومادرى قولا ومعنى (٣) ما اراد خطاء

حدثني بعض البغداديين قال ضرب عندنا رجل من اهل العصبية خمسمائة سوط في وقت واحد فلم يتأوه ولم ينطق فلما كان بعد ايام حم حمى صعبة وضرب عليه معها رأسه فأقبل يصيح كما يصيح البعير ويقول العفو

النابغة (يحيون بالريحان يوم السباسب). وقول الاعشى :

اذا ما اتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا

وفي الاساس العمارة ريحانة يحيي بها الملك - «١» الاظهر فاستعن بالمهملة
«٢» في المعجم جس الطبيب يدي وقال مخبراً . «٣» في المعجم وظاهر .

العفو يكررها فلما كان من غد اجتمع اليه قوم من اهل الحبس فقالوا فضحتنا انت تضرب بالامس خمسمائة سوط فلا تصبح تحمّ ساعة من ليلة فتصيح فقال عذاب الله عز وجل اشد العذاب وما كنت لاتجلد عليه.

قال فأتي بعض الولاة برجلين احدهما قد ثبت عليه الزندقة والآخر قد وجب عليه الحد فسلم الوالي الرجلين الى بعض اصحابه وقال اضرب عنق هذا واومى الى الزنديق واجلد هذا كذا وكذا قال فتسلمهما وخرج فوقف الحدود وقال أيها الامير سلمني الى غيره فان هذا الامر لا آمن فيه الغلط (١) فيه لا يتلافى قال فضحك منه الامير واستطابه وامر باطلاقه واطلق وضربت عنق الزنديق

قال واتي المهدي بن المنصور برجل قد رمي بالزندقة فسأله عن ذلك فقال الرجل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً صلى الله عليه وسلم رسوله وان الاسلام ديني عليه احيا وعليه اموت وعليه ابعث. فقال له المهدي يا عدو الله انما تقول هذا مدافعة عن نفسك هاتم (٢) السياط فأحضرت وامر بضربه فضرب وهو يقرره فلما اوجعه الضرب قال له يا امير المومنين اتق الله قد حكمت عليّ بخلاف حكم الله تعالى وخلاف حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فأذا قالوها عصموا دماءهم واموالهم

«١» م. ع كذ في الاصل. ولعل اصله لا امن فيه الغلط والغلط فيه لا يتلافى. «٢» م. ع تقدم ان المعروف هاتوا. والظاهر ان هاتم كانت متداولة في ذلك العصر.

الا بحقهما وحسابهم على الله وانت قد جلست تطالبني وتضربني حتى اكفر فنقانني قال فخجل المهدي وعلم انه قد اخطأ فأمر باطلاقه .

فحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علان الاهوازي قال حدثني جدي ابو القاسم بن علان وقد جرى حديث السلطان وان شره يدفع الساعات (١) ورد علينا يوسف اليزيدي (٢) كاتب السيدة يطالبني وابا يحيي الرامهرمزي ان نضمن منه ضياع السيدة ويشدد علينا ونحن ممتنعون الى ان اخلى لنا مجلسه في يوم خميس وناظرنا مناظرة طويلة وشدد علينا امراً عظيما فكدنا معه ان نجيبه وكان علينا في ذلك ضرر عظيم فقلت لابي يحيي يجب ان نجتهد في دفع المجلس اليوم لنتفكر اذا انصرفنا كيف نعمل قال وكان ابو يوسف محدثاً طيباً (٣) قال فجره ابو يحيي الى المحادثة واستلب هو الحديث وسكت ابو يحيي قال وكان عادة ابي يوسف في كلامه ان يقول في كل قطعة من حديثه افهمت قال وكان كلما قال ابو يوسف لابي يحيي افهمت يقول ابو يحيي لا فيعيد الحديث و يخرج منه الى حديث آخر قال فلم نزل كذلك حتى حمى النهار وقربت الشمس من موضعنا فرجع ابو يوسف الى حديث الضمان ومطالبتنا بالعقد فقلت له انه قد حمي النهار وهذا لا يتقرر في ساعة ولكن نعود غداً ورفقنا (٤) به فقال انصرفوا فانصرفنا

« ١ » لعله بالساعات . « ٢ » لعله ابو يوسف البريدي . « ٣ » بالاصل محدداً ماطس .
« ٤ » م . ع يقال رفق به اذا تلطف وألان جانبه ويحتمل ان تكون ورقفنا له . اي زينا الكلام وحسناه .

واستدعانا من غد فكتبنا اليه رقعة انه يوم الجمعة وهو يوم ضيق ويحتاج الى الحمام والصلوة وقل امر يبتدأ به يوم الجمعة قبل الصلوة فيتم ولكنا نباكرك يوم السبت فاندفع واستدعانا يوم السبت فصرنا اليه وقد وضعنا في نفوسنا الاجابة لما ايسنا من الفرج فحين دخلنا اليه ورد اليه كتاب فقرأه وشغل قلبه وقال انصرفوا اليوم فانصرفنا ورحل بعد ساعة لان الكتاب كان يتضمن ذكر صرفه فبادر قبل ورود الصارف وكفينا امره .

قال وورد الينا في وقت من الاوقات بعض العمل متقلداً للاهواز من قبل السلطان وقد اسماه ونسبه الذي حدثني قال فتبع رسومنا ورام بعض شيء منها وكنت انا وجماعة من التناء في تلك المطالبة وكان فيها ذهاب غلاتنا في تلك السنة لو تم علينا وذهاب اكثر قيم ضياعنا قال فقالت لي الجماعة ليس لنا غيرك تخلو بهذا الرجل وتبذل له مرفقاً وتكفينا اياه قال فجئته وخلوت به وبذلت له مرفقاً جليلا فلم يقبله ودخلت عليه بالكلام من غير وجه فما لان ولا اجاب قال فأيست منه وكدت ان اقوم خائباً قال فقلت له في عرض الكلام ياهذا الرجل انت مصمم من هذا الامر على خطأ شديد لانك تظلمنا وتزيل (١) رسومنا من حيث لا يحمدك السلطان ولا تشفع (٢) انت بذلك ومع هذا فاخبرني هل تأمن ان تكون قد صُرفت وكتاب صرفك في الطريق يرد عليك بعد يومين او ثلاثة فتكون قد اهلكتنا وأثمت في أمرنا وفاتك هذا المرفق الجليل ولعلنا نحن نكفى ويجيء غيرك فلا يطالبنا او يطالبنا فنبذل

« ١ » لعله تزيد. « ٢ » م . ع كذا في الاصل والظاهر ولا تنتفع .

له هذا المرفق فيقبله ويكون الضرر انما يدخل عليك وحدك. قال فحين سمع هذا اعتقد ان لي ببغداد من يكاتبني بالاخبار واني قد احسست باختلال امره واخذ يخاطبني(١) من لس (٢) وقع لي انه قدوقع هذا قال فقد ثبته وثبت في نفسه فأجاب الى اخذ المرافق (٣) وازالة المطالبة فسلم(٤) اليه رقاع الصيارف بالمال واخذت منه حجة (٥) بازالة المطالبة وانصرفت وقد بلغت ما اردت قال فسلمت فلما كان بعد خمسة ايام لا تزيد يوماً ورد عليه الكتاب بالصرف قال فدخلت اليه فاخذ يشكرني (٦) بما جرى وبما (٧) ورد عليه فاوهمته اني كنت قد قلت له ذلك على اصل وكفيت تلك المطالبة .

حدثني ابو الطيب محمد بن احمد بن عبد المومن الوكيل على ابواب القضاة بالاهواز قال قال لي بعض المكديين (٨) ببغداد عن شيخ لهم أيسر وعظمت حاله حتى استغنى عن الشحذ فكان يعلمهم مايعملون فسألناه عن سبب نعمته فقال كنت تعلمت بالسريانية حتى كنت اقرأ كتبهم التي يصلون بها ثم لبست زي راهب وخرجت الى سر من رأى وبها قواد الاتراك فاستأذنت على احدهم فأدخلت فقلت له انا فلان الراهب صاحب العمر(٩) الفلاني وذكرت عمراً بعيدا بالشام وانا راهب فيه منذ ثلاثين سنة

«١» م . ع الظاهر ان الاصل يخاطبني مخاطبة من يشعر انه وقع لي الخ اونحو ذلك
«٢» لعله حيث . «٣» م . ع ذكرت قبل بصيغة المفرد . والمرفق ما ينتفع به .
«٤» م . ع كذا في الاصل والظاهر: فسلمت اليه . «٥» لعله خطه .
«٦» م . ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن: يشعرني . «٧» لعله : ويخبرني بما
«٨» م . ع الصواب المكدين بياء واحدة . «٩» العُمر الدير كما في معجم البلدان

وكنت نائماً فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه قد دخل الى تمري فدعاني الى الاسلام فأجبته فقال لي امض الى فلان القائد حتى ياخذ عليك الاسلام فانه من اهل الجنة فجئت لاسلم على يديك قال ففرح التركي فرحاً عظيما شديداً ولم يحسن ان ياخذ عليّ الاسلام فتفرع في كلامه وقطعت الزنار واسلمت بحضرته قال فوصلني ماقيمته خمسة آلاف درهم من الدراهم والثياب وغيرها وعدت الى منزلي فلما كان من غد بكرت الى قائد منهم بزي الرهبان وقلت له كما قلت للاول واعطاني اكثر من ذلك حتى طفت على جماعة منهم فحصل لي من جهتهم اكثر من خمسين الف درهم فلما كان في بعض تلك الايام صرت الى احدهم واتفق انه كان عنده دعوة فيها وجوههم فلما دخلت وقصصت الرؤيا وتأملتهم واذا في الجماعة واحد ممن كنت لقيته بالرؤيا قال فقامت عليّ القيامة فلما فرغت من حديث الرؤيا واظهرت الاسلام على يد التركي وامر لي بالجائزة وخرجت أتبعني ذلك القائد بغلامه فلما بعدت من الدار قبض علي وحملني الى منزل التركي الاول فقامت قيامتي واحسست بالمكروه وبذات للغلام جميع ماكان معي ليدعني انصرف فلم يفعل وجاء التركي وهو منتش فقال يايا حصلت (١) لتسخر بالاتراك واحد واحد(٢) وتاخذ دراهمهم قال فقلقت فزعا وقلت ياسيدي انا رجل صفعان (٣) فقير مكد وانافعلت هذا لآخذ شيئا قال فقال لي اظننت

«١» م.ع لعله حلمت من الحلم وهو الرويا. «٢» م.ع كذا في الاصل.

«٣» م.ع اي رجل يصفع

اني افضحك في بلدك ما كنت بالذي افعل وقد جازت السخرية عليّ حتى تجوز على الجماعة كما جازت عليّ ولكن اليس انت قال فطايبته وتصفعت له فضحك مني واستدعى بالنبيذ وشرب ولاعبته فاستخف روحي وحبسني عنده وخلع علي واعطاني دراهم ودعا جماعة من قواد الاتراك وخرجت عليهم في زي الصفاعنة فمطمطوا (١) عليّ وضحكوا فحدثهم التركي بالحديث فضحكوا قال فأخذت منهم على تلك الحال مالا ثانياً جليلاوانصرفت الى بغدادفابتعت به عقاراً منه اعيش الى الآن.

تم الجزء الثامن



٤٥» م . ع المطمطة حكاية صوت الجان اذا قالوا :عيط عيط وذلك اذا غلبوا قوماً — واختلاط الاصوات وتتابعها في الحرب وغيرها

رسالة الكرم

- ٥ -

« الحصرم »

الحِصرِم كزبرج اول العنب ولا يزال العنب مادام أخضر حصرماً . ابن سيده الحصرم الثمر قبل النضج والحصرمة بالهاء حبة العنب حين تنبت عن ابي حنيفة وقال مرة اذا عقد حب العنب فهو حصرم . الأزهري الحصرم حب العنب اذا صلب وهو حامض . ابو زيد الحصرم حشف كل شيء . وفي المصباح الحصرم اول العنب مادام حامضاً . وقال الأصمعي الحصرم ماطال من نبات العنب شيئاً . وقال ايضاً اذا لم يرو الغصن من الكرم وخرج حبه ضعيفاً متفرقاً فهو الخصاصة والحصرم .

وحصرم كل شيء حشفه . ومن امثالهم تزبب قبل ان يتحصرم . و يقال حصرم الكرم .

العُقَيْلى بضم العين وفتح القاف المشددة الحصرم . عقّل الكرم تعقيلاً اخرج عُقَّيلاه .

الكَحْب بالفتح الحصرم واحدته كحبة لغة يمانية . وقد كحّب الكرم تكحيباً اذا ظهر كحبه اي عنقود حصرمه . و كحّب العنب تكحيباً اذا انعقد بعد تفقيح[1] نوره كذا في اللسان وفي التاج اذا انعقد او كثر حبه .

الكحم لغة في الكحب واحدته كحمة . وفي اللسان وقد كحب الكرم اذا ظهر كحبه . وهو البَرْوَق[2] والواحد كالواحد ونحوه في التاج .

الحثن[3] بالفتح حصرم العنب وقيل هو اذا كان الحب كرؤوس الذر واحدته بالهاء

(١) فقّح الورد اذا تفتح وفقح الشجر انشقت عيون ورقه وبدت أطرافه وكل نور تفتح فقد تفقّح وكذلك الورد وما أشبهه من براعيم الأنوار .

(٢) البروق كجعفر مايكسو الارض من اول خضرة النبات . وشجر اونبت ضعيف يعيش بادنى ندى يقع من السماء وقيل يخضر اذا رأى السحاب . والعرب تقول أشكر من بروقة . وأضعف من بروقة .

(٣) هكذا ذكره في التاج وضبط بالشكل في اللسان والمخصص بفتحتين : الحثن .

هكذا في اللسان والتاج · وفي المخصص اذا تفرق حب العنقود بعد اجتماعه فهو الحثن وقال ايضاً واذا تجرد الحثن وعقد حبه فهو حصرم ·

الغَضّ قال في المخصص والغض[1] من صفات الحثن وقيل كل ناعم غض وغضيض بين الغَضاضة والغُضوضة · وقيل هو غض من حين يعقد الى ان يسود و يبيض · وقيل هو بعد ان يجدر الى ان ينضج ·

الحمّض الحامض من العنب اي من أخضره · وحمّض العنبُ ·

« حب العنب وعجمه »

تقدم ان الحبة تستعمل في اشياء جمة فيقال حبة من بر وحبة من عنب وان الحُبَّة كثبة حبة العنب ايضاً[2] وقال الاصمعي الحُبَّة الحب الذي في جوف الحبَّة من العنب · وقال : حب كل شيء ثقيل الباء الا حبة العنب والسفرجل والقرع ·

العَوْز بالفتح حب العنب واحدته عوزة ·

الهُبْر والهُبْرة حب العنب ذكره في التاج وقال الصاغاني فيه نظر ·

العُجْد والعُنجُد حب العنب وقيل حب الزبيب وقيل هو اردؤه · وفي التاج العجد بالضم الزبيب وحب العنب وبفتح كالعنجد والعنجد · وفيه والعجد بالفتح حب الزبيب كالعنجد · وعنجد العنب صار عنجداً · وحاكم اعرابي رجلاً الى القاضي فقال بعث به عنجداً مذ حَجْر فغاب عني · الجهر قطعة من الدهر ·

الأصمعي عن الخليل الفرصد والفرصيد حب الزبيب والعنب · وهي لغة اهل الطائف · وفي اللسان الفرصد والفرصيد والفرصاد عجم الزبيب والعنب وهو العنجد ايضاً

---

(١) وقد أشرنا عند الكلام على الزمع الى ماوقع في عبارة اللسان والاصمعي وغيرهما من الخطإ والتحريف ·

(٢) وان الحبة بالضم عجم العنب وقد تخفف فيقال الحبة كثبة · وفي المخصص ويسمون ايضاً مافي جوف الهَبْرة الحُبَّة ضبط فيه بالشكل لهبرة بفتح الهاء وصريح القاموس انها مضمومة وضبط الحبة بالخاء المعجمة المضمومة ولم أر من ذكرها بهذا المعنى ولعلها الحبة بالحاء المهملة ·

الطافية من العنب الحبة التي قد خرجت عن حد نبتة اخواتها من الحب فنتأت وظهرت وارتفعت . وفي الحديث انه ذكر الدجال فقال كأن عينه عنبة طافية فسرها ابوالعباس بما تقدم وقيل أراد به الحبة الطافية على وجه الماء شبه عينه بها .

الخَدَلة بالفتح الحبة الضئيلة من العنب وهي الصغيرة القميئة من آفة او عطش . والجمع خِدال وخدالتها استدارتها كأنها طويت طياً .

الحَمْنان الحب الصغار بين الحب العظام ونوع من العنب وسيأتي .

الهُرور الهُرْهور بالضم فيهما ماتناثر من حب عنقود العنب في اصل الكرم . قال أعرابي مررت على جفنة وقد تحركت سروغها بقطوفها فسقطت أهرارها فأكلت هرهورة فماوقعت ولاطارت (الجفنة الكرمة ، والسروغ قضبانها ، والقطوف العناقيد . و يقال لما لاينفع ماوقع ولاطار) .

وفي المخصص الهَرْهور والهَرور ما تساقط من حمل الكرم قبل ادراكه وقد ضبط فيه الهَرور بفتح الهاء بالشكل وكذلك في لسان العرب وهو ظاهر اطلاق القاموس لكن قال في التاج ضبطه الصاغاني بالضم وزاد والهرورة . ونقل في التكملة عن الاصمعي الهرور والهرورة والهرهورة قال وهو ماتساقط من الكرم من عنبه الرديء . وهرَّ يهُرُّ هرّاً أكل هرور العنب .

الجَثيث ماتساقط من العنب في اصول الكرم . وما غرس من فراخ النخل ولم يغرس من النوى . وقيل الفسيل واحدته جثيثة . والجِثَّة والجِثاث بكسرهما حديدة يقلع بها الفسيل . والجَثّ انتزاع الشجر من اصوله .

القَثيث مايتناثر في اصول شجر العنب .

الرُّوَاء ما تساقط من حب العنب في اصول حبله وضمر .

وَمَرَق حب العنب يمرُق مروقاً انتشر[1] من ريح او غيره .

الخُراطة بالضم ماسقط من العنقود حين يخترط يقال خرط العنقود خرطاً واخترطه اختراطاً وضعه في فيه واخرج عمشوشه عارياً . وقال ابو الهيثم خرطت العنقود خرطاً

(١) كذا في اللسان وفي التاج انتثر .

اذا اجتذبت ما عليه من العوز وهو الحب بجميع اصابعك حتى تنقيه من عوده وذلك الخرط وما سقط منه عند ذلك هو الخراطة ·

العُثمرة بالضم من العنب ما امتص ماؤه وبقي قشره · وفي الأصمعي وقشرة الهبرة اذا امتص ماؤها وبقي حبها وجلدها العثمرة ·

و يقال ماذقت أكالا ولا لماجا ولا شماجا[1] اي ما أكلت شيئاً واصله ما يرمى به من العنب بعدما يؤكل · والاكال مايؤكل والأكل بالضم ثمر النخل والشجر وكل مايؤكل فهو أكل وآكل الشجر والزرع اطعم ·

الشحم ككتف من العنب القليل الماء الغليظ اللحاء · وفي كتاب الاصمعي تقول العرب في العنب انه لشحم اذا كان ريانا[2] ·

الضمير كأمير العنب الذابل · ضمر فهو ضمير وذلك حين يضمر وفيه الماء · يقال اطعمونا من ضميركم · وقيل الضمير ماضمر من العنب فليس عنباً ولا زبيباً · وفي المخصص اذا ذبل العنب سمي الضمير فينضد في الجرين خصلة خصلة فاذا جفت اعاليه قلب فاذا جف كله ضرب بالخشب ثم ذري في مكانه حتى يتبين الحب في الثفاريق ·

الاصمعي قالوا حشف العنب ضامره مثل حشف التمر ·

و يقال أقلَب العنبُ اذا يبس ظاهره فحول وقلب[3] ليبيس باطنه و يقال جبَذ العنبُ يجبِذ اذا صغر وقفَّ · وفي الاصمعي ربما كان العنب جابذاً وقد جبذ يجبذ اذا كان صغيراً مشققاً وقف ورقه · وفي المخصص جبذ العنب يجبذ اذا كان صغيراً متقفقاً يعني منقبضاً · « للبحث صلة » سليم الجندي

عضو المجمع العربي

---

(١) هكذا ذكرت في عبارة بعض الأئمة ولم ار من ذكر شمج · ولعلها محرفة ·

(٢) كذا في الاصل وصوابه ريان · (٣) يقال قلب الخبز ونحوه يقلبه قلباً اذا نضج ظاهره فحوله لينضج باطنه والقليبة لغة ضعيفة · وأقلبت الخبزة حان لها ان تقلب والمقلاب كمنبر الحديدة التي تقلب بها الارض للزراعة ·

الفاظ عربية لمعان زراعية

- ٩ -

حرث الارض على اشكال منها شكل يسمونه في بلادنا « النقب » وهو ان تكون الارض حرجة اوغيلاً اوعيصاً اومرجاً اومواتاً لم تعمر بعد فتقطع أشجارها وتكسر اوتنقل أحجارها ثم تحرث في عمق اربعين سنتيمتراً على الاقل وقد يبلغ المحراث اوالمرستين سنتيمتراً أحياناً . فشق الارض المذكورة لاتخاذها حرثاً يسمى بالفرنسية (Défoncement) وقد وجدت في المخصص ان ما يقابل ذلك بالعربية مع التوسع هو الخَرْق يقال خرق الارض خرقاً شقها للحرث (اي لجعلها حرثاً وهي الارض المصلحة للزرع) .

ومجموع الأعمال التي تجعل الارض حقلاً اي قراحاً طيباً صالحاً للزرع مثل قطع الشجر وحرق الشوك وابادة الاعشاب بالحرث وتفتيت الصخور بالبارود اوالديناميت تسمى احياء الارض واعمارها و بالفرنسية (Défrichement) .

والمواد التي يضيفها الأكارون الى الارض على قسمين الاول يراد به تزييد العناصر الغذائية في التراب فيشتد النبات المزدرع ويغزر محصوله . والثاني يراد به تقليل اندماج التربة الطينية فيسهل على جذور الزرع اختراقها والتغلغل بين ذراتها سعياً وراء العناصر الغذائية اللازمة للنبات . فمن المواد الاولى الزبل (السرجين والدبال) والاسمدة المعدنية والكيماوية وامثالها . ومن المواد الثانية الكلس والرمل وغيرهما .

فالتسميد هو استعمال سماد ما من الأسمدة المختلفة وهو بالفرنسية (Engraisser) والسماد هو (Engrais) اما استعمال الزبل والدبال والسرجين فهو الزَّبْل والدَّبْل والسرجنة [1] وهو بالفرنسية (Fumer) . واما اصلاح الارض المندمجة فهو الدَّمْل والدَّمَلان . فقد جاء في المخصص « دمل الارض بالدمال أصلحها به وذلك اذا كانت مدرتها لازبة مستحصفة فدملت لتسلس وترخو على عروق النبات » ويتضح من هذا التعريف ان الدمل والدملان هما أصلح ما يكون للفظة (Amendement) الفرنسية .

(١) انظر مادة دَمَل في القاموس .

وعناقيد العنب من حيث كثافة الحب على قسمين قسم تكون فيه الحبات كثيفة متراصفة وآخر تكون فيه متفرقة فالاول هو العنقود المكتنز والمتداحس والمتراصف الحب وبالفرنسية (Grappe serrée) والثاني هو العنقود المتشلشل والمتفرق الحب ويسمونه بالفرنسية (Grappe lâche) ٠

وتطلق هذه الألفاظ على غير عناقيد العنب كسنابل الحنطة مثلاً اذ منها السنابل المكتنزة والمتداحسة والمتراصفة الحب ومنها على العكس السنابل المتشلشلة والمتفرقة الحب وكل ذلك يختلف باختلاف الاصناف الزراعية في نوعي الكرمة والحنطة وغيرهما ٠

وتكون حبة العنب في بعض أصناف الكرمة قليلة الماء كثيرة اللحم كحب العنب البلدي مثلاً في دمشق فهو قليل الماء غليظ اللحاء ٠ فالحب الذي يكون متحلياً بهذه الصفة يسمى العنب الشَّحِم و بالفرنسية (Raisin charnu) ٠

وفي شمالي الشام صنف من الضأن يسمونه (العومي والعواس) وهو اكثر الأصناف انتشاراً ويظهر انه قديم فقد ورد في الامهات ان العوس ضرب من الغنم وانها الكباش البيض وان الكبش العومي منسوب اليها ٠

واشهر عروق الضأن في العالم الصنف المسمى (Mérinos) وشهرته منبعثة عن جودة صوفه وغزارته وهو يغطي حتى جبين النعجة وخديها و يبلغ رأس منخرها أحيانا ٠ والصوفة متينة مرنة جداً ربما دقت فلم يزد ثخنها على ١٠ — ١٥ في الالف من المليمتر ٠

والذي يهمنا ذكره مما يكاد يكون مجهولاً لا يعرفه الا نفر قليلون من علماء الدواجن ، ان هذا العرق من الضأن ينسب الى بني مرين المغاربة المشهورين ٠ ذلك انه عرق المغرب الأصلي جوّده العرب بعد نقله الى الاندلس منذ سطعت أنوار مدنيتهم فيها واستعملوا صوفه في صناعة المنسوجات الصوفية الدقيقة التي استفاضت شهرتها في انحاء اوربة وافريقية والشرق العربي ٠ ثم احتفظ به الاسبانيون بعد العرب فسموه مرينوس نسبة الى بني مرين ٠ وهو اليوم اكثر عروق الضأن انتشاراً ولا تكاد دولة من الدول المهمة تخلو منه وهو يعد بالملايين في كل منها ٠ ومن صوفه تصنع نُسُج الجوخ الدقيقة الحوك ٠

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

ملاحظات

« على نشوار المحاضرة »

لما عزم المجمع على طبع الجزء الثامن من نشوار المحاضرة في مجلد هذه السنة ، ألف من بعض أعضائه لجنة لتصحيح أغلاطه وضبط كلماته وتعليق تفسير موجز عليها . وقد قامت اللجنة بما وكل اليها من هذا الامر ، ولم يكد يصدر الجزآن الأولان من المجلة وفيها طائفة من كتاب النشوار حتى انبرى بعض اهل الفضل لنقدنا في بعض ما علقناه على الكتاب من تأويل وتفسير ، وكان أسبقهم الى ذلك الاستاذ السيد رشدي الحكيم ، ثم نشرت مجلة لغة العرب العراقية عدة مقالات ضمنتها نقداً وتخطئة لنا في ما علقنا وفسرنا . لكن هذه المجلة أطالت في التعليق والمؤاخذة حتى شملت مؤاخذتها الأغلاط المطبعية واكثرها ناشيء عن سقوط الحروف وتكسرها وهي مما لا دخل له في عبارة الكتاب ، ومن العادة ان تصحح في آخر كل سنة . فما كان ينبغي تطويل الكلام في التنبيه عليها حتى أدى هذا التطويل الى اطراح النظر في النقد بالجملة . ومن ذلك ايضاً ان اللجنة كانت تدع بعض كلمات الكتاب على حالتها من الاملاء محافظة على شكل المخطوط الاصلي من جهة — ولنبين من جهة ثانية عادة نساخ ذلك الزمان في كتابة مايكتبون ، وقد اعتاد بعض المستشرقين كثيراً ان يفعلوا ذلك في المخطوطات القديمة التي ينشرونها ، مثال ذلك : ان نسخة النشوار كتبت فعل (يكنى) هكذا (يكنا) بالالف فكنا أحياناً كثيرة نتركها ونترك أمثالها من خطإ الإملاء على حاله للسببين المذكورين . وكثيراً ما ذكر المنتقدون أشياء تحتمل وجهين وقد رجحنا نحن أحد الوجهين وأهملنا التنبيه الى احتمال الوجه الآخر فراراً من إكثار الشرح والتعليق على القاريء . فيأتي احد المعترضين ويذكر الوجه الآخر الذي تركناه . ويرجحه على ما ذكرناه . مع أن هذا الرأي قد يكون ذكره احدنا . لكننا اخيراً اعتمدنا الرأي الآخر . وهكذا من الاسباب التي دعتنا الى تصحيح ما صححنا . وتفسير ما فسرنا . واعتماد مااعتمدنا . على اننا لاننكر ان كثيراً مما اعترض عليه المعترض أصح وأصوب مما ذهبنا اليه . وربما نبهنا عليه في مقال خاص نلحقه في كتاب النشوار بعد تجريده

وطبعه على حدة ، اما الآن فرأينا ان ننشر ما أرسل به الينــا الفاضل السيد رشدي الحكيم شاكرين له اهتمامه وعنايته . « لجنة التصحيح »

* * *

وهذا نص ما أرسله الينا :

خطر لي بعض ملاحظات على ما نشر في الجزءين الاول والثاني من المجلد العاشر من مجلة المجمع العلمي العربي من كتاب نشوار المحاضرة اوردها فيما يلي :

(١) جاء في السطر الـ ٩ من الصفحة الـ ١٥ : « وتقلد ديوان زمام الخراج » بتقديم الديوان على الزمام وعلقت المجلة على هذه العبارة بانها هكذا وجدت في الاصل . وأرى أنه لو لم يتكرر في الكتاب هذا التركيب لكان ثمة مجال للظن بان الخطأ من الناسخ ولكن مجيء كلمة الزمام وبصيغة الجمع في موضع آخر من الكتاب يفهم منه ان كلمة الزمام في ذاك العصر كانت تطلق على احد أوضاع الحكومة فقد جاء في الصفحة الـ ٨٠ من الكتاب : « وهو اذ ذاك يتولى دواوين الازمة » .

(٢) جاء في السطر الـ ٦ من الصفحة ٨٠ : « وجدّ الموفق ، وانفذ اليه المعتضد في الجيش » . وقد علقت المجلة ايضاً على كلمة (جد) ما يفيد التردد وربما كان هذا التعليق لمجيئها بدون مفعول ولم أر في حذف مفعول جد موضعاً للاشكال فكثيراً ما يحذفون المفعول لدلالة الكلام عليه والمفعول هنا مفهوم من سياق الكلام والمعنى جد في محاربته او في السير اليه كما حذف في قولهم « من جدّ وجد » .

(٣) جاء في السطر الـ ٤ من الصفحة الـ ٨٥ : « وكان علي بن عيسى اذ حل المال وليس له وجه استسلفه من التجار — على سفاتج قد وردت من الاطراف فلم تحل — عشرة آلاف دينار » . والجملة غير مفهومة على هذا الشكل وقد علقت عليها المجلة بانهــا هكذا في الاصل وفي تاريخ الوزراء . وأرى ان زيادة الهاء في (استسلفه) من خطإ الناسخ ولو حذفت لاستقام المعنى وتكون عشرة الآلاف مفعولاً ثانياً لاستسلف .

(٤) جاء في السطر الـ ٣ من الصفحة الـ ٨٩ ما يأتي : « فوعدته بها وادفعه اياماً » . وقد علقت مجلة المجمع على كلمة (وادفعه) بان الظاهر (ودافعته) في حين ان استعمال المضارع في معنى الماضي كثير في كلامهم ومنه قول : تأبط شراً :

م : ٩

فأضربها بلا دهش فخرت ضربها لليدين وللجران

(٥) جاء في السطر الـ ٩ من الصفحة ٨٧ : « وليس معه من اصحابه كثير احد » وقد علقت عليها مجلة المجمع العلمي « لعل صوابه الكثيرين احد » . وأرى ان ليس في عبارة الكتاب شيء وكلمة احد كثيراً ما تستعمل بمعنى جماعة بعد النفي و يراد بها جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه كقوله تعالى (لا نفرق بين أحد من رسله) اي بين جمع من الرسل (فما منكم من احد) من جماعة . (لستن كأحد من النساء) كجماعة من النساء[1] .

(٦) جاء في السطر الـ ١١ من الصفحة الـ ٨٩ : « والقارية ساجة عظيمة » . و يغلب على ظني ان القارية هنا نسبة الى القار والقار كان يطلى به الخشب صيانة له عن الرطوبة و يظهر انهم كانوا في ذاك العصر يطلقون القارية على خشبة عظيمة مطلية بالقار .

وحبذا لو طبع هذا الكتاب على حرف أحسن من هذا الحرف ووضع بين الجمل فواصل وصرفت عناية أتم في تصحيح الرواميز فقد جاء فيه غلطات مطبعية كان من حق مجلة المجمع ان تتصاون عنها ، فقد جاء في السطر الـ ١٥ من الصفحة الـ ٧٧ « بعد ان كشف للوزير » والصواب « أكشف » بصيغة المتكلم .

وفي السطر الثاني من الصفحة الـ ٧٩ «لاتهلكي جذعًا» بالذال والصواب «جزعًا» بالزاي .

وفي السطر التاسع من الصفحة الـ ٧٩ « ديون المغرب » والصواب « ديوان » .

وفي السطر الثاني من الصفحة الـ ٨٣ «وقيع» بالواو والصواب «رقيع» بالراء .

وفي السطر الـ ٦ من الصفحة الـ ٨٢ « ماعمله ابي الفرات » والصواب « ما عمله ابن الفرات » وان كانت هذه الغلطة من الاصل فكان ينبغي الاشارة اليها في الهامش » .

وفي السطر الـ ٦ من الصفحة الـ ٨٦ « فأقبل عليّ صاحب الديوان » بتشديد الياء والصواب « فأقبل على صاحب الديوان » بدون تشديد .

وفي السطر الـ ١١ من الصفحة الـ ٩١ « عرضون عمالهم » والصواب « يعرضون أعمالهم » جمع عمل .

وان مجلة المجمع العلمي تشكر كل الشكر على نشر هذا المخطوط النفيس الذي

(١) كليات ابي البقاء مادة (احد) .

يستفيد منه القارئ فوائد شتى في الادب والانشاء والاجتماع والتاريخ وهو مرآة جلية لاوضاع الحكومة في ذاك العصر وأحوالها وطرز ادارتها ·

مخطوطات قديمة نفيسة

كتب العلامة كرنكو من جامعة عليكرة الى رئيس المجمع العلمي العربي كتاباً جاء فيه : انه قرأ مقالة الرئيس (التدوين في الاسلام) وقرأ ما كتبه العلامة الامير شكيب أرسلان على (كتاب الاكليل للهمداني) وقال ان الامير أهمل ذكر نسخ من الاكليل هي أقدم من التي ذكرها وهو الجزء الثامن المحفوظ في المتحف البريطاني رقم (١٣٠٥) كما ان في هذا المتحف مخطوطين آخرين من هذا الكتاب · و يظن ان خزانة لوندرة هي التي احتفظت وحدها بالمخطوط الفذ من المجلد الرابع (في أنساب همدان وبكيل) وقد اكد له الامير احمد اخو سلطان لحج ان مخطوط الجزء الثامن منتشر جداً في اليمن · ومما ان الاستاذ كرينكو عازم على طبع المجلدين المذكورين فقد باشر استنساخها وانه لاحظ ان الهمداني قد ذكر في مجلده الثامن فصلاً في مدافن (قبوريات) ملوك اليمن الأقدمين وهذا الفصل منقول عن (كتاب التيجان) الذي طبعه الاستاذ كرنكو · وانه يصحح اليوم (كتاب الفتن) لحماد · والعجيب انه وردت فيه عدة أحاديث دوّنت باسم عبد الله بن عمرو بن العاص على ورقة من البردي محفوظة في (هيدابرغ) بالمانيا فلا ريب انها كتبت قبل سنة ١٠٠ هـ وهذا دليل على انهم كانوا يصنعون الكتب في ذاك التاريخ · وقال انه قرأ في (كتاب الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني وهو من مخطوطات مكتبة الاسكوريال ان المؤلف يملك نسخة كتبت في زمن عبد الملك بن مروان وفيها بيان الأسعار وقد أوردها بالتفصيل وسيطبعه الاستاذ مع ترجمة انكليزية · و يحوي هذا الكتاب اخباراً قيمة في تاريخ افغانستان والهند · وسيصدر الاستاذ قريباً كتاب (حكمة العين) لابن الهيثم البصري · وقد عثر في مدينة (لكهنو) الهند على نسخة نفيسة من تاريخ دمشق كتبها البرزالي المؤرخ الدمشقي ·

مطبوعات حديثة

كتاب الاعتبار

« لأسامة بن منقذ نشره السيد فيليب حتي وطبعه في مطبعة جامعة برنستون »
« في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٠ ص ٢٤٠ »

سبق لناشر هذا الكتاب وهو من اعضاء المجمع العلمي العربي واحد أساتذة جامعة برنستون ان نشر كتابين من كتب العرب قبل هذا وهو (١) مختصر كتاب الفرق بين الفرق ، لمختصره عبد الرزاق الرَّسعني ، والاصل لابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي . (٢) نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي . وكلاهما لا يعدان في كتب الدرجة الاولى التي تشتد حاجة العلم والأدب الى احيائهما . فمختصر الفرق بين الفرق ضئيل الفائدة لان الاصل مختصر فما بالك بمختصره ، اما نظم العقيان ففائدته قليلة ايضاً خلافاً لكتاب طبقات النحاة للسيوطي فان هذا حوى من الفوائد ما عدّ بهـا من الامهات التي لا يستغنى عنها ، اما هذا الكتاب الثالث فما ندري السبب الذي حمل محرره على نشره ثانية بعد ان أحياه بالطبع في سنة ١٨٨٩ في ليدن العلامة المرحوم هرتويغ درنبورغ من علماء المشرقيات في فرنسا ونقله الى الفرنسية ونشره سنة ١٨٨٩ وذلك عن نفس المخطوط المحفوظ في خزانة كتب الاسكوريال في اسبانيا الذي كان نقله الاستاذ درنبورغ .

لا جرم ان في خزائن الغرب والشرق الوفاً من المخطوطات العربية حرية بالنشر لمن أراد الخدمة اكثر من نشر كتب تافهة او اعادة ماطبع منها . وقد قدّم الناشر لطبعة كتابه الثانية مقدمة وصف بها الكتاب وترجم لمؤلفه ، وذكر منشأه وفوائد كتابه المعجب الذي حوى صورة بديعة من صور عصره عصر الحروب الصليبية ، ودوّن فيـه جملة من أخلاق قومه وأخلاق القادمين عليهم من الافرنج وفروسيتهم وجهلهم وعاداتهم وقص فيـه أقاصيص وخرافات وغرائب ونوادر ، وألمّ بصيوده ونزهاته ورحلاته مما تجلت به روح اهل بيته أصحـاب قلعة شيزر (يقال لها سيجر اليوم وهي على العاصي قرب حماة) ولم يزد الناشر الثاني على طبعته سوى عناوين للفصول ووقفات ليجمل طبعته على

أسلوب جديد . اما ماسها عنه العلامة الناشر الاول وهو أعجمي فان الناشر الثاني وهو عربي لم يقلّ عنه هفوات خصوصاً في المقدمة ففيها من كبوات البيان ما لا يتناسب مع لغة التأليف اليوم ذلك لان اللغة التي كان السوريون يكتبون بها منذ خمسين سنة لا يستحب ان يكتب بها لعهدنا ، وقد رأينا كيف يجوّد اهل الاختصاص من المصريين تآليفهم بحيث تجيء متسقة جيدة النسج والوضع . وكل كتاب يكتب بعد الآن بغير أساليب العرب ومناحيهم لا يرجى له البقاء ، فعسى ان ينشر الاستاذ حتّي بعد الآن من مؤلفات العرب ما نفاخر به جامعة برنستون ، وان يحذو حذو الغربيين من علماء المشرقيات يوم تتعلق هممهم باحياء اثرلنا . فقد نشرت جامعة شيكاغو مثلاً الجزء الثامن من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي بعناية العلامة جويت ، ونشرت جامعة كليفورنيا بعناية العلامة پوپر كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، ونشرت جامعة نيويورك بعناية العلامة كونيغ ولاة مصر وكتاب تاريخ القضاة لابي عمر الكندي ، ونشرت جامعة يال بعناية العلامة توري كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن اعين القرشي ، ونشرت بعض جامعات اميركا بفضل علماء المشرقيات فيها آثاراً نافعة من هذا القبيل اطلعنا بها على ما كان مدفوناً من أسرار تاريخنا وأدبنا فازدادت بها ثروتنا العلمية والادبية . ونظن ان في جامعة برنستون وفيها ٢٥٠٠ مخطوط عربي اسفاراً أحق بالعناية من نشر كتابين تافهين وآخر سبق غيرنا فعني بحل طلاسمه . م . ك



نور الاسلام

هذه « مجلة دينية علمية أخلاقية تاريخية حكمية » تصدرها مشيخة الازهر الشريف اول كل شهر عربي ويقوم بتحريرها طائفة من اعلام العلماء أمثال الشيخ حسن منصور والشيخ محمد الخضر حسين والسيد عبد العزيز محمد والشيخ يوسف الدجوي والشيخ ابراهيم الجبالي وغيرهم من المنورين المشهورين بين علماء الدين . وقد حوت هذه المجلة ابحاثاً ونبذاً علمية ودينية تنير الفكر وتلقن لباب الدين باسلوب رائع عصري تتذوقه النفوس ويرتاح الى مضامينه المؤمنون وغيرهم . وان في تجرد هذه المجموعة المفيدة عن النزعات

السياسية والنزعات الحزبية اكبر ضامن لانتشارها بين عامة الطبقات فنرجو لها دوام الانتشار ليستفيد الناس مما تنشره وتتلطف في إشرابه القلوب . وقيمة اشتراكها خارج القطر المصري ٥٠ قرشاً صحيحاً ولطلبة المعاهد والمدارس ٣٠ . م . ك



ذخيرة المتأدب

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ ادوارد مرقص من اعضاء المجمع العلمي ، ومن تصفح كتابه هذا (ذخيرة المتأدب) أدرك مبلغ ولع الاستاذ باللغة وآدابها وحرصه على تلقين مسائلها للطلاب . وقد قسم كتابه الى ستة أبواب : ضمن الاول الفاظاً كتابية اي طائفة كبيرة من فصيح اللغة الخليق بالاستعمال والتداول ، وضمن الباب الثاني نبذاً مختلفة في الأدب . وطائفة من جوامع الكلم اقتبسها من القرآن والحديث وكلام فصحاء العرب وهكذا حتى الباب السادس فأتى فيه على ذكر لمحة من نوادر الفصحاء مما فيه فكاهة وفائدة معاً . وقد عقد في الباب الثاني فصلاً جمع فيه كثيراً من الألفاظ التي لها معناها الفصيح فحولته العامة الى معان أخر : من ذلك :

(استوى) في الفصيح تساوى . وتستعمله العامة بمعنى (نضج الطعام) .

(طفر) وثب من أسفل الى اعلا . وعند العامة بمعنى (أفلس) .

(بهلول) السيد الجامع لكل خير . وعندهم بمعنى (أبله) .

(الحنق) ضعف العقل . وعندهم بمعنى (الغضب) .

(شاطر) خبيث محتال . وعندهم بمعنى (الحاذق الماهر) .

(عبد) الرقيق زنجياً كان اوغير زنجي . وعندهم (الزنجي) رقيقاً كان او غير رقيق .

هذا وفي الكتاب فوائد لغوية من نمط ماذكرت ، يجدر بمحبي اللغة الاطلاع عليها واستعمالها فتحيى وتنتشر . ومع هذا ففي الكتاب شعر ونثر مما ينشر عادة في صحف الاخبار ليس من الفصاحة والبلاغة في قليل ولا كثير ولا يدخل تحت عنوان الكتاب (ذخيرة المتأدب) فياليت المؤلف جرد كتابه منه . على انه قليل بالنسبة لما في الكتاب من الفوائد .

« المغربي »

شرح الارجوزة بالرجز

للمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي أرجوزة في قواعد اللغة اعتمدت عليها المدارس حيناً من الزمن وقد خدمها نجله اللغوي الكبير الشيخ ابراهيم بشرح وضعه عليها أكثر فيه من الشواهد والأمثلة التي ساعدت على كشف ما أبهم من الأرجوزة · وقد عمد الاستاذ نجيب فرج الله فياض الى شرح الشيخ ابراهيم فنظمه كله رجزاً ايضاً في عدة كراريس · وقد توخى فيه محاكاة المتن الاصلي فجاء عمله دليلاً على فضله وجلده · على ان تأليف القواعد العلمية بالنظم كان طريقة قديمة عدل عنها حتى الازهريون أنفسهم ، لكن المؤلف خطر له الرجوع اليها واثقاً بسهولة نظمه وتقريب القواعد من أذهان الطلاب كي يسهل عليهم حفظها وتناولها عن كثب حين الحاجة اليها وقد صدر منه الى اليوم الجزء الاول وهو يتضمن ثلاث كراريس والجزء الثاني · (المغربي)



الري في غوطة دمشق

— نشر في مجلة الابحاث الاسلامية —

Revue des Etudes Islamiques

« تأليف رنه تريس طبع باريز سنة ١٩٢٩ عدد صفحاته ٨٤ »

L' Irrigation dans la Ghouta de Damas René Tresse
Paris 1929

ضمن المؤلف كتابه هذا أبحاثاً عن الري في غوطة دمشق ونهر بردى وفروعه وشيئاً قليلاً من تاريخه وذكر لنا نماذج من اصول الري المعروفة اليوم في بعض قرى الغوطة مستنداً على حجج شرعيــة وقرارات مجلس الادارة وحلاء برسوم · فلا يخلو هذا الكتاب من فوائد عديدة فهو في الحقيقة الاول من نوعه وهو بحث شاق لقلة الوثائق التاريخيــة وتبعثر المصادر · غير اني عثرت على اسماء امكنة واعلام محرفة يتعذر على القارئ معرفة اصلها أذكر أهمها مع بعض ملاحظات :

قال في ص ٧٠ : عن نهر (ابانة) انه ورد ذكره في سفر الملوك الخامس مع ان هذا السفر لا وجود له في الكتاب المقدس وصوابه (٢ مل ٥ : ١٢) فان فيه ذكراً لهذا النهر ·

وقال في ص٤٨٧ أُم الشرافيط صوابها أُم الشراطيط · وفي ص٤٩٤ الحجج الشرعية تؤرخ دائماً بالسنة الهجرية لا الرومية العثمانية كما قال المؤلف · وفي ص ٤٩٥ معضمية صوابها المعضمية او (المعظمية) · وفي ص ٤٩٥ مزرعة الكسور صوابه مزرعة النفور · وقال في ص٥٠٤ شتي صوابه شتوي · وفي ص٥٠٨ عائلة عقيل اقامتها في يبرود لا في النبك · وفي ص٥١٠ جانيا طاموسية صوابه جامع الطواويسية · وقال في ص٥١١ من العرب صوابه من القصب (مسجدالاقصاب) · وفي ص٥١٣ حمارة صوابه حمورة · وفي ص٥١٣ بيت مسروا صوابه بيت سوا · وفي ص٥١٤ بيت سحن صوابه بيت سحم · وفي ص٥١٥ المخزرة صوابه المناخلية · وفي ص٥١٥ الفراجين صوابه الفرايين · وفي ص ٥١٧ صوارف صوابه صوّاف · وفي ص٥٢٧ السكاكي صوابه السّكاكري · وقال في ص٥٢٨ خيالين صوابه الخياطين · وقال في ص٥٤٤ ان الدخان لا يزرع في الغوطة مع انه يزرع فيها ولاسيما في قرية كفرسوسة وغيرها ·

وقد نبهنا الاستاذ الامير مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي الى انه عثر في الكتاب على نحو خمسين غلطة ، منها قوله : ان الدونم (٨٣٣) متراً مربعاً مع انه (٩١٩) متراً مربعاً وقوله ان الفدان الخطاط يساوي ٧٥٢ متراً مربعاً مع انه يساوي ٥٧١٣ متراً مربعاً وذكره احصاآت في المساحات التي تسقى بمياه بردى يبعد عن الحقيقة بعداً شاسعاً الى غير ذلك مما يجب تلافيه في الطبعة الثانية ·

« جعفر الحسني »



موجز
« في الصكوك الجزائية »

هذا الكتاب هو خلاصة المحاضرات التي القاها كل من الاستاذين فارس بك الخوري ومحمود بك النحاس على طلاب الصف المنتهي في معهد الحقوق بدمشق ·

وهو كتاب لا يستغني عنه رجال الحقوق من قضاة ومحامين وفي شهرة الاستاذ الخوري ومقدرة الاستاذ النحاس مايكفل لهذا الكتاب الرواج والاعتماد عليه ·

عارف النكدي

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتبًا على حروف الهجاء »



فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

جدول الخطأ والصواب

ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

جاء في ص٢٤ س٣ ٠٠٠٠ والصواب ماتقي ٠ وفي ص٢٦ س٥ ٠٠٠٠ والصواب في ٠ وفي ص٢٦ س٦ ٠٠٠ والصواب يكون اساساً لدرس ٠ وفي ص٢٦ س٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ ٠٠٠٠ نقص عدة حروف من اول السطور ٠ وفي ص٣١ س٨ ٠٠٠ والصواب الذي استراحت وفي ص٣١ س١٠ ٠٠٠ والصواب سوى هذه الطرق ٠ وفي ص٥٩ س ١٨ ٠٠٠ والصواب عم ٠ وفي ص٧٧ س١٥ كشف والصواب اكشف ٠ وفي ص٧٩ س٣ جذعاً والصواب جزعا ٠ وفي ص٧٩ س٩ ديبن والصواب ديوان ٠ وفي ص ٨٢ س٦ أبي والصواب ابن ٠ وفي ص ٩١ س١١ عرضون عمالهم والصواب يعرضون أعمالهم ٠ وفي ص ١١٢ س٥ أ والصواب أي ٠ وفي ص١١٤ س٤ باو افه والصواب باوصافه ٠ وفي ص ١٢٤ س١٨ عواطه والصواب عواطفه ٠ وفي ص١٢٥ س١٣ قار ير والصواب تقارير ٠ وفي ص١٢٥ س٢٠ والقر والصواب والقرى ٠ وفي ص ١٢٨ س١٠ وضمه والصواب وضمنه ٠ وفي ص ١٣٤ س ١٦ هذه ثلاثة عشرة كلمة صوابها هذه ثلاث عشرة كلمة ٠ وفي ص١٥٣ س١ وتدرسه والصواب وتدريسه ٠ وفي ص١٥٥ س١١ رنا والصواب رنان ٠ وفي ص ١٧١ س١٧ لرجل والصواب الرجل ٠ وفي ص١٨٠ س٦ ونحن اول من صوابها نحن اول من ٠ وس٨ منها الاب انستانس صوابها الاب انستاس ٠ وفي ص ١٨٣ س١٨ ولابد لهذا العمل اذ كنا نعم انه صوابها ولابد لهذا العمل اذ كنا نعلم انه ٠ وفي ص١٨٥ س٢٤ داود بن بعقوب والصواب يعقوب بن داود ٠ وفي ص٢٣١ س ٩ ٠٠٠ والصواب على ٠ وفيها س٢٣ جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين صوابها جاءت الزلزلة سنة ثنتين وخمسين ٠ وفي ص٢٣٥ س٧ وسجنه ثم اعدمه صوابها وسجنه ثم قتله ٠ وفي ص٢٣٦ س٢٣ في سنة اثنين وثلاثين صوابها في سنة ثنتين وثلاثين ٠ وفيها س٢٤ في سنة اثنين واربعين صوابها في سنة ثنتين واربعين ٠ وفي ص٢٥٥ س٩ يعرف قارءه صوابها يعرف قارئه ٠ وفيها س٢٠ يجدونه في اعمل صوابها يجدونه في اعمال ٠ وفي ص ٢٥٦ س ٤ اثني عشر قطعة صوابها اثنتي عشرة قطعة ٠ وفيها س ١٨ بان والصواب أن ٠ وفي ص

٢٩١ س٩ القام صوابها القامم · وفي ص٢٩٣ س١٤ الفرابة صوابها القرابة · وفي ص ٣٠٢ س٨ فضانه صوابها قضاته · وفي ص٣٠٣ س٤ لمقي صوابها يلقي · وفيها س٤ سمته صوابها سمعته · وفي ص ٣١٤ س٢١ فالرد الصواب فالردى · وفي ص٣٧٢ س٨ نقل الصواب ونقل · وفيها س ٨ بعاد الصواب بعد · وفي ص٣٧٥ س٧ قوه‌قاف الصواب قره‌قاف · وفي ص ٣٧٦ س ٢٤ الدرر العثمانية الصواب الدرر العمانية · وفي ٣٨٢ س٢٢ اسم الفاعل الصواب اسم المفعول · وفي ص٣٨٦ س١٤ بالمبني الصواب بالمتنبي · وفي ص٤٢٧ س ١٢ وقد لز الصواب وقد لزم · وفي ص ٤٣١ س ١١ وقمنا الصواب وقلنا · وفي ص٥٠٧ س٢٢ هدم الصواب هدماً · وفي ص٥٠٩ س ٤ خالطت الصواب خالط · وفيها س٥ لابستاء الصواب لاِبساء · وفيها نهضته وادبه الصواب نهضتها وادبها وفي ص ٥١٢ س ١٤ فيكون لهم فيكون لها · وفي ص ٦٠٨ س ١٧ يهدي الصواب مهدي · وفي ص٧٠٩ س٢ تفلست الصواب تفلسفت ·

(تنبيه) — معظم الأغلاط في هذا المجلد ناشيء عن سقوط الحروف وتكسرها مما لا يغيب التفطن اليه عن ذكاء القاريء ·

